

مجلة ثقافية شهرية
AL FAISAL MAGAZINE

ISSUE 83 - SEVENTH YEAR - FEBRUARY. 1984.

العدد (٨٣) ـ جمادى الأولى ١٤٠٤هـ ـ السنة السابعة ـ شباط (فبراير) ١٩٨٤م.

المؤسسة العامة للتعليم الفني و التدريب المهني

المهنة تعني :

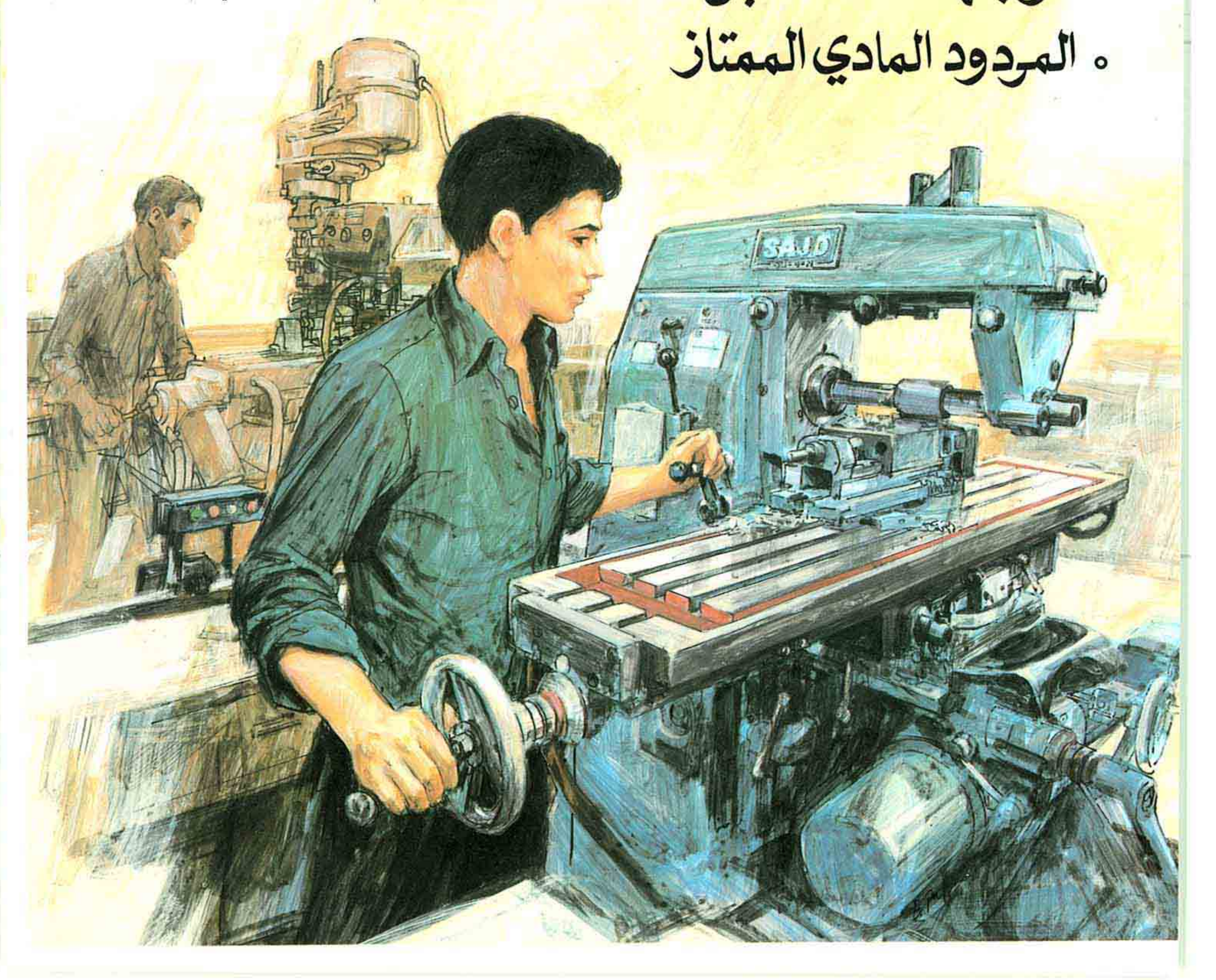
- فرص المستقبل المشرق للشباب الطموح
- الثقة بالنفس في مواجهة المستقبل
- المردود المادي الممتاز

المدارس المهنية الثانوية والمعاهد الصناعية وأماكنها:
الرياض، جده، الدمام، الهفوف، أبها، الطائف، عنيزه، المدينة المنورة.

المعهد الفني الزراعي النموذجي ببريدة :

مراكز التدريب بالمملكة:
الرياض، جده، الدمام، القصيم، أبها، الجوف، المدينة المنورة، حائل، الاحساء، الباحة، وادي الدواسر، مكة المكرمة، المجمعة، تبوك، شقراء، الرس، حفر الباطن، القطيف، الليث، المناص، الخرج، عفيف، مع ملاحظة وجود دورات مسائية بجميع المراكز.

مراكز الاعداد المهني بالمملكة:
الرياض، جده، الدمام، القصيم، أبها، الاحساء، بلجريشي، المدينة المنورة.





ALFAISAL MAGAZINE

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE — مجلة ثقافية شهرية

PUBLISHED BY AL-FAISAL CULTURAL HOUSE — تصدر عن دار الفيصل الثقافية

ISSUE 83 - SEVENTH YEAR - FEBRUARY. 1984. — العدد (٨٣) ـ جمادى الأولى ١٤٠٤هـ ـ السنة السابعة ـ شباط (فبراير) ١٩٨٤م.

رئيس التحرير

علوي طه الصافي

ALAWI TAHA ALSAFI

Editor-in-Chief

All Correspondence To: — المراسلات :

AL-FAISAL MAGAZINE
P.O.BOX 3
RIYADH 11411-Saudi Arabia
Tel: 4653026-4653027, TELEX 202600 DRFATH SJ

مجلة الفيصل ـ ص . ب (٣)
الرياض ١١٤١١ ، المملكة العربية السعودية
هاتف : ٤٦٥٣٠٢٦ ـ ٤٦٥٣٠٢٧
تلكس : ٢٠٢٦٠٠ DRFATH SJ

EUROPE - AMERICA - ASIA

Country	Currency	Price	Country	Currency	Price	Country	Currency	Price
Belgium	BF	200	Italy	L	4000	Sweden	SKR	30
Denmark	DKR	30	Netherlands	DFL	10	Switzerland	SF	6
Finland	FMK	30	Norway	NKR	30	United Kingdom	£	2
France	FF	15	Pakistan	RS	10	U.S.A.	$	5
F.R.G.	DM	10	Portugal	ESQ	100			
Greece	DR	100	Spain	PTS	150			

ANNUAL SUBSCRIPTION RATES

Personal Subscription S.R. 150 Others S.R. 250

PAYABLE TO AL-FAISAL MAGAZINE

أسعار بيع النسخ في البلاد العربية

البلد	السعر	البلد	السعر	البلد	السعر
المملكة العربية السعودية	٨ ريالات	الأردن	٤٠٠ فلس	تونس	٥٠٠ مليم
الكويت	٦٠٠ فلس	ج . ع . اليمنية	٦ ريالات	الجزائر	٥ دنانير
الإمارات العربية المتحدة	٧ دراهم	ج . اليمن الديمقراطية الشعبية	٨٠٠ فلس	العراق	٤٠٠ فلس
قطر	٦ ريالات	مصر	٣٠٠ مليم	سورية	٥ ليرات
البحرين	٥٠٠ فلس	السودان	٣٠٠ مليم	لبنان	٥ ليرات
سلطنة عمان	٦٠٠ بيسة	المغرب	٥ دراهم	ليبيا	٨٠٠ درهم

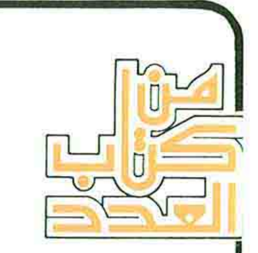
● أسعار الاشتراكات السنوية :

للأفراد ١٥٠ ريالا سعوديا لغير الأفراد ٢٥٠ ريالا سعوديا

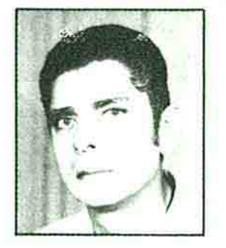
ترسل قيمة الاشتراك باسم مجلة الفيصل

طبع في : شركة الطباعة العربية السعودية (المحدودة)
ص . ب ٦٤٦٣ ـ الرياض ، هاتف ٤٦٣٣٤٥٢ ، العمارية ٤٦٥٨٩٩٠

في هذا العدد



د. إبراهيم أبو الغار



★ من مواليد المنصورة — مصر عام ١٩٣٩م.

★ دكتوراه في علم الاجتماع.

★ عمل معيداً بقسم الاجتماع، فمدرساً مساعداً، فمدرساً، ثم أستاذاً مساعداً.

★ يعمل حالياً أستاذاً مشاركاً في كلية آداب جامعة الملك عبد العزيز بجدة — قسم الاجتماع.

★ شارك في عدد من المؤتمرات في حقل تخصصه.

★ له عدد من الكتب المطبوعة تأليفاً وترجمة، وله مجموعة من الأبحاث المنشورة في المجلات.



محمد العوين

★ من مواليد مدينة «حوطة بني تميم» في المملكة العربية السعودية عام ١٣٧٧ هـ.



★ ليسانس لغة عربية.

★ يحضّر للماجستير في الأدب السعودي.

★ له من الأعمال المخطوطة:

● الأدب السعودي منذ الدعوة الوهابية إلى عام ١٣٩٠ هـ.

● المعرَّب في القرآن الكريم.

● مجموعة مقالات نقدية أدبية.

★ رئيس القسم الثقافي بجريدة «المسائية».

★ يعمل مذيعاً، وله نشاط في إعداد البرامج الإذاعية، إلى جانب نشاطه الصحفي والأدبي.

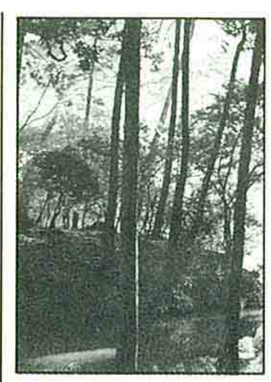




محمد محمود عبد الرازق

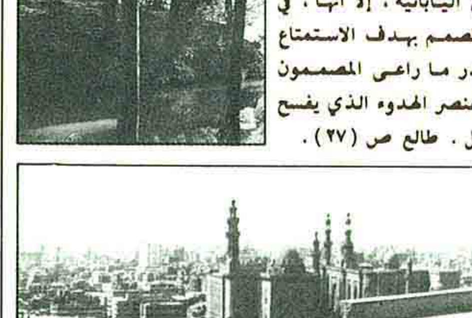
★ من مواليد الغربية — مصر عام ١٩٣٤م.

★ ليسانس حقوق.



●● من بين الفنون اليابانية العديدة، يبرز فن تخطيط وتنفيذ الحدائق، في تميز لا يمكن إلا أن يبهر العقل، ويجذب الفؤاد.. في آن واحد.

ورغم الجمال الفاتن الذي تتميز به الحدائق اليابانية، إلا أنها، في الواقع، لم تصمم بهدف الاستمتاع الجمالي، بقدر ما راعى المصممون فيها توفير عنصر الهدوء الذي يفسح المجال للتأمل. طالع ص (٢٧).



●● يرتبط بناء القلعة: «قلعة محمد علي»، في القاهرة، باسم ذلك الفتى الرومي المعروف باسم «قراقوش» الذي اضطلع بعدة أعمال.. منها بناء القلعة.. حيث أسند إليه «صلاح الدين» مهمة بنائها.

قام قراقوش بهدم المساجد والقبور التي بنيت عليها القلعة فيما بعد! ثم هدم الأهرامات الصغيرة، التي كانت موجودة في الجيزة، ونقل أحجارها التي استخدمها في بناء القلعة. طالع ص (٩١).



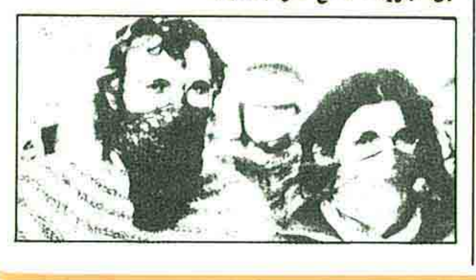
●● أصبحت التطبيقات العملية «لتكنولوجيا التصوير الراداري للأرض».. من الفضاء، تحتل مكانة بارزة في شتى فروع العلوم الحديثة.

لقد قدمت هذه التطبيقات مفاهيم جديدة في علوم الجيولوجيا، والمحيطات، والمناخ، والأرصاد الجوية، والتلوث، والبحث عن مصادر الثروات الطبيعية. طالع ص (١٠٣).



●● «وإذا كان الأفندي «عمر نصيف» قد اشتهر ببناء القصر المنيف، كما اشتهر حفيده الشيخ «محمد حسين نصيف» بجعله منتدى للناس.. فإن الشيخ «محمد صالح نصيف» قد اشتهر ببناء قصر آخر «منيف» هو: جريدة «صوت الحجاز»، كما اشتهر بفتح صفحاتها للأدباء وناشئتهم، حتى صارت بحق المدرسة الكبرى للأدب السعودي». طالع ص (٦٧).

●● لقد أثبت بحث بعد آخر، أنه كلما كان عدد المخالفات (الانحرافات) كبيراً، كان الاتجاه نحو العودة إلى الانحراف والإجرام أكبر.. فنسبة احتمال ارتكاب ذوي السابقة الإجرامية الواحدة لجرائم جديدة هي (٢٥٪)، بينما تصل هذه النسبة عند ذوي الأربع سوابق إلى (٤٦٪). ومن هنا.. فإن درجة التعوّد على اقتراف الجرائم تسمح لنا بالتنبؤ بمستقبل مدى احتمال العودة إلى الجريمة. طالع ص (٨٣).



★ عمل محامياً بالقاهرة، كما عمل مفتشاً للتحقيقات بالإصلاح الزراعي.

★ يعمل مستشاراً قانونياً بديوان المراقبة العامة بالرياض.

★ له دراسات أدبية ونقدية نشرت في المجلات والصحف العربية.

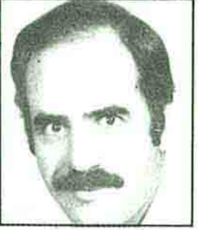
★ يجيد الإنجليزية.

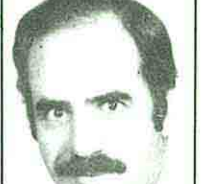
☆ ☆

يوسف الغزو

★ من مواليد خربة الوهادنة (أردني الجنسية) عام ١٩٤٠م.

★ الثانوية العامة.





★ يجيد اللغة الإنجليزية.

★ يعمل حالياً رئيساً لديوان في دائرة الأرصاد الجوية.

★ له روايتان، وثلاث مجموعات قصصية، ومجموعة من المقالات والقصص الإذاعية، وبعض المسلسلات الإذاعية والتليفزيونية.

☆ ☆

عبد الغني محمد عبد الله

★ من مواليد دمياط ـ مصر عام ١٩٣٨م.

★ درس التاريخ بكلية الآداب ـ جامعة القاهرة، ثم الآثار والفنون الإسلامية من كلية الآثار بنفس الجامعة.

★ عضو اتحاد كتّاب مصر.

★ عضو الجمعية العربية



للفنون والثقافة والعلوم.

★ عضو اتحاد الأدباء.

★ عضو جمعية أصحاب الغد (لتربية الطفل).

★ له مجموعة من الكتابات المنشورة والمسموعة والمشاهدة.





الإجرام والانحراف في المجتمعات الغربية

يعترف العالم الكندي الفرنسي في علم الإجرام «موريس كوسون» في كتابه «الضبط الاجتماعي للجريمة» الذي تعرضه مجلة «الفيصل» في هذا العدد من خلال باب «رحلة في كتاب».. يعترف هذا العالم أن رأي الباحثين الغربيين في علاج ظاهرتي الإجرام والانحراف لم يعد يتسم بالتفاؤل منذ عشر سنوات.. وأن أغلبية المختصين في هذا الميدان أصبحوا يعتقدون في عدم وجود علاج ناجع ـ حسب المعلومات المتوفرة ـ للمنحرفين والمجرمين رغم الضوابط الاجتماعية، والمؤسسات العقابية المدعومة بكل الوسائل العلمية أجهزة وعلم نفس، ومصحات.. ومراكز إصلاح.. وغيرها.

ورغم أن هذا العالم قد استعمل في أسلوبه عبارات مهذبة ورقيقة مثل «لم يعد يتسم بالتفاؤل» وأن الباحثين «يعتقدون في عدم وجود علاج ناجع» إلا أن المتتبع لأحداث الإجرام والانتحار من خلال وسائل الإعلام الغربية والأميركية، أو من خلال العيش فترة من الزمن في ديار الغرب سائحاً أو دارساً أو عاملاً يجزم بأن كل الوسائل المستعملة للحد أو لمنع الإجرام والانحراف قد باءت بالفشل الذريع، بل إن بعض هذه الوسائل يعد من العوامل المساعدة لانتشار الإجرام والانحراف، أو العودة لهما.. وهذا ما يؤكده العالم «كوسون» نفسه عند تعرضه لأسباب انتشار هاتين الظاهرتين (الإجرام والانحراف) سواء على «المستوى النفسي» المتمثل في عدم قدرة المنحرفين والمجرمين على التغلب على صعوبات المرور من ظروف الحياة الإجرامية والانحرافية إلى ظروف الحياة العادية.. أو على «المستوى العائلي» المتمثل في تخلخل البنية الأسرية التي تقوم عليها البنية الاجتماعية مثل انفصال الأبوين، أو غياب الأب ـ على وجه الخصوص ـ أو إدمانه الخمر وغيره من المخدرات التي أخذت تنهش جسم المجتمع لتحوله إلى جسم معتل غير قادر على الضبط والانضباط.

ثم يرى هذا العالم أن «المجتمعات الغربية الحديثة لا تملك في الوقت الحاضر وسائل إصلاحية ناجعة للسلوك المنحرف أو الإجرامي».. ويلجأ إلى الاعتراف بأن الأخلاق رغم أنها من أقدم الوسائل التي استعملها الإنسان في عملية الضبط الاجتماعي إلا أنها أكثر مقدرة على إنجاح هذه العملية في هذا العصر.

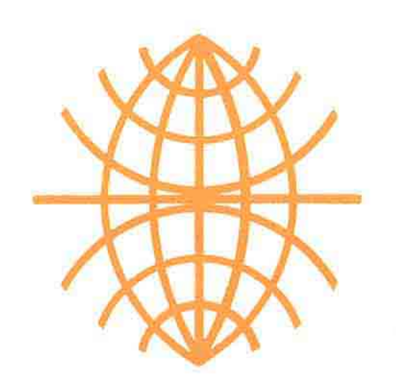
ولكن، حين نعرف أن الدافع الأخلاقي الضابط لسلوك المنحرف أو المجرم هو حصيلة ما يسمى في علم الاجتماع بـ«التأثيرات الاجتماعية غير الرسمية» كتأثير الوالدين والأصدقاء والجيران كما يرى العالم «كوسون» نفسه.. وحين نعرف أن هذه التأثيرات الاجتماعية مسكونة بظاهرتي الانحراف والإجرام، فإن الدافع الأخلاقي الضابط لسلوك المنحرف أو المجرم في هذا الظرف غير موجود، وأمام غياب الدافع الأخلاقي تتساوى الأمور لدى المنحرفين والمجرمين.. وقد لا يرون فيما يقومون به من أعمال منحرفة أو إجرامية أية غضاضة.. ويتصورون أنه لا فرق بينهم وبين الآخرين، وأنهم غير محظوظين في الحياة، على اعتبار أن ظروف الآخرين تساعدهم على عدم الظهور أمام المجتمع بمظهر المنحرفين والمجرمين، في الوقت الذي أسهمت ظروفهم ـ أي ظروف المنحرفين والمجرمين ـ في فضح هويتهم أمام مجتمعهم، فالقضية عندهم قضية حظوظ.. وإلا فإن المجتمع يغلب عليه روح الانحراف والإجرام.

وإذا كان العالم «كوسون» يحاول تسويغ القضية أو تمييعها بإيجاد بعض المبررات المحللة لظاهرتي الانحراف والإجرام وارتباطهما بالدافع الأخلاقي في المجتمعات الغربية ببعض النظريات والأفكار مثل «نظرية الأخلاق اللاأخلاقية»، و«نسبية الجريمة»، و«صراع الثقافات»، إلا أنه لم يستطع أن يؤكد أن الدافع الأخلاقي «الموهوم» قد ساعد على الحد من الجريمة والانحراف أو منعهما.. وذلك لانعدام الدافع الأخلاقي أساساً، وبالتالي انتفاء ما يسمى بـ«التأنيب الذاتي»، أو «تأنيب الضمير».

والقضية في رأينا هي قضية الفراغ الروحي الذي تعيشه المجتمعات الغربية الذي أفرزته الحياة المادية في الغرب، وعدم وجود الوازع الديني أو العقيدي الذي يسمو بروح الإنسان، ويرتفع بمستوى طموحاته وتطلعاته وأهدافه إلى الحد الذي يعزز معنى الفضيلة والكرامة والشرف لتحتل جوانحه وطرق تفكيره المنحرفة فتحول دون قيامه بأعمال تخدش هذه المعاني السامية.

فالأخلاق السامية والنبيلة الضابطة لسلوك الفرد منشأها الدين أو العقيدة.. وحين يكون هذا الفرد بدون دين أو عقيدة فلا ضابط لسلوكه غير نزواته وشهواته وغرائزه التي لا تستطيع أن تحكمها الوسائل العقابية المختلفة.

رئيس التحرير



** من خلال هذا «الملف» سوف نحاول رصد الحركة الثقافية من اصدارات جديدة.. وندوات.. ومؤتمرات.. ومعارض.. ومناسبات.. وأحداث ثقافية.. وادبية.. وفنية بصورة نطمح أن تكون مسحا شهريا لمجريات الحركة الثقافية ليس في «الوطن العربي» فحسب. بل في «العالم» الانساني.

أملنا أن نجد من المؤسسات العلمية.. والتربوية.. والفنية.. الى جانب الأدباء.. والمفكرين كل عون في إمدادنا بالجديد الدائم من النشاطات لتحقيق الأهداف التي تسعى اليها المجلة لخدمة القارىء.. لإضافتها الى ما يزودنا به مندوبونا. والله الموفق **



- سجل وثائق عن تاريخ منطقة الجنوب في السعودية.
- إقامة معارض للكتاب وندوات وأسابيع ثقافية في الوطن العربي.
- صدور تقويم للتراث الإسلامي في الكويت.
- وفاة القاص فاروق منيب، والاحتفال بذكرى بيرم التونسي في مصر.
- مؤتمر لأدباء الأقاليم في مصر.
- صدور مجلة ثقافية جديدة للطلبة السعوديين.



- دورة خاصة عن الأدب العربي في ألمانيا.
- مؤتمر دولي للعلوم الإسلامية في باكستان.
- ندوة عن الشاعر أمل دنقل في إسبانيا.
- صدور معجم جديد في باريس: عربي فرنسي، وفرنسي عربي.
- وفاة الفيزيائي الفرنسي الفريد كاستلر.



السعودية

سجل وثائقي عن تاريخ الجنوب

يجري البحث حالياً لإعداد سجل وثائق تاريخي عن منطقة الجنوب «عسير»، يشتمل على كل التطورات التي شهدتها المنطقة منذ إنشاء الإمارة وحتى الآن في المجالات الاقتصادية الاجتماعية والإدارية والخدمات الأساسية الأخرى، بحيث يكون هذا السجل مرجعاً يستعان به، ومن المقرر أن يشتمل التقرير على دراسات أكاديمية عميقة عن تاريخ المنطقة مدعماً بالصور والوثائق الضرورية، التي تعكس التطور الحاصل في المنطقة في مختلف المجالات. ومما يذكر أن هذا السجل شرف عليه **إمارة عسير** بالتعاون مع فرع **جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في أبها**.

معرض للكتاب

اقيم بمدينة «جيزان» معرض للكتاب، حيث عرض فيه أكثر من ١٠ آلاف عنوان، ومائة ألف كتاب لمدة عشرة أيام، اشترك فيه العديد من الجهات مثل:

- شركة مكتبات عكاظ، المشرفة على العرض.
- الدار السعودية للنشر والتوزيع.
- دار الشروق.
- دار البيان.
- دار المريخ.

إضافة إلى اثنتين وعشرين دار نشر عربية أجنبية اشتركت بكتب غطت جميع مجالات الأدب العلوم والفنون والدين والشريعة والفقه. زار المعرض العديد من أبناء المنطقة، وكان المعرض في حد ذاته مساهمة طيبة لإيصال الكتاب للجميع.



توجهاتنا للصحافة العربية

لغة إفهام الجميع، والتوجه إليهم على اختلاف طبقاتهم الثقافية؛ أمر لا نختلف فيه مع الصحافة، موضوعاً وأسلوباً، كمبدأ. فأساليب وموضوعات التعبير شتّى، واعتماد الصحافة على السهل والمهم منها؛ يُعزز صلتها بالناس.

ومع ذلك، هناك واقع ينبغي الوقوف عنده.. فالنفاذ إلى الصحافة، لا يُمكن أن ينحصر بمجرّد السعي إلى خبر، أو لقاء، أو موضوع معيّن، وتسجيله، ثم إضفاء ما تيسّر من تعليل أو تحليل معيّنين.

النفاذ إلى الصحافة يتطلّب، إلى جانب التقنية، «ثقافة واسعة تغذي الانطباع»، وبالتالي يعمُّ التعليل والتحليل على أفضل وجه، متسلحين بالجدلية، ولا عيب عندما يسخّرها الصحفي في الميل المعيّن الذي يعتقده، أو هو في موضع العمل إلى جانبه؛ إذا ما ترفّعت الحجّة جدلياً، مرتكزة على نقاط رئيسية قوية، ومتبلورة على ساحة الحق، قابلة للأخذ والرد بما يستلزمه المقال السياسي خصوصاً؛ ولعبة السياسة على وجه العموم.

بعبارة أخرى «جدلية سفسطائية» لا تقرُّ بانتمائها؛ إذا ما اضطر الصحفي أن يُعزز ميله من خلال حادث سياسي معيّن، أو يُبرز ما يعتقده من حق.

وبناءً عليه، إذا ما جُلنا جولات واسعة في الصحف والمجلات العربية، ضمن هذا النطاق، فإننا نفتقد كثيراً من المقومات المذكورة بشكل عام ــ إلا فيما ندر على أيدي أساطين الصحافة الموهوبين والمثقفين ــ إذ غالباً ما نقع على تعليل فقير، تسلّح صاحبه بالانفعال، وانطلق به إلى الحدث أو الخبر أو الموضوع، وكأن القارئ مهما كانت طبقته الثقافية مجرّد ساحة نطرح عليها ما نشاء!.

إن انحباس الصحافي في الحادث آنياً؛ دليل على شح رؤيته المستقبلية وضحالة استنتاجاته الماضية، وبغير الاطلاع الدائم، لا يستطيع تعزيز انطباعه، وبالتالي توسيع دائرة تحليله وتعليله، وهكذا ينتفي الأثر المطلوب في موضوعه.

داخل كل قارئ لصحيفة ما، توق إلى ربط الحدث أو الخبر بما يُحيط، وتوضيح الرؤية، لتعزيز تماسكه بالبيئة؛ فداخل كل منا حاجة اجتماعية هي الارتباط بالواقع والأرض، ولا يمكن تحقيقها بدون وضوح الرؤية والمصير داخل البيئة، فما قولنا بمهمة الصحافة العربية على أرضها المفعمة بالهموم والأحداث والمشكلات والتعقيدات، وما يتطلب ذلك من المحرر في المقابل من تشخيصات صحيحة وتصوّرات وتحليلات وتعليلات، تقف مقابلاً قوياً لكل ما يدور، من وضع المحرر نفسه موضع القارئ تماماً، يتحسّس تلك الحاجة الاجتماعية

ندوة عن بيئة الشعاب المرجانية

عقدت بكلية «علوم البحار» التابعة لجامعة الملك عبد العزيز بجدة، ندوة حول **«البيئة التي تعيش فيها الشعاب المرجانية في البحر الأحمر»**، وذلك خلال الفترة من ١٤ إلى ١٨ من شهر يناير (كانون الثاني) ١٩٨٤م.

والهدف من عقد الندوة التعرف على الصفات البحرية التي تميز المنطقة الساحلية للبحر الأحمر، وتبادل الخبرات بين كافة العاملين في مجال الدراسات البحرية، وقد ركزت الندوة على عدة موضوعات منها:

- علوم البحار في المنطقة الساحلية للبحر الأحمر.
- الدراسات البيولوجية والكيميائية والفيزيائية الخاصة ببيئة الشعاب المرجانية.
- المحافظة على بيئة هذه الشعاب من التلوث.
- تقديم اقتراحات حول الدراسات المستقبلية في هذا المجال.

ندوتان أدبيتان

في نادي مكة الثقافي عقدت ندوتان أدبيتان، الأولى كانت عن **«المجلات الثقافية ودورها في الحركة الأدبية»**، شارك فيها كل من الأساتذة (**علوي طه الصافي** رئيس تحرير مجلة **الفيصل**، **حمد القاضي** رئيس تحرير **المجلة العربية**، **عبد الله الشهيل** رئيس تحرير

المتمثلة بالارتباط المنوّه عنه .

وهناك نقطة أساسية أخرى ، وهي قضية « الالتزام » ، فكما سخر نقّاد الأدب وقرّاؤه طويلاً من الكتّاب أو الشعراء لمغالاتهم في خدمة الجهة التي ينتمون إليها أو المبدأ الذي يعتنقونه على حساب الفنية في نصهم الأدبي ، كذلك فإن قارئ الصحيفة أو المجلة المعينة لا يرحمها ومحرريها إذا ما حادوا عن الحق في التحليل أو التعليل السياسي ، مغالين في الالتزام المشار إليه .

فكما أن حرية الكلمة التي تفانى ويتفانى من أجلها كتّاب الصحافة والأدب بصورة عامة ، وقل إن عدداً منهم قد استشهد من أجلها ، خصوصاً في دول العالم الثالث ، والعالم العربي منها ؛ فإن المطلوب ، بإلحاح ، من الكاتب الصحفي في طرف مقابل ، أن يكون حراً في نفسه خلال كتاباته ومعالجاته ؛ وإلا سجن نفسه في الالتزام ، وابتعد القارئ عن الصحيفة أو المجلة المعينة .

ينبغي أن نعطي الالتزام بعداً فلسفياً آخر غير المتعارف عليه ، بما يخدم الصحافة والأدب على حد سواء ، بعداً لا نهاية له مناسباً لكل البيئات المتآخية على الأرض شئنا أم أبينا ، ومنطلقه خدمة الواقع الحق في كل مكان .

قد يتبرّم بما ذكرناه ، كتّاب ومحررون ومؤسسات يفيدون من أسلوبهم المهني المعوج ، بطريقة أو بأخرى ؛ ليتبرموا ؛ فنحن على يقين أننا بما ذكرناه نتعالى صحافياً إلى حد فلسفة مهنة الصحافة ، ويا ليت المتبرمين يأخذون بجزء يسير من وجهها الحق .

ونقطة أساسية أخيرة تتعلق بأساليب التعبير . . فمن المعروف أن الصحافة العربية قد أفادت من أساليب التعبير الغربية عن طريق تعريبها السليم ونهجها الصحيح في قواعد لغتنا ، والأمثلة على ذلك وافرة جداً لا يتسع ذكرها في هذا المقام .

ولغتنا العربية مطواعة ؛ منبرة قديمة معروفة منذ احتكاك العرب بالعالم الخارجي ، يتسع صدرها لكل وارد ضمن مقاييس قواعدها ، فلا خوف إلا مع المغالين المقصّرين في التعبير بلغتهم ، وغير الموهوبين حقيقة لمهنة الكتابة ، إلا عند القليلين .

وتعاسة التعبير والتركيب المهلهل في صحافتنا لا حصر له ، والأمثلة وافرة ، نتيجة التجاوزات في اختيار ودفع وحشر ممّن ليسوا أهلاً للصحافة من بعيد أو قريب ، لا ثقافة ولا موهبة ، لا تعبيراً ولا تقنية ! .

والمأساة ، « في عين أمها وأبيها » أن أحدنا يُمسك بصحيفة أو مجلة غربية رزينة ؛ فيشتهي لو ينعكس مضمونُها — من حيث الجوهر — وأسلوب تعبيرها وتقنيتها وموهبة محرريها وكفاءتهم وثقافتهم على صحافتنا العربية ، وتطول الحسرة . . ! .

د . عزت الصبّاغ
باريس — فرنسا




★ محمد بن علي السنوسي ★ ★ عبد الفتاح أبو مدين ★ ★ محمد هاشم رشيد ★

مجلة الجيل) .

والندوة الثانية كانت عن « **أسباب الركود الأدبي في العالم العربي** » ، شارك فيها كل من الأساتذة (**محمد علي السنوسي** رئيس **نادي جازان الأدبي** ، **محمد هاشم رشيد** رئيس **نادي المدينة الأدبي** ، **عبد الفتاح أبو مدين** رئيس **نادي جدة الثقافي**) .

وتأتي هاتان الندوتان ضمن الموسم الثقافي للنادي في هذا العام . . وكان للأستاذ **عبد الكريم نيازي** عضو مجلس إدارة النادي أثره في تحريك الندوتين .

الفائزون بمسابقة نادي جيزان الأدبي

أعلن النادي الأدبي بجيزان عن **نتائج مسابقته الثقافية الأولى لعام ١٤٠٣/١٤٠٤ هـ** ، التي اشتملت على ثلاثة موضوعات هي :

★ « الشعر » .

★ « القصة القصيرة » .

★ « البحث » .

وقد نصت شروط المسابقة على جدة الفكرة ، وسلامة الطرح صياغة ، والتزاماً بقواعد اللغة العربية ، وأسس الكتابة . هذا وقد فاز بجائزة الشعر الثالثة كل من :

● عبد الرحمن محمد الرويشد .

● أحمد صالح الحنيني .

وذلك بالمناصفة بينهما ، أما جائزة الشعر الأولى والثانية فقد حجبت نظراً لعدم كفاءة ما قدم لها . هذا وقد قررت اللجنة إعطاء مكافأة « لعثمان محمد عثمان حكمي » .

أما في مجال القصة فقد فاز بالجائزة الثالثة كل من :

● علي إبراهيم الأحيدب .

● محمد حسن هادي منجمي .

● محمد عبده عداوي .

وقد حجبت الأولى والثانية ، أما البحث فلم يفز أحد بالجائزة .

كتب جديدة

● « **رجالات الحجاز** » ، تأليف المرحوم **إبراهيم هاشم فلالي** ، صدر عن **تهامة** ضمن سلسلة « **الكتاب العربي السعودي** » .

● « **من أوراقي** » ، تأليف **محمد سعيد العامودي** ، صدر عن **تهامة** ضمن سلسلة « **الكتاب العربي السعودي** » .

● « **ذكريات لا تنسى** » ، تأليف **محمد المجذوب** ، صدر عن **تهامة** ضمن مطبوعاتها .

● « **دور المياه الجوفية في مشروع الري والصرف بمنطقة الأحساء بالمملكة العربية السعودية** » ، تأليف **الدكتور فايز عبد الحميد الطيب** ، صدر باللغة الإنجليزية عن **تهامة** .

● ضمن سلسلة « **من دفاتري** » الصادرة



عن دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع بالرياض، صدر الجزء الأول بعنوان «الرسول كأنك تراه - حديث أم معبد»، تأليف الأستاذ عبد العزيز الرفاعي.

كما صدرت الكتب التالية عن الدار السعودية للنشر والتوزيع:

★ «تهجيت حلماً، تهجيت وهماً...»، مجموعة شعرية للشاعر محمد الثبيتي.

★ «غذاؤك في الصحة والمرض»، تأليف د. عبد اللطيف أحمد نصر.

★ «الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن»، تأليف الدكتور عبد العليم عبد الرحمن خضر، صدر ضمن سلسلة «العلم والقرآن».

★ «المنهج الإيماني للدراسات الكونية في القرآن الكريم»، تأليف الدكتور عبد العليم عبد الرحمن خضر، صدر ضمن سلسلة «العلم والقرآن».



★ عبد العزيز الرفاعي ★ ★ أبو تراب الظاهري ★

● «مسيرة الخير على درب التضامن الإسلامي»، كتيب صدر عن الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

● «العالم إلى أين... والعرب إلى أين؟»، تأليف الدكتور بهاء بن حسين عزي، صدر عن تهامة ضمن سلسلة «الكتاب العربي السعودي».

كما صدرت الكتب التالية عن دار المريخ بالرياض:

★ «مناهج البحث في علوم المكتبات»، تأليف ناهد حمدي أحمدي.

★ «التصنيف العشري الموجز (الجداول)»، تأليف فؤاد إسماعيل فهمي.

★ «إدارة الأعمال المكتبية المعاصرة - الأصول العلمية، وتطبيقات المعلومات وتكنولوجياتها»، تأليف الدكتور محمد محمد الهادي.

★ «وجه الأرض - دراسة تطبيقية وتحليلية لظاهرات سطح الأرض»، تأليف الدكتور محمد متولي.

● «دراسة في الجغرافيا الاجتماعية لمكة المكرمة»، أعدها الدكتور عبد الله الصنيع، صدرت عن مركز البحوث بجامعة ام القرى بمكة المكرمة.

● «تحليل المحتوى في بحوث الإعلام»، تأليف الدكتور محمد عبد الحميد، صدر عن دار الشروق بجدة.

● «الذيابي - تاريخ وذكريات -»، صدر عن نادي جدة الأدبي.

● «حروف على أفق الأصيل»، ديوان للشاعر حمد الزيد، صدر عن نادي جدة الثقافي والأدبي.

● «شواهد القرآن»، تأليف أبي تراب الظاهري، صدر الجزء الأول عن النادي الأدبي الثقافي بجدة.

● «من أساليب اللغة العربية»، تأليف الدكتور إبراهيم درديري، صدر عن نادي جدة الثقافي بجدة.

الزاوية الطبية

انتقال الأمراض بالوراثة والمشورة الوراثية

من المفاهيم الخاطئة لدى بعض الناس، أن كل الأمراض الوراثية عائلية، وأن مظاهرها تبدو عند الولادة، ذلك أن بعض الأمراض الوراثية قد لا تظهر أعراضها إلا بعد فترة من الزمن، قد تزيد على ثلاثين عاماً، كما أن التشوه الخلقي أو المرض الذي يظهر عند الولادة ليس بالضرورة أن يكون وراثياً. فالتشوهات التالية لإصابة الحامل بالحصبة الألمانية في أشهر الحمل الأولى، أو الناجمة عن تناول بعض الأدوية في تلك الفترة، كالتاليدوميد، تشاهد عند الولادة دون أن تكون وراثية.

كما أن هنالك اعتقاداً لدى بعض الناس، أنه يمكن بإجراء بعض الفحوص المخبرية إعطاء الزوجين براءة من الأمراض الوراثية. وهذا غير صحيح على الإطلاق، فالاختبارات التي يمكن إجراؤها لا تشمل إلا قسماً صغيراً من الأمراض الوراثية، وإجراؤها غير ضروري إلا عندما يكون هنالك سبب واضح يدعو لذلك وبمشورة الطبيب طبعاً.

كما أن بعض الناس يعتقدون خطأ أن الأمراض الوراثية ذات علاقة وطيدة باختلاف الزمر الدموية، وكأن عوامل الوراثة متوضعة في هذه الزمر.

ولقد جاءت المشورة الوراثية - بشكلها الحالي - مع بداية هذا القرن كي تساعد الأهل على التغلب على مشاكلهم الوراثية. وقد ساعدت أمور كثيرة على تطورها منها تطبيق **نظريات ماندل الوراثية** على بعض الحالات المرضية، بحيث أمكن تحديد احتمالات تكررها بصورة دقيقة. وكذلك التطور المهم في إمكانية تحري حالة الحامل للمرض الوراثي قبل الزواج والإنجاب. ثم جاء التطور في تشخيص بعض الأمراض لدى الجنين أثناء الحمل، وذلك بفحص نموذج من السائل الأمنيوسي الذي يحيط بالجنين.

ومما ساعد تطور المشورة الوراثية بصورة غير مباشرة، الاهتمام المتزايد بتنظيم الأسرة، بحيث أصبح الأهل يهتمون بنوعية الأطفال أكثر من كميتهم. كما أن انحسار موجة كثير من الأمراض الإنتانية، وأمراض سوء التغذية في الدول المتقدمة، جعل مصادفة الأمراض الوراثية مرتفعة نسبياً.

ويقصد بالمشورة الوراثية تقديم نصيحة طبية تتعلق باحتمالات

وفاة فاروق منيب

توفي القاص المصري «فاروق منيب» بلندن نتيجة لمرض لازمه فترة من حياته . كان للقاص منيب دور في مجال الأدب ، ولعل من أهم أعماله :

★ «خمس مجموعات قصصية» .

★ «مسرحية من ثلاثة فصول» .

★ «كتاب في النقد» .

وكان قد عمل **رئيساً للقسم الأدبي بصحيفة «المساء»، ثم رئيساً للقسم الأدبي بصحيفة «الجمهورية»** .

حاز على جائزة الدولة التقديرية في القصة القصيرة ، وعلى وسام العلوم والفنون من الدرجة الأولى .

الاحتفال بذكرى بيرم التونسي

احتفلت الأوساط الأدبية والفنية بمصر بذكرى مرور ٢٣ عاماً على رحيل رائد فن الزجل **«بيرم التونسي»** ، ذلك الذي استطاع أن يطوع اللهجة العامية لفن الزجل حتى اتسعت لأدق

★ فاروق منيب ★

★ بيرم التونسي ★

التعابير وأعمقها ، كما برع أيضاً في الشعر الفصيح فأجاد فيه ، وكشف جوانب من العيوب الاجتماعية . وكان إذ ذاك سوطاً حاداً على المستعمر حتى أنه نفي عن بلده مصر ، ولكن الاستعمار زال وبقيت قصائد **«موليير مصر»** كما كان يلقب .

ومما يذكر أن بيرم التونسي كانت له عدة نشاطات منها إصداره لمجلة سماها **«المسلة»** التي كتب في لافتتها أنها **«لا هي جريدة ولا مجلة»** وذلك بهدف التخلص من القوانين المقيدة للصحافة في مصر في تلك الفترة .

هذا وقد حظيت أشعار بيرم وغنائياته باهتمام الشعراء والنقّاد والباحثين ، فصدرت عنه عدة كتب منها :

★ «فنان الشعب ، محمود بيرم التونسي» ، لأحمد يوسف .

★ «بيرم والفصحى» ، لعبد الفتاح غبن .

★ «بيرم ، رائد الزجل» ، لميلاد ناصف .

★ «بيرم كما عرفته» ، لمحمد كامل البناء .

★ «محمود بيرم التونسي» ، لعبد العليم القباني .

مجلة ثقافية للطلبة السعوديين

★ غلاف العدد الأول ★

صدر في القاهرة العدد الأول من «المجلة الثقافية» الشهرية التي تصدر عن **الملحقية التعليمية السعودية في القاهرة** لتكون حلقة اتصال بين الطلبة السعوديين في مصر ووطنهم الأم ، ولتكون أيضاً منبراً لمن هو موجود بأرض الكنانة . تضمن العدد الأول مجموعة من المقالات والبحوث والدراسات أهمها :

● دراسة عن آل سعود والشام في عهد الدولة السعودية الأولى .

تكرر حدوث مرض وراثي معين ، مع عرض للمعلومات الطبية المتوفرة عن هذا المرض بصورة مبسطة ، وترك اتخاذ القرار النهائي فيما يتعلق بالإنجاب للأهل حسب ما يرونه مناسباً .

للمشورة الوراثية مراحل يمكن تحديدها كما يلي :

(١) تعيين احتمال تكرر حدوث المرض لدى العائلة :

ويقتضي هذا الأمر معرفة التشخيص الدقيق للمرض ، كما يقتضي الحصول على قصة عائلية مفصلة بما في ذلك الاستفسار عن وجود قرابة بين الأبوين ، وعن وجود حالات مماثلة في العائلة ، وعن قصة الحمول السابقة والإسقاطات ، وولادة أطفال ميتين إن وجدت .

ولا بد بعد ذلك من معرفة سير المرض ، ونمط وراثيته واحتمالات تكرر حدوثه .

(٢) تفسير معنى خطر تكرر حدوث المرض :

وذلك بإيضاح الأمر للأهل بأن نسبة احتمال حدوث المرض تعتبر ضئيلة ، إذا كانت أقل من ٥ ٪ أو كبيرة عندما تتجاوز ٢٥ ٪ . يتبع ذلك مساعدتهم في إزالة شعورهم بالذنب ، الذي يرافق عادة ولادة طفل مصاب بمرض وراثي ، وأن نوضح أن محاولة ربط المرض بأمور لا علاقة له بها غير واقعية . كأن تربط الأم بين حدوث المرض ومحاولتها تخفيض وزنها أثناء الحمل ، أو حدوث مرض بسيط لديها .

ويجب أن يفهم الأهل أن خطر تكرر حدوث المرض ليس العامل الوحيد الذي يجب أن ينظر إليه بعين الاعتبار ، بل إن العبء الذي يلقيه المرض على الأهل يلعب الدور الأكبر . ويمكن أن نعتمد على حاصل ضرب احتمال التكرر بدرجة العبء . فإذا كان العبء كبيراً ، واحتمال التكرر كبيراً ، كان الإنجاب أمراً غير مرغوب فيه . بينما إذا كان أحد هذين العنصرين كبيراً والآخر صغيراً يمكن أن يفكر الأهل بالإنجاب ثانية . ويجب دائماً أن نترك حرية اتخاذ قرار الإنجاب أو عدمه إلى الأهل .

وتتجلى فائدة المتابعة في أن مشاعر الأهل قد تتغير مع الزمن . كما أن المعلومات الطبية المتوفرة ، والتطور العلمي وإمكانات التشخيص والمعالجة قد تتبدل مع الزمن وبالتالي قد تغير من فحوى المشورة الوراثية ، وأن متابعة الاستشارة تؤدي إلى تفهم الأهل بصورة أعمق للمشكلة الوراثية . ذلك أن كثيراً من الأهل قد لا يستوعبون ما يقوله الطبيب لهم في الزيارة الأولى حيث يكونون تحت تأثير الصدمة والشعور بالذنب . كما أن الزيارات المتعددة تسمح بالإجابة على الأسئلة التي قد تخطر على بال الأهل ، وتساعدهم على التخفيف من العبء الكبير الذي قد يشعرون به .

د . غسان حتاحت



● موضوع «كيف تتحرك الدبلوماسية التعليمية خارج الحدود».

● ثم عن نشاطات الطلاب في مصر.

وقد احتوى غلاف المجلة على صورة المغفور له جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله، **ويرأس تحريرها خالد الهميل المسؤول الصحافي بالملحقية.**

مؤتمر لأدباء الأقاليم



★ د. شوقي ضيف ★

عقد في مصر أول «**مؤتمر لأدباء الأقاليم**»، ضم أكثر من ١٣٠ كاتباً من خارج العاصمة القاهرة، نوقشت فيه عدة قضايا تتعلق بالثقافة والإبداع الفني في مختلف الفنون الأدبية. **رأس هذا المؤتمر الدكتور شوقي ضيف**، والأمانة **للشاعر يسري العزب**. وقد تشكلت عدة لجان مختلفة عن (القصة) **عبد العال الحمامصي، والدكتور أنس داود** عن (الشعر)، **وعبد العزيز حمودة** عن (المسرح)، **وفؤاد حجاب** عن (الشعر الشعبي)، **وجلال عابدين** عن (الجامعات الإقليمية)، **ومحمد السيد عيد** عن (النوادي الأدبية)، والسيدة **سميحة غالب** عن (الإعلام والنشر).

وتجدر الإشارة إلى أن مؤتمراً مشابهاً عقد منذ سنوات في القاهرة تحت عنوان «المؤتمر الأول للأدباء الشبان»، ورأسه الروائي المعروف «**نجيب محفوظ**».



إنقاذ مدينة فاس

قامت **منظمة اليونسكو** في عام ١٩٨٠م، بحملة واسعة النطاق لإنقاذ المعالم التاريخية والأثرية التي تزخر بها **مدينة فاس** في المغرب التي كانت مصدر إشعاع للحضارة العربية والإسلامية على السواء وذلك منذ قرون عدة.. وقد اختير لهذه الحملة شعار: «**لتنقذ مدينة فاس كما طلبنا بإنقاذ مدينة البندقية**».

هذا، وقد ابتدأت عملية إنقاذ هذه المدينة المغربية في شهر أبريل (نيسان) من سنة ١٩٨١م، تحت إشراف لجنة إدارية ووزارية خاصة. وتتضمن هذه العملية التي كان قد أعلن عنها **السيد أحمد مختار أمبو المدير العام للمنظمة العالمية «اليونسكو»** في أبريل (نيسان) ١٩٨٠م، إنجاز ١٣ مشروعاً تتلخص في بناء أحياء سكنية خارج المدينة العتيقة تراعى فيها معطيات الفن المعماري الأصيل، وتشييد جناح خاص بالصناعة، وإصلاح الشبكة المائية، وترميم البناءات التقليدية الموجودة في قلب المدينة: كالأسوار والجوامع والمساجد والمدارس القديمة والزوايا والبنايات والأضرحة والساحات والخزانات العلمية والحدائق التي هي في ملك شخصيات أو عائلات شهيرة في تاريخ فاس والتي لها قيمة فنية أو معمارية تستحق الإنقاذ. كما تشتمل على **إنشاء معهد للدراسات الإسلامية وبناء مركز دولي للأنشطة الثقافية**، وإعادة الوظيفة الحرفية للمدينة، وإصلاح فنادقها العتيقة، وتنظيم الأسواق والصناعات الجلدية والمعدنية، وإصلاح النافورات المائية، وإحياء بعض المؤسسات الجامعية والتعليمية التابعة للمدينة القديمة، بالإضافة إلى عدة مشاريع ثقافية وإعلامية لا تنتمي لتراث المغرب وحده وإنما هي ملك للإنسانية.

وفي اليوم الرابع من يناير (كانون الثاني) من عام ١٩٨٣م، الذي أقرته الحكومة المغربية يوماً وطنياً **لإنقاذ مدينة فاس**، تم عقد لقاء وطني حضرته عدة شخصيات وزارية وفكرية من المغرب وخارجه وبحضور المدير العام لمنظمة اليونسكو السيد أ. مختار امبّو، وذلك لتدارس السبل الكفيلة بإنقاذ تراث العاصمة العلمية للمغرب، كما هدف إلى إجراء الاتصالات اللازمة مع عدد من البلديات والمؤسسات والجامعات، علاوة مع المهندسين المعماريين المغاربة والأجانب للشروع في دراسة واختيار المقاولات المكلفة بأشغال ترميم وإعادة بناء مآثر المدينة المذكورة.

وفي هذا الصدد قرر **المعرض الدولي لمدينة فلورانس** أن يكون شعاره لهذه السنة: «تاريخ مدينة

معرض للكتاب

استقبلت القاهرة أكثر من ١٠ ملايين كتاب لمؤلفين من مختلف بلاد العالم، وذلك في **معرضها الدولي السادس عشر للكتاب** الذي أقيم لأول مرة بأرض المعارض بمدينة (نصر) بدلا من أرض المعارض بالجيزة، وذلك خلال الفترة من ٢٦ يناير (كانون الثاني) إلى السادس من هذا الشهر فبراير (شباط). اشترك في المعرض (١٢) دولة عربية و(٢٤) دولة أجنبية، إضافة إلى **جامعة الدول العربية واليونسكو** ودور النشر المختلفة في مصر. وقد بلغ عدد دور النشر المشاركة أكثر من ١٠٠٠ دار نشر من مختلف أنحاء العالم. وقد تخلل هذا المعرض إقامة ندوات لكبار الكتّاب والمفكرين أمثال الأساتذة **نجيب محفوظ، يحيى حقي، يوسف إدريس، ومحمد إبراهيم أبوسنة** وغيرهم.

مسابقة لترتيل القرآن الكريم

جرت في مصر مسابقة لترتيل القرآن الكريم على مستوى طلاب المدارس والجامعات، حيث **فاز بالمركز الأول طفل كفيف البصر، لم يدخل بعد المدارس، إذ إن عمره لا يتجاوز الخامسة فقط** واسمه **محمد رمضان إسماعيل**، أما الحائزون على المراكز الأخرى فهم:

● المركز الثاني **محمد مختار السيد**، طالب بطب القاهرة.

● المركز الثالث **هند محمد الهادي**، تلميذة في الصف الأول ابتدائي.

● المركز الرابع **أحمد السعيد مازن**، بالمدارس الابتدائية.

فاس عاصمة المغرب العلمية والثقافية ، وقد لقيت هذه المبادرة ترحاباً كبيراً في المغرب بصفة عامة ، وفي مدينة فاس التي تمت توأمتها منذ سنة ١٩٦٣ م ، مع عاصمة طوسكان بصفة خاصة . هذا وقد جاء تقرير اللجنتين « القانونية والمالية المنبثقتين عن اليوم الوطني لإنقاذ مدينة فاس شاملاً لكل جوانب العملية سواء من حيث إطارها القانوني أو من حيث التمويل ، وستتركز عملية الإنقاذ على خمسة محاور أساسية وهي : (١) التجهيزات الأساسية ، (٢) عمليات السكن ، (٣) ترميم المآثر ، (٤) أبنية ذات طابع ثقافي واجتماعي وإداري ، (٥) مناطق الأنشطة . وتمثل نسبة الاستثمارات الخاصة **بالتجهيزات الأساسية** التي تشمل شبكات التطهير والمسالك والطرق والأشغال الخارجة عن مدار المنطقة الشرقية للمدينة ، وشبكات الماء والكهرباء والإنارة العمومية ، وتهيئة الأحياء والبساتين والحدائق ١٠٧٨ مليون درهم وذلك على مدى العشر سنوات التي سيستغرقها إنجاز مشروع الإنقاذ .

أما بالنسبة **لعمليات السكن** التي تهدف التخفيف من حدة الكثافة السكانية وتحسين ظروف السكن الموجود من جهة أخرى ، فإنها ستكلف ٢١٤٣ مليون درهم أي بنسبة ٤٨،١ ٪ من مجموع الاعتمادات المخصصة للمشروع المذكور . وبذلك تشكل مصاريف التجهيزات الأساسية وعمليات الإسكان ثلاثة أرباع المصاريف الإجمالية حوالي ٣٢٢١ مليون درهم . كما خُصص لعمليات **ترميم المآثر التاريخية وإصلاحها** مبلغ ٤١٤ مليون درهم . وتشمل العملية ترميم ١٢ كيلومتراً من الأسوار والأبراج ، وكذا اقتناء وترميم القصور والدور الجميلة وعددها ٤٠ ، بالإضافة إلى ترميم متحف البطحاء وإعادة ترميم محتوياته الأثرية ، بينما خصص مبلغ ٤٩٤ مليون درهم **للتجهيزات الإدارية والثقافية والاجتماعية** ويتعلق الأمر بتزويد المدينة وحيها الشرقي الجديد بتجهيزات مدرسية وإدارية وصحية ، وكذا تشييد مدارس ومعاهد للتكوين وملحق مدرسة الهندسة المعمارية ومدارس للمحافظة على الفنون والحرف التقليدية ومدرسة مهن البناء . وأخيراً ، هناك **مشروع مناطق الأنشطة** ، وقد رصد له مبلغ ٢٠٢ مليون درهم ويهدف إلى خلق **منطقة صناعية** مساحتها ١٥٠ هكتاراً ، وحي صناعي مساحته ٤٠ هكتاراً ، للتخفيف من حدة الازدحام بالمدينة الأصيلة وإنقاذ المناطق التجارية العامرة وترميم الأسواق وإحداث وحدات جديدة لمعالجة الجلد .

وهكذا سيتطلب إنجاز هذا المشروع الضخم ككل ما يعادل ٤٥٠٠ مليون درهم مغربي ، حوالي ٦٥٠ مليون دولار أمريكي .

إن مدينة فاس تُعتبر تُراثاً إنسانياً مشتركاً ومهمة إنقاذها ستظل مسؤولية تتقاسمها الإنسانية جمعاء من دون شك . .

أحمد المكينسي
المغرب

ومما يذكر أن هذه المسابقة قد أقيمت تحت إشراف وتنظيم « جريدة الطلبة » بالتعاون مع إحدى دور النشر للتراث الإسلامي ، واحتفل **المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين** بتوزيع الجوائز على الفائزين .

كتب جديدة

● « **خوف ورعدة** » ، تأليف **سون كيركجور** ، **ترجمة فؤاد كامل** ، صدر ضمن سلسلة « النصوص الفلسفية » التي تصدر عن **دار الثقافة للنشر والتوزيع بالقاهرة** .

● « **بلفور ١٧ والافتراء على التاريخ** » ، تأليف **عبد العظيم مناف** ، صدر في **القاهرة** .

● « **رسائل إلى القمر** » ، **ديوان شعر للشاعر محمود أمين** ، صدر عن **دار المعارف بالقاهرة** .

● « **مجموعة العروة الوثقى** » ، **للشيخين محمد عبده وجمال الدين الأفغاني** ، صدر عن **المركز العربي للبحث والنشر في جزءين** .

● « **الشبكة** » ، **رواية للدكتور شريف حتاته** ، **صدرت بالقاهرة** .

● « **رحلة ابن فطومة** » ، **رواية تأليف نجيب محفوظ** ، صدرت عن **مكتبة مصر** .

● « **الشفاء** » ، **لابن سينا** ، **تحقيق الدكتور إبراهيم بيومي مدكور** ، صدر عن **الهيئة المصرية العامة للكتاب** .

● « **النجوم تبكي أيضاً** » ، **مجموعة قصصية للروائي إسماعيل ولي الدين** ، صدرت عن **مكتبة مصر** .

الكويت :

تقويم للتراث الإسلامي

أصدرت مؤسسة الكويت للتقدم العلمي حديثاً تقويماً للتراث الإسلامي وذلك بمناسبة بدء العام الجديد ١٩٨٤ م .

احتوى التقويم على العديد من الموضوعات التي تتعلق بالتراث الإسلامي والحضارة الإسلامية مثل القباب ودورها في بناء المساجد ، ودور النفع والمدارس والحمامات والاستراحات . كما يبين التقويم مواد البناء التي كانت تستعمل ، والأعمدة التي كانت تشيد في إقامة العمارة الإسلامية ، والتي تعتبر آية في الجمال حيث تعطي المكان جواً من الروحانية والسعة والفخامة ، إضافة إلى الحصون والقلاع التي كانت بمثابة السد المنيع في الحروب ، وكان المهندسون في تلك الفترة القديمة قد تفننوا في هندسة المباني المتعددة الأدوار ، كما اهتموا بعلم الصوت في العمارة الإسلامية ، وخاصة في المساجد الفخمة .

أسبوع ثقافي

يقام خلال هذا الشهر أسبوع ثقافي بجامعة الكويت تحت إشراف وتنظيم **مكتب التربية العربي لدول الخليج العربية** ، سوف تشارك فيه جامعات المنطقة ، وتعرض فيه نماذج للرسوم والخط العربي والأشغال اليدوية والتصوير وبعض النشاطات الثقافية الأخرى .

كتب جديدة

● « **تطور اللهجة الكويتية ـ دراسة وتحليل** » ، تأليف **ليلى السبعان** ، صدر في **الكويت** .

العراق :

مختارات من الفن العراقي

أقيم في بغداد معرض بعنوان « مختارات من الفن العراقي للفترة من ١٩٠١ م ، إلى ١٩٨١ م » ، حيث ضم المعرض الذي استمر شهراً كاملاً ١٦٤ إنتاجاً من الفن التشكيلي تمثل روائع الأعمال لمعظم الفنانين خلال



أكثر من ٧٠ سنة من مسيرة الفن التشكيلي في العراق .

كتب جديدة

● «**شخصيات كتاب الأغاني**»، تأليف **الدكتورين نوري حمودي القيسي وداود سلوم**، صدر عن **المجمع العلمي العراقي ببغداد**.

عمان

تجميع الآثار العمانية

قامت وزارة التراث القومي والثقافة بشراء بعض التحف الأثرية النادرة التي لها صلة تاريخية بعمان من المواطنين الذين يمتلكونها وذلك في إطار الجهود التي تقوم بها الوزارة لجمع الآثار، منها : ساعة طاولة يعود تاريخها إلى النصف الأول من القرن التاسع الميلادي . وتنوي الوزارة عرض هذه الآثار في المتحف الوطني الذي ستقيمه مستقبلاً .

أسبوع ثقافي يمني

يقام خلال هذا الشهر أول أسبوع ثقافي للجمهورية العربية اليمنية بعمان، تقدم فيه استعراضات للفنون الشعبية، وعروض لنماذج **الخناجر العمانية واليمنية**، وعروض للأزياء الشعبية البدوية .

جائزة فرنسية لعمان

فاز التلفزيون العماني بجائزة الرئيس الفرنسي «فرانسوا ميتران» بمناسبة فوز فيلم **«رحلة السندباد» بجائزة «الأنكر الذهبي» لمهرجان «طولون الدولي السادس لأفلام الاستكشافات البحرية»**.

ومما يذكر أن هذا المهرجان يعقد بمدينة «طولون» الفرنسية كل عام وبالذات في شهر يونيو (حزيران) حيث يلتقي فيه منتجو أفلام البحار والاستكشافات البحرية والمغامرات والتصوير تحت الماء، أما الفيلم العماني الفائز **«رحلة السندباد» فهو يصور** مراحل السفينة الشراعية **«صحار»** التي قامت عام ١٩٨٠ م، من مسقط إلى **«كانتون»** في الصين،

وهي الرحلة التي أعادت إلى الأذهان المجد الملاحي العماني القديم .

كتب جديدة

● «**دراسات عن الخليج العربي**»، تأليف **الأديب الراحل عبد الله محمد الطائي**، صدر في عمان .

الأردن

ندوة الموثقين العرب

أقيمت في مدينة (عمان) الدورة الرابعة للموثقين العرب استمرت عشرة أيام وذلك خلال هذا العام الهجري الجديد، نوقشت في هذه الدورة أو الندوة عدة موضوعات من أهمها :

★ تنظيم جميع أنواع المعلومات .

★ توفير المتطلبات اللازمة للاستخدام الفعال للمعلومات .

★ طريقة بناء المصادر البيبليوغرافية الأساسية في مجال العلوم الإدارية، ونشر الإنتاج الفكري العربي .

وقد شارك في هذه الندوة أو الدورة عدد من

محاضرات

● «ظاهرة وكثرة وقوع الطلاق في المجتمع ـ أسبابه وعلاجه»، محاضرة ألقاها الشيخ محمد بن حسن الدريعي بالرياض .

● «الكهرباء بالمنطقة الجنوبية ماضياً وحاضراً ومستقبلاً»، موضوع محاضرة ألقاها المهندس عبد الرحمن التويجري في نادي أبها الأدبي .

● «الحلقة المفقودة في التصنيع العربي»، محاضرة ألقاها الدكتور بهاء حسين عزي بنادي مكة المكرمة الثقافي .

● «المخدرات ـ أضرارها وطرق مكافحتها»، محاضرة ألقاها اللواء جميل الميمان بالرياض .

● «الأحداث التي تمر بها المنطقة العربية والعالم الإسلامي في الفترة الراهنة»، محاضرة ألقاها الدكتور معروف الدواليبي، وذلك بنادي مكة المكرمة الثقافي .

● «الأدب اليمني في العصر العباسي»، محاضرة ألقاها أحمد محمد الشامي، وذلك بنادي جدة الثقافي .

● «الإعجاز العلمي في القرآن الكريم»، محاضرة ألقاها إبراهيم سرسيق، وذلك بفرع الجمعية العربية السعودية للثقافة بجدة .

● «العلاقات الإنسانية في الإسلام»، محاضرة ألقاها الشيخ عبد الله عبد الرحمن الغريان، وذلك بصالة المحاضرات الكبرى بمدينة تدريب الأمن العام بالرياض .

● «القصة في الشعر العربي»، محاضرة ألقاها الدكتور محمود الشهابي بفرع الجمعية العربية السعودية للثقافة بجدة .

● «دراسات حول الأسر السعودية المعاصرة»، محاضرة ألقاها الدكتور بكر عمر باقادر، وذلك بنادي جدة الثقافي والأدبي .

المختصين في البلاد العربية .

معرض للصور الفوتوغرافية

أقيم في مدينة (إربد) معرض للصور الفوتوغرافية للسيد محمد أمين شتيوي ، تحت إشراف **دائرة الصحافة والإعلام بجامعة اليرموك ،** وافتتحه **الدكتور عدنان بدران** رئيس الجامعة .

كتب جديدة

● **«أناشيد أخرى» ، للدكتور عيسى الناعوري ،** صدرت عن **دائرة الثقافة والفنون بعمان .**

● **«حواس الصمت» ، ديوان شعر للشاعر يوسف حمدان ،** صدر عن **دار الكرمل بعمان .**

لبنان :

معرض للمستشرقين الفنانين

أقيم في قاعة «غاليري شاهين» ببيروت خلال شهر ديسمبر (كانون الأول) ١٩٨٣م ، **المعرض الدائم للمستشرقين في لبنان** من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر للميلاد . تضمن المعرض حوالي ٨٤ لوحة (غرافور ، مائيات ، زيتيات) لفنانين مستشرقين من بينهم :

● **ديكنسون برتليه .**

● **روبرتز .**

● **رابكين .**

● **فيليب موراني .**

وقد أقيم المعرض بمناسبة صدور الجزء الثالث من **منشورات الغاليري** عن المستشرقين في لبنان .

كتب جديدة

● **«البناية على شرح الهداية» ،** صدر **في بيروت في عشرة مجلدات** عن **دار الفكر للطباعة والنشر .**

رسائل جامعية

●● **«الشرك وأنواعه» ،** موضوع رسالة ماجستير نوقشت **بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ،** تقدم بها السيد **جفري أفندي وهاب .**

●● **«الديون المالية في الفقه الإسلامي» ،** موضوع رسالة دكتوراه نوقشت **بالمعهد العالي للقضاء ،** تقدم بها السيد **سليمان بن فهد العيسى .**

●● **«كتاب سفر السعادة وسفر الإفادة ـ تأليف علي بن محمد السخاوي ـ تحقيق ودراسة وتوثيق» ،** موضوع رسالة ماجستير نوقشت **بكلية آداب جامعة دمشق ،** تقدم بها السيد **محمد الدالي .**

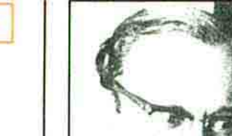
●● **«عثمان بن سعيد الدارمي ودفاعه عن عقيدة السلف» ،** موضوع رسالة ماجستير نوقشت **بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ،** تقدم بها السيد **محمد محمود أبورحيم .**

●● **«أسواق الباحة ـ دراسة جغرافية» ،** موضوع رسالة ماجستير نوقشت **بكلية آداب جامعة الملك سعود بالرياض ،** تقدم بها السيد **عبد الله سالم الزهراني .**

●● **«دراسات على تأثير مواعيد الزراعة والكثافة النباتية على المحصول ومكوناتها في بعض أصناف الذرة الشامية ـ ذرة حبش» ،** موضوع رسالة ماجستير نوقشت **بكلية الزراعة** التابعة **لجامعة الملك سعود بالرياض ،** تقدم بها السيد **علي التوم حسن موسى .**

●● **«تأثر المسلمين بالغزو الفكري» ،** موضوع رسالة ماجستير نوقشت **بقسم الطالبات بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ،** تقدمت بها **ابتسام أحمد محمد جمال .**

●● **«النخل عند الأصمعي وابن سيده قديماً وحديثاً» ،** موضوع رسالة ماجستير نوقشت **بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ،** تقدمت بها السيدة **وفاء عباس حويت .**





★ د. عيسى الناعوري ★ ★ حسن عبد الله القرشي ★

● **«نص كتاب ـ الأضحوية في المعاد» ، لابن سينا ، تحقيق الدكتور حسين عاصي ،** صدر عن **المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ببيروت .**

● **«رحيل القوافل الضالة» ، ديوان شعر للشاعر حسن عبد الله القرشي ،** صدر عن **دار العودة ببيروت .**

سورية :

مهرجان شعري

أقيم في مدينة «اللاذقية» خلال الفترة الماضية **مهرجان شعري** تحت اسم **«مهرجان تشرين الشعري الثاني» ،** ألقيت فيه قصائد لكل من الشعراء : (يوسف الخطيب ، عز الدين الخير ، محمد منذر لطفي ، حامد حسن ، والشاعرة هند هارون ، فواز عيد ، وجيه البارودي ، مسعود جوني) .

وشعر شعراء آخرون مثل **قصائد البردوني ومحمد مهدي الجواهري** كنموذج لشعراء العربية من خارج سورية .

☆☆



الباكستان :

مؤتمر للعلوم الإسلامية

عقد بمدينة «إسلام أباد» في الباكستان خلال العام الهجري ١٤٠٤هـ، الحالي **مؤتمر دولي علمي كبير يبحث في العلوم الإسلامية في الماضي والحاضر والمستقبل.**

نظمت المؤتمر **«جمعية متداولي العلوم الوطنية الباكستانية»** بالتعاون مع **«منظمة المؤتمر الإسلامي»**، شارك فيه ما يزيد على مائتي عالم ومفكر وباحث من أبرز العلماء والمفكرين والباحثين المسلمين المعاصرين.

بحث المؤتمر عدداً من الموضوعات تركزت حول الحث على التعاون بين دول العالم الإسلامي في المجالات العلمية المختلفة ومن بينها :

● تحديد موقف الإسلام ـ بوصفه ديناً ـ من المعرفة بشكل عام، والعلوم والتكنولوجيا بشكل خاص.

● تقييم المصادر الإنسانية والمادية للبلاد الإسلامية، وتحديد احتياجات العلوم والتكنولوجيا في الأمة الإسلامية.

● تقييم القيم العلمية التي تبنتها الثقافة في المجتمعات الإسلامية خلال فترات متعاقبة من الزمن.

● تعريف فعالية العلوم و«التكنولوجيا» وإمكانيتها في العالم.

● تحضير الخطوط العريضة لتشكيل سياسات وخطط التعلم «التكنولوجي والعلمي» والبحث والتطور أخذاً بعين الاعتبار القيم الأخلاقية والروحية للإسلام.

بريطانيا :

معرض للصور العراقية

أقام المركز الثقافي العراقي بلندن معرضاً ـ خلال شهر يناير (كانون الثاني) من هذا العام ١٩٨٤م ـ للصور الفولكلورية التي تمثل التراث الشعبي العراقي، وقد اشتمل المعرض أيضاً على العديد من الصور الملونة عن البيوت التقليدية في بغداد، مع الشروحات التي ترافق الصور لإيضاح المميزات والتفاصيل المعمارية لهذه البيوت.

فرنسا :

السبيل ـ معجم جديد

صدر في باريس معجم عربي ـ فرنسي، وفرنسي ـ عربي، يتضمن أكثر من ٤٥٠٠٠ كلمة استعملها مؤلفه في حوالي ٤٠٠٠٠ عبارة، أضيف إليها ١٠٠٠ مثل، وقد استفاد هذا المؤلف في معجمه هذا من المؤلفات الأدبية في مرحلة الفترة الكلاسيكية الجديدة ١٨٥٠ ـ ١٩٠٠م، ومرحلة الازدهار أو (النهضة) ١٩٠٠ ـ ١٩٥٠م، كما استفاد إلى حد كبير من التطور اللغوي الذي لحق العربية من جراء التطور الحياتي والمعطيات المعيشية العصرية في جميع البلدان الناطقة بالعربية. **الجدير بالذكر أن مؤلفه هو الدكتور «دانيال ريغ» الأستاذ في جامعة السوربون ومعهد الدراسات العليا في العلوم الاجتماعية ومعهد الدراسات السياسية في باريس، وقد صدر ضمن منشورات «لاروس» الفرنسية**، كما أن من الجدير بالذكر **أنه سبق أن صدر عن دار الشروق ببيروت قبل سنة «المنجد العربي ـ الفرنسي»**.

وفاة كاستلر

توفي يوم ٧ يناير (كانون الثاني) من العام الميلادي الجديد ١٩٨٤م، وذلك في «باندول» جنوبي فرنسا **«البروفسور ألفريد كاستلر»** عن عمر يناهز الثانية والثمانين، حيث ولد عام ١٩٠٢م، **وهو فيزيائي، وقد حصل على جائزة نوبل في الفيزياء** عام ١٩٦٦م، وله عدة أبحاث في هذا المجال.

أحدث الكتب

● **«دفتر خاص بفكر الفيلسوف الألماني هايدغر»**، صدر ضمن منشورات **الأيرن الفرنسية.**


★ هايدغر ★ ★ ألفريد كاستلر ★

ألمانيا :

فيرنر ومجموعة الـ «٤٧»

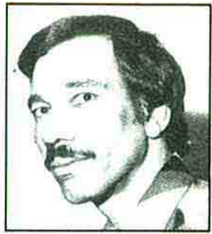
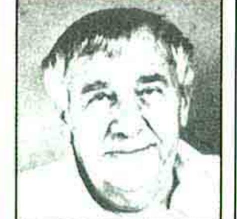
ترأس الكاتب الألماني «هانز فيرنر ريتشر» مجموعة الـ «٤٧» للكتّاب والأدباء الألمان الشبان، وهي جماعة لا تمثل رابطة أو اتحاداً، وليس لها أي نظام أساسي، أو برنامج محدد، فقد ظلت خلال العشرين سنة الماضية نقطة التقاء لأداب اللغة الألمانية، إلا أنها لا تبرز إلى الوجود إلا ثلاثة أيام فقط من كل عام حيث يلتقي فيها عدد كبير من الكتّاب الألمان، يطالعون مؤلفاتهم ونصوصها ومن ثم يناقشونها، ويتبادلون الرأي حول إتاحة الفرصة لزملائهم من الأدباء الشبان لتقديم أنفسهم، ولإتاحة الفرصة أمامهم للتأليف والسير في مجال البحث ومن ثم تتولاهم هذه الجماعة ويتولونها هم بالتالي بدلا من الروّاد.

دورة خاصة عن الأدب العربي

وافقت المؤسسة الثقافية الألمانية ومعرض فرانكفورت الدولي للكتاب بألمانيا الاتحادية **على تخصيص دورة خاصة من المعرض للأدب العربي** وذلك في عام ١٩٨٨م، لنشر الأدب العربي في ألمانيا والدول الناطقة باللغة الألمانية.

ألف ليلة وليلة إلى الألمانية

صدرت في برلين الشرقية ترجمة ألمانية جديدة للقصة العربية «ألف ليلة وليلة» في كتابين يحتويان على ٨٠٠ صفحة بها أكثر من ٥٠ قصة، وقد كتب مترجم القصص الألماني

★ أمل دنقل ★ ★ هانز ريتشر ★

الشرقي «شولار مكس» مقدمة لهذه الترجمة تحدث فيها عن مرجع القصص، وعن المصطلحات العربية والإسلامية الواردة في هذه القصص.

أسبانيا

ندوة عن أمل دنقل

في إطار العلاقات الثقافية بين مصر وإسبانيا، أقام المعهد الإسلامي المصري بمدريد ندوة حول الشاعر المصري الراحل **«أمل دنقل»** حيث تحدث في الندوة المستشرق الإسباني **الدكتور «بدرو مارتينيث» رئيس قسم الأدب العربي بجامعة مدريد** المستقلة عن أهمية شعر أمل دنقل، وركز على ديوانه الأخير **«أوراق الغرفة رقم ٨»**. هذا وسوف تترجم هذه المحاضرة التي ألقاها المستشرق الإسباني في هذه الندوة إلى العربية لتنشر بالتالي في مجلة **«فصول»** المصرية.





أخبار الغد

سيقام أسبوع ثقافي سعودي بالجزائر العاصمة، خلال الفترة من ٢٥ مارس (آذار) إلى أوائل شهر أبريل (نيسان) ١٩٨٤م، تحت إشراف وتنظيم **الرئاسة العامة لرعاية الشباب السعودي**، وستعرض فيه نماذج للفنون التشكيلية، وكذلك بعض من النماذج الشعبية سيشارك فيها مجموعة من الشبان.

يعتزم مكتب التربية العربي لدول الخليج الذي يتخذ من الرياض مقراً له **إصدار دليل آثاري لمنطقة الخليج** الذي سيضم معلومات تاريخية وصوراً وخرائط للآثار وشروحات علمية للأماكن التاريخية التي تزخر بها منطقة الخليج. هذا وقد تكونت لجنة من عدد من المختصين في الدول المعنية لإنجاز هذا المشروع الذي يعتبر أول مشروع آثاري من نوعه يعنى بأبرز آثار المنطقة حضارياً وتاريخياً، وسيوزع بعد طباعته باللغتين العربية والإنجليزية على الجهات ذات الاختصاص بالدول الأعضاء.

سيقام في هذا العام معرض أردني للآثار في عدد من الدول الأوروبية ويوصف هذا المعرض بـ **«المتنقل»**، قررت هذا **إدارة الآثار العامة بالأردن**، سيحوي نماذج من الخزف عبر العصور وبعض الآثار الأخرى. ومما يذكر أن المعرض سيقام بالتعاون مع **المتحف الملكي البلجيكي للفنون الجميلة في بروكسل، ومركز دراسة الآثار الفلسطينية في جامعة (بايدن) بهولندا.**

ستشهد مدينة «بغداد» في شهر أبريل (نيسان) القادم ١٩٨٤م، كرنفالا تراثياً يحكي قصة صناعات فولكلورية وشعبية اشتهرت بها مناطق واسعة من العراق وحافظت على طابعها المميز خلال عهود عريقة في القدم، وسيسبق المعرض **ندوة موسعة تعقد للحرفيين والصنّاع الماهرين في مختلف أنحاء العراق** لطرح الهدف الأساسي من إقامة المعرض الذي سيتولى جمع إنتاجاتهم الفنية وعرضها على الجمهور لغرض بيعها والتشجيع على مزاولتها.

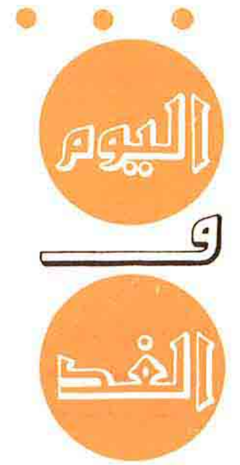
● **«الحركة الأدبية في مصر والشام منذ الثلث الأول من القرن الرابع الهجري إلى أول العصر الحديث»، بحث أدبي** بعده **الدكتور شوقي ضيف،** سيصدر **في القاهرة.**

كما ستصدر الروايات التالية من تأليف **نجيب محفوظ** عن **مكتبة مصر:**

★ **«أخناتون العايش في الحقيقة».**

★ **«الجهاز السري».**

★ **«يوم قتل الزعيم».**





للدعاية

تبين الصورة المرفقة **إنساناً آلياً** ذكياً جداً وهو يحادث المارة بشكل جدي للغاية . وضع هذا الإنسان الآلي واسمه «**ديسكو**» في مركز **روكفلر** في مدينة **نيويورك** . وقد لاحظ الجمهور أن **ديسكو** يتكلم ، يغني ، ينكت ، يمزح ، يتحرك هنا وهناك ، يجاوب على الأسئلة ويتسبب في عرقلة المرور .

صمم ديسكو بناء على طلب إحدى المجلات العلمية الأميركية لاستخدامه **لأغراض الدعاية** انطلاقاً من أنه من المناسب جداً أن يكون سفير المجلة العلمية «**شخص**» **يعرض العلم قبل أن يجيد الكلام** . ومثل أي سفير آخر فإن **ديسكو** يتحرك «كالمكوك» . ومن المتوقع أن يقوم هذا العام بجولة في أنحاء **الولايات المتحدة الأميركية** حيث سيظهر في المطارات والجامعات والأسواق الرئيسية في ٢٣ مدينة .

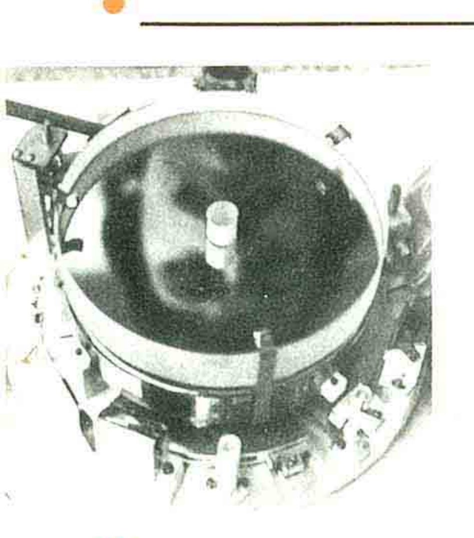
ومع أن ديسكو هو **إنسان آلي من الطراز الأول** ، إلا أنه لا يتنقل في مقاعد الدرجة الأولى وإنما «يفكك» ويشحن في صناديق خاصة ثم يتم تجميعه ثانية في البلدة المقصودة .

هل تم اكتشاف الكوارك ؟

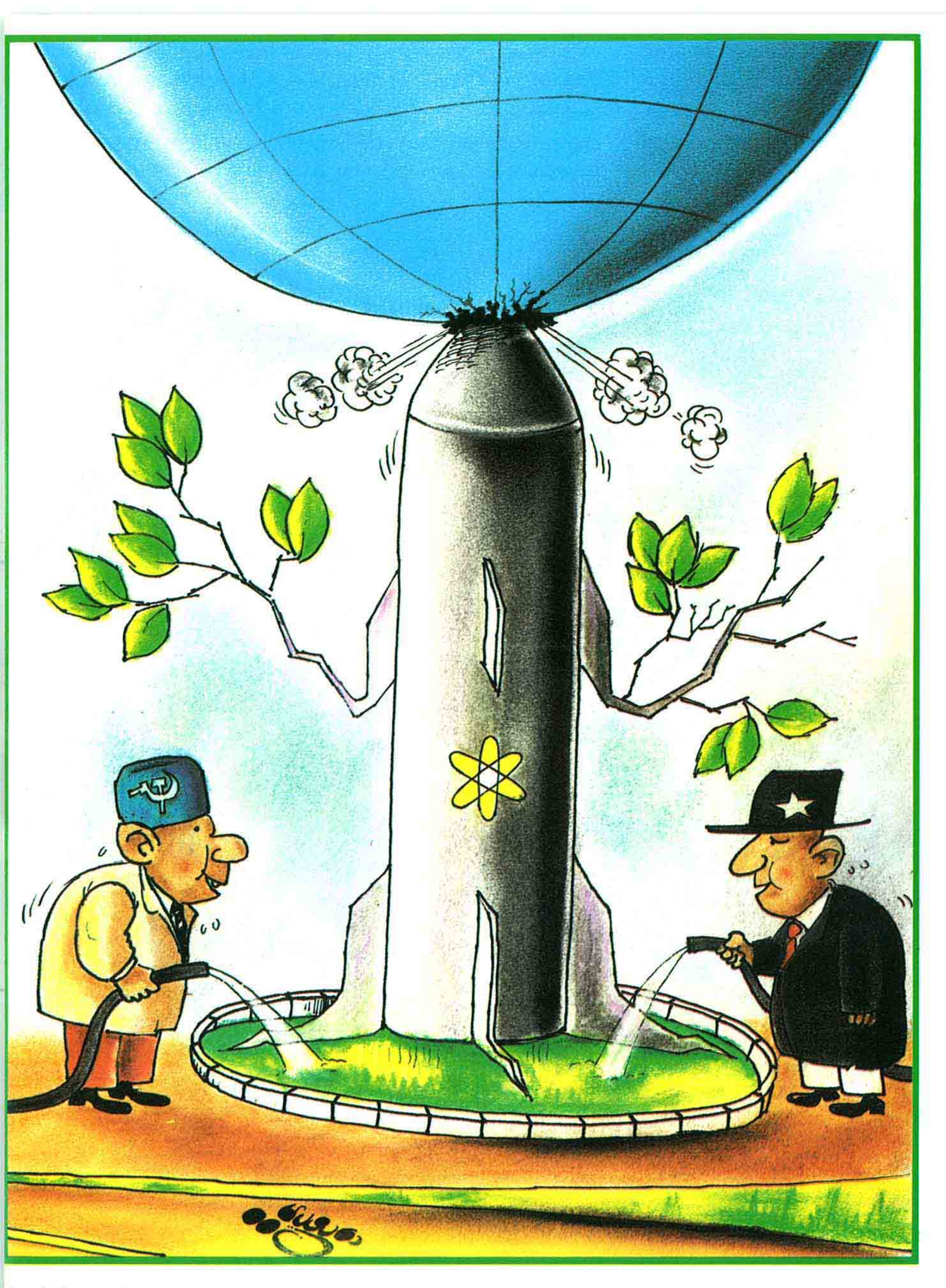
في النصف الأول من القرن العشرين كان الاعتقاد السائد هو أن الذرة (وهي الخلية الأساسية للمادة بجميع أشكالها) ، مؤلفة من **الإلكترونات** التي تدور حول النواة التي تضم بدورها مجموعة **البروتونات والنترونات** . إلا أن جميع الدلائل التي تراكمت فيما بعد كانت تؤكد **أن البروتونات والنترونات ليست جسيمات أولية** ولكن يمكن تحليلها إلى **جسيمات أبسط** أطلق عليها الفيزيائي الأميركي **موراي جيلمان** اسم «**كوارك**» . ومع أن فكرة **الكوارك** لم تكن في بداية الستينات سوى فرضية رياضية مسلية إلا أنها سرعان ما حصلت على القبول في الأوساط العلمية .

ولعل الخاصة الأساسية **للكوارك** هي أنها تحمل **شحنة كهربائية كسرية** ، وبالضبط **١/٣ أو ٢/٣ شحنة الإلكترون** باعتبار أن شحنة الإلكترون هي **واحدة من الشحنات الكهربائية** التي تشاهد في الطبيعة .

وبعد عشرين سنة من البحث والتقصي أعلن **وليم فيربانك** ومساعدوه في **جامعة ستانفورد** الأميركية عن أنهم عثروا على دلائل قوية تشير إلى وجود **الكوارك** (أو شيء شبيه بها جداً) . ولهذا الغرض اعتمد **فيربانك** على تجربة معقدة ، إذ وضع كرة من **النيوبيوم** بين صفيحتين معدنيتين ضمن حقل مغناطيسي قوي . إن الحقل الكهربائي المتشكل بين الصفيحتين يشد كرة **النيوبيوم المشحونة** فيؤدي إلى تحريكها إلى الأعلى وإلى الأسفل . ويتم تحسس حركة الكرة بواسطة **وشيعة** ويقوم حاسب إلكتروني بتحليل الحركة لتعيين الشحنة الكهربائية على الكرة . (وفي الصورة منظر علوي للجهاز المستعمل في التجربة) .



ومع أن هذا الخبر مثير جداً إلا أن كثيراً من العلماء يفضل التريث قبل قبول النتيجة . وكما هي العادة دائماً فإن العلم عندما يجيب على سؤال فإنه يفتح الباب إلى عدة تساؤلات جديدة .



مدينة (كربلاء) هي إحدى مدن العراق التاريخية، تقع على بعد (١٠٥) كيلومترات إلى الجنوب الغربي من العاصمة (بغداد)، وتقع كربلاء على خط طول ٤٤,٠١ درجة شرقاً، وخط ٣٢,٣٧ درجة شمالا على ضفاف نهر الحسينية المتفرع من نهر الفرات، وقد جعلها هذا الموقع على هامش إقليمين طبيعيين متميزين في العراق هما إقليم السهل الرسوبي، وإقليم الهضبة الغربية، مما جعلها محطة تجارية وعقدة مواصلات مهمة عبر التاريخ.

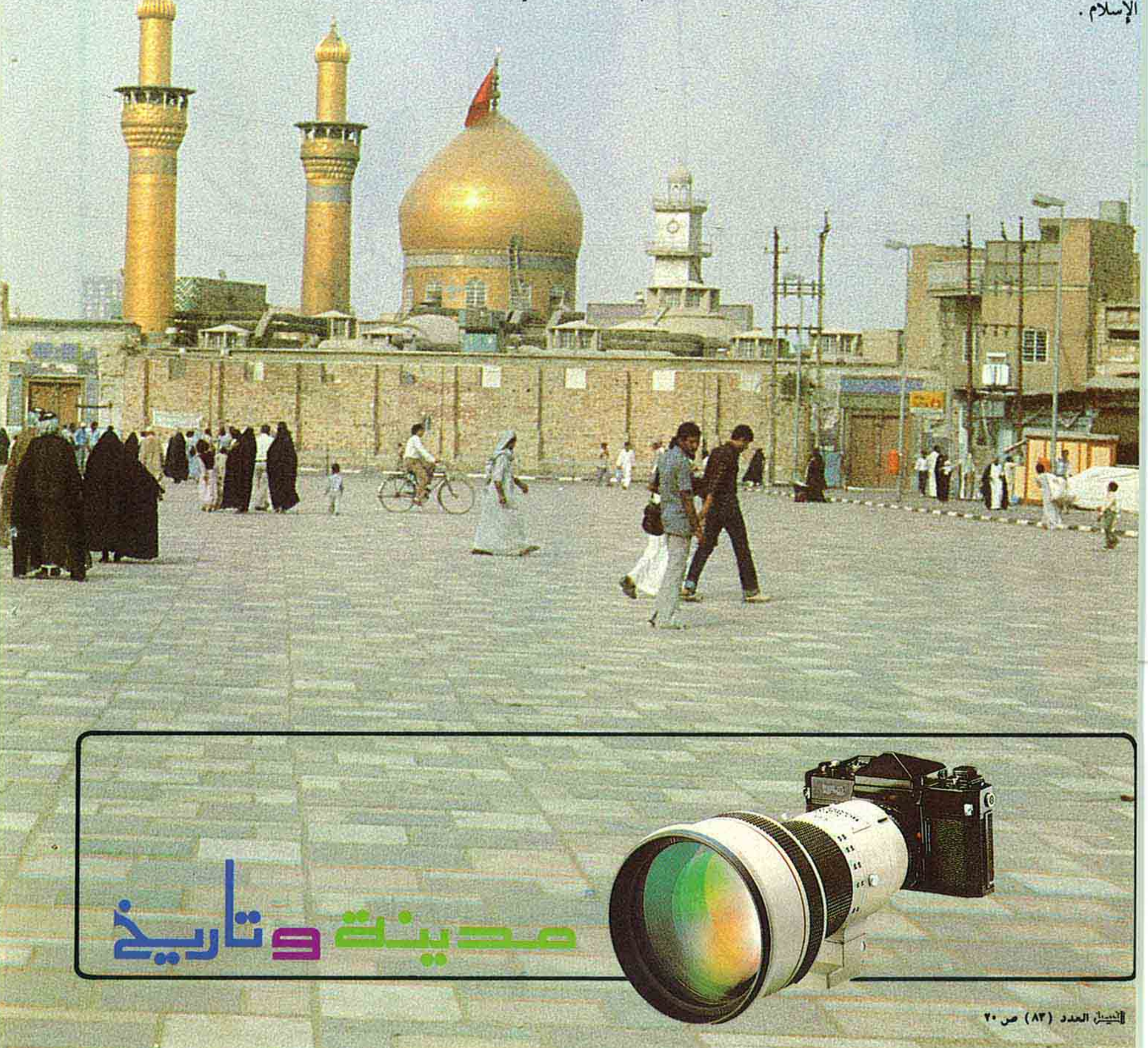
وبسبب من أهمية موقعها الاستراتيجي، فقد خُصت بالنشاط العسكري العربي الإسلامي، حيث لا يفصلها عن مقر القيادة في (المدينة المنورة) عاصمة الدولة العربية الإسلامية، أي فاصل، وهذه ميزة خاصة، كانت تتطلبها إقامة المعسكرات في صدر الإسلام.

أصل التسمية

اختلف اللغويون والبلدانيون في سبب تسمية كربلاء بهذا الاسم، ويمكن إجمال أصل التسمية في عدة نقاط:

(١) إن اسم (كربلاء) يعني (قرب الآلهة) عند **البابليين** الذين سكنوا بلاد الرافدين (العراق)، وكانوا يسمونها (**كور بابل**) التي هي عبارة عن مجموعة قرى بابلية قديمة منها: نينوى والغاضرية وكربلة ثم كربلاء أو عقر بابل والنواويس والحائر، التي وجدت منذ غابر العصور، والتي تمثل اليوم تلولا أثرية بالقرب من (سدة الهندية).

(٢) إن اسم كربلاء **آشوري** مركب من كلمتين هما (كربا ـ إيلو) ومعناهما (قرب الإله)، ويستندون في ذلك إلى احتمال لم يتأيد بعد، أن قوماً من الآشوريين سكنوا هذه



المنطقة بعد تخريب عاصمتهم (نينوى) في شمال بلاد الرافدين، وأطلقوا على مستوطنهم الجديد اسم عاصمتهم السابقة لشدة تعلقهم بها، فسميت هذه الأرض (نينوى)، ثم عرفت تبعاً لذلك باسم (كربا ـ إيلو)، إشارة إلى ما وفرته لهم نينوى الجديدة من أجواء طيبة نسوا في ظلها عروبتهم.

(٣) ويرى آخرون، أن لفظة (كربلاء) مركبة من الكلمتين الآشوريتين (كرب) و(إيل)، ومعناهما (حرم الله)، مما يدل على أن هناك منسكاً كان يسمى بهذا الاسم. وهذا الرأي مشابه للرأي السابق مع اختلاف يسير.

(٤) واحتمل البعض أن اسم (كربلاء) ربما كان (كاربيلا) وهو ذاصلة **باللغة الآرامية والآستورية** (كربلاتو) Karbalatu، وهو يعني نوعاً من غطاء الرأس.

(٥) وقيل سميت (كربلاء) بهذا الاسم لاشتقاقها من (الكربلة) أي رخاوة في الموضع، فيجوز على هذا أن تكون الأرض منتقاة من الحصى والدغل فسميت بذلك.

(٦) وقال (**ياقوت الحموي**): الكربلة رخاوة في القدمين. يقال: جاء يمشي مُكربلاً، فيجوز على هذا أن تكون سمِّيت بذلك. ويقال: كربلت الحنطة إذا هززتها ونقيتها، وينشد في صفة الحنطة:

يحملن حمراء رسوباً للثقل
قد غُربلت وكُربلت من القصل

(٧) وقيل اشتقت اللفظة من (الكربل)، اسم نبت الحمَّاض، الذي ينبت في كربلاء. قال (**أبو وجزة السعدي**) يصف عهود الهودج:

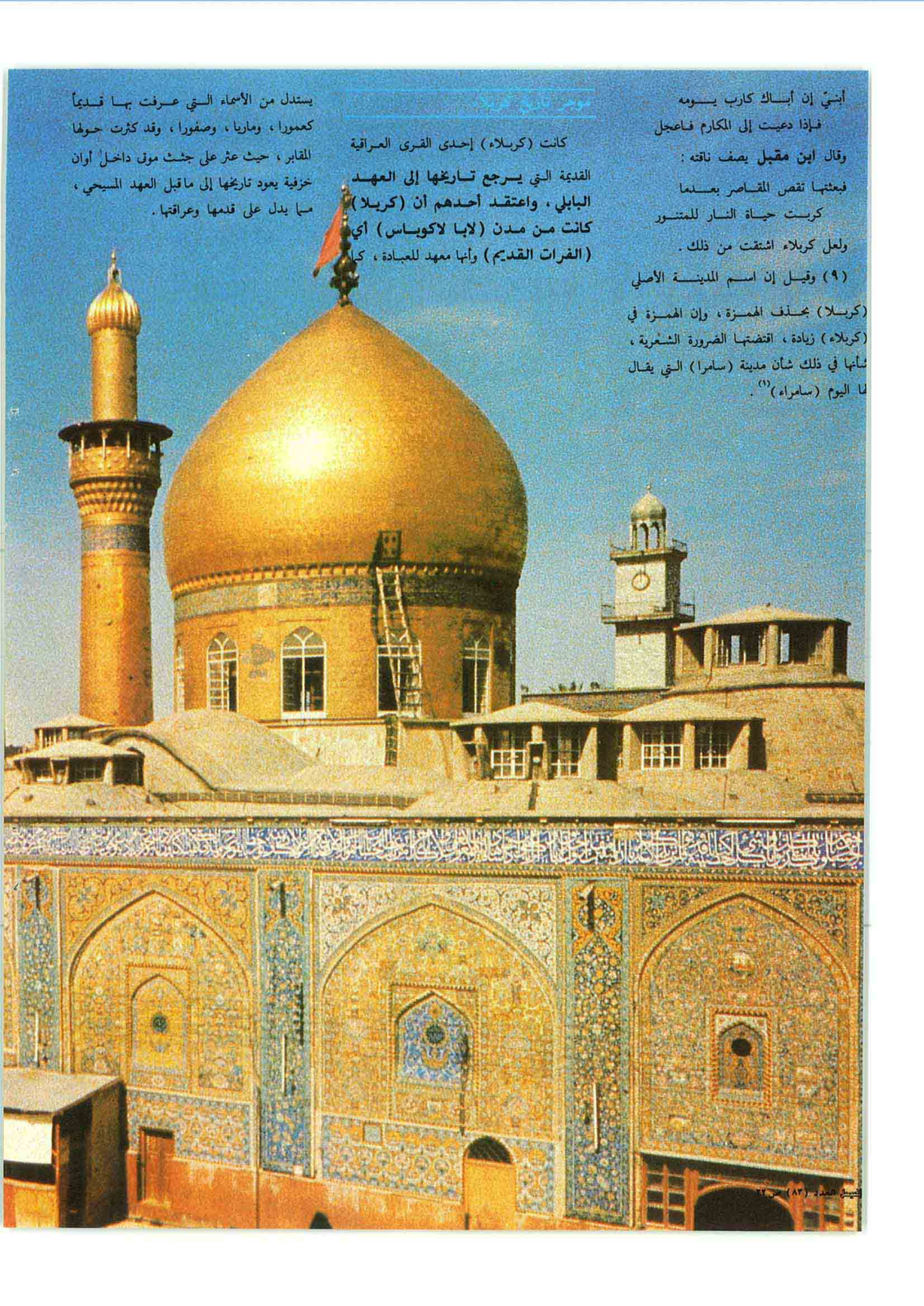
وثامر كربل، وعميم دفلى
عليها والندى سبط يمور

(٨) وجاء في **لسان العرب**: كرب الأمر كروباً: (دنا). قال (**عبد القيس بن خفاف البُرجي**):



كربلاء
"الفرات القديم"

بقلم: عبد الجبار محمود السامرائي



أبنيّ إن أبـــاك كارب يـــومه
فـإذا دعيـت إلى المكارم فـاعجل

وقال **ابن مقبل** يصف ناقته :

فبعثتهـا تقص المقـاصر بعـدما
كربـت حيـاة النـار للمتنـور

ولعل كربلاء اشتقت من ذلك .

(٩) وقيــل إن اســم المدينـــة الأصلي (كربــلا) بحــذف الهمــزة ، وإن الهمــزة في (كربلاء) زيادة ، اقتضتهـا الضرورة الشعْرية ، شأنها في ذلك شأن مدينة (سامرا) التي يقـال لها اليوم (سامراء)[١] .

موجز تاريخ كربلا

كانت (كربــلاء) إحــدى القـرى العـراقية القديمة التي **يــرجع تــاريخها إلى العهــد البابلي ، واعتقـد أحـدهم أن (كربـلا) كانت مـن مـدن (لابـا لاكويـاس) أي (الفرات القديم)** وأنها معهد للعبـادة ، كما يستدل من الأسماء الــتي عــرفت بهــا قــديماً كعمورا ، وماريا ، وصفورا ، وقد كثرت حـولها المقابر ، حيث عثر على جثث موتى داخل أوان خزفية يعود تاريخها إلى ما قبل العهد المسيحي ، مـما يدل على قدمها وعراقتها .



وأما الأقوام الذين سكنوها ، فكانوا يعولون على الزراعة لخصوبة أرضها ، وغزارة مائها ، لكثرة العيون التي كانت تتفجر في أرجائها ، ولوجود نهر فيها يدعى **(نهر العلقمي)** المتفرع من الفرات ، وهو قديم ، ويروى أن **(بختنصر) البابلي** فتحه من **منطقة (هيت)** غربي الفرات ، وأوصله إلى **(الكويت)** .

وقد أخذت (كربلا) تزدهر رويداً رويداً ، خصوصاً على **عهد الكلدانيين وعرب تنوخ ولخم والمناذرة** ، يوم كانت (الحيرة) عاصمة ملكهم .. حيث كانت كربلاء مأهولة ومعمورة وفيها حضارة قائمة ، حيث سكنها قسم كبير من القبائل العربية كبني دارم وإياد ، وهما بطون من تميم ، وبني عامر وبني غاضرة ، وهما بطون من أسد .

ومن الأدلة على قدم كربلاء أو قدم الأكوار في هذه المنطقة ، وجود أطلال وهضاب لم تزل

★ مسجد الحسين ★

★ مسجد العباس ★

★ أحد أروقة مسجد الحسين ★

قائمة على بضعة أميال من مدينة كربلاء ، وقد يجدها الزائر على بعد من ضريح (**الحر بن يزيد الرياحي**) في أرض القرطة والكمالية . . ويقال إن هذه الأطلال هي أطلال كربلاء الأصلية التي تسمَّى باصطلاح اليوم : الظهيرة أو العرقوب .

هذا ، ولم تكن (كربلاء) في القرن الأول الهجري عامرة ، ويكاد تاريخها يبتدئ من سنة (٦١ هـ) .

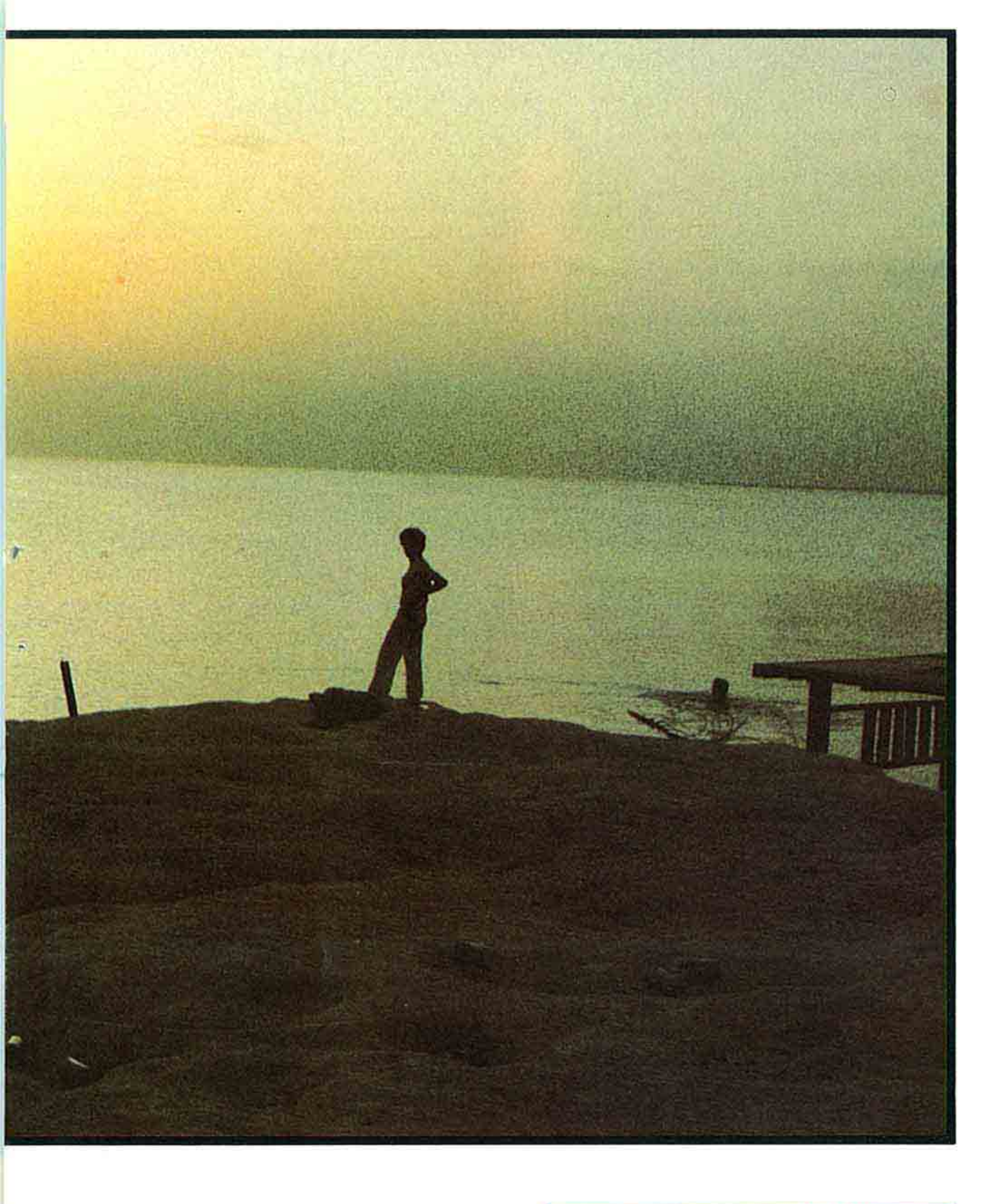
فبلغت دورها قرابة ألف دار حتى القرن السابع الهجري على تقدير (**ابن الكازروني**) .

على أن مطلع القرن الثامن الهجري شهد حدثاً مهماً في (كربلاء) ، كان له تأثيره البارز في حياة المدينة ، إذ أمر (الايلخان غازان) في سنة ٧٠٢ هـ ، بشق نهر من الفرات إلى كربلاء عرف فيما بعد بـ (الحسينية) .

وفي هذا القرن أيضاً ، قام **السلطان (أويس الجلائري)** في سنة ٧٦٧ هـ ، بتجديد **عمارة (الحائر)**[٢] ، وأكمل ولداه عمارة أبيهما ، إذ بنى ابنه (أحمد) منارتين زينهما بالذهب .

وخلال القرنين السابع عشر والثامن عشر للميلاد ، احتدم الصراع بين **العثمانيين والفرس** من أجل الانفراد باحتلال العراق ، وقد احتل (**عباس الصفوي**) بغداد ، وحاصرها (**نادر شاه**) ثلاث مرات . وما إن تم للشاه عباس الصفوي احتلال بغداد في عام ١٦٢٣ م ، حتى سارع في الاستحواذ على كربلاء والنجف ، وضمهما إلى الدولة الفارسية ، لا من أجل سواد عيون العراقيين ، ولكن من أجل السيطرة على أموال الأوقاف ، ومصادرة الهبات الخيرية

ولعل أهم ما يذكر في عهد هذا التنافس بين الفرس والعثمانيين ، هو تمكن القبائل العربية من السيطرة على المنطقة حتى سنة ١٠٣٢ هـ ــ ١٦٢٣ م ، وأثبتوا أنهم **قادرون** على تأكيد أنفسهم ، وأنهم يرفضون الوجود الأجنبي على أرضهم .



من معالم كربلاء

● **حصن الأخيضر** : يقع هذا الحصن في البادية جنوب غربي كربلاء بنحو (٥٠ كم) وبنحو (١٩٢ كم) جنوبي غربي بغداد ، وهو من أعظم وأروع الآثار الإسلامية القائمة في الشرق الأوسط . حيث ينفرد بفخامته وهندسته العجيبة ، فهو قصر واسع منيف متعدد الأجزاء والمرافق في داخل حصن منيع أبعاده (١٧٥ × ١٦٩ م) (٥٧٥ × ٥٥٥ قدماً) وتبلغ مساحة القصر (١١٢ × ٨٢ م) (٣٧٠ × ٧٢٠ قدم) .

شكل الحصن مربع ، يبلغ طول كل ضلع من أضلاعه (١٧٠ متراً) . أما القصر فمستطيل الشكل يبلغ عرضه (٨٠ متراً) ، وطوله (١١٠ أمتار) . ويوجد في مدخل هذا القصر دهليز فخم يعلوه طاق مربع . أما **الجامع** فيقع في الجهة الغربية من الدهليز ، وجدرانه الخارجية مجهزة بسلسلة **أبراج** من جهاتها الأربع ، والأبراج الكائنة في الزوايا تستوقف الأنظار أكثر من غيرها . غير أن البرجين الواقعين في وسط الجهتين الشرقية والغربية تحتويان على آثار معمارية أهم من جميعها .

ويعتبر موقع حصن الأخيضر من المواقع الاستراتيجية التي كانت مركز التقاء الطرق الرئيسية من البادية . فقد ربط حلب بالبصرة من جهة ، وبادية الشام وهضبة نجد من جهة أخرى ، ووصل البحر الأبيض المتوسط عن

(**مسز بيل**) التي زارت الموقع عام ١٩٠٩م، فتعتقد أنه من الأبنية الإسلامية التي شيدت في العصر الأموي.

● **غابة عين التمر**: على بعد (٦٧ كيلومتراً) جنوب غربي كربلاء، تقع (**غابة عين التمر**)، وهي **غابة من النخيل** تخترقها دروب ريفية تلبس خضرة دائمة.. وتقطع هذه الدروب القناطر الصغيرة التي ترتفع عن مياه صافية دائمة الجريان. وفي قلب الغابة المزدحمة بالنخيل تنتشر العيون الكبريتية التي تتدفق منها المياه طيلة أيام السنة، وقد اكتسبت أسماؤها من البيئة المحلية.

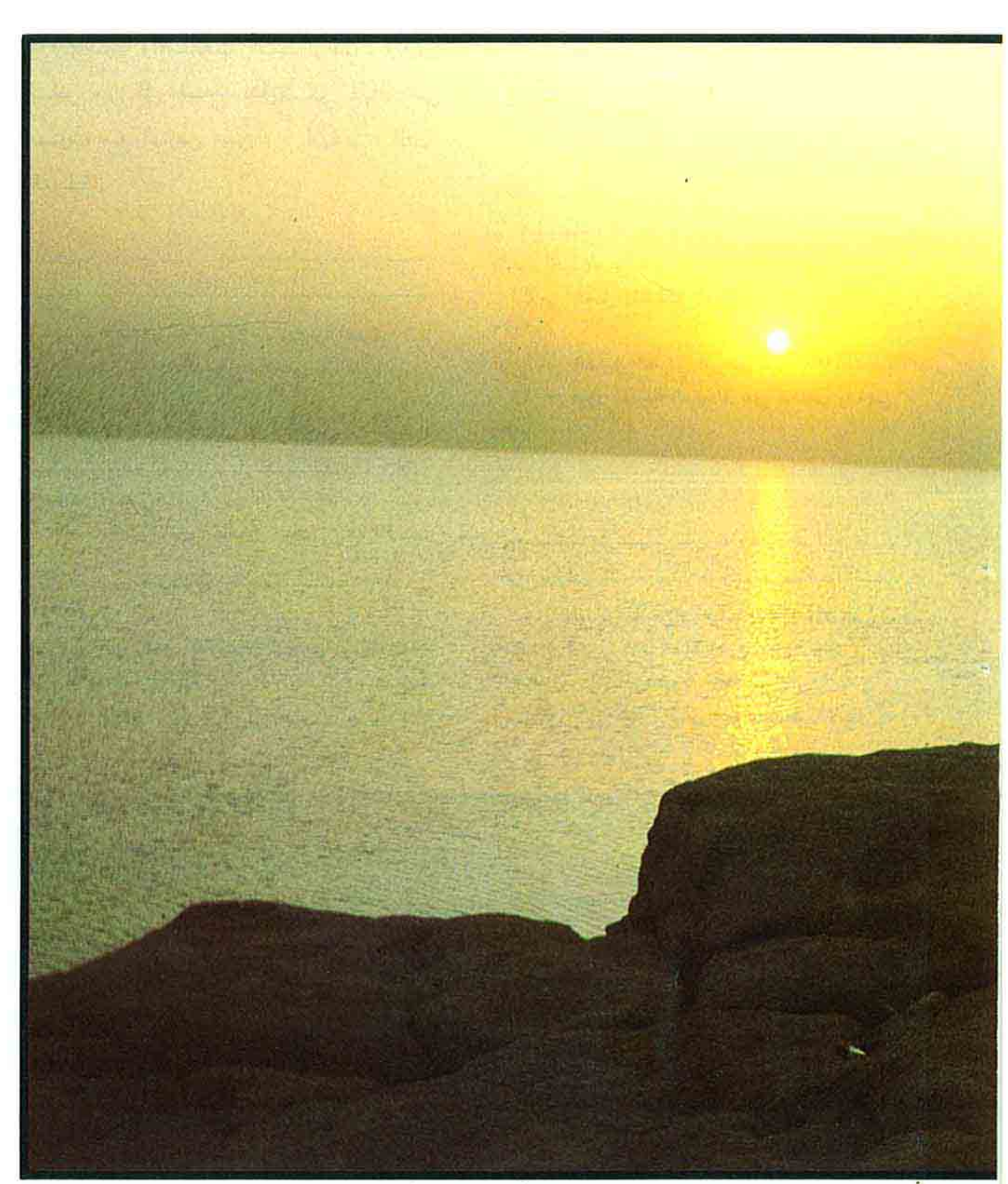
وبعض تلك العيون، فوّارة يخرج الماء من جهة ثم يهدأ، ويخرج من جهة أخرى ويرتفع مرة إلى درجة الامتلاء، ثم يهبط إلى منتصف العمق في (**شغاثا**) التي هي قرية من قرى (عين التمر).

وفي عين التمر، توجد أكثر من (١٩ عيناً)، كما توجد أكثر من خمسين عيناً صغيرة وكبيرة تمتد بين منطقة (الرحالية) إلى (شغاثا) ولكنها مندرسة الآن، **وتسمى عيون (بربويل)**، لو أصلحت وطهرت لظهرت فيها المياه المعدنية الفوارة وعمرت المنطقة.

● **بحيرة الرزازة**: تقع هذه البحيرة على مسافة أحد عشر كيلومتراً غربي مدينة كربلاء، وهي بحيرة واسعة تستمد مياهها من فيضان نهر الفرات، وتعتبر مرفقاً سياحياً مهماً يرتاده العراقيون وغيرهم.

شهرة كربلاء

تشتهر كربلاء بعدد من **الصناعات الشعبية** الدقيقة كصناعة السيراميك والقاشاني الملون المنقوش بالصور الجميلة، وصناعة النقش على النحاس التي ترتقي نماذجها إلى مصاف اللوحات الفنية الفريدة. كما تشتهر كربلاء بصناعة **أفخر أنواع العباءات** وأنفس **البُسُط**، وصناعة سبح التسبيح، والوشي بالتطريز.



★ الغروب في بحيرة الرزازة بكربلاء ★

طريق الشام مع المحيط الهندي، بواسطة ميناء البصرة قبل اكتشاف رأس الرجاء الصالح، وإنشاء قناة السويس في مصر.

وتقول أرجح الآراء، بصدد تاريخ حصن الأخيضر: إنه يعود إلى العصر العباسي، وتحديداً في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور.

والعلامة المرحوم **شكري الآلوسي** يقول: إن كلمة (الأخيضر) هذه محرفة من اسم (الأكيدر) وهو اسم أمير من أمراء (كندة) أسلم في صدر الإسلام، فالقصر يجب أن يكون شيّد من قبله.

غير إن (**موزيل**) لاحظ أن كلمة (الأخيضر) من ألقاب شخص معروف في التاريخ وهو (إسماعيل بن يوسف الأخيضر) حاكم اليمامة على الكوفة (في أوائل القرن الرابع الهجري ـ العاشر الميلادي)، فإن الأخيضر يجب أن يكون (**دار الهجرة**) التي أسست من قبل هذا الحاكم.

أما العلامة الراحل **الدكتور مصطفى جواد**، فقد ذهب عام ١٩٤٧م، إلى أن حصن الأخيضر أثر من آثار الساسانيين، معتقداً بأن طراز العمارة بعيد عن العمارة العربية. وقد أكد **المستشرق (ماسينيون)** رأي الدكتور جواد، كما اعتقد بهذا الرأي **الرحالة الإيطالي (بترود لافاله)**. أما

كربلاء اليوم

أما كربلاء الحاضرة ، فهي محافظة من محافظات العراق ، ذات عمائر وشوارع ، ومرافق كبيرة ، تحيط بها البساتين الوارفة ، وتنتج الفواكه المختلفة .

وتقسم كربلاء عمرانياً إلى قسمين : يدعى الأول (**كربلاء القديمة**) ، ويدعى الثاني (**كربلاء الجديدة**) . أما الأول ، فهو الذي أقيم على أنقاض كربلاء العريقة في القدم . وأما الثاني ، وهو الذي خطط في عهد ولاية **مدحت باشا العثماني** في عام ١٢٨٥ هـ ــ ١٨٦٧ م ، وبني بعد عام (١٣٠٠ هـ) ، على طراز يختلف عن الطراز القديم ، إلا أن معظم هذا الطراز تهدم .

ونظراً لأهمية موقع كربلاء الجغرافي ، فقد ذاع صيتها وأصبحت محط الرحال ، وأقبل الناس من كل حدب على السكنى فيها ، حتى صارت مع الزمن من أمهات المدن العراقية .

المصادر المعتمدة

١ ــ **متصرفية لواء كربلاء ــ الإدارة المحلية** : لواء كربلاء ، دليل العتبات المقدسة ، دار الجمهورية ، بغداد ، سنة ١٩٦٧ م .

٢ ــ **محافظة كربلاء ــ الإدارة المحلية** : محافظة كربلاء بين التراث والمعاصرة ، دار الحرية للطباعة ، مطبعة الجمهورية ، سنة ١٩٧٤ م .

٣ ــ **سلمان هادي الطعمة** : تراث كربلاء (الطبعة الأولى) ، مطبعة الآداب ، النجف ، سنة ١٣٨٣ هـ ــ ١٩٦٤ م .

٤ ــ **عبد الحسين الكليدار آل طعمة** : بُغية النبلاء في تاريخ كربلاء ، (تحقيق : عادل الكليدار) ، مطبعة الإرشاد ، بغداد .

٥ ــ **محمد باقر الحسيني** : الأخيضر ، التحري والصيانة ورفع الأنقاض ، مجلة (سومر) ، الجزء الأول والثاني ، المجلد الثاني والعشرون ، سنة ١٩٦٦ م ، بغداد .

٦ ــ **عباس علوان الصالح** : رسالة الأخيضر ، مطبعة الثقافة ، سنة ١٣٦٠ هـ ــ ١٩٤١ م .

٧ ــ **مجلة (العراق الجديد)** : العدد العاشر ، تشرين الأول (أكتوبر) ، بغداد ، سنة ١٩٦١ م .

٨ ــ **دليل المملكة العراقية** لسنة ١٩٣٥ ــ ١٩٣٦ م .

٩ ــ **الدليل العراقي الرسمي** لسنة ١٩٣٦ م .

١٠ ــ **صور المدينة السيدان علي الكناني وناجي رحيم** .

الهوامش

(١) راجع دراستنا عن (سامراء) في مجلة «**الفيصل**» العدد (٤٠) ، شوال ١٤٠٠ هـ ، السنة الرابعة ، آب (أغسطس) ، أيلول (سبتمبر) ١٩٨٠ م .

(٢) الحائر : حوض طبيعي تتجمع فيه مياه الأمطار .

★ حصن الأخيضر ★



من بين الفنون اليابانية العديدة، يبرز فن تخطيط وتنفيذ الحدائق في تميز لا يمكن إلا أن يلفت العقل ويجذب الفؤاد في آن واحد.

ورغم الجمال الفاتن الذي تتميز به الحدائق اليابانية، إلا أنها في الواقع لم تصمم بهدف الاستمتاع الجمالي بقدر ما راعى المصممون فيها توفير عنصر الهدوء الذي يفسح المجال للتأمل.



اليابانيون.. وفن تنسيق الحدائق

من عادات الشعوب

بقلم: كامل يوسف حسين

★ شجيرات الأزاليا المنمقة على حافة حديقة رملية من القرن السابع عشر بالقرب من كيوتو ★



★ الصخرة الصلبة وجزر الصخر الأخرى تعلو من بحر الرمل الهادئ في إحدى الحدائق في كيوتو ★

★ فوضى الغابات .. في مواجهة ذوق الإنسان ★

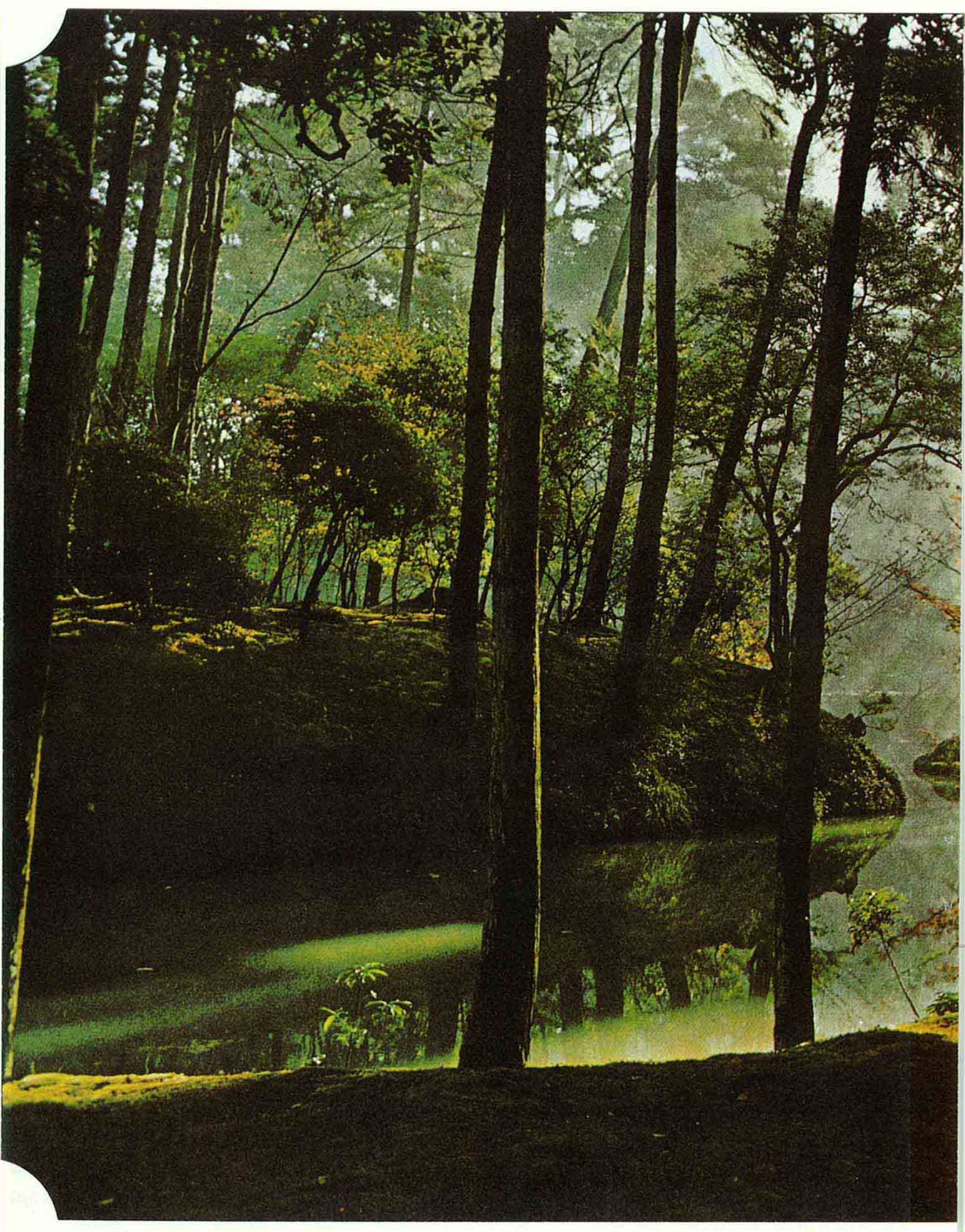
وليس ذلك بالتقليد الحديث ، فتأمل مكان الإنسان في الكون هو بعد أساسي في فلسفة الزن اليابانية التي أثرت بعمق في الضمير الياباني منذ القرن الثالث عشر الميلادي ، هكذا فإن الحدائق كانت بالنسبة للإنسان الياباني صياغات رمزية مصغرة لعالم الطبيعة ، وعمق الطبيعة لم يكن خير سبيل لإبرازه متمثلاً في التماثيل الضخمة والأشجار السابحة في النور وإنما في النباتات دائمة الخضرة والطحالب القائمة والدروب المتربة أو من خلال الصخور السوداء الممتدة على رمال شهباء . وكان الاعتقاد السائد لدى مصممي مثل هذه الحدائق أنها بهذا التصور تستبق جانباً من الغموض ومن الدرس الذي تنقله فلسفة الزن التي أوجز أحد كبار مبدعيها الرد على سؤال حول تعريف الحقيقة بأن أشار في صمت إلى زهرة .

الرقص عبر الأبعاد

يلفت النظر في فن تصميم وتنسيق الحدائق اليابانية ، أن العديد من هذه الحدائق هو في جوهره محاولات لترجمة الرسوم ذات البعدين المنفذة من خلال التصوير بالحبر أو ما يعرف بفن الـ «سوماي» إلى مناظر طبيعية ذات أبعاد ثلاثة . ولعل هذه الحقيقة تزداد وضوحاً إذا ما تذكرنا أنه تقليدياً كان عدد كبير من مصوري السوماي مصممين للحدائق .

هكذا لم يكن عجيباً أن ينفذ هؤلاء المصورون لوحاتهم في الطبيعة فيستخدمون الرمل في الطبيعة بديلاً عن الحرير في الصور ، والصخور القائمة والخضرة بديلاً عن ضربات الفرشاة . وشأن صور السومای ذاتها تميزت هذه الحدائق بالبساطة .

ولعل روح هذا الاتجاه في التصميم قد عبَّر عنها فنان مارس حضوره الفني في القرن السادس عشر الميلادي ، حين خلف لنا وصيته الشهيرة التي يحافظ عليها مصممو الحدائق اليابانية اليوم وتقول : «**إن على المرء أن يحذر من أن يصل به الحرص على أن يكون ما يبدعه مثيراً للاهتمام إلى حد جعل المشاهد الطبيعية تبدو مزدحمة ، فمثل هذا الجهد يسفر عادة عن فقدان الجلال ويجعل العمل يسقط في هاوية الابتذال**» .





★ أداة الغسيل موجودة عبر حوض ماء في (أورا ــ سنكي) ★

★ فن .. وإبداع .. وتناسق مع الطبيعة وأشيائها ★

القلب والروح

تفخر اليابان بصفة خاصة بحدائقها المقامة في **كيوتو** وحولها، ومن أبرز هذه الحدائق **حديقة «سايوجي»** التي تبدو، لأول وهلة، كما لو كانت شريحة بديعة من الطبيعة التي لم تمسها يد بشر. غير أن هذه الحديقة صممت ونفذت بعناية لا نهاية لها.

يبدأ التصميم ببحيرة تضم في رحابها جزيرتين وذلك لتشكيل الحرف الياباني الذي يعني «القلب» أو «الروح»، وهو اصطلاح نابع من فلسفة الزن، يؤكد على عنصر العضوية الذي يعد أمراً مرغوباً فيه بشدة في إطار هذه الفلسفة. وتغرس أشجار **القيقب** لتضفي ألوانها الخريفية الدغل الغارق في الظلال، ويزرع أكثر من ٥٠ نوعاً مختلفاً من أنواع الطحالب لتغطي الأرض بما يوشك أن يكون سجادة من الخز.

من هنا فليس غريباً أن نجد أن هناك أساطير عديدة تزعم أن حديقة «سايوجي» لجمالها الجليل العريق، إنما تعكس عراقة تاريخية طويلة.

حدائق الشاي

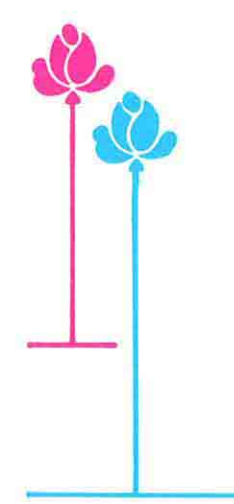
لو أن المرء حاول أن يلقي نظرة على أي موسوعة متخصصة في فنون تصميم وتنفيذ الحدائق والبساتين لوجدها تتحدث دوماً عن ذلك الركن المميز في الحديقة الذي يمكن استخدامه لتناول الطعام أو الشراب، وفي اليابان ومنذ القرنين السادس عشر والخامس عشر من قبله يبدي مصمم الحديقة اليابانية اهتماماً شديداً بما يمكن أن نسميه بالمشهى، أو مكان تناول الشاي.

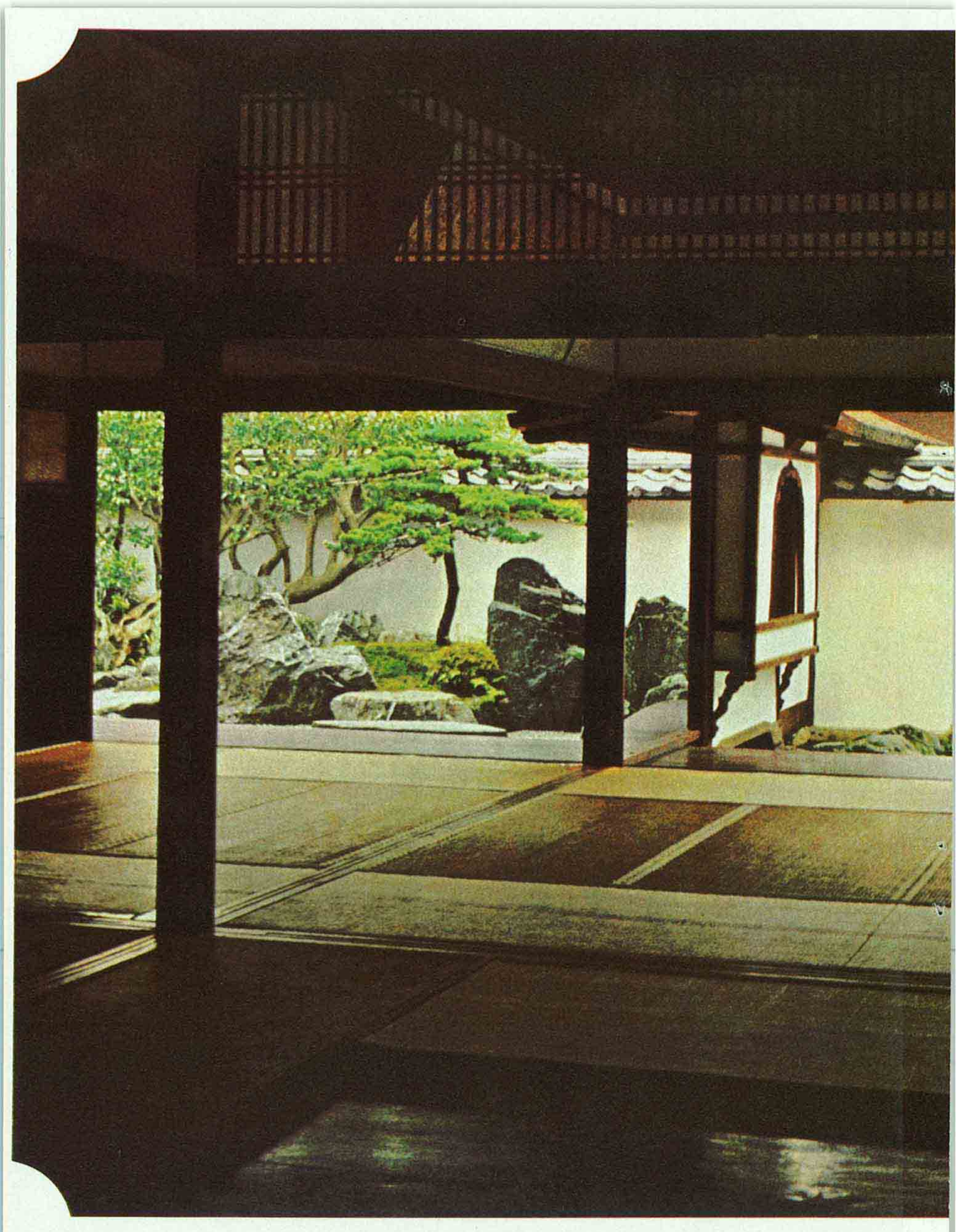
تعرضت اليابان في هذين القرنين للعديد من الحروب الداخلية، وهنا كانت الحديقة ملاذاً وموئلاً يلجأ إلى رحابها الإنسان الياباني، وخلال هذه الفترة تطور فن تقديم الشاي وغزا جانبه الخاص من الحديقة مكتسباً أصولا وقواعد لا بد من مراعاتها.

لم يكن حفل الشاي أصلاً يتجاوز مجرد تجمع عدد محدود من الأصدقاء في دار صغيرة تقام في حديقة معزولة، وكان الغرض منه تناول الشاي ومناقشة عمل فني غالباً ما كان يتمثل في آنية تستخدم في صنع أو تقديم الشاي.

غير أن الأمر تطور بحيث أصبحت حديقة الشاي تصمم وتنفذ بعناية بالغة، فثمة مدخل يفضي إلى حديقة خارجية وعريش أو مأوى صغير يتجمع فيه الضيوف، وبعد وصول القائم بتقديم الشاي يدلف الضيوف إلى حديقة داخلية، وهناك يؤدي العرف التقليدي بغسل الأيدي والأفواه في حوض خاص وذلك قبل الدخول من الباب المنخفض إلى داخل المشهى.

وبرغم زحف ضغوط الحياة العصرية على الحديقة اليابانية فإنها تظل على صمودها ويظل أعظم ما منحته لفن تصميم الحدائق وتنفيذها هو ذلك الإصرار على تحقيق المهمة المستحيلة المتمثلة في العبور إلى أقصى قمم الجمال من خلال أكثر ضروب البساطة إغراقاً في التجريد.







اللوحة : السوق

● اللوحة المعروضة من المرحلة التي خاضها الفنان بعد تصويره المناظر الخلوية .. وفي هذه المرحلة اهتم بتصوير أماكن تجمع الناس كالحدائق ، والمسرح ، والأسواق ... وكانت تلك الموضوعات محببة إلى نفسه ، وكانت محور اهتمامه لتصوير الحياة والتعبير عنها في مرحها وبهجتها .. وفي اختياره لتلك الموضوعات كان متأثراً بواقعية الفنان كوربيه .

● صور في اللوحة المعروضة مشهداً من السوق لنساء يحملن السلال والمظلات وهن يصحبن أطفالهن .. أي أن الموضوع مستمد من الواقع .. عبَّر عنه الفنان بألوان جميلة زاهية معبرة عن الحياة وبهجتها ، حقق من خلالها التوازن اللوني وهارمونية اللون .

● اعتمد على تحليل الأشكال الملونة عن طريق اهتزازات الضوء ، وأضاف ألواناً مضيئة صافية متعددة استمدها من ألوان الطيف .. كما أن خطوطه منغمة ، اهتم بالخط الخارجي في التكوين ككل ليحقق التشكيل من خلال اتباع الكتلة في الفراغ .

● أشكاله مبسطة لم يهتم فيها بإبراز التفاصيل وإنما محور اهتمامه هو سقوط الضوء عليها ، وما يحدثه من تنوع في الألوان .. كما استخدم الألوان الساخنة في معظم أجزاء اللوحة كدليل على توهج الشمس .

● حقق النسيج العضوي في اللوحة من خلال توزيعه للألوان وانتشارها على سطح اللوحة ، وحقق الإيقاع والنغم بها رعونية اللون وهارمونية الخطوط من حيث تنوعها في السُمك واتجاه حركتها .



الفنان : أوجست رينوار

● ولد في ليموج بفرنسا عام ١٨٤١ م .

● كان ابناً لأبوين فقيرين ، وقام تعليمه على اجتهاده الشخصي .

● في سن الثانية عشرة أصبح مصوراً على البورسلين ، وتميز بأسلوب شخصي خاص استمر معه طوال فترة تطوره الفني .

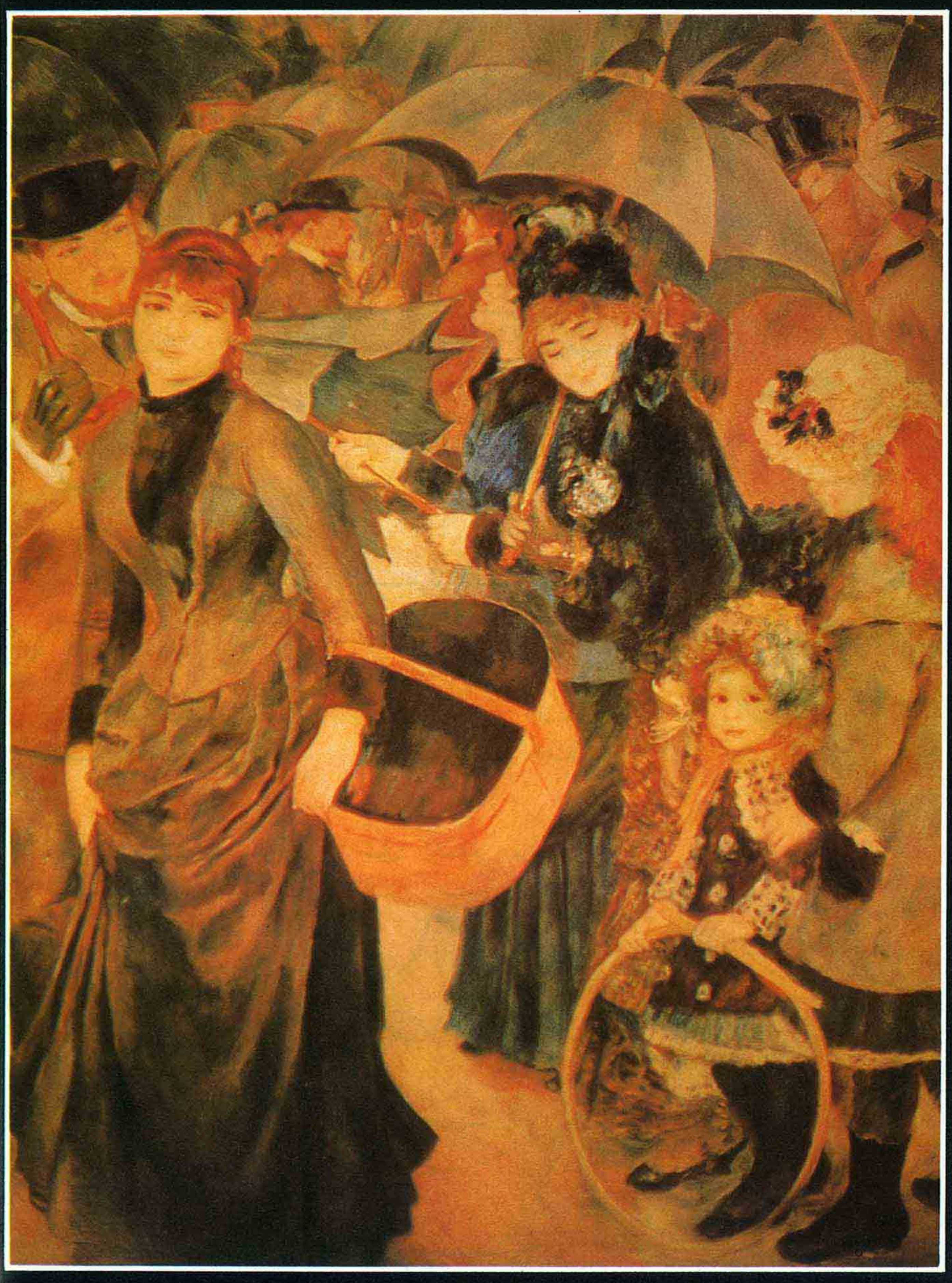
● تعلم الدقة والحذر في الرسم على مواد مختلفة ، وذلك من تجربته في سن مبكرة .

● رسم أكثر الأجسام البشرية حيوية منذ عهد رسامي البندقية ، وذلك من خلال حبه للناس والحياة والطبيعة ، ولذا كانت معظم موضوعاته عن النساء والأطفال والزهور .

● عاش رينوار حياة هادئة منعزلة ، واستطاع أن يعكس حياة عصره وروحه بإخلاص ، وخصوصاً دقائق الحياة اليومية ومرحها وخصائصها .

● يعد رينوار الممثل الأخير للتيار التقليدي في الرسم الذي امتد من روبنز إلى المدرسة التأثيرية ، كما أنه يعتبر من أكثر فناني القرن التاسع عشر حظاً في التقدير المادي ، فقد كانت تباع لوحاته بأغلى الأسعار .





مناجاة نهر!

شعر: د. عبدو مَسّوح

هَلْ أنْتَ مِن دَمْعِ العُيونْ   يا أيُّها النهرُ الحزينْ ؟
تجري .. وتطويكَ المَنونْ   بَيْنَ تضاعيفِ السنينْ

★ ★ ★

كم شاعرٍ قَبْلي أتاكْ   يَسأَلُ عن مَعنى الوجودْ ؟
ماتَ وأفناهُ الهلاكْ   وأنتَ تكراراً تعودْ

★ ★ ★

هُنا .. وفي هذا المكانْ   كم وَشْوشاتٍ من حَبيبْ ؟
رأى بمَغناكَ الأمانْ   فباحَ بالسِّرِّ الرهيبْ

★ ★ ★

هَل تَنْقُلُ الأخبارَ صاحِ ؟   أم أنتَ في صَمْتٍ مُقيمْ ؟
تحكي أحاديثَ الملاحِ   ما جَدَّ منها والقديمْ

★ ★ ★

ماذا وَعَتْ مِنكَ المياهْ ؟   ماذا دَرَتْ تلك الصُّخورْ ؟
هل أدركَتْ سِرَّ الحياةْ   مما رَوى سِفْرُ الدهورْ ؟

★ ★ ★

تسيرُ نحوَ البحرِ رَكْضا   مُلتمساً منه الحنَانْ
فَهَلْ مُحِضْتَ الحُبَّ محْضا   أم أنهُ قاسي الجَنانْ ؟

★ ★ ★

كذاكَ نحنُ سائرونْ   بَيْنَ شقاءٍ ورَجاءْ ؟
نمشي وتحدونا الظنونْ   نحو تباشيرِ اللقاءْ



التحرر الاقتصادي



بين الواقع والهدف

بقلم: د. هشام محروسة

لم تكن اقتصاديات العالم، يوماً ما أشد ترابطاً واعتماداً على بعضها البعض مما هي عليه في الوقت الحاضر، وذلك على الرغم من اتساع الفجوة التي تفصل أغنياء العالم عن فقرائه. فالدول الصناعية التي يبلغ عدد سكانها ٦٨٢ مليون نسمة أي ما يعادل ١٧,٢٪ من مجموع سكان العالم، تنتج ٦٢,٣٪ من مجموع الناتج القومي الإجمالي العالمي (خلال عام ١٩٧٥م) وتوفر دخلاً سنوياً لكل فرد يعادل ثلاثة أمثال ونصف معدل الدخل السنوي للفرد الواحد من سكان العالم. في حين يبلغ عدد سكان فقراء العالم الذين يقيمون في البلدان النامية ٢٠٦٩ مليون نسمة أو ما يعادل ثلاثة أمثال سكان أغنياء العالم وتنتج حوالي ٣٦,٢٪ من مجموع الناتج القومي للدول الصناعية، وتوفر لمواطنيها دخولا سنوية يبلغ معدلها ٤٧٨ دولاراً أو ما يعادل ٨٪ من معدل الدخل السنوي للفرد الواحد من الدول الصناعية خلال سنة ١٩٧٥م.

فالفكرة الأساسية لدى الدول النامية هي ضرورة مشاركتها مشاركة إيجابية كاملة، ومتكافئة في صياغة وتطبيق كل القرارات التي تهم المجتمع الدولي بأسره، باعتبار أن رخاء الدول المتقدمة والدول النامية ما زال يجري في إطار نظام اقتصادي دولي أقيم في عصر لم تكن فيه معظم البلدان النامية قد وجدت بعد كدول مستقلة، وسارت وما زالت تسير في اتجاه استمرار التفاوت فيما بينها بشكل دائم. لذلك ظهرت **فكرة إقامة نظام اقتصادي دولي جديد** كتعبير مركز عن رغبة البلدان النامية في إنجاز واستكمال تحررها الاقتصادي، ليس فقط داخل حدودها الإقليمية وإنما على المستوى الدولي أيضاً.

فالبلدان النامية لم تتوقف عن تكثيف جهودها في هذا الاتجاه، فقد قرر وزراء خارجية **مجموعة دول عدم الانحياز** من قبل في **«إعلان ليما»**، أن الدول الصناعية المتقدمة «قد حاربت التقدم نحو التحرر الاقتصادي للبلدان النامية وأنها مصممة على استمرار الاحتفاظ بموقعها المتميز في العلاقات الاقتصادية الدولية»، وقد تمخض **مؤتمر نيروبي** عن محاولة قد نضجت ظروفها لوضع صياغة أخيرة لنظام اقتصادي دولي جديد، في صورة نسق متفق عليه من القواعد التي تنظم العلاقات الاقتصادية الدولية، ويعلن بحزم رفض الدول النامية للدور الهامشي الذي احتفظ به لها تقسيم دولي للعمل يقوم على عدم التكافؤ في العلاقات الاقتصادية الدولية، ويستند إلى الاستغلال الطويل الأمد من قبل الدول الصناعية العالمية لاقتصاديات البلدان النامية.

ظروف مواتية

انطلقت الدعوة لإقامة نظام اقتصادي دولي جديد في وضع عالمي تتأكد فيه يوماً بعد يوم فرص الانفراج الدولي وإمكانات التعايش السلمي، ويتزايد فيه الدور الذي تلعبه الدول الغربية المتقدمة في العلاقات الاقتصادية الدولية بحيث ارتفعت حصتها من الإنتاج الصناعي العالمي إلى ٤٠٪ عام ١٩٧٤م، مقابل ٢٠٪ في بداية الستينات. في هذا الوضع العالمي تحركت العلاقات الاقتصادية بين البلدان الصناعية والبلدان النامية في إطار فريد من نوعه ـ إطار يشهد من جانب انفجار أزمة التنمية الاقتصادية في البلدان النامية وهي التنمية التي تمت بدرجة أو بأخرى طبقاً لاستراتيجية التنمية التي رسمتها **الأمم المتحدة** فيما يسمى بعقدي التنمية، كما يشهد من جانب آخر انفجار أزمة النظام الصناعي العالمي وتنوع وتعدد مظاهره الشاملة. في هذا الوضع العالمي، وفي هذا الإطار الدولي، تهيأت الظروف بشكل حاسم لبدء عملية انهيار نظام العلاقات الاقتصادية الدولية فيما بين البلدان النامية والبلدان الصناعية انطلاقاً من معركة ناجحة حول سلعة أولية واحدة هي النفط.

انفجار الأزمة

طبقاً لدراسة بالغة الأهمية نشرتها سكرتارية **مؤتمر التجارة والتنمية** في فبراير (شباط) من عام ١٩٧٦م، تحت عنوان **«موضوعات**

التحرر الاقتصادي



التجارة والتنمية في إطار نظام اقتصادي دولي جديد ، فلقد فشلت استراتيجية التنمية التي وضعتها الأمم المتحدة للبلدان النامية فيما سمي **بعقدي التنمية** .

فقد قامت هذه الاستراتيجية على فرضية أساسية هي أن النمو يبدأ من المراكز الصناعية العالمية المتمثلة في البلدان المتقدمة . بعبارة أخرى ، تقول الفرضية إن التحرر الوطني يعني بالضرورة تحرير الاقتصاد الوطني من التبعية الاستعمارية ، وإن الارتباط بالسوق الصناعية العالمية يجب أن يستمر كمصدر للتنمية والرخاء . غير أنه بعد تجربة طويلة استغرقت نحو ربع القرن ، اكتشفت البلدان النامية أن مشاكلها الرئيسية من فقرها الحاد ، والبطالة المزمنة ، والتوظيف الناقص ، وسوء توزيع الدخول ، وسوء التغذية ، وحتى المجاعة فقد ظلت قائمة . وحتى خلال التوسع السريع للبلدان الصناعية المتقدمة في عام ١٩٧٤ م ، فإن الرخاء المتزايد الذي نعمت به لم ينتقل إلى البلدان النامية إلا بمعدل ضعيف جداً وإلى عدد ضئيل منها وعلى نحو بالغ التشويه . ولقد ظلت علاقاتها الدولية تتدهور عاماً بعد عام . وفي عام ١٩٧٥ م ، تدهورت شروط التبادل للبلدان النامية فيما عدا البلدان النفطية تدهوراً حاداً بحوالي ٩٪ بالمقارنة بالعام السابق بعد انخفاض بسيط بلغ ٣٪ فيما بين عامي ١٩٧٣ و ١٩٧٤ م . أما العجز التجاري لهذه المجموعة من الدول ، فقد بلغ ١٢ بليون دولار في عام ١٩٧٣ م ، ثم قفز إلى ١٨ بليون دولار في عام ١٩٧٤ م ، وزاد في عام ١٩٧٥ م ، بمبلغ إضافي قدره ٨ بلايين دولار ومن المؤكد أن ثلثي هذا العجز يرجع إلى سوء شروط التبادل ، أما الثلث الباقي فيعود إلى انهيار حجم الصادرات نتيجة لهبوط الطلب على المواد الأولية من قبل البلدان الصناعية . من هنا ، لم تكن الزيادة الفاحشة في عجز موازين مدفوعات البلدان النامية ، وبالتالي الارتفاع المذهل في مديونيتها الخارجية نتيجة ظروف نوعية خاصة بالبلدان النامية ، ولا هي انعكاساً لسوء الإدارة الاقتصادية من جانبها ، بقدر ما هي ناجمة فعلاً من الخلل الكامن في هيكل العلاقات الاقتصادية الدولية ، وهو ما يعرف بظاهرة **« عدم التكافؤ في التبادل الدولي »** ، ومن ثم ظلت التسهيلات الحالية الدولية عاجزة هي الأخرى عن مساعدة البلدان النامية على مواجهة العجز المضطرد والمزمن في المدفوعات الخارجية ، وفي هذه الظروف تفاقمت ظاهرة عدم التكافؤ بشكل أكثر حدة نتيجة لانفجار الأزمة الاقتصادية الدولية ، مما أدى إلى وضع المزيد من العقبات أمام نمو تجارة البلدان النامية وعرقلة عمليات التنمية والتصنيع فيها .

ومنذ النصف الثاني من عام ١٩٧٤ م ، أصيب العالم الصناعي بأزمة اقتصادية عميقة ، زادت من حدتها أعراض الكساد الاقتصادي من هبوط معدلات نمو الإنتاج الصناعي وارتفاع معدلات البطالة ، مصحوبة بمعدلات مرتفعة في التضخم وانهيار النظام النقدي الدولي بعد أن توقفت المجهودات المبذولة لإصلاحه الشامل ، وبالاختلال الذي لم يسبق له مثيل في المدفوعات الدولية ، وتزعزع الثقة في العملات الصناعية الأساسية ، والخلل الشامل في الآليات النقدية والمالية .

ونظراً لكون أزمة الاقتصاد الصناعي أزمة هيكلية تتخذ صورة الكساد التضخمي ، فإنها قابلة للتصدير مباشرة في خلال التبادل مع البلدان النامية ، وبالذات في صورة ارتفاع مضطرد في أسعار وارداتها من السلع المصنعة في البلدان الصناعية المتقدمة . لكن هذه الأزمة الهيكلية لا تلبث أن تزداد حدة من واقع الأزمة الأخرى النابعة من هيكل الاقتصاد الصناعي نفسه ألا وهي أزمة الطاقة . وهنا تمارس البلدان النامية تأثيراً مباشراً على الاقتصاد الصناعي العالمي ، من خلال نجاحها في معركة تصحيح أسعار تصدير النفط ، وهي المعركة التي صارت تؤكد على حقيقة جوهرية من حقائق العلاقات الاقتصادية الدولية ، وهي أن البلدان الصناعية المتقدمة قد غدت تعتمد بصورة متزايدة على الموارد الطبيعية المتاحة لدى البلدان النامية .

نجاح معركة النفط

وعندما اجتمعت منظمة الدول المنتجة للنفط **« الأوبك »** في نهاية عام ١٩٧٣ م ، وقررت مضاعفة أسعار النفط عدة مرات ، تحول ميزان القوة الاقتصادية لصالح البلدان النامية منتجة المواد الخام والطاقة ، وازدادت وعياً بنفسها من أجل البدء في استراتيجية جديدة للتنمية ، وازدادت وعياً بحاجتها إلى العمل المشترك فيما بينها ، وعادت تكتشف من جديد حقيقتها كحركة عالمية للتحرر الوطني شكلت دولاً مستقلة اقتحمت ساحة العلاقات الاقتصادية وبالتالي كان عليها أن تعيد النظر في استراتيجية التكامل مع البلدان الصناعية وهي الاستراتيجية المفروضة عليها في العلاقات الاقتصادية الدولية .

ولقد ظهرت البلدان النامية على المسرح الدولي كوحدة متماسكة منذ نجاحها في تغيير العلاقات السعرية في السوق الصناعية العالمية لصالحها وذلك ابتداء من معركة النفط ومن قبل ، كان نمو الاقتصاد الصناعي العالمي يقوم

على فرضية ضمنية هي استمرار حصوله على المواد الأولية من البلدان النامية بكميات غير محدودة وبأسعار بخسة . أما الآن فلم يعد ممكناً التسليم باستمرار هذا الوضع ، وبخاصة بالنسبة للنفط . فلقد كان النفط أول مادة أولية تكشف عن هذا الطراز الجديد من الندرة في الاقتصاد الصناعي العالمي . وبالتالي ، فإن المعاملات بين البلدان المنتجة للنفط والبلدان المستهلكة له تزودنا بأول المؤشرات عن طبيعة العلاقات الاقتصادية الدولية الجديدة .

ويوضح **«إيجون كيمينيس»** أنه نظراً لأن وجود النفط محدود في الزمان باعتباره مادة أولية ناضبة فإن السعر لم يعد عاملاً حاسماً في عرضه ، بل أصبح الدور الذي تلعبه عوامل أخرى ، بعضها عوامل غير اقتصادية ، أشد تأثيراً من السعر في تحديد العرض . فالواقع أن ندرة النفط تزداد مع كل برميل يستخرج منه .

من هنا ، لم تعد تعمل بالنسبة للنفط قوى السوق التقليدية وآلية الأسعار المعروفة وحتى من قبل لم تكن تعمل بيد الاحتكارات العالمية للنفط . غير أنها اليوم لم تعد تعمل ، حتى وهي بأيدي البلدان النامية كلياً أو جزئياً . في هذه الظروف ، وما دامت الدول الكبرى قد فقدت حكمها الاستعماري الصريح على أراضي البلدان النامية ، وما دام نفوذها الاستعماري الجديد على اقتصادها يتضاءل ، فإنها تسعى إلى أن تضع أيديها على الدخول الزائدة المستمدة من الأسعار الجديدة في شكل فوائض مالية ، وفي هذه الصورة تدور حالياً المعركة على النفط.

معركة المواد الخام

من هنا تأتي الأهمية التاريخية لمعركة النفط ، غير أن المعركة التي بدأت بالنفط لم تلبث أن امتدت بطبيعة الحال لتشمل سائر المواد الخام ، وتكون بذلك أساساً لسعي البلدان النامية لإقامة نظام اقتصادي دولي جديد يعتمد على علاقات متكافئة في التعامل الدولي . **فالمشكلة الآن هي مشكلة كل المواد الخام . وبعبارة أخرى ، فنحن الآن بصدد أزمة تتمثل كما يقول أندريا سيان في عجز موارد الخامات وارتفاع أسعارها ، وليس في مجرد إعادة تنظيم إنتاجها والتغير في علاقات الأسعار بين المواد الخام والمواد المصنعة** . ولسوف تكتسب هذه الأزمة طابعاً عميقاً طويل الأمد . فعلى الرغم من كل تقلبات شروط التبادل ، وعلى الرغم من ازدياد تصنيع المواد الخام أكثر فأكثر في البلاد المنتجة لها ، وعلى الرغم من تزايد نسبة المنتجات النهائية ونصف المصنوعة في التجارة العالمية ، فإن نسبة المواد الخام في التجارة العالمية قد ارتفعت من ٣٥٪ إلى ٥٠٪ . لهذا تعتبر أزمة المواد الخام ذات تأثير حاسم على اقتصاد البلدان الصناعية المتقدمة ، بما في ذلك التناقض بين الدول الاستعمارية والدول النامية والتناقض داخل مجموعة الدول الاستعمارية نفسها .

على الجانب الآخر ، وعلى الرغم من الاختلافات الجوهرية الكامنة داخل مجموعة البلدان النامية ، وترجع في أغلبها لأوضاع التخلف التاريخية التي ضاعف من تأثيرها السلبي أوضاع معاصرة من جفاف ومجاعة وهبوط أسعار كثير من المواد الخام مع ارتفاع أسعار كثير من السلع المصنعة إلا أنه **يجب الاعتراف بأن أزمة المواد الخام وبخاصة الطاقة قد دفعت للأمام أشكالا جديدة من العلاقات الاقتصادية فيما بين البلدان النامية نفسها** . فالدول المنتجة للنفط التي استطاعت بتضامنها وتماسكها – ومساندة معظم الشعوب لها – أن تغير من العلاقات السعرية في سوق النفط ، قد أتيح لها لأول مرة أيضاً بوصفها مجموعة من البلدان النامية أن تسيطر بدورها على جزء كبير من الموارد المالية ، يتيح لها فرصة نادرة لتطوير استراتيجية التنمية الاقتصادية ليس فقط محلياً وإنما على أساس التعاون الإقليمي والجماعي ، وأصبح في مقدور دول الأوبك أن تقدم القروض والمعونة للبلدان النامية المستوردة للنفط ، وغدت ظاهرة تصدير رأس المال من البلدان النامية ولها مع ذلك جوانب سلبية خطيرة في ارتباطها بالسوق الصناعية العالمية غدت قوة اقتصادية إضافية موضوعة تحت تصرف البلدان النامية نفسها .

المهم هو أن المعركة التي بدأت بالنفط قد انتهت بأن شملت المواد الخام كلها في ذاتها وليس فقط في علاقتها بالسلع المصنعة ، ومن ثم فتح الباب أمام إعادة النظر الشاملة في نمط العلاقات الاقتصادية الدولية ، في ظروف تجمع في آن واحد بين انفجار أزمة الأسلوب الصناعي للتنمية وانفجار أزمة الاقتصاد الصناعي في البلدان المتقدمة .

من هنا ، تقف البلدان النامية الآن في ظروف أكثر مواتية على عتبة مرحلة جديدة من النضال للقضاء على بقايا النظام الاستعماري العالمي . وفي هذا الإطار بالتحديد طرحت وتطرح الدعوة لإقامة نظام اقتصادي دولي جديد .

النظام الاقتصادي الدولي الجديد

لا تنشغل الدعوة لإقامة نظام اقتصادي

التحرر الاقتصادي



دولي جديد بالقضايا النظرية الخاصة بالتقسيم الدولي وتخصيص الإنتاج بين الدول ، ولكنها تتوجه للعمل الناشئ نظرياً عن توزيع الموارد مباشرة لمعالجة المظاهر الواضحة الخلل في العلاقات الاقتصادية بين البلدان الصناعية والبلدان النامية ، باعتبارها مظاهر صارخة لعدم التكافؤ في الاقتصاد الدولي ، بل تتوجه الدعوة لتوفير حلول وصيغ عملية ، يتوقف نجاحها إلى درجة كبيرة على توفر الرغبة لدى الدول الصناعية نفسها في حل المشاكل الحالية . ومن هنا تتشكل صورة النظام الاقتصادي الدولي الجديد من مجموعة من الحلول العملية الدولية التي تفترض في أغلبها قبول الدول الصناعية لها .

حلول عملية دولية

لكن هذه الحلول تبدأ جميعها من واقع معين دلت عليه تجربة ما بعد **الحرب العالمية الثانية** التي تتلخص في حقيقة فشل قواعد اللعبة في التجارة الدولية ، هذه القواعد التي أقامتها **الاتفاقية العامة للتجارة والتعريفة الجمركية** . فلقد قامت هذه الاتفاقية من أجل توسيع التبادل الدولي على مبدأين لا غنى عنهما هما عدم التمييز في التجارة الدولية ، وشرط الأمة الأولى بالرعاية . ومن خلال التجربة ، ثبت أن المبدأين لا يناسبان عصرنا الذي تحكمه الاحتكارات الدولية المتعددة الجنسية ، بما يتوفر لديها من أموال وموارد طبيعية وبشرية وكفاءة تكنولوجية وتسويقية ، ومن ثم لم تعد السوق العالمية محكومة بالعمل الحر لقوى السوق ، هذه القوى التي صارت تعمل أمام الجميع لصالح الاحتكارات متعددة الجنسية وبالتالي صار من الضروري التخلي عن فكرة احترام قوانين السوق والتوصل إلى قواعد سلوك واقعية تعتمد عليها السوق ، بحيث تحكم تيارات التجارة الدولية وتنظم العلاقات الاقتصادية بين البلدان الصناعية والبلدان النامية ، فهذه العلاقات بالذات وليس سواها هي موضوع المساعي الدولية الحالية .

استراتيجية جديدة للتنمية

ومهما تكن أهمية الحلول العملية التي ترمي إليها المساعي لإقامة نظام اقتصادي دولي جديد فإنها تبدأ من التسليم الضمني أو الصريح بحقيقة جوهرية هي ضرورة أن تكون هناك تنمية اقتصادية سليمة ، وذلك على ضوء الفشل الذي منيت به تجارب التنمية السابقة التي حرصت ليس فقط على بقاء الاقتصاد النامي في إطار السوق الصناعية العالمية وإنما قبلت أيضاً بصورة من التبعية الاقتصادية وَلّى زمنها ، وأي استراتيجية جديدة للتنمية يجب أن تبدأ بتحديد أهدافها المباشرة في الوفاء بالحاجات الأساسية للشعوب من الغذاء والمسكن والملبس والصحة . ويترتب على هذا التسليم بمبدأ دولية الحياة الاقتصادية نتائج خطيرة :

● **أولها** : الاعتراف بحتمية السعي نحو التوازن الدولي في ممارسة القوة الاقتصادية ، وذلك بأن يكون للبلدان النامية صوت ووزن أكبر في صنع القرارات التي تهم الأسرة الدولية ، مما يعتبر اعترافاً بحتمية الديمقراطية الدولية .

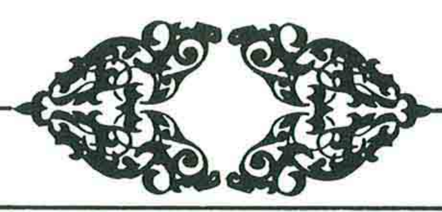
● **ثانيها** : الاعتراف بحتمية التنظيم الدولي لتبادل المواد الأولية ، على أساس أن أي نظام صالح للبقاء لعلاقات اقتصادية دولية ينبغي أن ينطوي على حل حقيقي لمشكلة المواد الأولية ، أسعارها وأسواقها . وابتداء من مثل هذا الحل ، يمكن إعادة النظر في التوزيع الدولي الراهن وتوفير إمكانات تصنيع البلدان النامية .

● **ثالثها** : الاعتراف بحتمية السيطرة الدولية ناهيك عن السيطرة الوطنية على عناصر القوة والتقدم الجديدة في الساحة الدولية وفي مقدمتها منجزات العلم والتكنولوجيا ومن ثم الاعتراف بالحاجة إلى رقابة مضطردة تدخل نوعاً من التنظيم الواعي في الحياة الاقتصادية الدولية وتكفل بصفة خاصة أشكالا دولية لنقل الموارد والتكنولوجيا إلى البلدان النامية .

النظام الاقتصادي الدولي الجديد

هكذا إذن ، وفي ظروف دولية مواتية ، وبخاصة في ظروف انفجار أزمة التنمية الصناعية في البلدان النامية والأزمة الاقتصادية في البلدان الصناعية ، تجري المساعي المشتركة من أجل إقامة نظام اقتصادي دولي جديد ، على أساس من الاعتراف بدولية الحياة الاقتصادية داخل السوق الصناعية العالمية على الرغم من التناقضات الرئيسية التي تفصل بين قطاعها المتقدم والمتخلف . فماذا تكون حقيقة هذا النظام الاقتصادي الدولي الجديد الذي تساهم في تشييده البلدان النامية ؟

للإجابة على هذا السؤال يجب أن نتقدم بسؤال آخر له الأولوية من حيث منطق الأشياء وهو : **هل هناك جديد فيما يطرح اليوم علينا تحت اسم النظام الاقتصادي الدولي الجديد ؟** عندئذ ، وعندما يثبت وجود هذا الجديد ، نستطيع أن نتساءل عن حقيقة هذا الجديد .



مصادر التحدي في القرآن

بقلم: نذير حمدان

تتدفق ينابيع التحدي القرآني من مصادر عديدة، تتلاقى جميعها في مصدر واحد مصدرها الأول حيناً، وتتفرع في روافد متشعبة أحياناً أخرى، وإن مناعة القرآن البنائية والمعنوية الذاتية لا تعجز عن صد التحديات الوضعية المستعلية وحسب وإنما تجدد معطياتها الخيّرة للحياة الإنسانية. وبينما تنضب مفاهيم الحق والخير في عطاءات الإنسان وتنال منها التحديات الأخرى، فإن قيم القرآن الخالدة ومبادئه الدائمة، تغني حاجات الإنسان المادية والمعنوية وترتفع به إلى أحقيته بالخلافة في الأرض.

ومن ينابيع التحديات القرآنية ما يلي:

● **أولاً: اختصاص الله بإيحائه إلى رسوله:** وهذه قضية تقتضي أن يصف الله نفسه بصفات لم يعرف أنه وصف بها ذاته مجتمعة في قضية أخرى، وتحدث الله عن نفسه بأمور تتعلق بالإعجاز لم يسبق أن تحدث بها في موضوع آخر، وكل صفة تتناسب مع التحدي الإلهي، وكل أمر يليق بالإفحام ينسجم مع المغالبة، فقد وصف الله نفسه في آيات التحدي بأنه الحكيم، الخبير، العزيز، الحميد. خالق السموات والأرض، رب العالمين. وأية صفة منها تكفي أن تمنح الذهن إلهامات متزايدة لقضية التحدي القرآني.

فآيات القرآن «محكمة في لفظها مفصلة في معناها فهو كامل صورة ومعنى»[١]، **﴿ كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ﴾**[٢]، والوحي القرآني لا تستطيفه الشياطين الذين يوسوسون إلى بعض الناس زخرف القول غروراً **﴿ وما تنزلت به الشياطين. وما ينبغي لهم وما يستطيعون ﴾**[٣]، بل إنه قول كريم وليس بقول شاعر ولا بقول كاهن ولا بقول ساحر فهو **﴿ تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ﴾**[٤]. وهي «قضية مقطوع بها لا سبيل إلى الشك فيها.. وإن هذه الظاهرة لتزداد وضوحاً كلما اتسعت ثقافة الإنسان ومعرفته بهذا الكون وما فيه ومن فيه، فليست هي مجرد وهلة تأثرية وجدانية غامضة. إنها متحققة حين يخاطب القرآن الفطرة خطاباً مباشراً، وهي متحققة كذلك حين يخاطب القلب المجرب والعقل المثقف والذهن الحافل بالعلم والمعلومات، وإن نصوصه ليتسع مدى مدلولاتها ومفهوماتها وإيقاعاتها على السواء كلما ارتفعت درجة العلم والثقافة والمعرفة ما دامت الفطرة مستقيمة لم تنحرف ولم تطمس عليها الأهواء مما يجزم بأن هذا القرآن كلام غير بشري على وجه التعيين بل «تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين»[٥].

والله خالق السموات والأرض قد أنزل القرآن من لدنه **﴿ تنزيلاً ممن خلق الأرض والسموات العلى ﴾**[٦]. وإذا كانت شكوك نزول القرآن تداعب أفكار الجاهليين قديماً وحديثاً فإن الله أزال هذه الشكوك بآيات كثيرة تتضمن بطلانها من حيث اللفظ والمعنى معاً، فمنها **﴿ إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً ﴾**[٧] «تأكيداً على تأكيد لمعنى الاختصاص بالتنزيل ليتقرر في نفس **الرسول صلى الله عليه وسلم** أنه إذا كان هو المنزل لم يكن تنزيله على أي وجه إلا حكمة وصواباً»[٨]، إذ كيف يجرؤ مارق من الإسلام أن ينكر تلقي رسول الله وحي الله وهو القائل **﴿ وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم خبير ﴾**[٩]، فهو «من عند حكيم عليم، حكيم في أمره ونهيه، عليم بالأمور جليلها وحقيرها، فخبره هو الصدق المحض، وحكمه هو العدل التام كما قال تعالى **﴿ وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً ﴾**[١٠] ولا ريب أن هذا التلقي نعمة عظمى أنعمها الله على أهل الأرض إذ أخرجهم به من الظلمات إلى النور حيث جعله آيات لا اعوجاج فيها ولا زيغ في اتباعها بل يهدي بها الله إلى صراط مستقيم واضحاً بيناً جلياً...»[١١].

وهكذا **فإن ما وصف الله به ذاته في قضية تنزيل القرآن وتحدياته لما يوحي بأن هذه التحديات تنبثق من دلالات كثيرة ومتكررة، وفي طليعتها رحمة الله الواسعة**، فالقرآن **﴿ تنزيل من الرحمن الرحيم ﴾**[١٢]. وذكر الرحمن الرحيم عند ذكر تنزيل الكتاب يشير إلى الصفة اللازمة والغالبة في هذا التنزيل «وما من شك أن تنزيل هذا الكتاب جاء رحمة للعالمين، رحمة لمن آمنوا به واتبعوه، ورحمة كذلك لغيرهم لا من الناس وحدهم ولكن للأحياء جميعاً، فقد سن منهجاً ورسم خطة تقوم على الخير للجميع، وأثر في حياة البشرية وتصوراتها ومدركاتها وخط سيرها، ولم يقتصر في هذا على المؤمنين به إنما كان تأثيره عالمياً ومطرداً منذ أن جاء إلى العالمين»[١٣].

● **ثانياً: عربية القرآن المتميزة ولسانه المتفرد:** فقد وصفه الله بأنه **﴿ أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ﴾**[١٤] فهو متصف بالإبانة والتفصيل والحكم والقول الفصل والقوامة والاستقامة... إلى جانب أنه من لفظ عربي مبين. وقلما تجد نسبة القرآن للعربية من غير أن يوصف بالإبانة أو القوامة أو أية صفة أخرى تميزه عن سائر الخطاب والبيان الإنسانيين. وقد أوضح هذا **رسول الله صلى الله عليه وسلم** حين سأل أصحابه عن سحابة في يوم دجن، كيف ترون بواسقها؟ قالوا: ما أحسنها وأشد تراكمها، قال: كيف ترون قواعدها؟ قالوا: ما أحسنها وأشد تمكنها، قال: كيف ترون جوفها؟ قالوا: ما أحسنه وأشد سواده، قال: كيف ترون رحاها استدارت؟ قالوا: نعم، ما أحسنها وأشد استدارتها، قال: كيف ترون برقها؟ أخفياً أم وميضاً أم يشق شقاً؟ قالوا: بل يشق شقاً، فقال: الحياة، فقال رجل: يا رسول الله. ما أفصحك! ما رأينا الذي هو أعرب منك، قال: حق لي فإنما **أنزل القرآن عليّ بلسان عربي مبين**[١٥].

أ ـ **ولسان الرسول العربي قد يسر الله أن يكون القرآن بلسانه أيضاً**، وذلك ليذكرهم بأمورهم الدينية والدنيوية **﴿ فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون ﴾**[١٦]، وليقوم الرسول بوظيفة الرسالة خير قيام وليبشر وينذر **﴿ فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لداً ﴾**[١٧]، فهو اللسان العربي الذي اختاره وسيلة للدعوة إلى الله **﴿ وهذا كتاب مصدق لساناً عربياً لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين ﴾**[١٨]، وهذا اللسان لم يتعلمه الرسول من نصراني أعجمي كما افتراه عليه بعض المفترين **﴿ ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلّمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين ﴾**[١٩].

ب ـ **وآيات القرآن المفصلة عربية البيان: ﴿ كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون ﴾**[٢٠]. «لأنه بفصاحته وبلاغته ووجازته وحلاوته واشتماله على المعاني العزيزة الغزيرة النافعة في الدنيا والآخرة لا يكون إلا من عند الله الذي لا يشبهه شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله وأقواله، فكلامه لا يشبه كلام المخلوقين...»[٢١]، والله أنزله بالعربية لأنها أبين في الأمور الذهنية والقضايا العقلية **﴿ إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون ﴾**[٢٢]. لأن الأمور الذهنية تحتاج إلى إبانة، والقضايا العقلية تفتقر إلى التوضيح هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن اللغة تعبير عن العقل ومظهر للفكر، والعربية أقدر على التعبير والتوضيح **﴿ إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون ﴾**[٢٣]. والقرآن هو الحكم الفصل بين الحق والباطل والنافع والضار والخير والشر **﴿ وكذلك أنزلناه حكماً عربياً ﴾**[٢٤]. إذاً لمن العجيب أن يعرض عنه العرب ويتأبون عن اتباعه فهو شرفهم وسمتهم وذكرهم **﴿ وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكراً ﴾**[٢٥]، وهكذا فهو كتاب «أحكمت آياته فجاءت قوية البناء دقيقة الدلالة، كل كلمة فيها وكل عبارة مقصودة، وكل معنى فيه وكل توجيه مطلوب، وكل إيماءة وكل إشارة ذات هدف معلوم متناسقة لا اختلاف ولا تضارب ومنسقة ذات نظام واحد، ثم فصلت، فهي مقسمة وفق أغراضها، مبوبة وفق موضوعاتها وكل منها له حيّز بمقدار ما يقتضيه...»[٢٦].

وعلم اللغات المقارن قرر وضوح العربية على غيرها وقدرتها على الإبانة بمفرداتها ومترادفها وأساليبها الغنية التي لا يحصل الباحث على مثلها في مثيلاتها من اللغات العالمية، وكذلك قدرتها على احتواء غيرها من اللغات العالمية المجاورة في بدء اجتياحها كالفارسية والرومانية.. برهان على أولويتها في التعبير وغناها في المعاني والمباني، أما مواجهتها للتحديات اللغوية الحديثة وصمودها أمام هذه التحديات فهو برهان آخر على أن بناء العربية المرن خالد بخلود القرآن وباق ببقاء آياته الكريمة.

وقديماً أبطل الله تعللات يمكن أن تحصل لو لم يكن القرآن في قمة البلاغة العربية وفصاحتها **﴿ ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي ﴾**...[٢٧] «فأخبر أنه لو كان أعجمياً لكانوا يحتجون في رده، إما بأن ذلك خارج عن عرف خطابهم، أو كانوا يعتذرون بذهابهم عن معرفة معناه، وبأنهم لا يبين لهم وجه الإعجاز فيه لأنه ليس من شأنهم ولا من لسانهم، أو بغير ذلك من الأمور، وأنه إذا تحداهم إلى ما هو من لسانهم وشأنهم فعجزوا عنه وجبت الحجة عليهم به»[٢٨].

والتفصيل المحكم خاصة من خصائص القرآن العربي، **فهو مفصل** «وفق الأغراض والأهداف، ووفق أنواع الطبائع والعقول، ووفق البيئات والعصور، ووفق الحالات النفسية وحاجاتها المتنوعة... التفصيل المحكم وفق هذه الاعتبارات سمة واضحة في هذا الكتاب، وقد فصلت هذه الآيات وفق تلك الاعتبارات، فصلت قرآناً عربياً لقوم يعلمون»[٢٩].

● **ثالثاً: تبيان القرآن وإعجازه:**

أ ـ فليس المقصود من التبيان صفة بلاغية أو سمة تتصل ببيان

القرآن بصورة خاصة ولكن المقصود منه شمول القرآن للجوانب الإلهية والبشرية والمعاشية والأخروية ، فالقرآن هو تبيان لكل شيء ، فهو مبين لأحقية الإيمان وقضايا الإنسان وحقائق الكون ونظام الحياة ومصائر البشرية ، وهو مبين انحرافات العقائد القديمة سماوية أو أرضية ، ومبين الحلال من الحرام ، والحق من الباطل ، والعلم ، والتشريع من الأعراف ، وكما كانت صفة الإبانة إحدى سمات القرآن بلاغة وأسلوباً فإنها مزية القرآن شمولا وتفصيلاً ، فهو محكم التنزيل مفصل الآيات مبين الأحوال **﴿ ونزلنا عليك القرآن تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة ﴾**[٣٠] .

وهكذا فإن التفصيل وجه من وجوه البيان والشمول معاً وقد كان وما يزال السمة البارزة في القرآن . إذ ليس ذلك تفصيل الأحكام والآيات وحسب ولكنه تفصيل عام شامل في كل منحى من مناحي الحياة الدنيا والآخرة **﴿ تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء ﴾**[٣١] .

« وقد فهم المسلمون من هاتين الآيتين ومن أمثالهما وما في معناهما من سنة **رسول الله صلى الله عليه وسلم** ، صراحة أو استنباطاً ، مجموع أحكام الله هذه هي الإسلام ، والمسلم هو الذي استسلم لأحكام الله كلها **﴿ ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله ﴾**[٣٢] .. فهو يشمل عليه من قضايا الاجتماع والأخلاق والسياسية والسلم والحرب والثقافة والعلم وغيرها »[٣٣] .

ولقد أوحى الله إلى رسوله بالآيات الواضحات الموضحات التي لا تدع مجالا للغموض والتأويل والانحراف عن منهجه القويم **﴿ لقد أنزلنا آيات مبيّنات ﴾**[٣٤] ، وآيات القرآن لا تكتفي أن توجه الإنسان إلى الخير والهداية ولكنها تبيّن له هذه الهداية وتوضح له جوانب الخير بياناً شافياً ليكون الفرقان بين الحق والباطل آية ظاهرة للبيان **﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبيّنات من الهدى والفرقان ﴾**[٣٥] .

والقرآن برهان الربوبية والنبوة معاً .. ونور الله وحكمه الذي يضيء به حياة الإنسان ويعالج بحكمه أمور الحياة **﴿ يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً ﴾**[٣٦] ، فهو دعوة إلى الناس عامة أن يتحملوا القرآن مبنى ومضموناً ، لأنه المنهاج الرباني الذي يجلي في أضوائه الكاشفة حقائق النفس وحقائق الكون ، ولأنه البرهان الإلهي الذي يشع فيه النور المبين ، وكفى به وصفاً من الله أنه نور مبين .

وهذه القضية قد تكررت في آيات الله حسبما يقتضيه منهاج القرآن التربوي ، أوليست هداية الإنسان إلى خير السبل تستدعي أن يكشف الله الحقائق للناس بنوره المبين ؟ ألم يُبين القرآن كمال الإسلام وشمول الرسالة وإتمام المنهاج الإسلامي من غير لبس ولا تردد فيما بينه من أمور وأحكام ؟

﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾[٣٧] ، ولم لا يهتدي الإنسان إلى سبل السلام وأمامه آيات بينات تأخذ بيده إلى صراط مستقيم ؟ **﴿ لقد أنزلنا آيات مبينات والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾**[٣٨] . فهي « مبينة تجلو نور الله وتكشف عن ينابيع هداه وتحدد الخير والشر والطيب والخبيث وتبين منهج الإسلام والحياة كاملاً دقيقاً لا لبس فيه ولا غموض .. تحدد أحكام الله في الأرض فلا شبهة ولا إبهام فإذا تحاكم الناس إليها فإنما يتحاكمون إلى شريعة واضحة مضبوطة لا يخشى منها صاحب حق على حقه ولا يلتبس منها حق بباطل »[٣٩] .

ب ــ والقرآن إلى جانب سمة التبيان فيه **هو كلام الله المعجز وبيانه المفحم** ، ويمكن أن يعد التبيان وجهاً من وجوه الإعجاز القرآني ، أو سبباً من أسبابه ، كما يمكن أن يعد التبيان والإعجاز وغيرهما خصائص جوهرية وصفات مميزة له وأضواء كاشفة مبينة للهداية وللخير اللذين هما محور القرآن الكريم ، وقد أظهر العلماء بعض وجوه الإعجاز اللفظية والمعنوية والعلمية والاجتماعية والتربوية والبنائية ، ويظهر أنه كلما تحسنت وسائل البحث الإنساني وتوسعت آفاقه استطاع أن يكشف وجوهاً جديدة معجزة ، كما استطاع أن يدرك حقيقة التحدي وأهميته على مدى القرون والأجيال وفي مستويات البحوث الجادة والمكتشفات العلمية ومؤسساتها ، قال **ابن مسعود رضي الله عنه** في وصف القرآن : لا يتفه ولا يتشان[٤٠] . وهما خاصتان أدركهما ابن مسعود بحسه العربي الإسلامي أن القرآن لا تبلى غرائبه ولا تفنى عجائبه ولا تنتهي إعجازاته ، قال الرازي : فلا يصير حقيراً ولا يخلق على كثرة الرد ، وكان ابن مسعود إذا تلا شيئاً من سور (**آل حم**) فإنه يرى نفسه في ردهات من الفكر والعاطفة وجنات من الآداب والعلوم ومراتع من الخشوع والعبرة مما يدفعه إلى تكرار القول : إذا وقعت في (آل حم) وقعت في روضات دمثات أتأنق فيهن[٤١] . وقد نوه **الجاحظ** بإعجاز القرآن في سورة واحدة منه مع بقاء التحدي مستمراً للعرب فقال في كتاب النبوة : ولو أن رجلاً قرأ على رجل من خطبائهم وبلغائهم سورة واحدة لتبين له في نظامها ومخرجها من لفظها وطابعها أنه عاجز عن مثلها ، ولو تحدى بها أبلغ العرب لأظهر عجزه عنها لغاً ولفظاً[٤٢] ، وقد كشف (**الباقلاني**) وجوهاً للإعجاز البياني من طول النفس وإبانة الجملة وشمول الإعجاز جميع معاني القرآن ، وتماثله في آيات القرآن وسوره قصيرها وطويلها يقول : إنه بديع النظم عجيب التأليف متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه والذي أطلقه العلماء هو على هذه الجملة .. وقد تأملنا نظم الكلام فوجدنا جميع ما يتصرف فيه من الوجوه التي قدمنا ذكرها على حد واحد ، في حسن النظم وبديع التأليف والرصف لا تفاوت فيه ولا انحطاط عن المنزلة العليا ولا إسفاف فيه إلى المرتبة الدنيا ، وكذلك تأملنا ما يتصرف إليه وجوه الخطاب من الآيات الطويلة والقصيرة فرأينا الإعجاز على حد واحد لا يختلف[٤٣] ، ويقول في آخر كتابه[٤٤] : **والقرآن كتاب دل على صدق متحمله ، ورسالة دلت على صحة قول المرسل إليه وبرهان شهد له برهان الأنبياء المتقدمين ، وبينة على طريقة من سلف من الأولين ، حيرهم فيه إذ كان من جنس القول الذي زعموا أنهم أدركوا فيه النهاية وبلغوا فيه الغاية فعرفوا فيه عجزهم .. ثم كانت هذه المعجزة مما يقف**

عليها الأول والآخر وقوفاً واحداً ويبق حكمه إلى يوم القيامة .

إن التحير والانبهار قد أخذ بمجامع تفكير علماء المسلمين وقوى تعبيرهم ، قال **أبو حيان التوحيدي** في (البصائر) : لم أسمع كلاماً ألصق بالقلب وأعلق بالنفس من فصل تكلم به (**بندار بن الحسين الفارسي**) حين سئل عن موضع الإعجاز من القرآن فقال : هذه مسألة فيها حيف على المعنى ، وذلك أنه شبيه بقولك : ما موضع الإنسان من الإنسان ؟ فليس للإنسان موضع من الإنسان بل متى أشرت إلى جملته فقد حققته ودللت على ذاته ، وكذلك القرآن لشرفه لا يشار إلى شيء منه إلا وكان ذلك المعنى آية في نفسه أو معجزة لمحاوله وهدى لقائله ، وليس في طاقة البشر الإحاطة بأغراض الله في كلامه وأسراره في كتابه ، فلذلك حارت العقول وتاهت البصائر عنده[٤٥] .

وهكذا تتابع العلماء والبلاغيون في كشف وجوه مستجدة من الإعجاز مدركين أن القرآن لا بد أن يستوعبها ويستوعب وجوهاً مستحدثة أو يمكن استحداثها كلما تحسنت وسائل التفكير والبحث . وكانت المدرسة العقلية أكثر المدارس حماسة لإبراز الإعجاز العقلي والتشريعي والعلمي والاجتماعي ، حتى إن نشاط العلماء لم يتوقف عند حد بل صاروا يجمعون فروع هذه القضية وشتاتها ويضيفون إليها من عمق دراساتهم الأدبية ، ومن ثم الدراسات العددية والبنائية التي تدفع الأجيال القادمة لأن تتخذ إعجاز القرآن في مقدمة الدراسات القرآنية[٤٦] .

● رابعاً : حفظ القرآن :

أ ـ فقد طلب الله من اليهود حفظ كتابهم فاشتروا ببعض آياته ثمناً قليلاً ، ودعا جموع الأحبار والربانيين أن يتخذوا موقف المحافظة عليه والحكم بتشريعه فإذا بهم تقودهم أطماعهم وشهواتهم إلى التحريف والتزييف ﴿ **إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** ﴾[٤١] ، والمصدر الأصلي للتوراة لم يكن بين أيديهم فقد ضاع كما ضاع قبله (الزبور) وأصبح الخلف يزينون لأنفسهم الاعتماد على نسخ موهومة وجدت في بيت المقدس فيما بعد ، أوحى بها على حد زعمهم الخاطئ إلى مغمورين من بني إسرائيل . ولقد شهد عصر النبوة ومتنزل القرآن أمثلة من انحرافاتهم وصوراً من بيعهم أحكام الله بعرض من الدنيا قليل .

ب ـ **اكتتب الحواريون ومن بعدهم نسخاً متعددة ومختلفة من الإنجيل** وتفرقوا في الأرض يدعو كل منهم إلى إنجيله على أنه وحي من الله ، فإذا بالإنجيل الواحد يختلف إلى أناجيل معروفة الأسماء متعددة التصانيف مختلفة في كثير من الفروع والأصول ﴿ **فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة** ﴾[٤٨] ، ومن المعروف أن كثيراً من علماء الاجتماع والمفكرين المنصفين والباحثين المعتدلين في علم الأديان المقارن اعترضوا على معظم **الأصول الإنجليزية** ورفضوا أن يعدوا أي نص منها يمكن أن يرقى إلى الدرجة الظنية بل القطعية من القبول والتمسوا مصدراً صحيحاً ، وسليماً من التحريف والتبديل فلم يهتدوا إليه فأنكروا دينهم ، وتنكروا لطقوسهم ، ومن ثم تعرفوا على القرآن فآمنوا به بعد دراسة ونقد وبحث[٤٩] .

ج ـ **حفظ الله كتابه في عالمين** : عالم السماء ، وهو أمر مشترك بين القرآن وغيره وإن كانت آياته لا تصرح بحفظ غيره ، فقد صان الله كلامه القرآني في اللوح المحفوظ فلا تستطيع الشياطين تناوله ﴿ **بل هو قرآن مجيد . في لوح محفوظ** ﴾[٥٠] ، لأنه قرآن كريم على الله لا بد أن تحيطه العناية الإلهية بالصون والحفظ ﴿ ... **إنه لقرآن كريم . في كتاب مكنون** ﴾[٥١] .

وحفظ الله قرآنه في الأرض أيضاً لأنه منهاج لأهلها وطريق لهم إلى الخير والسعادة ، حفظه من الدس والتزييف والهجمات الاستعمارية الفكرية والتبشيرية الصليبية في وقت كان فيه المسلمون يترنحون من ضعفهم ولا يفيقون من غفلتهم ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾[٥٢] . وسخر الله المسلمين لحفظه في الصدور والسطور ، والاهتمام به علماً وثقافة ، والاستنباط من تشريعه قانوناً وأحكاماً ، والعناية به منهاجاً وتربية حتى إنه لم يعرف في تاريخ البشرية حماسة بالغة لأي كتاب ديني أو بشري مثل ما بلغته في القرآن لا من المسلمين وحدهم وإنما على مستوى دولي وإنساني أيضاً .

وحفظ القرآن دون سائر الكتب المنزلة لأنه الحق الذي قدر الله أن يخلد في الأرض ، فهو الحق الذي أنزله الله وبالحق نزل ، ولأنه الإسلام الذي ختم الله به الرسالات والمنهاج الذي ارتضاه رحمة للعالمين فلا تحريف لآياته ولا تبديل لكلماته ﴿ واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحداً ﴾[٥٣] ، فقد حفظ الله القرآن صدراً وكتابة وانتقالا ، وضبطاً وتلاوة وترتيلاً وتلقياً ، وتابعه العلماء لغة وفقهاً وتفسيراً ، وعني به المفكرون والدعاة تربية ودعوة وعلماً ، وأدرك الباحثون إعجازه اجتماعاً وفكراً ، وآمن بصدق مبناه ومعناه المسلمون خاصة وعامة ، وغير المسلمين منصفاً ومعتدلا ، وكان وما يزال موضع عناية كبيرة من العرب وغير العرب وما تزال مكتبة القرآن أغنى مكتبات العالم «كتاب بلغت عناية المؤمنين (وغيرهم) به إلى هذه الحدود وحفظوه واستشهدوا به في كل المجالات لا يختلفون في حرف واحد منه تتناقله الأجيال عن الأجيال عن محمد صلى الله عليه وسلم ، هل يمكن إلا أن يكون نفس الكتاب الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ؟ ألا فليعلم كل إنسان أن هذا الحفظ لم يكن بحول المؤمنين ولا بقوتهم بل بحول الله وقوته»[٥٤] .

واصبح من تقاليد **المكتبات العالمية** الرسمية أن تتسابق في نشر المخطوطات القديمة وفي طليعتها مصاحف أو ورقات منها ، كما أنها تتنوع وسائل حفظها وصيانتها لها بأحد الأجهزة العلمية المكتشفة ، وكثيراً ما

تـبادل المكتبات في أقطار متنوعة ــ ضمن معاهدات ثقافية خاصة وتبادل للتراث ــ هذه المخطوطات أو صوراً ولوحات عنها ، وقد عرض **الدكتور صلاح الدين المنجد** ضمن وثائقه اثنتي عشرة لـوحة قـرآنية مـن مصاحف محفوظة في المتاحف العالمية ومكتباتها مـن أواخر القـرن الثـاني للهجرة إلى القرن السابع الهجري في **لينـنغراد وطشقند وبغـداد وميلانو وفاس وإستامبول والقـاهرة** وغيرها[55] ، وأمثـال هـذا كثير .

على أن علماءنا الأقدمين شرحوا أهمية القرآن بالنسبة إلى النبوة والبعثة المحمدية ، فقد عقد الباقلاني فصلاً (**نبوة الرسول مبنية على دلالة معجزة القرآن**) فقال : أن يعلم أن القـرآن الـذي هـو متلوّ محفـوظ مرسوم في المصاحف هو الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنه هو الذي تلاه على من في عصره ثلاثاً وعشرين سنة ، والطريق إلى معرفة ذلك النقل المتواتر الذي يقع عنـده العـلم الضروري ، وذلك أنـه قـام في المواقف وكتب به إلى البلاد . . حتى انتشر ذلك في أرض العـرب كلهـا وتعدى إلى الملوك المصاقبة لـهم كملك الـروم والعجـم والقبـط والحبش وغيرهم من ملوك الأطراف . . ثم يقول عن تحمل المسلمين لـه : ووقف جميع أهل دينه الذين أكرمهم الله بالإيمان على جملته وتفـاصيله ، وتـظاهر بينهم حتى حفظه الرجال وتنقلت به الرحال وتعلمه الـكبير والصـغير ، إذ كان عمدة دينهم . . والمفروض تلاوته في صلواتهم ، والواجب استعماله في أحكامهم ، ثم تناقله خلف عن سـلف هـم مثلهـم في كثرتهم وتـوفر دواعيهم على نقله حتى انتهى إلينا .

ثم يخلص إلى القول : وإذا ثبت هذا الأصل وجوداً فإنا نقول : **إنـه تحداهم إلى أن يأتوا بمثله وقرعهم على ترك الإتيـان بـه طـول السنين التي وصفناها فلم يأتوا بمثل ذلك** . ثم يعدد وجوه الإقبال عليه من علماء المسلمين وبلغائهم فيقول : فـمن المسلمين مـن يضـبطه لإحكام قراءته ومعرفة وجوهـها وصحة أدائها ، ومنهم من يحفظه للشرائع والفقه ، ومنهم من يضبطه ليعرف تفسيره ومعـانيه ، ومنهـم مـن يقصـد بحفظه الفصاحة والبلاغة ، ومن الملحدين مـن يحصـله لينـظر في عجيب شأنه ، وكيف يجوز على أهل هذه الهمـم المختلفة والآراء المتبـاينة على كثرة أعدادهم واختلاف بـلادهم وتفـاوت أغـراضهم أن يجتمعـوا على التغيير والتبديل والكتمان . . ثم يؤكد في نهاية كلامه على ظاهرة التحدي القـرآني فيقول : والذي يدل على أنهم كانوا عاجزين عن الإتيان بمثل القـرآن أنـه **تحداهم إليه حتى طال التحـدي وجعلـه دلالـة على صـدقه ونبوته**[56] .

الهـوامش

(١) ابن كثير في تفسيره .
(٢) سورة هود : الآية ١ .
(٣) سورة الشعراء ، الآيتان ٢١٠ ــ ٢١١ .
(٤) سورة السجدة ، الآية ٢ .
(٥) سيد قطب في ظلاله .
(٦) سورة طه ، الآية ٤ .
(٧) سورة الإنسان ، الآية ٢٣ .
(٨) الزمخشري في الكشاف .
(٩) سورة النمل ، الآية ٦ .
(١٠) ابن كثير في تفسيره .
(١١) المصدر السابق .
(١٢) سورة فصلت ، الآية ٢ .
(١٣) سيد قطب في الظلال .
(١٤) سورة الزمر ، الآية ٢٣ .
(١٥) المزهر للسيوطي ، ١/٣٥ ، ونقله عن البيهقي في (شعب الإيمان) ، والدجن : إلباس الغيم السماء ، الباسقة : السحابة البيضاء الصافية ، والحياء : الخصب والمطر ، عرب لسانه : إذا كان فصيحاً .
(١٦) سورة الدخان : الآية ٥٨ .
(١٧) سورة مريم : الآية ٩٧ .
(١٨) سورة الأحقاف ، الآية ١٢ .
(١٩) سورة النحل ، الآية ١٠٣ .
(٢٠) سورة فصلت ، الآية ٣ .
(٢١) ابن كثير في تفسير سورة الإنسان .
(٢٢) سورة يوسف ، الآية ٢ .
(٢٣) سورة الزخرف ، الآية ٣ .
(٢٤) سورة الرعد ، الآية ٣٧ .
(٢٥) سورة طه ، الآية ١١٣ .
(٢٦) سيد قطب في الظلال .
(٢٧) سورة فصلت ، الآية ٤٤ .
(٢٨) إعجاز القرآن للباقلاني ، ص ١٨ .
(٢٩) سيد قطب .
(٣٠) سورة النحل ، الآية ٨٩ .
(٣١) سورة يوسف ، الآية ١١١ .
(٣٢) سورة النساء ، الآية ١٢٥ .
(٣٣) جند الله ، سعيد حوى ، ص ٦٥ وما بعد .
(٣٤) سورة النور ، الآية ٣٤ .
(٣٥) سورة البقرة ، الآية ١٨٥ .
(٣٦) سورة النساء ، الآية ١٧٤ .
(٣٧) سورة المائدة ، الآيتان ١٥ ــ ١٦ .
(٣٨) سورة النور ، الآية ٤٦ .
(٣٩) سيد قطب .
(٤٠) دلائل الإعجاز للجرجاني ، ص ٢٩٩ .
(٤١) المصدر السابق ، ومعنى أنانق : أتتبع حسنهن ، ودمث المعان : إذا سهل .
(٤٢) المصدر السابق ، ص ٢٠٩ .
(٤٣) إعجاز القرآن للباقلاني ، ص ٥٥ ــ ٥٦ .
(٤٤) المصدر السابق ، ص ٤٥٨ .
(٤٥) علوم القرآن للزركشي : ٢/١٠٨ .
(٤٦) على سبيل المثال : الرافعي وسيد قطب والدكتور محمد رشاد خليفة .
(٤٧) سورة المائدة ، الآية ٤٤ .
(٤٨) سورة المائدة ، الآية ١٤ .
(٤٩) على سبيل المثال انظر كتاب رجال ونساء أسلموا ، وكتـاب : أوروبـا والإسـلام . والإسلام ، والحضارة الإسلامية .
(٥٠) سورة البروج ، الآيتان ٢١ ــ ٢٢ .
(٥١) سورة الواقعة ، الآيتان ٧٧ ــ ٧٨ .
(٥٢) سور الحجر ، الآية ٩ .
(٥٣) سورة الكهف ، الآية ٢٧ .
(٥٤) الإسلام كما فهمت : محمد القاسمي ، ١٩٥ ــ ١٩٦ .
(٥٥) الكتاب العربي المخطوط .
(٥٦) إعجاز القرآن ، ص ٢١ وما بعد ، وانظر كتب أنور الجندي وبخاصة : الإسـلام والثقافة العربية في مواجهة التحدي والاستعمار .



على ضفاف

ليس في الدنيا بحر هو أجدر من البحر الأحمر بأن يسمى بحر العرب أو البحر العربي ، فهو من مدخله عند باب المندب إلى نهايته في خليجي العقبة والسويس بحيرة عربية تطل عليه من الجانبين شعوب عربية مسلمة . وإلى ما قبل الحرب العالمية الثانية كانت الحبشة لا تصل إلى هذا البحر إلا عن طريق خط حديدي يمر في بلاد عفر وعيسى ، وهي جمهورية جيبوتي الحالية ، أما ما يلي ذلك شمالا على ساحل البحر فكانت تمتد بلاد أريتريا ، وهي بلاد إسلامية عربية معروفة عندنا باسم بلاد الدناقل وبلاد تيجري حتى احتلتها إيطاليا قبل الحرب العالمية الأولى ، وبعد الحرب العالمية الثانية أراد الاستعمار الخبيث أن يوسع نطاق الحبشة المسيحية فأعطاها ما كان تحت الاستعمار الإيطالي ، وبذلك أصبحت الحبشة تسيطر غصباً على جزء من ساحل البحر الأحمر يزيد قليلاً على ما تملكه جمهورية السودان . وقد بغت بلاد الأحباش وطغت حتى استولت على إقليمي الحوصن والأوجادين من بلاد الصومال العربي الإسلامي .

والحبشة المعروفة في التاريخ لم تكن تزيد على بلاد اخشوم ، ونصوصنا العربية القديمة عندما تتكلم عن بلاد الحبشة أو أرض النجاشي لم تكن تقصد إلا بلاد اخشوم وجزءً من بلاد أمهرة ، ولم يكن للحبشة أي نصيب من الساحل ، إنما كان الساحل بيد شعوب عربية هي أبناء عمومة أهل اليمن القدماء . أما امتداد الحبشة إلى الداخل واستيلاؤها على الهضاب والجبال التي تقع فيها أديس أبابا فقد حدث في القرن التاسع عشر على يد ملك من ملوكهم يسمى « تيودوريك » كانت بينه وبين جيوش مصر ، أيام محمد علي ، حروب طويلة ، وقد خلفه الملك « مِتِليك » وهو الذي جعل أديس أبابا عاصمة الحبشة بمساعدة الإنجليز ، ومن ذلك الحين وبلاد الأحباش في توسع على حساب العرب والمسلمين ، وهيلاسلاسي آخر ملوك الأحباش كان من أسوأ ملوك الحبشة نية وأكثرهم بغضاً للإسلام والمسلمين ، وقد كنا نرجو أن ينصلح الحال بعد أن زال ملكه ، ولكن الاستعمار الغربي شد أزر النظام الجديد في الحبشة ، ولم يجد مع هذا من الأحباش أي عرفان بالجميل ، فما كاد الشيوعيون يعرضون عليه المعاونة على اغتصاب أراضي المسلمين في الصومال حتى انحاز إليهم وازداد كلباً على أراضي الأريتريين والصوماليين وهم إخواننا . وفي سنة ١٩٧٧ م ، كان الصوماليون قد استعادوا سهل الأوجادين ، وكان الأريتريون على وشك استعادة أسمرة ، فأبى الشيوعيون إلا الاسترسال في مساعدة الأحباش ليضمنوا لأنفسهم موطئ قدم عريضة على أبواب الوطن العربي ، صانه الله سبحانه من كل أذى .

وأعود إلى ما بدأت به من الكلام على عروبة البحر الأحمر فأقول إنه أتيحت لي منذ عامين أن أقوم برحلة من جدة إلى ميناء الوجه من موانئ المملكة العربية السعودية الزاهرة ، وكانت الرحلة في صحبة طالب من أبنائي من أهل الوجه . وقد اهتم ابني الطالب بأن يريني أعمال التعمير والإنشاء في ميناء الوجه الجديد ، وهي أعمال عظيمة باهرة ستجعل من ميناء الوجه واحداً من أكبر موانئ ذلك البحر العربي ، ورأيتهم قد مدوا سككاً عريضة من مكة إلى الوجه ، ومن الوجه إلى الرياض ، وشبكة الطريق في الجزيرة تمتد وتسترسل آلافاً بعد آلاف من الأميال ، وكلها طرق عظيمة تروع النفس سعة وحسن إنشاء وجمال هندسة ، والسيارة تجري فيها على أهدى ما تجري به في أعظم بلاد الدنيا تقدماً ، وتلك مفخرة من مفاخر هذا البلد الكريم الناهض النابض بالحيوية ، زاده الله رفاهة ورخاء وأمناً .

البحر العربي

ولكني أصررت على زيارة فرضة الوجه القديمة . ودخلنا مدينة الوجه القديمة ، حيث دار صاحبي ، وما كادت عيني تقع على الدور والحارات حتى وقفت صامتاً ، فهذا المنظر سبق لي أن رأيته وهذه الوجوه أعرفها ، أولئك الناس السمر الوجوه الذين ينظرون إليك بعيون كلها طيبة وصفاء ، ويردون تحيتك بعبارة مختصرة ثم يدعونك إلى الشاي معهم هم نفس الناس الذين عرفتهم في القُصَيرْ على الشاطئ المصري المقابل لشاطئ الوجه ، واللهجة قريبة ونبرة الصوت واحدة ، وصوت المؤذن هنا هو صوت المؤذن هناك . وعندما جلست على الوساد الخشن فوق الحصير وأسندت ظهري إلى الحائط وأصغيت إلى كلام أهل صاحبي ذكرت زيارتي لبلدة قوص في مديرية قنا في مصر من عامين ، فقد ذهبنا إلى هناك مدعوين من جامعة سوهاج للنظر في إمكان إنشاء معهد تربية تابع للجامعة في قوص .

وقوص كانت مركزاً علمياً عظيماً في مصر في العصور الماضية ، ومراكز الدراسة فيها كانت تشبه المعاهد الأزهرية ، وعلماء الصعيد الذين كانوا لا يحبون الإقامة في القاهرة ويفضلون على ذلك المقام والتدريس في بلدهم قوص كانت لهم نفس مكانة علماء الأزهر في القاهرة . في تلك الأيام المملوكية كانت قوص عاصمة إحدى الكور الكبرى وهي كورة القوصية ، وإلى شمالها تقع قفط ، وهي مدينة أكبر منها وإلى جنوبها الغربي تقع الأقصر أو لقصير مدينة البَرَابي (جمع بربا) وهي مجموعات الآثار المصرية القديمة ، في تلك العصور كان المسافر إلى الحجاز للحج أو الهجرة يقصد قوص ومنها إلى القصير ، ومن القصير يكون العبور إلى الوجه في الجزيرة ، وما أكثر المصريين الذين كانوا يعبرون البحر إلى الوَجه ويؤدون فريضة الحج ، وعند العودة يفضلون البقاء في الفرضة العربية . إلى هنا يرجع تشابه الوجوه والأسماء والناس . والحكايات التي سمعتها هناك كثيرة : هناك قصة علي بوحُميدات الذي أقبل من قوص إلى القصير فالوجه ، كان تاجراً صغيراً وتجارته هي نوع من التمر الجفف الذي نعرفه في مصر باسم « البلح الابريمي » . بعد أن حج أقام شهوراً ينتظر الريح المواتية ليعود إلى القصير ، ونفدت مؤونته واحتاج إلى ما يعيش منه ، فاشترى شبكة واستأجر قارباً واشتغل بالصيد ، ومن صيده عاش وجمع مالا ، وأراد أن يخطب ابنة رجل من أهل الوجه يسمى الشيخ عساف ، ووافق الشيخ ولكن البنت لم تشأ أن تتزوج صياد سمك ، وجلس الرجل على شاطئ البحر كاسف البال ، ثم سمع هيمة فأسرع ليجد صبياً يغرق في البحر ، فيسبح إليه ويأتي به ، وإذا به أخ صغير للفتاة ، وتقتنع البنت بأن طالب يدها جدير بها ، ويكون الزواج .

عندما تنظر إلى تلك الوجوه الطيبة والعيون الصاخبة على ضفتي البحر العربي الكبير تشعر حقاً أن هذا البحر ما هو في الواقع إلا شق داخل وطن العرب . ومن مئات السنين يعبر الناس هذا البحر من القصير إلى الوجه ، ومن عيذاب إلى جدة ومن عشرات الفرض الأخرى وكأنهم ينتقلون بين ضفتي نهر يجري في بلد عربي واحد !



دور الإدارة في عملية التنمية الاجتماعية

بقلم: د. إبراهيم أبو الغار

يقصد بالإدارة بمعناها العام الجهود البشرية التي تتصف بالعقلانية، والتي توجه نحو تحقيق أهداف محددة عن طريق التعاون والتنسيق بين جهود الآخرين.

ويظهر دور الإدارة واضحاً في جميع أوجه النشاط الإنساني. فهناك إدارة في ميادين الصناعة والتجارة والزراعة والتعليم والحكومة والأعمال الخيرية والدينية. وعلى هذا فإن الإدارة تمثل العنصر الأساسي والقوة الدافعة في عمليات التنمية الاجتماعية والاقتصادية، وفي كل مظاهر النشاط الإنساني[1].

ومن هذا المنطلق يمكننا القول إن الإدارة لا يقصد بها مجموعة من المبادئ والإجراءات والنظم، ولكنها مجموعة من العلاقات والاتصالات والتفاعلات التي تتم بين مجموعات من الناس ومن فئات ومهن مختلفة، حتى يمكن أن تتحقق عملية الخلق والإبداع الإنساني نتيجة لهذه الاختلافات.

وتختلف النظرة إلى الإدارة وفقاً للمجال الذي تُمارس فيه. فرجال الأعمال ينظرون إلى الإدارة بطريقة تختلف عن نظرة رجال التعليم أو الأخصائيين الاجتماعيين. إذ إن لكل فئة من هذه الفئات مصالحها واهتماماتها الخاصة بها التي يختلفون عليها فيما بينهم، ولكن لا يفوتنا أن هناك مبادئ وأسس عامة للإدارة لا يمكن الاختلاف عليها مهما اختلفت المصالح والاهتمامات.

تعريف الإدارة

وهناك بعض التعريفات التي يشيع استخدامها في المجالات الاجتماعية والتعليمية، من هذه التعريفات تعريف تريكر Treker، الذي يذهب في كتابه «**فهم جديد للإدارة**» إلى القول: إن الإدارة عملية إبداعية للعمل مع الناس بقصد تحديد الأهداف وإقامة علاقات تنظيمية وتوزيع للمسؤوليات والاختصاصات وتوجيه البرامج وتقييم النتائج[2].

فالإدارة بذلك ترتبط بتنظيمات من الناس تسعى إلى تحقيق أهداف مشتركة من خلال توزيع الاختصاصات والأدوار بين مجموعة الأشخاص القائمين على التنظيم. والإدارة بذلك تسعى إلى العمل الجماعي حتى يمكن تحقيق المصلحة العامة من خلال تهيئة الظروف المناسبة والمحققة لذلك. وفي كثير من الأحيان نجد مجتمعات تتوافر لديها إمكانات كثيرة من موارد أولية ومادية، وكذلك مهارات فنية كثيرة، أي أن جميع عناصر التقدم متوفرة، ولكن لا يفوتنا أن كل هذه الإمكانات المادية والفنية يرتبط تفوقه وتحسُّن إنتاجه وفقاً لحسن الإدارة عند هذا المجتمع من عدمه. فقد يرجع السبب في التخلف أو التقدم إلى المقدرة على التنسيق بين جهود الأفراد لكي تصبح الأهداف الفردية لكل منهم هي غاية الجماعة كلها، كما قد يكون الدافع هو ما يعطى للإدارة من اهتمام زائد في المجتمع.

تنمية المجتمع الريفي

ويهمنا في هذا المجال التركيز على الإدارة العامة، وتتمثل في **الإدارة الحكومية** باعتبارها تستهدف تقديم خدمات تعم فائدتها جميع قطاعات المجتمع. وعلى ذلك فإن هذا المفهوم لا يقتصر على الجهاز التشريعي أو القضائي بالدولة، وإنما يقتصر على الجهاز التنفيذي فحسب، وهو الحكومة بكافة أجهزتها. فالإدارة العامة تهتم بكافة الأعمال التي يقوم بها الأشخاص وتؤديها الأجهزة القائمة تحت إشراف الحكومة وتوجيهها، والتي تؤدي إلى تحقيق خدمات عامة تؤكد استمرار الحياة اليومية بالدولة تنفيذاً للسياسة العامة المحددة لها[3].

ولا شك أن الإدارة العامة في مجال تنمية المجتمع الريفي إنما تعمل على توحيد جهود الشعب نفسه مع جهود سلطاته الحكومية لتحسين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للمجتمعات، ودمج هذه المجتمعات في حياة الأمة وتمكينها من الإسهام إسهاماً كاملاً في عملية التقدم القومي. أما المظاهر المميزة لبرامج تنمية المجتمع فهي إسهام الشعب نفسه في الجهود المبذولة لتحسين مستوى حياتهم بالاعتماد، قدر الطاقة، على حوافز الشعب نفسه ومبادأته وتأمين الخدمات الفنية وغيرها بشكل يضمن تشجيع هذه المبادآت، وكذلك تشجيع المساعدة الذاتية والمتبادلة وجعلها أكثر فاعلية وتأثيراً.

وتتطلب إدارة تنمية المجتمعات الريفية بعض الخطوات والمراحل التي تساعد على تحقيق العملية الإدارية وتتمثل في التنظيم والتمويل والجهاز الوظيفي الفني. ونشير إلى هذه العناصر بصورة توضيحية.

تنمية المجتمع.. والبرامج

لا شك أن التنظيم لتحقيق أغراض تنمية

المجتمع يتأثر بطبيعة البرنامج ومجاله . ويقصد بالتنظيم اتحاد مجموعة من الأفراد لتحقيق هدف معين مشترك[4] . وفي سبيل تحقيق هذا الهدف تبذل الجماعة مجهوداً مشتركاً وهذا يتطلب وجود تنسيق بين هذه الجهود ، ويعتبر هذا هو المبدأ الأول الذي يقوم عليه أي مجهود جماعي مشترك . ويوصف التنظيم بأنه الجانب الرسمي من الإدارة العليا وعن طريقه تستطيع الإدارة تنفيذ سياستها .

ويتأثر التنظيم في مجال تنمية المجتمع بطبيعة البرنامج ومجاله وكذلك طبيعة النظام الذي تأخذ به الحكومة ، ومدى اهتمام القادة السياسيين ببرامج تنمية المجتمع . وبالنسبة للبلاد ذات النظم السياسية والقانونية والإدارية الثابتة التقدم ، يمكنها أن تعتمد إلى حد كبير على التنظيم الرسمي ، أما البلاد الأخرى التي تفتقر إلى هذه العناصر فإن **العلاقات الشخصية** فيها تلعب دوراً كبير الأثر في تحديد السلوك الإداري .

ومن خلال التنظيم فإنه ينبغي أن يتوافر جهاز وظيفي فني متخصص ، وكذلك موارد وإمكانات أخرى ، وهذا بدوره يؤثر على تخطيط البرامج ومجالاتها ومدى انتشارها .

التخطيط والتمويل

وإلى جانب التنظيم وما ينبغي أن يسوده من تنسيق للجهود المختلفة في مجالات التنمية ، فإن هناك مجالين آخرين ، هما **التخطيط والتمويل** ، ويعتبران من الأمور الحساسة في تنمية المجتمع . ويذهب أخصائيو تنمية المجتمع إلى أنه رغم إتاحة الفرصة نحو مساعدة أعضاء أي مجتمع للتحدث عن مشاكلهم والتعبير عنها ، إلا أن الواجب الذي يقع على الناس أنفسهم إنما يتمثل في تقرير ما يجب عمله ، إذا كانت لديهم الرغبة في المساهمة بأعمالهم وأموالهم في ذلك النشاط . وعلى الرغم من إيمانهم بضرورة توفير **الإعانات الخارجية** اللازمة لاستكمال الموارد المحلية حتى تكون في صورة فعالة ، فإن هذه الإعانات يجب ألا تقدم إلا عندما تكون هناك الرغبة الأكيدة للعمل لدى المجتمع أو الجماعة ، وأن يكون توقيت الإعانات دقيقاً وحساساً ، فينبغي أن يقدم في الوقت المناسب حتى لا يذهب الهدف الذي يسعى إلى تحقيقه أدراج الرياح .

وهناك عنصر أساسي في هذا المجال يجب عدم إغفاله ، وهو أن تكون هذه الإعانات المقدمة للعون الذاتي في المجتمع متصلة بالبرامج القومية والإقليمية حتى تصبح هذه الجهود أمراً هاماً يحقق معاني كثيرة ، وحتى يتمكن الشعب من الحصول على أحسن الفوائد من برامج الحكومة . ويجب على جميع الحكومات أن تحرص على كافة الاعتمادات التي تتوافر في **باب الإنفاق** .

وتؤدي برامج تنمية المجتمع إلى خلق متطلبات خاصة في التخطيط الاقتصادي والاجتماعي طالما أنها تحفز الناس عادة على تحسين ما في مجتمعهم من مظاهر اليسر والسهولة . وتكون هناك حاجة ملحة لوضع تصميمات هذه المظاهر في المجتمع إلى الإعانات الفنية وكذلك الإشراف على عملية البناء ، حتى يأتي بناء ما يتم إنشاؤه ملائماً ومحققاً لمتطلبات المجتمع المقبلة ، وحافزاً للمزيد في جهود العون الذاتي . ويتطلب هذا من هيئة تنمية المجتمع تدريباً خاصاً لموظفي التخطيط وأعمال البناء ، كما يتطلب علاقات وثيقة مع الأجهزة الفنية لضمان تنفيذ الحد الأدنى من مستوياتها .

ومن أجل ذلك تصبح الحاجة ضرورية إلى **المعلومات** المتصلة بالتخطيط الاجتماعي والاقتصادي حتى يتسنى تخطيط أنشطة تنمية المجتمع في ضوء معلومات مسبقة من طاقات دوائر التنمية وخططها ، وحتى يتم رسم الإجراءات القومية بحيث تستطيع الإفادة من اهتمامات المساعدات الذاتية الشعبية

العناصر الوظيفية

وحتى تتحقق الإدارة العامة بصورة ناجحة في مجال التنمية الاجتماعية فإن الأمر يتطلب مجموعة من الموظفين والقياديين الذين يساعدون في تحقيق عمليات التنمية في المجتمعات موضوع الدراسة . ومن المفروض أن يتم اختيار هذه العناصر الوظيفية من بين العناصر الناجحة ، نظراً لأهمية الدور الذي يسند إليها ، ذلك لأن الدور الرئيسي للعامل على مستوى المجتمع يكون حافزاً لجهودات العون الذاتي .

من أجل هذا يصبح **من الضروري عمل برامج تدريبية لهذا الجهاز الفني** ، وتهتم هذه البرامج بتقديم المساعدات الفنية لهم التي تمكنهم من مزاولة أعمالهم بصورة تحقق الهدف المطلوب . وينبغي أن تركز البرامج التدريبية على روح العمل الجماعي ، وكذلك على جانب العلاقات الإنسانية في المجتمع المحلي بصورة تعاونية لا عنف فيها أو إرغام ، لأن طبيعة العمل في المجتمعات الريفية لا يتطلب هذا الأسلوب ، بل ينبغي أن تسود روح التعاون والمبادأة الفعلية في عرض المشاكل وعرض الحلول الممكنة .

ومن هذا يتضح لنا أن الإدارة تلعب دوراً هاماً في تحقيق التنمية الاجتماعية في المجتمعات الريفية من خلال مراحل وخطوات معينة ينبغي توافرها وتدعيمها حتى تصل الإدارة إلى الأهداف المرسومة في المجالات التي تهدف إليها . فالإدارة تستطيع إحداث التغيير في المجتمع من خلال الاستخدام الأمثل للموارد والقوى البشرية والمادية المتاحة ، والهدف البعيد هو تحقيق الرفاهية التي تسود أفراده .

المراجع

(١) الدكتور عبد الحميد عبده ، الأصول العلمية للإدارة والتنظيم ، مطبعة التقدم ، القاهرة ، ١٩٥٩م ، ص ٢٧ .

(٢) TRECKER, H., B., New understanding of administration, Association press, New York, 1961, P.1.

(٣) د . محمود عساف ، أصول الإدارة ، دار النشر العربي ، القاهرة ، ١٩٧٤م ، ص ٢٥ .

(٤) Etzioni, A., Modern organization, Prentice – Hall of india Private Limited, New Delhi, 1972, p. 1.

النوادي الأدبي
في المملكة الع
خلال النصف الثاني من

النوادي الأدبية، هي البيئة التي تناقش الأدب وتنقده، وتتسامر به، وتعلق على هذه القصيدة، وذاك المقال، وأحسب أن الشاعر أو الكاتب إذا لم يجد مهتماً بما يكتب فإنه يكسر قلمه، ويستسلم لكسل طويل.

وقد عرفت مدينة «الرياض» في أواسط الفترة نشاطاً ثقافياً واسعاً، بما يقام فيها من منتديات، في المعهد العلمي بالرياض، وفي المعهد السعودي، وفي بعض النوادي الرياضية ذات الاهتمامات الأدبية، وكانت هناك قصائد تلق، وآذان تتلق، وبيئات طلابية وعامة تناقش، وتنشر خواطرها أحياناً في الصحف، وعرف لخالد الفيصل الأمير الأديب منتدى ثقافي، أدبي تلق فيه المحاضرات والقصائد وتعقد فيه الندوات، وتثور المناقشات، في يوم الأربعاء من كل أسبوع[١].

كما عرفت النوادي وحلق المتأدبين، والمثقفين التي تكون في هذا المنزل أو ذاك، وكان للأديب **أبي عبد الرحمن ابن عقيل** مجلس يعقد كل ليلة جمعة، يحضره الصديق والكاتب والشاعر والصحفي.

كما عرفت السنتين الأخيرتين من تلك الفترة، وبعدها ندوة **عبد العزيز الرفاعي** الأديب النشط، وكانت ولا زالت تجمع بين الصديق والكاتب والشاعر والصحفي كسالفتها.

وفي مدينة **جدة** كانت ندوة **الشيخ محمد نصيف**، ميداناً للعلم والأدب والثقافة والضيافة، وفيها تقرأ الكتب، وتثور المناقشات في المسائل العلمية والدينية والأدبية[٢].

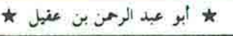
وعبد الله الفيصل الشاعر الأمير، كان يشجع الأدب والشعر، ويقيم المسابقات الشعرية حول موضوع، أو إجازة بيت، أو وصف شيء، وكان يشرف على نشاط **جمعية المسامرات الأدبية**، التي ظلت زمناً نشيطة، غزيرة الإنتاج[٣].

وفي مدينة **مكة المكرمة** كانت ندوة ثقافية في أوائل منتصف القرن عند **سعيد العامودي**، سواء في دكانه أو في داره، يجتمع الأديب، والشاعر والصحفي، والكاتب للنقاش والمطارحة[٤].

وفي منزل **كامل الكردي** كانت ندوات تعقد كل أسبوع، فيها الأدب والثقافة والمسامرة.

وفي **المدينة المنورة** كانت مجالس السمر والمحاضرة والمفاكهة، والثقافة والأدب تعقد منذ زمن بعيد، **وقد أسس عبد الحق نقشبندي نادي المحاضرات، وأنشأ عبد القدوس الأنصاري نادي الحفل الأدبي**، وقد اتخذ الناديان صيغة أدبية علمية تدرجا منها إلى صيغة اجتماعية، وكانا يستضيفان كبار الأعيان والأدباء الوافدين إلى البلاد، من الحجاج **كحسن البنا والقوتلي، وأمين الحسيني، وعلي أحمد باكثير**[٥].

وكانت هناك مجالس أدبية فيها المساجلات


★ أبو عبد الرحمن بن عقيل ★



★ عبد العزيز الرفاعي ★



...ة والثقافية
...ربية السعودية
القرن الماضي

بقلم: د. عبدالله الحامد

والمطارحات، في ليالي **العقيق وقباء**، كان من محببها وساهريها **عبد القدوس الأنصاري، وعبيد مدني، وأحمد الخياري**، وغيرهم[٦].

وخلفت النادي الأدبي للمحاضرات والحفل الأدبي **أسرة الوادي المبارك التي تأسست عام ١٣٧٩هـ**، وقد تألفت من الشعراء والكتّاب **كمحمد هاشم رشيد، ومحمد العامر الرميح، وعبد السلام هاشم حافظ، وعبد العزيز الربيع**[٧]، وقد انضوت الأسرة تحت اسم النادي الأدبي الرسمي المنشأ عام ١٣٩٥هـ.

الجامعات.. والنوادي الرياضية

وللنوادي الرياضية أثر في الثقافة والأدب، وقد درجت الأندية على إحياء مواسم ثقافية كل عام، تكون فيها المحاضرات، والمناقشات. **ونادي الوحدة الرياضي بمكة المكرمة** له نشاط قوي في هذا المضمار، كما كان لنوادي الرياض الرياضية **كالنصر والهلال** ذكر وشهرة.

وفي الساحل الشرقي، كانت منتديات الأدب ومدارسه. في دار **الخنيزي**، ودار **الجشي**[٨]، وكانت في **القطيف** حركة ونهوض ومناقشات وتدارس لكل ما تقذف المطابع، وكان **الشاعر خالد الفرج** ممن نفخ في تلك الروح، وأخذ بأيدي المنتديات.

وللجامعات دور بارز في تحريك رياح الأدب والثقافة، سواء بما يدرس طلابها في المنهاج الأكاديمي، أم بنشاطها الموسمي، وقد درجت الجامعات على إحياء مواسم للثقافة والعلم كل عام، وكانت قاعات **كليتي الشريعة واللغة العربية بالرياض، وكلية التربية، وكلية الآداب بالرياض، وكلية الشريعة بمكة المكرمة، وجامعة الملك عبد العزيز بجدة**، تغص بالمستمعين والمناقشين، والمحاضرين في جوانب العلم والأدب، من محاضرات، وندوات، ولقاءات، ومقابلات، وأمسيات شعرية. وامتداداً لهذا النشاط **أقامت جامعة الملك عبد العزيز مؤتمر الأدباء السعوديين عام ١٣٩٤هـ، (١٩٧٤م)**.

النوادي الأدبية

ورعاية الشباب حاولت تحريك ما سكن من الأدب، وبعث ما خمد، فأنشأت عام ١٣٩٥هـ، (١٩٧٥م) النوادي الأدبية في جدة، والرياض، والمدينة المنورة والطائف، وغيرها من البلاد، **ونادي جدة الأدبي** الذي رأسه الأديب **محمد حسن عواد** كان أنشطها، وأقواها حركة ومستوى، وقد تنسم الناس من خلالها نسمات وملامح الحياة، التي ربما أعادت للأدب روحه التي فقدها في غرق المجتمع في زحمة انشغال الأديب بالبحث عن لقمة العيش التي فقدها وهو يكتب، وأزمة الثقة بين القارئ والكاتب المحلي، وتكاليف الطباعة التي جعلت الأديب يرضى من ربح

★ الحاج أمين الحسيني ★



★ محمد سعيد العامودي ★

النوادي الأدبية والثقافية

الكتاب بالإياب والسلام من الدين ، وهو لن يسلم منه على كل حال[٩] .

مناسبة الحج

والحج ذو أثر واسع سواء في الأدب الإسلامي ، أو العربي بله أدب البلاد التي تستقبل كل عام مواكب الحجيج ، وتسهل إقامة شعائره ، وأثر الحج في الأدب والشعر يشمل نواحي عدة ، منها : مشاركة الأدب والشعر العامة ، قرب الكاتب أو بعد ، ومنها ما اعتادت أن تقيمه الدولة من مهرجانات واحتفالات ، وكان **الملك عبد العزيز** يقيم حفلة حولية في كل موسم حج ، إضافة إلى مائدته السنوية التي يقيمها لكبار الحجاج ، وحفلة الاستقبال في منى ، وكانت هذه المحافل تلقى فيها القصائد الجياد ، وأروع ما قيل في وصف الحج ومظاهره ، وأهدافه السياسية والاجتماعية والسلوكية كان في تلك الاحتفالات ، **والشاعران الغزاوي وشاكر أبرز شعراء الحوليات**[١٠] ، وشعراء آخرون من كافة الأقطار العربية كانوا يشتركون في هذه الحفلات ، **كأبي الإقبال اليعقوبي ، والكاظمي ، وعمر أبو ريشة** ، وأدباء آخرون كانوا يفدون للحج فتقام لهم الاحتفالات الرسمية ، والموائد الاجتماعية ، **كطه حسين ، ومحمد حسين هيكل ، وحسن البنا** ، وقد درج على إحياء هذه الحفلات الأدبية والثقافية كبار الأدباء الحجازيين **كمحمد العامودي ، وعبد الوهاب آشي ، وأحمد العربي ، ومحمد سعيد عبد المقصود** ، الذي ظل زماناً يقود الحركة الأدبية سواء بعلمه وأدبه ، أم بنشاطه وحركته ، وكانت تقام هذه الاجتماعات في دور العلماء والأدباء ، كالشيخ **كامل الكردي** ، الذي جعل من داره اجتماعاً دينياً كل عام ، وكان يعقد أيام الحج في منى اجتماعاً يضم الأدباء والعلماء ، تلقى فيه الخطب ، والكلمات ، والقصائد[١١] وأحمد الغزاوي أشهر من عرف بمساجلة ، ومفاكهة أو محادثة ، لبديهته الحاضرة ، وطبعه المتدفق ، وعلمه الغزير .

الهوامش

(١) اليمامة العدد ٣٧ ، رمضان ١٣٨٨ هـ .

(٢) ندوات أدبية في طريق الزوال والانقراض ، مقالة : فؤاد شاكر ، القافلة ، ١٥ / ٩ / ١٣٨٧ هـ .

(٣) اليمامة ، العدد ٣٧ ، رمضان ١٣٨٨ هـ .

(٤) ندوات أدبية في طريق الزوال والانقراض ، مقالة : فؤاد شاكر ، القافلة ، ١٥ / ٩ / ١٣٨٧ هـ .

(٥) مجالس السمر في المدينة ، مقالة : عبد الحق نقشبندي ، المنهل ، صفر ١٣٩٢ هـ .

(٦) انظر : مساجلات أدبية مع طاهر زمخشري ، وعلي أحمد باكثير في عام ١٣٥٣ هـ ، (المنهل ، جمادى الأولى ، ١٣٨٠ هـ ، وغيره) .

(٧) مع أسرة الوادي المبارك ، مقابلة ، القافلة ، ١٥ / ٦ / ١٣٨٧ هـ .

(٨) نشوء الأدب وتطوره في السعودية . مقالة : عبد السلام الساسي ، القافلة ، ١٧ / ٤ / ١٣٨٩ هـ .

(٩) من مقابلة مع الشاعر أحمد قنديل تحدث فيها (لصحيفة البلاد) عن مشكلات الكاتب ، والكتاب ، اليمامة ، العدد ١٤٤ ، محرم ١٣٩١ هـ .

(١٠) الحج في الأدب العربي ، ص ٥٢ .

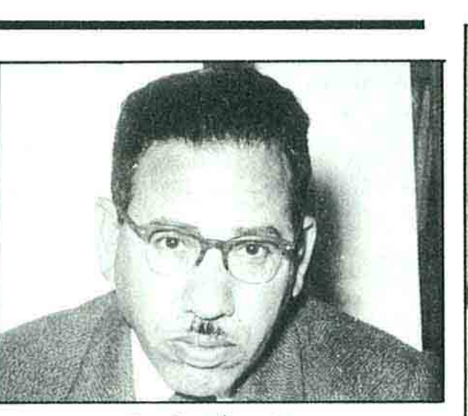
(١١) أدبنا بين الاتهام والدفاع ، محاضرة : أحمد محمد جمال ، ألقاها بمكة المكرمة ، عام ١٣٨٧ هـ ، (الموسوعة ١ / ٢٧١) .



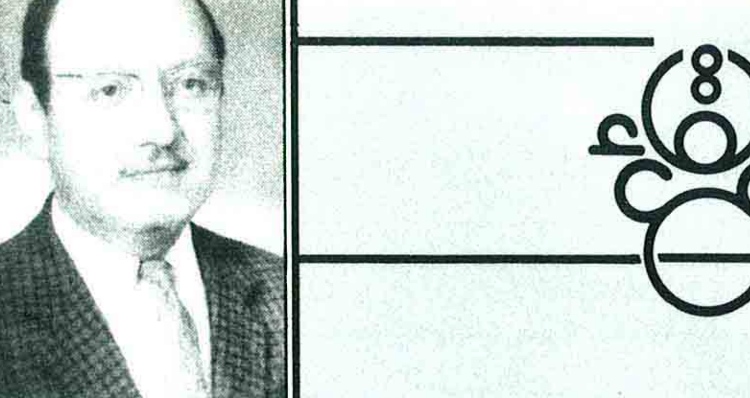
★ حسن البنا ★



★ د. محمد حسين هيكل ★



★ علي أحمد باكثير ★



د. عبد الله العمراني

إعداد: محمد القاضي

الترجمة.. والثقافة..

يسجل التاريخ الأدبي للدكتور عبد الله العمراني أنه لم يتخلف عن النزول إلى الميدان في نطاق إمكاناته مهما كانت محدودة ، فهو من الذين اشتركوا في المسيرة الفكرية الحديثة في المغرب . بذل جهداً يذكر في إغناء الثقافة المغربية ، فمنذ أكثر من ثلث قرن من الزمان ، وهو يغذي صحف المغرب ومجلاته ، وبعض مجلات الشرق العربي وإسبانيا بمقالاته وقصائده وأبحاثه الأدبية والعلمية ؛ كما أنه ساهم بقسط وافر في تعريب التعليم بشمال المغرب ، وفي رفع مستوى التعليمين الابتدائي والثانوي .

ألـَّف كتباً مدرسية عديدة ، كما نشر أخرى غير مدرسية ، مثل روايته (غانية أغمات) سنة ١٩٥٩ م ، و (تاريخ العالم المعاصر) سنة ١٩٦٣ م ، و (مولاي إسماعيل بن الشريف) سنة ١٩٧٨ م ، وتوجد كتب أخرى تحت الطبع وأخرى جاهزة تنتظر النشر .

اهتمامات عديدة

●● من معرفتنا لكم شاعراً وباحثاً ومترجماً .. هل لكم أن تحدثونا عن تجربتكم في هذه الميادين ؟

● تبدأ تجربتي في **الشعر** منذ نعومة أظفاري . وكان تشجيع بعض أساتذتي حافزاً لي للمضي في هذا السبيل . ومن شعري الأول ما زلت أتذكر بيتين كتبتهما سنة ١٩٣٨ م ، في استراحة بين درسين ، جواباً لتساؤل كتبه رفيق على سبورة الفصل ، ونص التساؤل : أما آن لنا أن نفيق ؟ كتبت على السبورة جواباً على السؤال ما يلي :

نعم ، نعم يا رفيق   عما قريب نفيق

من لم يُرد لنا عزاً   في السبات غريق

تابعتُ قرض الشعر أثناء طلب العلم في **مصر** ، وبعد الرجوع إلى وطني ، تجمعت لدي مجموعة من القصائد تفتقر إلى النشر في ديوان خاص ... في الحق ، أكاد الآن أكون قد تخليت عن هذا الفن الجميل ، لاشتغالي بالبحث والتأليف والترجمة ، نظراً لأن **عروس الشعر (MUSE عند الغربيين)** تحتاج إلى مناجاة ومناغاة ومداعبة ووقت فراغ ، وهو ما يعوزني في الوقت الحاضر .

أما البحث فلي فيه جهود يعرفها ويذكرها



كثير من القراء في المشرق والمغرب ، وقد نشرت كثيراً منها في مجلات مغربية ومشرقية وإسبانية ، وبعضها صدر مطبوعاً في كتب ، وبعضها الآخر ما زال يرقب النشر .

أما **الترجمة** إلى العربية من الإنجليزية فقد عالجتها على الطريقة الأكاديمية منذ أيام الطلب على أساتذة مختصين في مصر . وبعد رجوعي إلى **تطوان (المغرب)** كنت **أول من ترجم إلى العربية أثراً أدبياً للقصصي «أوسكار وايلد»** . ومما عربته عن الإنجليزية رواية (ايفنهو) **لسير «وولتر سكوت»** ، صدرت عن **دار الثقافة ببيروت** سنة ١٩٦٣ م ، وقد هنأني **المجلس الثقافي البريطاني** على هذه الترجمة الرائعة في رسالة خاصة وصلتني عن طريق الملحق الثقافي للسفارة البريطانية بالرباط .

ومما عربته عن الإسبانية مسرحية **(العرس الدموي) لفديريكو غريسا لوركا** ، صدرت عن **وزارة الإعلام الكويتية** سنة ١٩٧٦ م .

لقاء الثقافات

●● كمفكر إسلامي عربي أتيحت له الفرصة أن يطل على الفكر الغربي . ما حاجة الثقافة العربية من الثقافة الغربية ؟

● ثقافة أية دولة إذا كانت من الثروة والغنى والسعة إلى حد الاكتفاء الذاتي ، قد لا تحتاج حينئذ إلى أخذ أو اقتباس . ومع ذلك فإني أعتقد أن الاكتفاء الذاتي لا يمكن أن يكون حقيقة تامة كاملة ، لا في الميدان الاقتصادي ، ولا في الميدان العلمي والأدبي . لذا أعتقد أن من الواجب أن نعمل مثل أسلافنا ــ حتى في عصور العربية الزاهرة ــ على الاطلاع على ما عند غيرنا ، لنساير العصر من جهة ، ولكي نعرف ما يملكه الآخرون فنتسلح بالسلاح المناسب . ووسيلة ذلك ترجمة الآثار الغربية وخاصة ما يتعلق منها بتاريخنا وتراثنا ، والاطلاع عليه ، وتقويمه أو نقده ، واقتباس ما يمكن اقتباسه وخاصة إذا كان ذا منهجية جدية ، فبهذه الوسيلة نوسع آفاق تفكيرنا ، ونشارك الآخرين أفراحهم وأتراحهم ، ونعمل على التعارف الذي يخدم السلام ، كما نعمل على مقارعة الخصوم المتطاولين بالحجج العلمية الدامغة .

وتقع المسؤولية هنا ثقيلة على كواهل ثلاث فئات من الشعب :

١ ــ الذين يحذقون اللغة الأجنبية فلا يفعلون شيئاً .

٢ ــ دور النشر التي تسعى للربح السهل الميسور العاجل .

٣ ــ المؤسسات الحكومية التي من المفروض فيها أن تشجع التأليف والترجمة والنشر ، وتشجع المنتجين بمختلف الوسائل ، كما تفعل دول العالم المتحضر الواعي .

ترجمة معاني القرآن

●● ما موقفكم من ترجمة القرآن الكريم إلى لغات أجنبية ؟

● هو موقف المحبذ مع تحفظات . فالتحبيذ لأن كثيراً من المسلمين أو الذين يمكن أن يسلموا ينبغي أن يطلعوا على كتاب الله بلغتهم الأصلية ما داموا لا يتقنون العربية . والتحفظ يتجلى في التالي :

أ ــ أن ترجمة القرآن غير ممكنة في الواقع ، وهذه حقيقة يعترف بها كل من عاني هذا الفن ، وإنما **الممكن ترجمة معاني القرآن** .

ب ــ أن ترجمة القرآن لا تعتبر قرآناً .

جـ ــ أن ترجمة القرآن ينبغي أن يقوم بها من يتقن اللغة العربية وأساليبها إلى جانب اللغة التي يريد أن يترجم إليها .

د ــ مع ذلك ينبغي على المترجم غير العربي أو غير المسلم أن يعرض ترجمته قبل نشرها على عالم مختص أو هيئة إسلامية واعية .

هـ ــ كثير من الذين ترجموا القرآن ــ أعرفهم ــ لا يعرفون العربية جيداً ، وينقلون في ترجماتهم عن غيرهم ، فيضيفون إلى أخطائهم أخطاء غيرهم ، وفي ذلك إثم أو مؤاخذة مضاعفة .

مفهوم التراث

●● كيف يمكن أن نحدد مفهوم التراث ؟

● التراث أحد مصادر الفعل (ورث) ويستعمل في كتاباتنا وأقوالنا بمعنى الاسم ، وهو ما تركه لنا السلف من مخلفات ثقافية مادية ومعنوية . فالفن الشعبي ، والقصص الشعبي ، والموسيقى الأندلسية وما أشبه ، كله تراث ، ولكنه مع ذلك ينبغي أن يساير العصر . والكتب التي تركها أسلافنا تراث ، ولكن لا ينبغي أن نعبد ما قاله أجدادنا ، ونغفل عن الإنتاج والإبداع الذي يترجم عظمة الشعب واستمراريته . وأحب أن نتوسع في فهم



التراث ، فنجعله يشمل كل ما كتبه الأجانب عن تاريخنا وأدبنا وتراثنا ، فنهتم به بالاطلاع والترجمة والنشر والتقريظ أو النقد . وبذلك نفرض على من يتصدى لمعالجة ثقافتنا أن يحسب لنا حسابنا قبل الإقدام على أي شيء يمسنا .

المغرب .. والأندلس

●● يمزج بعض الأدباء والبحاثة من شرقيين ومستشرقين ، الأدب المغربي بالأدب الأندلسي . فهل يمكن أن تبينوا لنا مميزات كل منها ؟

● ربما كانت علة هذا المزج شكلية ظاهرية ومن حيث الموقع الجغرافي بالجناح الغربي من العالم العربي ، أما من حيث الجوهر والعمق فالأدبان مختلفان ، ولكل صفاته وخصائصه . فالأندلسي أدب إنساني معبر عاش عصره وتفوق في نواحي معينة . ويكاد يكون أدب المهجر الأميريكي إحياءاً له . أما الأدب المغربي بالضحالة التي وصل إلينا بها ، فيقع في أدنى درجات السلم الإبداعي ، ولعل طبيعة المغربي المكافح بالفعل ، غلبت طبيعته المكافحة بالقول . وكثيراً ما تأتي الحروب الخارجية والداخلية على الأخضر واليابس ، وخاصة فيما يتعلق بالأدب ، الذي يحتاج إلى بيئة هادئة موحية بالجيد من القول .

وهنا أشير إلى نقطة مهمة وهي أن **بعض أدباء الشرق يسلبون الأدب الأندلسي أصالته ويزعمون انه تقليد أعمى أو نسخة طبق الأصل من الأدب المشرقي ، بينما بعض أدباء الإسبان يرون العكس ، ويحاولون أن يجعلوا أدب الأندلس وليد الحضارة الايبيرية والتقاليد القوطية وما إلى ذلك ، وكلتا الدعويين متطرفة أهملت عوامل أخرى عديدة** منها العرقي والديني والحضاري والأيكولوجي (البيئي) ، فكل هنا أسهم في إنتاج أدب أندلسي متميز .

المغرب .. والحضارة

●● يخطئ كثير من مؤرخي الثقافة في أن الحضارة العربية في المغرب ظهرت متأخرة . ما رأيكم في هذا الموضوع ؟

● إذا أردنا بالحضارة العربية ما يتعلق منها باللغة والدين (عقيدة وشريعة) فظهورها المتأخر ، كان نسبياً ، ذلك أن الجميع يعرف أن الشعب المغربي كان أصعب مراساً ، لذا تأخر الفتح الإسلامي نحو نصف قرن من الزمان ، وبطبيعة الحال لم تكن الحضارة العربية لتنتشر في المغرب قبل الفتح الإسلامي . لكن ما إن آمن الشعب المغربي بمبادئ الدين الحنيف ، حتى اندفع يدافع عنها ، ويعمل على نشرها . أما إذا أردنا بالحضارة ، الحضارة على الإطلاق ، فالواجب التذكير بأن لكل شعب حضارته . وإذا قصر المنقبون في الكشف ، فليس ذلك بقادح في وجود الحضارة .

الكتاب المغربي

●● الكتاب المغربي يعاني كثيراً من المشاكل ، كيف يمكن التغلب عليها ؟

● هي مشكلات متنوعة ، تتعلق بالتأليف والترجمة والطبع والنشر . فباب التأليف قد يطرقه من ليس أهلاً ، فينشر ما كتبه بطرق جهنمية ، تقضي على الأمل في نشر الكتب جيدة التأليف . وللترجمة عندنا مؤسسات تهتم بها ولا تعمل إزاءها شيئاً ، أو أنها تسير في غير مسارها الطبيعي الذي يخدم الأدب والعلم ويعلي شأن الأمة . وفيما يتعلق بالطبع ، فالطابع يهمه الربح العاجل كما أشرت منذ قليل ، ولا تهمه الجودة وخدمة الأمة . . . منذ أيام لاحظت على غني قد ينفق الأموال في غداء عابر ، ولا ينفق مثل ذلك على طبع كتاب يخلد اسمه ، فأجابني : نحن هنا في المغرب نقول : « طُبخ على نفقة فلان » ، ولا نقول : « طُبع على نفقة فلان » . وصدق العرب حينما قالوا في أمثالهم : « البطنة تذهب الفطنة » .

الإعلام العربي

●● هل يؤدي الإعلام العربي دوره التاريخي ؟

● لم يكن للإعلام العربي دور تاريخي حتى يؤديه . ويهمنا أن يكون له ذلك الدور التاريخي إذا ما تحلى المسؤولون عنه بالإخلاص ، والسعي لرفع شأن العروبة والإسلام في مختلف ميادين الحياة في السلم والحرب ، في السراء والضراء ، بقطع النظر عن الحزازات الشخصية وبدون تفريق عنصري ، أو محاباة . ودور الإعلام في نشر معالم الحضارة عظيم ، ولكنه قلما يؤدي واجبه .





وظيفة الرمز والأسطورة وغيرهما في الشعر الحديث

بقلم: د. محمد أحمد العزب

الرمز بعض لغة القصيدة الشعرية الحديثة ، وهو اصطلاح يعطى لشيء منظور ليعطي للعقل صورة التماثل لشيء غير مرئي ، ولكنه يفهم على أساس التداعي بين هذين الشيئين .

وإذا كان الرمز يتجلى في الشعر بشكل أساسي وصميم (فهو يظهر كمصطلح في المنطق ، في الرياضيات ، في نظرية المعرفة ، في علم الدلالات وعلم الإشارات ، كما أن له أيضاً تاريخاً طويلاً في عوالم الطقوس والفنون الجميلة والشعر .. العنصر المشترك في كل هذه الاستعمالات الدارجة ربما كان ذلك الشيء الذي ينوب عن ، أو يمثل شيئاً آخر)[1] .

غير أن الرمز يتميَّز في الشعر عنه في سائر هذه المجالات بخاصية غائيَّة معيَّنة ، أي بكونه غاية في ذاته ، وليس مجرد دلالة محددة على شيء ، أو إشارة صامتة إلى شيء ، لأنه لو كان دلالة لصار رمزاً علمياً ، ولو كان إشارة لصار رمزاً لغوياً ، وما هكذا الرمز في الشعر ، لأن الرمز الشعري يتفجَّر تفجُّراً آنياً يولَد في ولادة العمل الشعري ذاته ، فليس هو دلالة يتخطاها المتلقي إلى ما تدل عليه ، وليس هو إشارة يعبُرها المتلقّي إلى المشار إليه ، وليس هو كذلك فكراً مسبقاً يقصد إليه الفنّان لكي يصوغه في بناء رمزي معيّن ، إنما هو بنْية عضوية متنامية تنهض على رؤية جمالية ، وتقوم على عديد من القوانين الذاتية التي تحكم اندفاعها وتمامها ، ولا يتخطّاها المتلقّي إلى ما وراءها من متحقق دلالي إلا ليعود إليها .

وقد يفجّر الرمز قضية ما ، وقد يثير إحساساً بمُشكل وجودي ، أو مُشكل حضاري ، ولكنه لا يفعل ذلك من خلال الدلالة عليه ، أو الإشارة إليه ، وإنما يفعله من خلال تشكيل جمالي معادل ، أي أنه يشكل موقفاً جمالياً معيناً ، ويرمز إلى موقف وجودي معين ، أو موقف حضاري معين ، وبذلك تختفي الدلالة على ، أو التعبير عن ، ليحل محلّهما الموقف المعادل للموقف .. أي الموقف الجمالي المعادل للموقف التاريخي .

وقد يتضح الفرق بين الوضعيتين من تأمل الرمز الجمالي كَمُعْطىً قابل لعديد من التأويلات ، بينا هو في جوهره واحد لم يتعدّد .. فإذا جسّد الشاعر – مثلاً – من **الطوفان** رمزاً للطغيان في قصيدة ما ، فقد تتوارد على هذا الرمز تأويلات تبتعد به عن الرمز للطغيان إلى الرمز لعديد من الأشياء المغايرة ، ربما تكون قريبة من الطغيان ولكنها ليست هو على التخصيص ، فإذا انتفت الدلالة المحدّدة في الرمز على شيء معيّن بالذات ، فذلك هو الرمز الشعري ، أما إذا تحدّدت الدلالة في الرمز فجسّدت مدلولا معيناً بالذات ، فذلك هو **الرمز العلمي** فإن تقول : س = ص . وس = ج .. إذن ص = ج . فهذه مقدمات ونتائج لا تحتمل نوعاً من التأويل أو نوعاً من التحريف .

الرمز بين الشعر والعلم

فرق آخر يتبدّى في كون الرمز الشعري يمكن أن يصير وجوداً رمزياً مستقلاً ، بينا هو في العلم لا يمكن أن يصير على الإطلاق .. في الشعر يمكن أن يصير الطوفان الذي رمز إلى الطغيان في قصيدة أولى ، مجرد رمز في القصائد التالية . ويبتعد تدريجياً في سلسلة القصائد التالية عن معناه الأول كمدرك عيني ، إلى كونه رمزاً جمالياً لا يشير إلى مدركات خارجية متحققة .. وفي العلم لا يمكن للرمز أن يفارق مدلوله مهما تتابعت التجارب والمعادلات ، لأنه لو فقد التحامه العضوي بمدلوله الرياضي لتهدّم جسم التجربة المعملية ، وأصبحت المعادلة خرافة جوفاء .

يصبح الرمز الشعري – من هذا المنظور – حقيقة فنية تصير إليها الأشياء ، وتصير هي مع تتابع الإبداع حتى تصبح عالماً جمالياً مقصوداً لذاته .. ومن هنا يمكن أن نفهم كيف تصير (**الصور**) إذا هي تكررت وعاودت الظهور ، رموزاً شعرية (**فالصورة يمكن استثارتها مرة على سبيل المجاز ، لكنها إذا عاودت الظهور بإلحاح ، كتقديم وتمثيل على السواء ، فإنها تغدو رمزاً ، قد يصبح جزءاً من منظومة رمزية أو أسطورية**)[2] .

الرمزية الخاصة والتراثية

هناك **رمزية خاصة**، وهذه تحمل داخلها عديداً من التأويلات والاحتمالات، لأن القيم التي تسكن مثل هذه الرموز لم تتحدد بعد في سياقات معينة.. وهناك **رمزية تراثية** تستدعي رؤى معينة وتستدعيها رؤى معينة، لأنها ـ إلى مدى ما ـ تحدّدت في أُطُر قيمية معينة.. ليس معنى ذلك أن الشاعر المعاصر لا بد أن يخلق رموزه الخاصة بالضرورة، فقد يجد في الرموز التراثية أوعية قادرة على حضانة همومه الآنية، والسَّفر بها في أقاليم الخصب والامتداد.. على أن يعي هذا الشاعر منذ البدء حقيقة أولية، وهي أن **الرمز بذاته لا يخلق عملاً شعرياً ناجحاً، ولكن الذي يفعل ذلك هو توظيف الرمز في مناطه الطبيعي من حركة الإبداع الشعري**، وتحميله نوعاً من الخصوصية العامة أو العمومية الخاصة إذا جاز لنا أن نقول..

بمعنى أن **الرمز يصبح جثة مقتولة إذا أراده الشاعر الفاشل حلية جمالية أو وضعية بلاغية يجمّل بها سياقه الشعري**، أمّا إذا تعامل الشاعر مع الرمز كبناء جمالي كامل يجسّد موقفاً من الواقع وحضارة التاريخ، فإنه يمنح الرمز بهذا التعامل الفاهم قدرة أن يصير، وأن يحرك الأشياء في اتجاه الصيرورة بلا جمود.

على أننا نحذر من الإفراط في خلق الرموز الخاصة، لأن بعض **مأساة الغموض (المسطح)** في الشعر الحديث يعود إلى هذا الفعل الفني المخيف، فماذا يمكن أن يكون غير استحالة أن يفهم المتلقي عن الفنان، إذا أوغل هذا الفنان في خلق رموزه الخاصة، التي لا يوجد تواضع فكري بينه وبين قارئه لا على طبيعتها ولا على دلالتها الجمالية والاجتماعية؟.

إن الغموض في ذاته ليس مطعناً يوجه إلى أصالة الفن. ولكن الافتعال المتعمّد، والإغراب الركيك، والتحدث من خلال لغة غير مجدية، هي المطاعن الحقيقية التي يمكن أن تقتل كل الفنون!!.

الأسطورة في الشعر

والأسطورة من لغة القصيدة الشعرية (المعاصرة.. على الأقل)، وهي اصطلاح يشترك فيه الفولكلور، وعلم الإنسان، وعلم الاجتماع، والتحليل النفسي، والفنون الجميلة[٣].

والأسطورة ـ كما يقول **هرمن بروخ** ـ: «هي سذاجة البداية، هي لغة الكلمات الأولى، والرموز البدائية، وعلى كل عصر أن يكتشفها بنفسه من جديد. إنها نظرة لا تقوم على العقل، بل هي نظرة مباشرة إلى العالم، هي اللمحة الأصيلة للنظرة الأولى، إنها العالم بأسره في صورة واحدة لا تتجزأ»[٤]... وإذا كان في هذا التعريف حسٌّ شعري قد لا يقبض على حد الأسطورة كما ينبغي، فلنتأمّل تعريفاً آخر أقرب إلى منهجية التحديد: «الأسطورة شيء سردي: قصة، في مقابل الحوار الديالكتيكي: الشرح، كما أنها أيضاً الحدسي وغير العقلي في مقابل ما هو فلسفة منهجية»[٥].

أعرف أن هذا التعريف غير دقيق هو الآخر، فهو ينكب أساساً على القيمة الوظيفية أو القيمة التقنية للأسطورة، أكثر من انكبابه على معنى الأسطورة كمصطلح، ولكنه على أية حال أقرب إلى منطق التحديد من التعريف السابق بلا شك. ولسنا ـ بعد ـ في حاجة إلى الجري اللاهث وراء تحديد مصطلح ربما تكون البداهة أصدق في الحكم عليه من معاودات العقل القاتل لفحوى الشيء في الشيء إذا أراده ـ دائماً ـ معادلة رياضية متماسكة الضفاف.

المهم هو أن نتيقّن من أن **الأسطورة في الفن ليست استدراجاً للشعر كي يغيب في أدغال الخرافة الساذجة، وإنما هي امتداد فسيح يتيح للتأمل أن يمارس فيه وجوده الكامل، كما أنها إدراك رمزي للحقائق، وتهيئة لحلول الانسجام فيما بينها**.

يقول رتشاردز في كتابه «**رأي كولردج في الخيال**»: «إن الأساطير العظيمة ليست أوهاماً، بل هي منطوق النفس الإنسانية كلها، وهي من ثَمّ لا يحيط بها التأمل، ولا نأتي على كل ما فيها، وهي ليست متعة أو معاذاً للهرب، حتى يتطلّبها من يتطلّبها للراحة والفرار من حقائق الحياة القاسية، ولكنها هي تلك الحقائق القاسية نفسها معروضة ممثلة، هي الإدراك الرمزي لتلك الحقائق، ومحاولة خلق الانسجام فيما بينها وتقبلها بالرضى.. ومن خلال تلك الأساطير تستجمع إرادتنا، وتتوحّد قوانا، وينضبط نمّونا، ومن خلالها أيضاً يتّزن كياننا المضطرب، ويلتئم وجودنا المشعّث، وبهذه الأساطير يطمئن التناقض، وينسجم النشاز في الأشياء»[٦].

والأسطورة في الشعر ليست زخرفاً تراثياً، وإنما هي فعالية فنية، وهي فعالية فنية لأن الشاعر يتكئ عليها في تجسيد همومه الروحية والحياتية بما لها من جاذبية خاصة، وقدرة على تهديم حواجز الزمن بأضلاعه المثلثة: الماضي والحاضر والمستقبل، وبما لها كذلك من أثر في إشاعة الإحساس العميق بأن الشاعر يقف في منتصف الحوار بين ما هو شَيْئِيٌّ وما هو تجريدي، وبين ما هو ثابت وما هو متحول، وبين ما هو ذاتي وما هو موضوعي، وبين ما هو وعي وما هو حلم، وبين ما هو إنساني وما هو كوني... وبهذا يستطيع الشاعر أن يفجر في العمل الشعري كل هذا الجدل بين كل هذه المحاور، فينتشل قصائده من وَهْدَة البوْح الغنائي

وظيفة الرمز والأسطورة وغيرهما في الشعر الحديث

المسرف ، ويدخل بها عالم الفيْض الدرامي مضموناً وشكلاً على السواء ، إلى جانب الإثراء الهائل لعالم القصيدة من خلال إطلالها بالأسطورة على حضارات العالم القديم والحديث .

يُخْشى مع الأسطورة في الشعر أن ينفصل الحلم عن الواقع بلا عودة ، وأن يستحيل العمل الشعري إلى إحالات مستمرة على تراث الأساطير ، ولكن هذه الخشية تنحلّ إلى لا شيء مع وجود الشاعر الكبير ، الذي يعرف كيف يجدل الواقع في الحلم ، والتاريخي في الخرافي ، والخاص في العام ، وبدون هذه العبقرية الشعرية الخارقة يمكن أن تستحيل الأسطورة في الشعر إلى مجرد جملة معترضة ، أو إلى حكاية ناتئة في بنية العمل الشعري بلا تلاحم عضوي في نسيج السياق .

إن الشاعر هنا مطالب بتجسيد الأسطورة الواقع ، أو الواقع الأسطورة ، دون تدخل منه يفضي إلى موقف إشاري أو وظيفي معيّن . . . في تجسيد الأسطورة الواقع إضاءة للواقع بما هو متعال عليه ، وفي تجسيد الواقع الأسطورة حفز للواقع حتى يتعالى على واقعه ، والشاعر من خلال هذا الفعل الفني أشبه بكائن تاريخي خرافي معاً ، يجْدل بـُعـْدَيْ المعادلة من موقف رؤياويّ يتحسس خطواته على أرض مزروعة بالبراكين والهوّات . . . وتلك وضعية لا يعرفها إلا الفنان الذي يعاني الإبداع الصعب في الفن ، لا أولئك الذين يمرّرون الكلمات في الحبْر ، والحِبْر في عيون الكلمات !! .

القناع . . في الشعر

و (القناع) في الشعر الحديث بعض لغة هذا الشعر ، بما هو أسطورة من نوع معيّن ، أو بما هو بطولة تاريخية من نوع معيّن كذلك . . والشاعر يصطنع القناع ليتحدث من خلاله عن هموم جيله ومعاناته ، محاولا بذلك أن يحقق مسافة عريضة بين ذاته وبين مقولاته الشعرية . **أولا** : ليبتعد عن الغنائية الذاتية التي أسرفت في إفراز الصرخات والنُّدوب النفسية والرؤى الضامرة . . **وثانياً** : ليستطيع خلق الوجود الموضوعي لقصيدته كعالم تحكمه قوانين الطبيعة لا قوانين الأنا الخاصة . . **وثالثاً** : ليتخلص من نمطيّة بعض التاريخ التراثي وحرفية وقائعه بإسقاطه على الواقع وتحويره في اتجاهه . . . **وأخيراً** : ليحدث نوعاً من الحلول المتبادل بين الماضي والحاضر ، فتصبح الرؤية الشعرية أكثر عمقاً واتساعاً إذ هي موصولة بما هو غابر وما هو آني في وقت معاً .

والقناع يتيح للشاعر أن يتحدث عن العارض كأنما يتحدث عن الجوهري . ولكن الشرط الفني هنا أن يحسن الشاعر اختيار قناعه التاريخي الذي ينبغي أن يتسم دائماً بخصوصية ما ، تجعله قادراً على الإيحاء والرمز وتشكيل معادل موضوعي أو إنساني لما يريد الشاعر أن يجسِّده من حسّ ، أو يؤكده من مواقف ، ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا من خلال بصر ثاقب وشمولي بالتراث . . . كذلك ينبغي أن يحسن الشاعر توظيف القناع في عمله الشعري ، بحيث لا يتخلّى هذا القناع لحظة واحدة عن وضعية كونه محور القصيدة وعالمها معاً ، وليس مجرد شاهد تاريخي على ما حدث أو يحدث ، في نفس الوقت الذي لا يتخلّى فيه هذا القناع لحظة واحدة عن ربط إحساساتنا بالقضية الآنية ، أو بالموقف الحضوري ، وهذه هي المهمة الصعبة في توظيف القناع .

قد يتحدث الشاعر الصغير من خلال (**نيْرون**) كقناع ، فلا يذكرنا إلا بالواقع التاريخي لحاكم ممرور ومدينة محترقة وحقبة أغلق الزمن عليها أهدابه ونام . . . وقد يتحدث الشاعر الكبير من خلال (نيْرون) كقناع ، فيسخطنا على كل (نيْرون) في العالم القديم والعالم المعاصر ، ويجعلنا نتحسّس لفح النار على وجوهنا ما يزال ، ويقفنا مع الأمس كوعاء فائر تشكل من خلاله اليوم المحتدم ، وننسى في غمرة التوهج أن (نيْرون) رمز أو قناع أو حتى شخصية تاريخية غابرة ، ولا نتذكر سوى مأساة أن يُحكم العالم بمنطق اللاّمنطق ، وأن تحترق المدن العامرة بالحب والأطفال والخبز ، وأن يختنق التاريخ في غبار هذه العشوائية المريضة !! .

التضمين

و (التضمين) ليس هو التضمين البلاغي المعروف في المصطلح البلاغي القديم كلون من ألوان التجميل أو التمثيل ، وإنما هو قيمة تعبيرية تتكئ على نوع من الاستدعاء التراثي لدفق مزيد من الحيوية والثراء في شرايين النص المعاصر ، أو لتجسيد هذه المقولة التراثية وتعصيرها لما يراه الشاعر فيها من قيم حضارية تستحق أن تظل بها في مناطق الضوء والسُّطوع .

وفوق ما يُحدثه التضمين في الشعر من غنىً ، وما يحدثه في التراث من استمرارية كذلك ، فإن التضمين يعني إلى جوار ذلك أن الشاعر يعي تقاليده الفنية تماماً ، هذه التقاليد التي لا تورث وإنما تكتسب بالبذل والجهاد ، (وهي تتضمن أول ما تتضمّن ، الحاسة

التاريخية ، تلك الحاسة التي لا يتأتّى الاستغناء عنها لمن ينوي الاستمرار في كتابة الشعر)[٧] . . . ولا يعني ذلك أن يغرق الشاعر رأسه في رمال التراث غير عابئ بجدل الواقع الآني ، فليس ذلك مقصوداً من الدعوة إلى وعيه بتقاليد ماضيه ، والاستفادة في عمله الآني من هذا الوعي ، لأن **الحضور الفني** هو أول شروط الفنان الحقيقي ، (**والحاسة التاريخية ، التي هي حاسة اللازمني بقدر ما هي حاسة الزمني ، والتي هي حاسة اللازمني والزمني معاً ، هي التي تجعل من الكاتب كاتباً تقليدياً ، وهي في ذات الوقت التي تجعله يعي مكانه داخل نطاق الزمن ، يعي عصريته وعياً مرهفاً**)[٨] .

وإذا عرف الشاعر طريقه إلى وعي التراث وعياً جيداً ، وعاش ثقافة عصره وهمومه ومجموع المخاضات الفكرية والحياتية التي تتلاغط في جوانبه ، فهو قادر بلا حدود على توظيف الحكمة التراثية المستلهمة من مواقف الرجال ، ومن إبداع العبقرية ، ومن جدل الموت والحياة في كل العصور ، لأن الحكمة التراثية قد تتجسّد في بطولة تاريخية معينة ، وقد تتحدّد في اندلاعة عبقرية فنانة ، وقد تتبدّى في رهج الصراع بين عناصر الفعل وعناصر اللاّفعل ، فإذا أحسن الشاعر تضمين هذه الحكمة – بهذا المعنى – في قصيدته ، فقد استطاع بذلك أن يستحضر مرحلة تاريخية معينة ، وأن يزاوج بين رؤيته الفنية ورؤى أخرى فرضت حلولها على التاريخ ، وأن يجعل من معاناة الآن امتداداً محكوماً بالظفر ، استلهاماً من معاناة الأمس الذي رغم كل معاناته انتصر .

ليس التضمين التراثي إذن مجرد إلحاق يضع الحكمة التراثية وضعاً طبيعياً يزيّن السياق ، ولا يستطيع الفناء فيه حتى حدود العضوية المتنامية . . وليس سرداً وثائقياً يضع المقولات التراثية وضعاً تسجيلياً متعالياً على النص الشعري ، أو غير قادر على الارتفاع إلى ذروة التلاحم معه . . وليس رواية تاريخية تصرف المتلقي عن التحديق في العمل الفني إلى تأمل حرفية التاريخ المحْكيّ . . وليس استعراضاً ثقافياً يريد الشاعر من ورائه أن يبهر قرّاءه أو يستولي على مناطق الإعجاب فيهم بما يحتضن من ثقافات . . . ولكن **التضمين عملية تفجيرية إذا جاز أن يقال ، تفتح الحاضر على الماضي ، والماضي على الحاضر ، والإبداع على التقاليد ، والذات على الموضوع ، والمتحقّق على المتخيَّل ، والوجودي على الأسطوري** . . وبهذه الوضعية يصبح التضمين قيمة تعبيرية خارقة الفحوى ، تضع الإبداع الشعري في مساره الحقيقي من حركة التواتر الفني القابض على حس الخلود .

الوحدة

و (الوحدة) في العمل الشعري ربما تكون وحدة عضوية متنامية ، تشكل مجموعاً من الخواطر المتجانسة التي تتواتر في القصيدة على أساس من منطقية الربط الخفي بين هذا المجموع ، على أن تسير في اتجاه صاعد يحتل مناطق متتالية في الحس الإنساني المتلقي بلا انقطاع . . وربما تكون وحدة شعورية تتجاوز منطقية الترابط الصاعد ، وينتقل الموقف الشعري فيها من النقيض إلى النقيض ، لتفاجئُ المتلقي ، وتثير فيه عناصر الدهشة والوعي ، ومع ذلك فالقصيدة من خلالها لا تفقد وحدتها العضوية المسلَّمة ، لأن الشاعر يُشيع في قصائده التي يشكّلها تحت مظلة هذا المفهوم الوحدوي لوناً من الشعور الكلي المسيطر الذي يعمل من خلال الفعل ورد الفعل على السواء ، أو من خلال الشيء ونقيضه معاً .

والشاعر يعمد إلى هذا التشوش الفكري الظاهر في تشكيل عالمه الشعري ليصل من وراء ذلك إلى تضويء عوالم النفس الغامضة المتشابكة التي قد ترتد في أفعالها الوجودية هي الأخرى من النقيض إلى النقيض .

ومن قال إن (الوحدة) في (الواقع) تأخذ شكل القانون ، أو حتى شكل التناغم العام ؟! إن العالم يمور بكثير من ألوان التناقض الحاد ، ويحتشد بمقولات كثيرة يصادم بعضها بعضاً ، ويرتد في كل لحظة من أقصى النقيض إلى أقصى النقيض . . . إن عشوائية كثير مما نراه أظهر من أن تحتاج إلى أدلة ، وركاكة كثير من القوانين الحاكمة توشك أن تصرخ في الشوارع وعلى أسطح البيوت . . فلماذا في الشعر وحده تراد (الوحدة) على أن تكون عضوية متنامية ، أو شعورية متناغمة ؟ هكذا يواجه النقد الحديث أمثال هذه التحديات .

وإذا سلّمنا بالنظرة الميكانيكية إلى التقسيم الأولي ، فإننا مضطرون معه إلى التأكيد على أن الوحدة العضوية لا تتنافى مع الوحدة الشعورية ، على أن يظلاّ معاً مجرد (إطار عام) قد ينحني على تناقض عارم ، وقد ينحني على تشعّث بلا حدود ، ولكنه في النهاية تناقض يسْلِم إلى رؤية محددة ، وتشعُّث يفضي إلى موقف خاص ، أما التناقض المطلق ، وأما التشعُّث المحض ، فقد لا يعطي عملاً فنياً قادراً على الدوام ، لأن مبدعه أسلم نفسه للأروقة الرّخوة !! .

الهوامش

(١) وارين وويليك : نظرية الأدب ، ص ٢٤٢ – ٢٤٣ .

(٢) وارين وويليك : نظرية الأدب ، ص ٢٤٤ ، وانظر : الصورة الأدبية ، للدكتور مصطفى ناصف .

(٣) انظر : نظرية الأدب ، ص ٢٤٥ .

(٤) انظر : ضرورة الفن ، لأرنست فيشر ، ص ١٢٥ – ١٢٦ .

(٥) انظر : نظرية الأدب ، ص ٢٤٥ .

(٦) النقد الأدبي ومدارسه الحديثة : ستانلي هايمن ، ص ٢٠٩ .

(٧) إليوت : مقالات في النقد الأدبي ، ص ٧ .

(٨) نفس المصدر ، ص ٧ – ٨ .

مقدمة لدراسة الأدب الصهيوني

بقلم: شمس الدين العجلاني

إذا كان للأدب تاريخ وفلسفة ومنطق يعبِّر عن حضارة أمة ووطن، فإن ما اصطلح على تسميته بالأدب الصهيوني يسير على نقيض هذا لدى كافة الشعوب والأمم، فهو تعبير لا يغوص إلى أعماق النفس البشرية إنما يسير باتجاه السطح لغاية تبريرية إعلامية تخدم أهداف الحركة الصهيونية، فهو أدب محدد يسير ضمن منظور معين يستمد موضوعاته من تعاليم التلمود وأحلام التوراة الزائفة.. وبالتالي فإن هذا الأدب الصهيوني بشتى أشكاله وأنواعه أدب غير إنساني يسعى لتبرير العدوان، وتشويه إنسانية الإنسان، ويبتعد عن كل ما هو أخلاقي.

لقد استغل منظرو الحركة الصهيونية سلاح الأدب في المعركة قبل السلاح العسكري، وجاء اهتمامنا كعرب بالأدب الصهيوني متأخراً وعبر محاذير الشك والخوف، فقد اكتشفت الأمة العربية بعد **عدوان حزيران (يونيو) ١٩٦٧م**، أن العدو الصهيوني يعرف كل شيء عنا، الجانب العسكري والسياسي والاجتماعي في حين كنا نجهل الكثير عن هذا العدو الشرس. فقد سعت الصهيونية منذ القديم لدراسة العرب من خلال الوثيقة الأدبية العربية، وكلفت **الجامعة العبرية** بترجمة الكثير من أعمال الأدباء العرب فظهرت أعمال **توفيق الحكيم ونجيب محفوظ**.. وقامت دور النشر الإسرائيلية بطباعتها وتوزيعها رغبة في التعرف عن كثب بالشخصية العربية، بآمالها وآلامها، بحثاً عن مكامن القوة والضعف.

لقد اهتم منظرو الحركة الصهيونية بالأدب قبل أي اهتمام آخر، فالأدب هو الذي عبأ رجال المال والأعمال والاقتصاد ليكونوا في خدمة الصهيونية، وبطبيعة الحال فالصهيونية الأدبية كانت أسبق من الصهيونية العسكرية والسياسية وبقي العرب بعيدين عن دراسة الوثيقة الأدبية الصهيونية.

وقد تنبهنا إلى هذه القضية بعد عام ١٩٦٧م، فظهرت في المكتبة العربية بعض الدراسات التي تهتم بالأدب الصهيوني، وظهرت بين الفينة والأخرى بعض المقالات في الصحف والمجلات العربية تكشف جانباً صغيراً عن ماهية هذا الأدب الصهيوني.

وتبقى مهمة الكشف عن هذا الأدب وفضحه عربياً وعالمياً مهمة صعبة لكنها ليست مستحيلة، إنها مهمة المؤسسات الثقافية والإعلامية العربية، ونحن أحوج ما نكون اليوم إلى تعرية هذا الأدب غير الإنساني الذي يدعو للجريمة والاغتصاب، ويصور الرذيلة على أنها فضيلة، وعلى أنها عمل إنساني جمالي. إن



★ توفيق الحكيم ★

★ غسان كنفاني ★

كشف وتعرية الأدب الصهيوني هو أحد المفاتيح الأساسية لصراعنا مع هذا العدو الشرس .

الأدب .. والصهيونية

الأدب كما سبق وأشرنا هو عمل إنساني اخلاقي نتيجة تفاعل ذات الأديب مع البيئة المحيطة به ، بينما الأدب الصهيوني هو ضرب من أدب يسير باتجاه معاكس للآداب لدى كافة الشعوب والأمم فهو يستقي موضوعاته اللاإنسانية المحددة من قبل منظري الحركة الصهيونية من ترسانة الفكر التلمودي والتوراتي ، فما على الأديب الصهيوني سوى أن يدلي بجعبته إلى مكامن الرذيلة الصهيونية ليخرج بقصيدة أو رواية بقالب إنساني يحاول من خلالها تبرير عملية إرهاب أو اغتصاب .

وهنالك علاقة محددة بين الأديب الصهيوني والسلطة الإسرائيلية يمكن استخلاصها من مقالة مطولة نشرتها **صحيفة « عل همشمار » الإسرائيلية** عام ١٩٧٠ م ، للكاتب الصهيوني « آهود بن عزر » يقول فيها :

★ هنالك عقاب وتدخل في العمل الأدبي فيما إذا حاول الجنوح أو مخالفة أهداف السلطة الإسرائيلية .

★ يجب على الأدب أن يساير أهداف السلطة الإسرائيلية ويدق الطبول لها .

★ على الأدب أن يروج لـ « **القومية اليهودية** » .

تزوير الحقائق والتاريخ

من الأهداف الأولى لما اصطلح على تسميته بالأدب الصهيوني جعل الباطل حقاً عن طريق تشويه الحق العربي ، وتزييف الحقيقة التاريخية الساطعة ، وفي سبيل هذه الغاية دأب منظرو الحركة الصهيونية على العمل لتحويل الرأي العام العالمي عن طريق النتاج الأدبي الصهيوني الموجه إلى العالم الذي تتولى نشره دور النشر الصهيونية ، حيث يسيطر رجال الأعمال الصهاينة على أغلبية هذه الدور ، أو عن طريق دور النشر المتعاطفة مع عدونا الصهيوني حيث تصدر هذه الدور كتباً حافلة بكل أكاديمي طريف في العلوم والآداب وتدس في ركابها بعضاً من هذا النتاج الصهيوني فلا يلبث القارئ أن يتناول جرعة السم دون أن يحس بوطأتها .

فمن خلال استعراض سريع لبعض تضليلات هذا الأدب الصهيوني يتبين لنا أن الكاتب الصهيوني « **يوسف عجنون** » يحاول من خلال قصصه تصوير **دمشق** العريقة بعروبتها بأنها تركة هؤلاء الصهاينة وبأن دمشق العربية ستعود يوماً لشذاذ الآفاق ؟ . في « **قصص إسرائيلية** » وعلى لسان بطلته « **تهلة** » يقول : « إني أدعو الله أن يأتي اليوم الذي تتوسع فيه حدود أورشليم حتى تصل دمشق وفي كل الاتجاهات » ، بينما يعتبر في **رواية « قلب البحر »** المدينتين العربيتين **صيدا وصور** من ضمن الكيان الصهيوني التوراتي المزعوم .

وحاول الكاتب الصهيوني « **أفريم تاري** » أن يجعل من **مجزرة دير ياسين** التي ارتكبتها **عصابات الأراغون** ، والتي ذهب ضحيتها عشرات الأطفال والنسوة العرب العزل ، بأنها عمل دفاعي أخلاقي ، وأن مرتكبيها لم يكونوا مدفوعين باعتبارات منهجية أو سياسية بل كانوا يبحثون عن عدد من الجنود العرب الذين كانوا قد اغتصبوا مجموعة من النساء اليهوديات في القدس . في حين يؤكد « **مناحيم بيغن** » من خلال مذكراته أنه تم التخطيط والإعداد لمجزرة دير ياسين بمعرفته الشخصية بقصد إثارة الرعب والذعر في قلوب العرب ، وبالتالي إجبارهم على النزوح عن أراضيهم .

والمتتبع ليوميات قادة العدو والأعمال التي قام بها **رجال الهاغاناه الإسرائيلين** ، يدرك تماماً إرهابية الهاغاناه وأن رجالها هدفهم القتل والتدمير بأي وسيلة كانت ، ويصف الأدب الصهيوني على لسان الكاتب الصهيوني « **ليون يوريس** » من خلال **رواية « الخروج »** أن « رجال الهاغاناه يشكلون بلا تردد أعلى مستوى ثقافي وعقلاني ومثالي لرجل تحت السلاح » .

ويتطاول الصهاينة على نوابغ العرب في محاولة الادعاء أن عظمتهم عائدة للفكر التوراتي الإرهابي . **فجبران خليل جبران** الشاعر الفيلسوف العربي اللبناني اقتحم الغرب من بابه العريض وفرض نتاجه الأدبي الإنساني على القاصي والداني .

وتتبجح الصهيونية أن عبقرية جبران تعود إلى الصهيونية . هذا ما قاله **رئيس طائفة اليهود في الولايات المتحدة الأميركية « فرانكل »** حين أخذه سحر كتاب « النبي » فلم يرض أن يكون هذا النتاج الأدبي الفلسفي الرائع نتاج عربي خالص فيقول : « إذا قرأنا الكتاب ــ والمقصود كتاب النبي لجبران ــ من الصفحة الأولى إلى الصفحة الأخيرة ، نرى في كل صفحة بل في كل سطر من سطوره فيضاً روحياً خالداً يتدفق من معين نفسي عظيمة عذبة بعطايا الحكمة والمعرفة التي أخذها من معلمينا القدماء » .

ويصل الحقد والتزوير بالأدب الصهيوني إلى



★ جبران خليل جبران ★

★ ... ★

الحضارة والتاريخ فيزعم أن أهرامات مصر وعظمتها يعود إلى اليهود؟ . هذا ما حاولت إحدى الروايات الصهيونية التي نشرت في الستينات أن تقوله : « اليهود المستعبدون يبنون الأهرام تحت سياط المصريين » . وهذه المقولة المزورة أكدها مناحيم بيغن أثناء مفاوضاته مع السادات حين قال له مداعباً وهو يشير إلى الأهرامات : « والأهرامات بناها أجدادنا » .

وكذلك أرض فلسطين العربية العريقة بحضارتها وتاريخها المجيد فهي في نظر هؤلاء الكتّاب الصهاينة أرض قاحلة لم تطؤها قدم ، فجاء اليهود إليها ليجعلوها جنة خضراء تزهو بأنواع الرياحين والورود ، جاءها اليهود لينقلوا إليها الحضارة والتمدن على حد قول **الكاتب الصهيوني «موشيه سميلا نسكي»** : « سنتوجه إليها كبلاد خربة ومهجورة تنتظر الخلاص بفارغ الصبر . . » . وهذا ما أشار إليه أيضاً عجنون في روايته « تهلة » حيث يؤكد من مجمل هذه الرواية على أن : الصهاينة جاؤوا إلى فلسطين وهي قرية مهجورة « عارية هضاب القدس لا توجد معابد أو قصور تتوجها » . في حين **يطرح الكاتب الصهيوني (شراجا أغاتي) في قصته «الرياضيون الصفار عائدون»** مسألة في غاية الغرابة ، فهو يعتبر أن العرب الفلسطينيين إسرائيليون يمجدون الحضارة اليهودية . . . ؟ « آمن هؤلاء الشبان العرب بأنه أزفت ساعة الرجوع إلى حضن شعبهم الحقيقي شعب إسرائيل والمشاركة في عملية انبعاثه العظيمة في بلاده كشركاء متساوين » .

العربي في الأدب الصهيوني

إذا كان الأدب الصهيوني يسعى لتزوير حقائق التاريخ ، فما رؤيته إلى الإنسان العربي ؟ يقول الأديب الفلسطيني الراحل **غسان كنفاني** في كتابه « في الأدب الصهيوني » : **« في العمل الفني الصهيوني تتعرض كل شعوب العالم للاحتقار بدرجة أو بأخرى ، فاليونانيون أذلاء ، والعرب فرارون وخوفة ، والإنكليز متواطئون ، والأميريكيون انتهازيون »** . وتبقى تشويه صورة العرب العمل الرئيسي للكتاب الصهاينة فهم المتوحشون على حد قول **أحاد هعام** « العرب متوحشون مثل الحيوانات ولا يفهمون ما يدور حولهم » أو هم غزاة يبتغون القتل والنهب على حد قول يوسف عجنون : « وجاء العرب واستولوا عليه . . . كانت هنا عائلات يهودية جاء العرب وأخذوا أماكنها . . . » ويخص هذا الصهيوني أغلب نتاجه للإساءة إلى العرب وتشويه صورتهم ، فسعت الصهيونية لمنحه **جائزة نوبل** . فالعرب من خلال مجمل أعمال عجنون :

- أشرار حيث يقول : « يسكن لدى عربي شرير » .
- قذرون « البعوض الأخضر في عيون العرب » .
- متلاعبون « يرفعون أسعارهم عندما يرون القدس ظمأى للماء » .
- فوضويون « جاء العرب جماعات جماعات يثيرون ضجة » .
- قتلة « قتل بأيدي العرب » .
- في حين يستبعد الكاتب الصهيوني « **بورو خوف** » أن يكون العرب أمة ، أو أنهم يمتون إلى الحضارة بصلة فيقول : « يفتقرون إلى شخصية حضارية واقتصادية خاصة بهم ، لا يمكن أن يكونوا أمة » .

مقدمة لدراسة الأدب الصهيوني

المطلوب من العرب

إذا كانت مهمة الكاتب الصهيوني تبرير الغزو والعدوان ، وجعل الباطل حقاً لمن الأولى أن نطالب الجهات العربية الإعلامية منها والثقافية أن تدعم الحق العربي في الحياة وفي التصدي للعدوان الشرس . إن إيماننا بأننا أصحاب حق والاطمئنان بأن الحق تحت إبطنا والنوم بعد ذلك جعل باطل الصهيونية حقاً وحقنا المشروع ضائعاً . . . كما أن استمرار الحركة الصهيونية وإلحاحها على تزوير الحقائق وتجنيد كافة إمكاناتها لتشويه الحق العربي وجعل الرأي العام العالمي يُصدِّق الادعاءات المزيفة .

لقد اهتمت الصهيونية بالوثيقة الأدبية منذ سنين طويلة وترجمت أعمال الأدباء العرب إلى اللغة العبرية في وقت كنا نخشى فيه ذكر كلمة الأدب الصهيوني . لقد استبعدنا الأدب من المعركة في حين جندته الصهيونية للمعركة .

وبعد عام ١٩٦٧ م ، بدأنا نشعر بقيمة الوثيقة الأدبية فظهرت بعض الدراسات العربية التي تسعى لكشف وتعرية الأدب الصهيوني ولكن كانت تدخل هذه الدراسات في محاذير الشك والخوف . وبعد عام ١٩٧٣ م ، زاد الاهتمام العربي بالأدب الصهيوني ، وبدأت المؤسسات الإعلامية ورجال الإعلام والثقافة العربية يهتمون بالوثيقة الأدبية الصهيونية ، ولكن يبقى كل ذلك غيض من فيض ، فالمطلوب التحرك عربياً وعالمياً لفضح وتعرية الأدب الصهيوني بواسطة اللغات المنتشرة ، فالصهيونية استطاعت أن تمنح جائزة نوبل للأدب الصهيوني عبر اثنين أو ثلاثة من أدبائها في حين غابت هذه الجائزة عن عمالقة الأدب العربي الإنساني الذين عُرفوا عربياً وعالمياً ، وترجمت أعمالهم إلى لغات عدة .

فالكاتب الصهيوني يوسف عجنون حين منح جائزة نوبل للآداب عام ١٩٦٦ م ، لم يكن وقتها معروفاً خارج كيانه الصهيوني إلا من خلال عملين قامت بنشرهما إحدى المؤسسات الصهيونية .

إن صراعنا مع العدو الصهيوني بحاجة إلى تعبئة كل الطاقات العربية لمعركتنا مع الصهيونية .

تصويب لغوي

لبعض الاستعمالات الشائعة

مما يشيع من أخطاء الكتّاب والمثقفين اليوم في مجال العبارات والتراكيب.

★ قولهم: أحاط الحديث بالكتمان.

فتعدية الفعل (أحاط) إلى المفعول بنفسه في الجملة السابقة لا يجري على النسق العربي الأصيل، فهذا الفعل لازم لا يتعدى إلى المفعول بنفسه بل بحرف الجر كما جاء في القرآن الكريم مثل قوله تعالى **﴿أحاط بكل شيء علما﴾**[1] وقوله عز حكمه: **﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾**[2].

وفي معاجم اللغة: كل من بلغ أقصى شيء وأحصى علمه فقد أحاط به.

وأجاز بعض الباحثين تعدية الفعل (أحاط) بنفسه فيقال: أحاط الشيء.

ومع هذا فتركيب قولهم (أحاط الحديث بالكتمان) يعتريه الخلل اللغوي، فالإحاطة والشمول فيهما إنما يكون للكتمان فهو الذي يعد كالسياج للحديث، **فالتعبير الصحيح أن يقال: أحاط الكتمان الحديث**، أو كما يرى بعض الباحثين بتعدي الفعل (أحاط) يقال (**أحاط الكتمان بالحديث**).

★ يشيع على ألسنة الباحثين وكتّاب الرسائل: رددت على قول القائل بكذا إلخ.. لكن في معاجم اللغة: رده رداً: صرفه، ورد عليه لم يقبله وخطأه، وهذا التعبير لو حملناه على قول أصحاب المعاجم: (لم يقبله) لكان جائزاً، لكننا نرجح حمله على المعنى الثاني (خطأه) فالذي يُخطَّأ هو الإنسان صاحب الرأي لا الرأي نفسه

وعلى هذا فالعبارة الصحيحة هي:

رددت على القائل رأيه السابق مثلاً.

★ ومن ذلك قولهم: قدمت لكم معروفاً على رغم إساءتكم إليّ.

واستعمال (الرغم) في هذا التركيب يخل بالمعنى اللغوي السليم. فالرُّغم – كما في معاجم اللغة – هو الكره والقسر والذل، ورغم أنفه: ذل.

وجعل الرغم منسوباً إلى الإساءة غير مقبول، فمعنى (على رغم إساءتكم) أي على كراهة إساءتكم وذل إساءتكم.

وعلى هذا فالتركيب الصحيح أن يقال: قدمت إليكم معروفاً مع إساءتكم إليّ.

★ يقولون: يوجد بين الشعراء نابغون مغمورون.

فالفعل (يوجد) لا قيمة له في الجملة السابقة، لأنه لا يؤدي معنى، فكلمة (بين) تفيد معنى الوجود ويستغنى بها عن ذكر هذا الفعل معها.

ومثل ذلك قولهم: سألت عن صديقي فلان فقيل لي: إنه موجود في الكلية، والصواب: حذف كلمة (موجود) لأنها لا تفيد معنى، فالجار والمجرور (في الكلية) يحمل معنى الوجود دون حاجة إلى اسم المفعول المذكور قبله.

★ ويقولون: قدم علي إلى مديره استقالته من العمل.

وهذا التركيب غير عربي في صورته التي هو عليها.

فالاستقالة تعني تقديم الطلب نفسه لفسخ العقد المبرم بين الطرفين، ففي معاجم اللغة: استقاله: طلب إليه أن يقبله، (على معنى أن يعفيه من العمل الذي يقوم به).

فصواب العبارة أن تكون هكذا: استقال علي مديره.. وبعض المعاجم اللغوية تعدي الفعل استقال إلى مفعولين فتصبح العبارة هكذا: **استقال علي مديره الخدمة.**

ومن الأمور التي يعتريها خلل في أساليب الكتّاب والمثقفين اليوم إدخالهم (الباء) – في مجال الاستبدال – على الشيء المرغوب فيه، عكس ما ورد عن العرب الفصحاء من إدخالها على المتروك.

ومن أمثلة كلامهم ما سمعته من التليفزيون في المسلسل الإسلامي (خيول النصر) الحلقة السابعة عشرة، يوم الجمعة غرة جمادى الثانية سنة ١٤٠٢ هـ، على لسان **قتيبة بن مسلم الباهلي** يخاطب **بوران** قائلاً: استبدلت الذي هو خير بالذي هو أدنى.

وهذا التعبير خطأ فاحش وتحريف لنص قرآني هو قوله تعالى في سورة البقرة، الآية ٦١ **﴿قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير﴾**.

والنص القرآني دقيق غاية الدقة فالمبدل (الذي هو أدنى) والمبدل منه (الذي هو خير)، وقد دخلت الباء على المتروك وهو (الذي هو خير) في النص القرآني دخولا عربياً فصيحاً على حين عكس القائم بالتمثيل في هذا المسلسل العربي فأدخل الباء على المرغوب فيه (وهو الذي هو أدنى) دون المرغوب عنه وهو (الذي هو خير) وما أقسى هذا التحريف على النفس، وكيف مر ذلك على المصحح اللغوي دون أن يتداركه.

ويقع في كلام مثقفي اليوم كثير من ذلك بإدخال الباء على المرغوب فيه لا على المتروك، كقولهم:

(لا تبدل العلم بالجهل، ولا تبدل الذهب بالفضة) فيدخلون الباء على (الجهل) وعلى (الفضة) وهما الشيئان المرغوب فيهما على حين أن التعبير الفصيح يقتضي دخول الباء على المتروك فيقال:

(لا تبدل الجهل بالعلم، ولا تبدل الفضة بالذهب).

وما أعلى أن يحتذى القرآن الكريم في ذلك كالآية السابقة وكقوله سبحانه في سورة البقرة، أيضاً، الآية ١٦ **﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين﴾**، فأدخل الباء على المتروك وهو (الهدى) لا على المرغوب فيه وهو الضلالة. وهذا قمة الفصاحة اللغوية ويمكن أن يعاب إدخال الباء على المرغوب فيه في قول **أبي تمام**:

أنا من بدلت بالكتب الصحابا
لم أجد لي وافياً إلا الكتابا

فكان عليه أن يقول:

أنا من بدلت بالصحاب الكتب

الهوامش

(١) سورة الطلاق، الآية ١٢.
(٢) سورة البقرة، الآية ٢٥٥.



يسعد مجلة «الفيصل» أن تفتح هذه النافذة الجديدة إلى جانب النوافذ الأخرى، للإسهام في تسليط الأضواء على الحركة الفكرية والأدبية والعلمية في المملكة العربية السعودية من خلال إصدارات الكتب العديدة في مختلف فروع المعارف الإنسانية.. وذلك لإيمانها بفاعلية هذا الاهتمام الهادف إلى مد جسور جديدة بين الحركة الأدبية والعلمية في المملكة، وبين القراء في الوطن العربي الكبير.

وقد استقطبت المجلة لتحقيق هذا الهدف أقلام النقاد والباحثين والدارسين في مختلف أقطار الوطن العربي.

ولكي نحقق ما نطمح إليه فإن الكتّاب والأدباء والمؤسسات الثقافية السعودية مدعوة للتعاون معنا بتزويدنا بنسخ من الإصدارات القديم منها والجديد.. والله الموفق.

● الكتاب: وحي الصحراء.

● المؤلفان: محمد سعيد عبد المقصود وعبد الله عمر بلخير.

● الناشر: تهامة - جدة - ط (٢) ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م (٤٩٠).

إن طباعة كتاب [وحي الصحراء] مرة ثانية - بعد نصف قرن على طباعته الأولى - ليعتبر عملاً جديراً بالإشادة والتفاخر به، لا سيما وأن النسخة الأولى، أصبحت «في عداد المخطوطات النادرة».

لقد جمع عبد المقصود وبلخير منذ خمسين عاماً - في كتابهما وحي الصحراء - أدباً لأبرز أعلام الفكر والشعر والنثر لمنطقة الحجاز، وعددهم تسعة عشر أديباً. وكان الكتاب فعلاً - كما جاء في صدر الغلاف - صفحة من الأدب العصري في الحجاز.. وعملاً رائداً في المختارات الأدبية، راحت كثير من الأقلام تنحو - من بعده - على منحاه. وإن كتاب وحي الصحراء ليثير العديد من القضايا الأدبية. ويمكننا أن نقف عند أبرزها:

● أولا: - روح الحماس - نجد روح الحماس والصدق والاندفاع لدى رواد النهضات الفكرية والأدبية. وإننا نتلمس الكثير من دوافع الرواد عند كل من عبد المقصود وبلخير وهما يدأبان لإبراز كوكبة من أدباء بلادهم، وتقديمهم إلى القارئ العربي، لا سيما وقد «تجمعنا مواسم الحج في كل عام بلفيف مثقف من شباب العرب، فنجدهم يجهلون عن أدب هذا القطر الشيء الكثير». وإنها لظاهرة قديمة - غفلة الأدباء العرب عن الأدب السعودي - تستحق الدراسة.

● ثانياً: - عملية المختارات الأدبية - إن اصطفاء أو اختيار الأفضل من بين النصوص الأدبية لمجموعة من أدباء المنطقة لهو عمل دقيق وحساس، ويتطلب ذوقاً وثقافة وحساً نقدياً، ويقترب من الجودة والكمال، كلما ساهم عدد كبير من النقاد في عملية الاختيار.. لذلك فقد طلب الجامعان «انتخاب لجنة تتولى درس مواد الكتاب، فانتخب نفر شريف الغاية، سامي الغرض، نبيل المقصد، استمر يوالي جلساته وبذل كل ما في وسعه حتى تم اختيار ما يجده القارئ بين يديه». ولكن رغم أن غالبية أعلام وحي الصحراء قد سطعوا في دنيا الأدب كالشهب، لحسن الاختيار، إلا أن ثمة آخرين من الذين سطعوا لم نعثر على ذكرهم بين الذين أدرجوا في هذا الكتاب أمثال العطار والعواد وغيرهما.

● ثالثاً: - الإلمام بفنون الأدب - الكثير من أولئك الأعلام الذين تضمنهم الكتاب يجمعون سائر فنون الأدب. فهم ينظمون الشعر التقليدي تارة، والنثر الفني تارة أخرى.. فنجد إثر قصائدهم الشعرية، المقالة الأدبية، والذاتية، والنقدية، والخاطرة الفنية.. كما نجد البعض الآخر ممن استقل بالشعر أو النثر.

● رابعاً: - الأسلوب - كان معظمهم قد تمكن من اتقان نظمه الشعري بصياغة تقليدية، لكنها لا تخلو من صبغتها الذاتية والشخصية. وتتفاوت الملكة الشعرية من واحد لآخر. كما أن النثر يبدو عند أغلبيتهم قد تأثر بأدب الدول العربية المجاورة، وبخاصة بالأدب المهجري، وجبران بالذات الذي تشبعوا بروحه، يقول مثلاً عزيز ضياء من خاطرته (فاجعة): «أيها الليل! يا مستودع أنات





★ محمد سعيد عبد المقصود ★

★ عبد الله بلخير ★

قلبي الكسير، وآهات صدري الكليم! أيها الليل! يا شريك سعادتي الذاهبة، وشاهد أفراحي الفانية. أيها الليل! يا ينبوع العزاء، ويا رسول الرحمة إلى البؤساء!».

● خامساً: ـ تعدد الأغراض الشعرية ـ توزعت الكثير من الموضوعات الشعرية قصائدهم، فنجدهم ينظمون في شؤونهم الوطنية، ومناسباتهم العربية، ويتفاخرون بمنطقة الحجاز، وعلى رأسهم الغزاوي وبلخير. فقد كانا مثلاً يعرفان كيف يختاران المناسبة الشعرية التي تترجم المشاعر الوطنية والعربية. فإذا كانت مناسبة الحلف العربي الذي تم بين المملكة العربية السعودية وشقيقتها اليمن عام ١٣٥٣هـ، وبعد أن وضعت الحرب أوزارها.. فلا بد من أن نسمع صوت الفرحة التاريخية منطلقاً من حنجرة الغزاوي:

حمدنا السرى عقبى امتشاق البواتر
وكدنا العدى بالصلح رغم العواثر
وأصبح ما بين العروبة مسفراً
من الحب والقربى ونور البصائر

على أن الشاعر عبد الله بلخير كان في شعره يترجم المشاعر القومية أكثر من أي شاعر آخر. يقول:

يا وحدة العرب التي نسعى لها
حتى نشيدها على الأعماد

كما أننا نسمع ـ من خلال وحي الصحراء ـ شعراً ينفث فيه الشعراء الحجازيون زفراتهم الوجدانية، ويفصحون فيه عن تجاربهم الذاتية حكماً تصطبغ بالمرارة والتشاؤم أحياناً.. فهذا مثلاً حسين سرحان في (زفرة أسى) يقول:

ضغط الأسى قلباً كسيراً ما له
بكفاح أحداث الزمان يدان
وإخال أني لا أحس بنبضه
في الصدر لولا شدة الخفقان
والحول حول الله لا حول امرئ
عصفت عليه زوابع الأحزان
من كل ناحية تعاوده يد
إخفاق آمال وهدم كيان

وكذلك نسمع على ألسنة الشعراء الحجازيين، وعبر وحي الصحراء، صوتاً آخر حزيناً متجاوباً مع البؤس الاجتماعي، بكل صوره ومظاهره وأحواله.. فهذا الشاعر أحمد العرَّابي في قصيدته (أيها العيد) يقول فيها:

أيها الموسرون رفقاً وعطفاً
وحناناً بالبائس المحزون
ربما بات جاركم طاوياً جو
عاً وبتم تشكون بشم البطون
ربما ظل طيلة العيد يستخ
ـفي من الصحب قابعاً كالسجين
يتوارى من سوء منظره المز
ري ومن حاله الكريه المهين
ليت شعري متى يكون لنا عيد
حقيق برمزه المكنون
فيشيع الهناء في كل نفس
ويؤاسي فؤاد كل حزين

وإن كتاب وحي الصحراء، ليجد فيه الدارس والقارئ الكثير من الظواهر الأدبية والفنية والظواهر الأخرى، طالما يصور فيه شعراؤه الشباب مرحلة مرَّ عليها أكثر من نصف قرن.



● الكتاب: على دروب الشمس (ديوان شعر)

● المؤلف: محمد هاشم رشيد

● الناشر: نادي المدينة المنورة الأدبي، في ٢٤٢ صفحة.

هناك قصة لطيفة في التراث ذكرتنا بها قراءتنا لديوان «على دروب الشمس». وخلاصة هذه القصة أن الشاعر «الفرزدق» دخل على الخليفة «سليمان بن عبد الملك» فاستنشده شيئاً من شعره، فأنشده:

وركب كأن الريح تطلب عندهم
لها ترة من جذبها بالعصائب

وهي بائية في غاية الجزالة والرصانة ـ كما يقول نقاد الأمس ـ إلا أنها لم تعجب الخليفة الأموي، وتغير وجهه. وكان «نصيب» حاضراً، وهو شاعر دون الفرزدق موهبة وإجادة، فأنشد:

أقول لركب صادرين لقيتهم
قفا ذات أوشال ومولاك قارب

فهش الخليفة وانبسطت أسارير





★ محمد هاشم رشيد ★

وجهه ، وأعطى جائزة الشعر لنصيب ، حارماً إياها الفرزدق ! .

ومغزى القصة أن الفرزدق لم يفهم حدود المناسبة ، أو غفل عما يقتضيه المقام من مدح هو مطلوب منه . في حين وعى نصيب ، وقدم شعره الذي اعترف نقاد الأمس بأنه دون ما أنشد الفرزدق . والفن في هذه الحال ـ وإن يكن لا مندوحة منه ـ لا وزن له كبيراً ، والشاعرية الأخصب أقل شأناً إن لم تركب موجة المناسبة .

وما نرجو أن يظن محمد هاشم رشيد صاحب « على دروب الشمس » أن نغمزه بتلك القصة ، طالما ذكرنا أنها منطلق الواقعة التي اجترنا ذكرها . فالقارئ ـ أي قارئ ـ يشهد أن شعر الرجل على درجة ملحوظة من البراعة . أو فلنقل ـ بمقياس النقد الحديث ـ فيها تصوير صادق لمعاناة شاعر يعلم أن فنه ليس للمناسبة فقط . ولعل آخر قصيدة في الديوان ـ وهي تحمل عنوانه ـ هي الآية على ذلك ، وكأنها من ذلك النوع الذي غيّر وجه سليمان بن عبد الملك لخروجه عن المدح والتزامه الأداء الذي يثير اللذة الفنية ، ويبعث على التأمل ، يقول :

إخوتي في الدرب عذراً إن شَدَت
أضلعي اليوم وأعياني البيان
فأنا أحيا بآفاق المنى
ليلتي عيد وصبحي مهرجان
اعذروني .. إننا في موقف
يصدح المدفع فيه لا اللسان

وقد نضم إلى ذلك ـ على نحو ما ـ أغنية حب إلى تونس ، وأحزان ليلة العيد ، وأنا وابني والعيد .. مع التسليم بوجود تلك الرائحة التي تغلب على كل الديوان فيها جميعاً ، أعني رائحة المناسبة التي تقربنا من شعر المدح وهو ما كوفئ عليه نصيب تحت بصر الفرزدق ، من لدن سليمان بن عبد الملك .

ومع ذلك فمدح محمد هاشم رشيد ـ وأنا أسميه ذلك ـ لا يثقل بكد المادحين العظماء ولا بسخافة مادحي عصور التخلف . وإنما هو نوع من العطاء الذي يوازن بين أسباب الفن وأسباب المقام ، أو فلنقل الذي لا يترخص بالإحالات والتجوّزات على حساب الفن .

ومن هنا جاء الديوان ـ في جملته ـ مقبولا من الناحية الفنية ، وإن تكن ثمة ملحوظات عليه توشك أن تكون برهاناً على ضآلة شعر المناسبة حتى ولو اتسم ببراعة الأداء ، لأنه قد لا يساير منطق العقل ولا يتفق مع واقع الحياة في نواحيها المختلفة .

وإذا كان هاشم رشيد قد تنبّه إلى ذلك ـ ربما حدساً ـ فخلص شعره من كثير أخذ به شعرنا القديم على أساس أنه في مجموعه قصائد مدح بمعنى أو بآخر فقد وُسِمَ برتابة أو تكرارية تخرج عن تكرارية النماذج العليا التي هي من حق الشاعر عادة ، ولا يؤاخذه أحد بتردادها .

أما النماذج العليا فلا مكان إلى التعرض لها هنا ـ لأنها أدخل في باب التفسير الأسطوري للأدب ـ فتبقى المكررات التي أصبحت آفة في ديوان رشيد ، وهي كثيرة ، وغامت فيها صور أبطال حقيقيين عرض لهم الشاعر مادحاً أو كالمادح .

نعني أن ما قاله في قسم « أصداء وأطياف » عن الفيصل يوشك أن يطابق ما قاله عن خالد ، وولي عهد الأول ـ قبل أن يبايع ملكاً ـ لا يخرج رسماً ومناقب عن ولي عهد الثاني . والأمير عبد المحسن الفذ الذي ساس الأمور بحكمة وسداد ـ على ما ذكر في « موكب الأفراح » ٢٤ ـ لم يتفرّد بهذه الصفات ، لأنها عامة تطلق بغير تفرقة حاسمة بين أن تكون لفيصل أو لخالد أو للفهد ولياً للعهد .

عيب هذا الضرب من الشعر عند رشيد ـ بل كذلك عند غيره ـ هو عموميته . وإلا فلنعد إلى قراءة « هذا الحب » وهي في فيصل وخالد معاً وكانا صاحبي الأيدي البيض في مشاريع النهضة العظيمة ، فسوف نجد أن تلك القصيدة تدور في المحيط نفسه الذي أدار فيه الشاعر قصيدته الأخرى « أفراح ينبع » ١٨ ، بل كذلك قصيدته « في موكب الأفراح » التي أشرنا إليها . وكذلك نقرأ ما قيل في الملك خالد في « تحية البطل » و « هذه طيبة وهذا صداها » ، فإن الأمر لا يختلف ولا نكتشف جديداً .

حتى الرثاء الذي خصه الشاعر بقسم « في رحاب الخالدين » ـ والرثاء ضرب من المدح كالفخر ـ يجور من ناحية على معاني القصائد التي ألحقنا إليها ، فيتساوى من ناحية أخرى ما قاله في فيصل (ص ١١٠) وفي محمد سعيد الدفتردار (ص ١١٨) وفي السقاف (١٢٣) وفي عبيد مدني (١٢٨)





★ محمد العيد الخطراوي ★

ثم في ضياء الدين رجب (١٣٤) . حتى ولو خص واحداً بأنه الراحل في موكب الأبد ، وآخر بأن روحه تتهادى على القدس في فرحة وانتشاء ، وثالث بأنه شاعر الجرح المغرد ـ وهو يعني ضياء الدين رجب وقصيدته فيه من أحسن ما قدم ـ فإن الجميع يظلون مشتركين في عمومية تغيم معها الرؤية الشعرية الخاصة أو المحددة ، ويضيع من ثم التفرد المتميز.

ثم تبقى صفة لازمت فن الشاعر ولا شأن لها بمن ذكرهم ، نعني عباراته أو مفرداته في تشكيلاته التصويرية . ها هنا نلتقي شاعراً أصيلاً له أسلوبه ووسائل أدائه بحيث يقول :

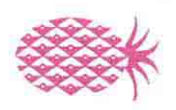
ولك الحب خالصاً من قلوب
ضرّج الشوق لحنها والهيام
....
فلها منك كل مطلع فجر
يا مليكي تلفت وابتسام
وأياد تخضوضر البيد منها
وتغني السهول والآكام

وبدون تحليل ، بل بدون ما حاجة إلى كبير تأمل نحس الفارق الكبير بين ذلك القول وقوله في القصيدة نفسها :

أنت للمسلمين طراً أمام
ذاك حق ما شك فيه الأنام
ربطت مشرق الهدى بشرًا
بين اتصال يسودها الانتظام
....
بل مسير مع التطور للأفضل
والشرع منهج ونظام

فهذه نثرية قاعدتها الأساسية تقرير يرفضه الشعر الرفيع الذي لا يقوم إلا بمثل ما قامت به «ضرّج الشوق لحنها» و «أياد تخضوضر البيد منها» و «شؤبوب عاطفته» و «الدنيا مموسقة» و «لحن أبدي الإيقاع» و «الموعد الذهبي» و «أضاءت يدا فهد دروب المنى» و «بأحداقها أمل ميت» .

نحن لا نريد النثرية من شاعر يدل فنه على أنه قادر على رفضها ! .



● الكتاب : همسات في أذن الليل (ديوان شعر) .

● المؤلف : محمد العيد الخطراوي .

● الناشر : نادي المدينة المنورة الأدبي ، سنة ١٣٩٧هـ ، في (١٥٢) صفحة .

صاحب هذا الديوان باحث وله صولات وجولات في مجالات الصحافة والإذاعة ، كما احتل بحصوله على درجة الدكتوراه في الآداب مكانه في السلك الجامعي بالسعودية . ولأنه كلاسيكيّ الثقافة مولع بالتراث ولعاً يوشك أن يشغله عن استلذاذ نكهة الحداثة ، فقد عرف بضرب من الشعر يربطه بالمحافظين أساساً ، حتى وإن اصطنع إطار الشعر المرسل القائم على التفعيلة .

وفي هذا الشعر بالذات ـ على ما نرى في قصيدته الثواني الدافئة ـ يبدو غريباً . أو كالراوية الشعبي الذي استبدل بالربابة الكمان ، فظل العزف بين يديه على وتر واحد محدود التنوع . إلا أن ذلك لا يعني إطلاقاً أنه يفتقد الشاعرية ، كلا . . ولكن ماذا نقول فيما ينشد صاحب الهمسات التي يرسلها في أذن الليل :

تلك الثواني الدافئة
قفزت كأسراب القطا
في زحمة الآمال تحتضن الحياة
من بين أحناء الجداول والزهور .

أجل ماذا نقول؟ رحم الله الشاعر القديم الذي نادى سرب القطا من قبله «هل من يعير جناحه» لعله إلى من يحب يطير، ولم تكن الطائرة قد اخترعت ولا التليفزيون والصاروخ . وأما الصياغة فصياغة العيد الخطراوي التي هي علامة عليه بمتانة نسيجها كما يقول بلاغيونا ، أو باستواء أدائها الفخم كما يحاول أن يتبسط بعض محدثينا .

على أن ما يلحظ بوجه عام في ديوان ذلك الشاعر ـ وقد سبقه ديوانان آخران ـ هو الطاقة الشعرية الهائلة التي لا يفسدها إلا «العبهرية» و «الحشاشة» و «الدأماء» و «الأريجية» و «الريّق» وغيرها مما يتفق أرومة مع قوله :

وهل ترحمين انتظاري الطويل

إلى الصيِّب الغـامر المنهمـر

أو قوله :

أنـا أنشـودة بثغـر الليـالي
دغدغت مزهري فصغت البحورا
عـالمي الأمنيات يعبـق سـحراً
والـرؤى تستجيش مني الشعورا

وفي نهاية المطاف قوله :

كالنسيم العليـل مـرَّ بـروحه
عبـري الشـذا كريم الجـاني

وماذا لو كان قال : عبقـري الشـذا ! فأوغل في التهويم وابتعد بنا عن العبهرية التي تحتاج إلى « المحيط » على الأقل لنسبر غوره ، أو نستكنه معناه ؟ لـكن المدهش حقـاً أن هـذا الشـاعر الأريحيّ الأغـر ـ وهـذا مـن قـاموسه ـ والضـارب في متاهات الحشاشة وفـوق ثبج الـدأماء إمـا وراء العبهرية وإما وراء الصاب يستطيع بسهولة أن ينشد فيذوب رقة وعذوبة :

فتقبلي أنشـودتي
تـأتيك من روحـي العليلـه
مـن شـاعر متلهف
لقيـاك مـا أروت غليلـه
بفـؤاده حفـر الهـوى
ذكرى معـطرة جميلـه
ذكرى هـواك وإنهـا
سـتظل هـادية سـبيله

وبهذه القـافية نفسها أنشد سـعيد عقل ، وأنشـد الأمير عبد الله الفيصـل ، ولست أظن قـط أن العيد الخـطراوي في أنشودته كان أقل منها غنـائية وصدقاً .

إلا أن عيبه الأساسي ـ إن كان عيباً ـ هـو غلبة المعجم التراثي على فنّه بوجه عـام ، حتى لنعجب كيف في موقف رهافة يـدوّي هادراً بقوله وقد سمع « أنها » مريضة :

يـا عـاصفاً ملك الـدمار زمـامه
فمضى يحطم كلَّ مـا يلفـاه
كـالطفل جاس مخـرباً في متحف
للفن يـكسر مـا تـرى عينـاه
أو قـائد أطغـاه نصرٌ حـاسم
فتوحشَت في خصـمه كفـاه

وبمقاييس النقد العادلة ـ مع ذلك ـ لا يبـدو الشـاعر متـورطاً في صـنعة ولا تكلف . بل ذلك مستواه في الأريحية ، وهي أخلاقية في رصانتها حتى لقد اضطر إلى أن يبحث عن مـبرر لـديوان يقـدمه في الغـزل ، ويلهـث وراء الشـافعي وابـن أبـي ربيعة .

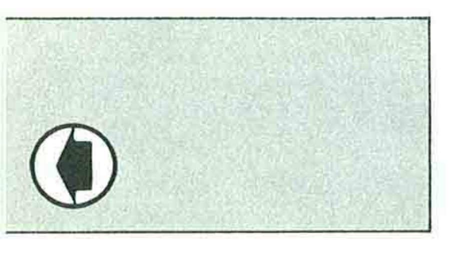
إن الغزل سواء أكان عذرياً أم أحنفياً ـ ولا أقول عمرياً ـ فن سام حقيقـة ، أي لا يستحوذ العذري منه على السمو وحـده كما يريد العيد الخطراوي أن يزعم والآخر ـ حتى ولو كان عمرياً وليس أحنفياً نسبة إلى العباس بن الأحنف ـ لا يمكن أن يكون دليـلاً على فسـاد في الـطوية ولا خلل في الدخائل .

فليأمن الخطراوي الزلل ولا عليه مـن القيل والقال ، فأكبر الظن أن همساته إذا قورنت بملحمة أمجاد الـرياض ـ وهـي مفعمة وطنية ـ أربت عليها فناً وعمقـاً في التجربة الشعرية ، وليس يعيب الشـاعر ألا يوصف دائماً بـأنه واحـد مـن شـعراء الإلـزام بقضايا العـروبة والإسلام ، وإلا فكيف نؤاخذ شاعراً يقول :

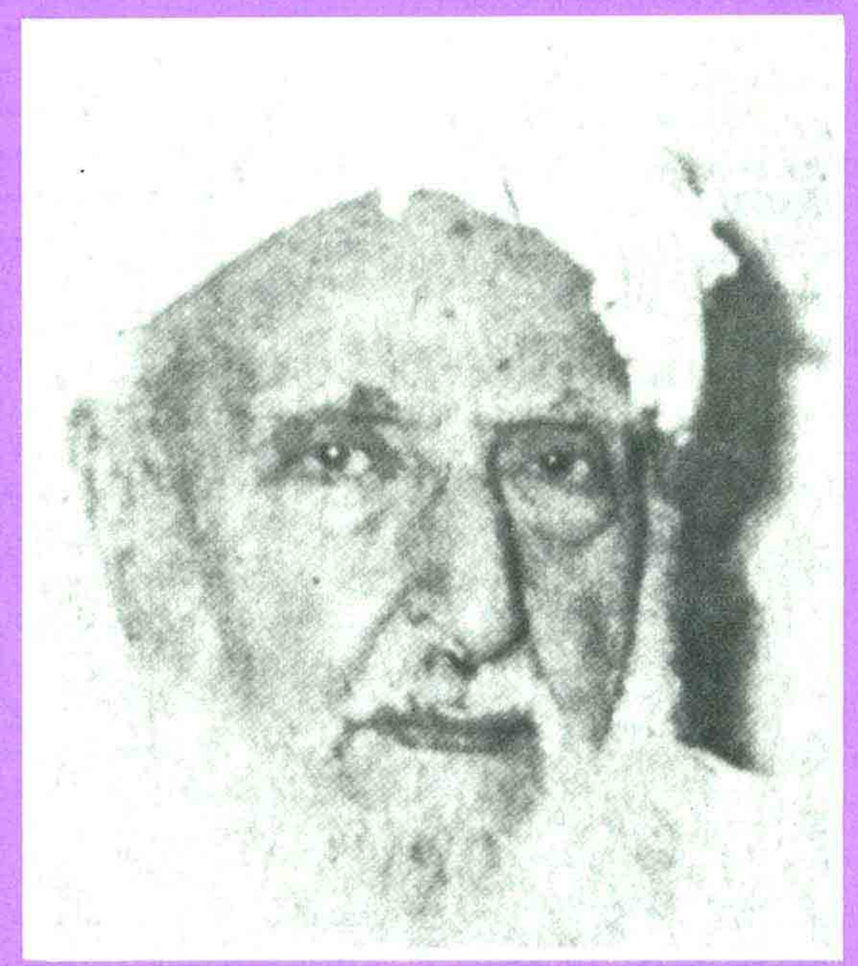
إذا ابتسمت ضحكت لي الحيـاة
وأدلـت إلـيَّ جنـيّ الثمرْ
فـأقطف منـه كما شـاء حـظي
وأنعـم بـالضوء أنـىَّ ظهـرْ
كأني بحضـن النجـوم وليـد
تـداعبني فيـه كفُّ القمـرْ
وتلثمني الشمس عنـد الشروق
فتخشى علـيّ النجـوم الخـطرْ

صحيح لم يـظهر عنـد الشـاعر ـ حتى الآن ـ فلسفة عشقية محددة ، إلا أنـه في مجموع ما قال شاعر يتغنّى بالحبّ فيحسن الغناء ! .





رواد الصحافة والأدب في السعودية: محمد صالح نصيف .. و"صوت الحجاز"



* محمد صالح نصيف *

بقلم: محمد عبد الرازق

يوجد في جدة قصر منيف، بناه الأفندي عمر نصيف، في أوائل القرن الماضي الهجري. وكان الأفندي عمر كبير أعيان جدة ووكيل شريف مكة. والمستفاد مما ذكره عبد القدوس الأنصاري في كتابه «تاريخ مدينة جدة» أن أول وكيل يشغل هذا المنصب هو أبوه الشيخ عبد الله نصيف عام ١٢٦٦ هـ، وقد خلفه ابنه عمر أفندي في الوكالة حينما تولى الشريف عبد الله الإمارة. وحينما توفي عام ١٣٢٦ هـ، خلفه حفيده محمد بن حسين بن عمر بن نصيف. وعندما استقل الملك حسين بالحجاز ألغيت وكالة إمارة مكة بجدة وجعلت جدة قائمقامية[١].

ويقول محمد علي مغربي في كتابه: «أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة»، إن عمر أفندي كان على صلة كبيرة أيضاً بالوالي التركي بالحجاز. وكان هذا الوالي يتخذ من قصر الأفندي مقراً دائماً لإقامته في فصل الربيع. وقد ظل القصر ردحاً من الزمن أبرز معالم جدة طراً. فلم يكن بالمدينة فندقاً أو دار ضيافة، ولم يكن بها نزل يليق بالملوك والكبراء أعظم منه. وعند وفاة الأفندي انحصر إرثه في بناته الست وحفيده الشيخ محمد حسين عمر عبد الله نصيف. وقد رأى راتب باشا أن يؤول القصر للشيخ حتى يظل مفتوحاً لاستقبال الضيوف.

وظل القصر منتدى لكل من تضمهم مدينة جدة من المواطنين والضيوف «فلم يكن يفد إلى جدة عضو في سفارة عربية أو إسلامية إلا كانت زيارة قصر نصيف من أوائل الأعمال التي يقوم بها بعد وصوله إلى المدينة. وكان **الشيخ محمد نصيف** يقضي سحابة نهاره وسدراً من الليل في الدور الأرضي من القصر الذي كانت المكتبة تحتل أجزاء كثيرة منه»[٢].

وحين دخل **الملك عبد العزيز** جدة عام



١٣٤٤ هـ ، كان القصر هو منزل جلالته فشهد وصول الوفود القادمة لمبايعته ملكاً على الحجاز . كما شهد كل الاجتماعات التي كانت تعقد لترتيب أمور الدولة الجديدة . وظل هذا القصر مقراً لجلالته كلما قدم إلى المدينة لسنوات طويلة ، كما أنه ظل يمثل وجهاً مشرقاً لمدينة جدة على مدى ما يزيد عن ستين عاماً .

وإذا كان الأفندي عمر نصيف قد اشتهر ببناء القصر المنيف ، كما اشتهر حفيده الشيخ محمد حسين نصيف بجعله منتدى للناس ، فإن **الشيخ محمد صالح نصيف** ـ الذي ينتمي إلى هذه الأسرة ـ قد اشتهر ببناء قصر آخر « منيف » هو **جريدة « صوت الحجاز »** ، كما اشتهر بفتح صفحاتها للأدباء وناشئتهم ، حتى صارت بحق المدرسة الكبرى للأدب السعودي .

بريد الحجاز

في العهد الهاشمي أصدر **الحزب الوطني الحجازي** ، الذي ظهر في جدة على أثر تطور الأحداث السياسية في الحجاز في نهاية عام ١٩٢٤ م ، جريدة **« بريد الحجاز »** في ٢٩ ربيع الثاني ١٣٤٣ هـ (٢٦ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٢٤ م) ، لتكون لساناً لحاله . وكان صاحب امتيازها ومديرها الشيخ محمد صالح نصيف (١٣١٠ ـ ١٣٩١ هـ) أحد أعضاء الحزب ورئيس بلدية جدة . وقد اهتمت الجريدة بالأخبار الخارجية أكثر من اهتمامها بالأخبار المحلية .

ويقول **عثمان حافظ** إنها نادراً ما كانت تعلق على الأخبار ، وإن أخبارها الخارجية كانت منقولة عن صحف البلاد العربية المجاورة وعن برقيات تعزوها لعواصم الدول الكبرى **كلندن وباريس وموسكو وبومباي ونيويورك وبرلين وروما والآستانة** ، والمعتقد أن هذه الأخبار البرقية منقولة من الصحف ، إذ يبعد أن يكون للجريدة مراسلون في كل هذه العواصم »[٣] .



★ محمد حسن عواد ★

بيد أن طموح شيخنا كان كبيراً كما يدل على ذلك ما ذكره في افتتاحية العدد الأول ، التي تكشف عن أخلاقياته . . فقد أعلن فيها صراحة عن عدم قبوله للإعلانات من أي جهة كانت . وإذا عرفنا أن دخل الجريدة من الإعلانات كان شبه معدوم ، إذ اقتصرت الإعلانات النادرة التي نشرت بها على فتح عيادات جديدة بجدة لبعض الأطباء . . عرفنا مقدار ما تحمله الرجل من أعباء بإصراره على متابعة المسيرة حتى العدد (٥٤) الصادر في ١٧ ذي الحجة ١٣٤٣ هـ (٨ يوليو/ تموز ١٩٢٥ م) . ومع ذلك فقد عادت الجريدة مرة أخرى للظهور بإصرار ، بعد خمسة أشهر وستة أيام من توقفها ، إذ صدر العدد رقم (٥٥) يوم ٢٣ جمادى الأولى ١٣٤٤ هـ (٩ ديسمبر/ كانون الأول ١٩٢٥ م) . ويقول الدكتور الشامخ إنه اطلع على العدد (٥٦) الصادر في ٢٧ جمادى الأولى عام ١٣٤٤ هـ (١٢ ديسمبر/ كانون الأول ١٩٢٥ م) وإنه آخر ما يوجد الآن من أعدادها[٤] . ويبدو أن هذا العدد هو آخر أعدادها ، إذ إن الملك علي بن الحسين قد تنازل عن العرش وغادر جدة في ٦ رجب ١٣٤٤ هـ (٢٢ ديسمبر/ كانون الأول ١٩٢٥ م) .

ورغم أن هذه الجريدة لم تخرج عن كونها « جريدة سياسية » ـ كما أعلنت عن نفسها منذ عددها الأول ـ أنشئت لتكون لساناً لحال الحزب الوطني الحجازي ، ومصدراً « تستق منه أبناء هذه البلاد » . . ورغم محاصرة جو التوتر السياسي والعسكري لها حتى آخر أنفاسها ، الأمر الذي جعل محررها يعتذر عن إهمال الجريدة للميادين الصحفية الأخرى . . رغم كل هذا ، فقد وجدت الصدور الشابة على صفحاتها « متنفساً في بعض المجالات ، وقرئ للشباب من مكة وجدة بعض النفثات الشعرية والنثرية » ، كما يقول السباعي[٥] .

ويشهد عثمان حافظ بأن أسلوب هذه الجريدة قد تحرر من قيود السجع أكثر من زميلاتها التي سبقتها في الصدور ، كما أن موضوعاتها كانت أرفع مستوى . ويعزو ذلك إلى وجود ناشئة في البلاد اهتمت بالأدب الجديد ، وقامت بالإسهام في تحرير الجريدة[٦] . وكان شيخ هؤلاء الشباب ـ إن صح التعبير ـ هو الرائد الكبير **محمد حسن عواد** الذي صال وجال على صفحاتها حتى اعتبر من أبرز كتابها . كما كان الشاعر **أحمد ابراهيم الغزاوي** ـ شاعر **الملك عبد العزيز** فيما بعد ـ يراسلها من مهجره في بورسودان . وقصيدة محمد حسن عواد في تحية هذه الجريدة ، تعبر أصدق تعبير عما كان يعتلج في نفوس الشباب :

صاح حي الرقي . . حي السلاما
حي داعي الوئام . . حي الوئاما
حي عهد النهوض ، حي التعالي
حي بالمجد أمة تتسامى
قد حرمنا حرية العقل عصراً
وحرمنا . . حتى حرمنا الكلاما
طال عهد السكوت حتى مللنا
وأردنا أن نكسر الأقلاما
طال سجن اليراع والآن يبغي
أن يرى في فم الزمان ابتساما
طال عهد السكوت حتى حسبنا
أن هذي الحياة عادت مناما

ويتضح من هذه الأبيات مدى تأثر الشاعر بقصيدة شوقي الشهيرة « إلاما الخلف بينكم إلاما » . وقد لاقت هذه القصيدة هوى في نفوس كافة الشباب المتأدب في ذلك العهد ، حتى أن **عبد الوهاب آشي ـ أول رؤساء تحرير جريدة « صوت الحجاز »** ـ لم ينسها في





★ عثمان حافظ ★



★ أحمد إبراهيم الغزاوي ★

افتتاحيته للعدد الأول من هذه الجريدة ، وكأن مرارة الأيام الماضية تعطيه دفعة قوية لتكثيف الجهد من أجل النهوض ببلاده في الأيام الآتية .

جريدة «صوت الحجاز»

وتعد جريدة «**صوت الحجاز**» الامتداد الطبيعي لهذه الجريدة ، رغم أنها صدرت في ٢٧ من ذي القعدة عام ١٣٥٠ هـ (٤ أبريل / نيسان ١٩٣٢ م) أي أن الفاصل الزمني بينهما يصل إلى سبع سنوات . ويذهب **أحمد السباعي** هذا المذهب حين يقول :

«**واستقر الأمر في الحجاز للملك عبد العزيز ، فانتقلت جريدة «بريد الحجاز» إلى مكة ليصدرها صاحب امتيازها الشيخ محمد صالح نصيف باسم جريدة «صوت الحجاز»**»[٧] ، وهو أيضاً رأي عثمان حافظ كما يبين من قوله : **صوت الحجاز .. هي أول جريدة صدرت على الصعيد الشعبي في المملكة العربية السعودية .. ويعتبر صدورها امتداداً لجريدة «بريد الحجاز» التي أصدرها الأستاذ محمد صالح نصيف نفسه**»[٨] .

لكن ، ماذا كان يفعل الشيخ صالح خلال هذه السنوات السبع ؟ .. هل نسي الصحافة ؟ .. أم أن الحنين كان ما زال يجرفه إليها ؟ ..

لقد عين الشيخ صالح عضواً بمجلس الشورى عن مدينة جدة في أوائل العهد السعودي ، فانتقل بأسرته إلى مكة المكرمة . وفي مكة أبدى نشاطاً من نوع آخر ، وإن كان وثيق الصلة بالصحافة . فإذا كانت الصحافة وليدة الطباعة ، وكانت البلاد تشكو من قلة المطابع ، فليخض غمار هذه التجربة لتحقيق التكامل المنشود إذا ما أتيحت له فرصة إصدار جريدته مرة أخرى .

وكما يبدو أن معدات المطبعة الشرقية بجدة ، التي كانت تطبع جريدة «بريد الحجاز» ، لم تكن ترضي طموحاته ، فقد «استورد من مصر مطبعة ، كما **شارك الأستاذ عبد الفتاح قتلان في تأسيس المكتبة والمطبعة السلفية بمكة المكرمة** ، وكان الغرض منها طبع الكتب التي تعبُر عن المذهب السلفي ونشرها ، في هذه المطبعة . وقد تم طبع جريدة «صوت الحجاز» بها منذ بدء صدورها»[٩] .

وهذه العبارة تشير إلى مطبعتين : المطبعة الأولى التي استوردها من مصر ، والثانية شارك فيها عبد الفتاح قتلان . ولم نجد في أي مصدر آخر غير الإشارة إلى مطبعة واحدة . **فمحمد ناصر بن عباس** لم يورد في العجالة التي كتبها عن الطباعة في المملكة ، وهو بصدد الحديث عن مجهودات الشيخ سوى هذه الإشارة : «وفي سنة ١٣٤٧ هـ .. استورد الشيخ محمد صالح نصيف بالاشتراك مع أصحاب المكتبة السلفية مطبعة كاملة»[١٠] . أما **الدكتور خليل صابات** فقد أفرد فصلاً موجزاً للحديث عن الطباعة في المملكة بكتابه «تاريخ الطباعة في الشرق العربي»[١١] ، لكنه لم يذكر شيئاً عن إنجازات الشيخ صالح .

والمغربي نفسه لا يعود إلى ذكر المطبعة الأولى ، وإنما تنصب كل ذكرياته عن المطبعة الثانية التي يبدو أنها الوحيدة ، فيقول : «ولقد أدركت هذه المطبعة في منزل الشيخ محمد صالح نصيف رحمه الله في **بئر بليلة بأجياد في مكة المكرمة** قبل انتقال ملكيتها إلى **شركة الطبع والنشر** وطبع جريدة «صوت الحجاز» عليها لسنوات كثيرة . وهذه المطبعة أصلاً هي **مطبعة المنار** ، وقد باعها المرحوم **السيد رشيد رضا** إلى أصحاب المطبعة والمكتبة السلفية وهما الشيخ محمد صالح نصيف وعبد الفتاح قتلان . وانتقلت من دار المنار بالقاهرة إلى مكة المكرمة . . . وهي مطبعة قديمة تدار باليد ، وهي لا تزال موجودة حتى اليوم ، وإن كنت أشك أنها تستعمل مع وجود المطابع الحديثة المتطورة»[١٢] .

وقد سجل **محمد سعيد عبد المقصود** في مقاله : «**الطباعة في الحجاز**»[١٣] كثيراً من المعلومات الهامة عن الطباعة في المملكة . فلم يشر سوى إلى مطبعة «المنار» حينما قال : «في عام ١٣٤٧ هـ ، سمحت الحكومة بإنشاء شعبة في مكة للمطبعة السلفية ، وأعفت عموم أدواتها وآلاتها ومكائنها من الرسوم الجمركية ، كما أعفتها من التأمين المالي الذي يقضي به القانون ، تشجيعاً لهذا الفن وترقية له» .

وإلى جانب طبعها لجريدة «صوت الحجاز» قامت بطباعة بعض الكتب ، كما قامت بطبع أعداد من مجلة «**الإصلاح**» .

دور الملك عبد العزيز

ويقول صاحب كتاب «أعلام الحجاز ...» : إن صحيفة «صوت الحجاز» صدرت بتوجيه من جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله . ويستدل على ذلك بنص خطاب مرفوع إلى جلالته ، أطلعه عليه محمد خليل عناني مدير فرع رابطة العالم الإسلامي بجدة ، وكان أحد الموقعين




★ أحمد السباعي ★


★ أحمد قنديل ★

عليه . والنص بعد الديباجة : « في تاريخه أدناه اجتمع الموقعون على هذا تحت إشراف الشيخ **عبد العزيز الرشيد** للنظر في إصدار جريدة يومية حسب الإرادة الملكية التي بلغت إلينا بواسطة الأستاذ المذكور ، وقد قررنا انتخاب **الأستاذ فؤاد شاكر** ليكون مديراً مسؤولا لهذه الجريدة ورئيساً لتحريرها . ولأجل إصدار إرادتكم السامية الملكية بهذا الشأن ، نرفع هذا إلى السدة الملكية أدام الله جلالتكم ذخراً للعرب والمسلمين » . والموقعون على هذا الخطاب هم : **عبد الوهاب آشي ، أحمد إبراهيم الغزاوي ، بكر فالح ، عبد الله عبد الكريم الخطيب ، محمد عناني ، محمد سرور الصبان ، عبد الله فدا ، حسين نصيف** .

ويعقب المغربي على هذا الخطاب بقوله : « واضح من نص هذا الكتاب أن إصدار الجريدة إنما كان بتوجيه من جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله . كما أن مما يلفت النظر أن امتياز هذه الجريدة إنما صدر باسم الشيخ محمد صالح نصيف ولم يكن من الموقعين على هذا الخطاب . ولعل وجود المطبعة السلفية بمكة المكرمة تحت إدارة الشيخ محمد صالح نصيف وعمله السابق في إصدار « بريد الحجاز » ، هو الذي هيأ له الفرصة لإصدار امتياز جريدة صوت الحجاز باسمه . كما أن الاقتراح بتعيين الأستاذ فؤاد شاكر رحمه الله مديراً مسؤولا للجريدة ورئيس تحرير لها لم يتم . فحينما صدرت الأعداد الأولى منها عام ١٣٥٠ هـ ، لم يكن لها رئيس تحرير إنما كان يحررها نخبة من الشبان ، وهؤلاء الشباب هم الأساتذة **عبد الوهاب آشي ومحمد حسن فقي ومحمد حسن عواد** »[١٤] .

ومما لا جدال فيه أن هذه الجريدة قد صدرت بناء على توجيهات الملك عبد العزيز . فقد كان جلالته رحمه الله يولي الصحافة اهتماماً خاصاً باعتبارها الوسيلة الدعائية الأولى في ذلك الوقت ، خاصة وأن الدول العربية لم تكن قد عرفت الإذاعة بعد . فإذا كان جلالته قد دخل مكة في الثامن من جمادى الأولى ١٣٤٣ هـ (٥ ديسمبر / كانون الأول ١٩٢٤ م) فإن جريدة « **أم القرى** » - أولى صحف العهد السعودي - قد صدرت خلال أيام من دخوله المدينة في الخامس عشر من نفس الشهر (١٢ ديسمبر / كانون الأول ١٩٢٤ م) ، كما صدرت مجلة « **الإصلاح** » الشهرية في ١٥ صفر ١٣٤٧ هـ (أول أغسطس / آب ١٩٢٨ م) .

رئيس التحرير .. « ونخبة الشباب »

كذلك ، فقد ورد في عجز تعقيب المغربي ، أنه حين صدرت الأعداد الأولى من الجريدة « لم يكن لها رئيس تحرير معين ، وإنما كان يحررها نخبة من الشبان » . وهذا القول ينافي الواقع ، لمن يطلع على الأعداد الأولى من هذه الجريدة ، فسوف يقرأ في أعلى أولى صفحاتها على اليمين أن « صاحب الجريدة ومديرها محمد صالح نصيف » ، وفي الركن المقابل : « **رئيس التحرير المسؤول عبد الوهاب إبراهيم آشي** » . وقد حرر آشي افتتاحية الجريدة محدداً أسباب إنشائها وأهدافها .

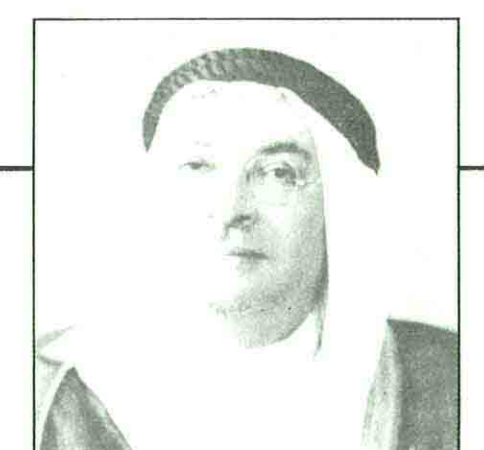
ولعل الذي أثار اللبس عند المغربي أن « النخبة من الشباب » المشار إليها ، قد تولت فعلاً الإشراف على الجريدة . لكن ذلك لم يتم إلا عندما انتقل امتيازها من الشيخ صالح إلى **الشركة العربية للطبع والنشر** ، ابتداء من العدد (١٥٣) الصادر في ١٩ محرم ١٣٥٤ هـ . والأسابيع التي سبقت هذا التاريخ كانت - ولا شك - من الفترات الحرجة التي مرت بها الجريدة . وقد انعكس ذلك على رئاسة تحريرها ، فأسندت إلى **محمد علي رضا** ابتداء من العدد (٩٥) حتى العدد (١٤٧) ، وصدر العدد (١٤٨) دون إشارة إلى رئيس التحرير .

ويقول عثمان حافظ إن رئاسة التحرير منذ هذا العدد أسندت إلى **فؤاد شاكر** دون أن يذكر اسمه . ثم يستطرد قائلاً : « وفي صفر ١٣٥٤ هـ ، الموافق ٧ مايو (أيار) ١٩٣٥ م ، من العدد (١٥٥) أسند تحرير صوت الحجاز إلى (نخبة من الشباب) .. »[١٥] ، ولم يحدد حافظ أسماء « النخبة » . ثم تولى **أحمد قنديل** رئاسة التحرير من العدد (٢٢٩) الصادر في ٤ شعبان ١٣٥٥ هـ (٢٠ أكتوبر / تشرين الأول ١٩٣٦ م) .

ويعود هذا الاصطلاح : « نخبة من الشباب » مرة أخرى إلى الظهور في ٢٦ صفر ١٣٥٧ هـ (٢٦ أبريل / نيسان ١٩٣٨ م) ، إذ يتخلى أحمد قنديل عن رئاسة التحرير بعد صدور العدد (٦٣٧) في ١٢ جمادى الأولى ١٣٥٦ هـ ، فتسند ابتداء من العدد (٦٣٨) إلى **أحمد السباعي** الذي كان قد عين مديراً لشركة الطبع والنشر في ربيع الثاني ١٣٥٥ هـ .

وفي ٢٦ صفر ١٣٥٧ هـ ، يعود السباعي للتفرغ مرة أخرى لإدارة الشركة ، ويعهد بالتحرير إلى « نخبة من الشباب » يحدد عثمان حافظ أسماءها هذه المرة ، كما أخبره بها بعض المعاصرين من الأدباء[١٦] ، فنجد أنها نفس الأسماء التي حددها المغربي ، وهي نفس الأسماء التي ذكرها السباعي في أيامه .

وترجع تغييرات المحررين المتلاحقة ، إلى **أن**



★ فؤاد شاكر ★



★ محمد سرور الصبان ★

الكتابة في الصحف في ذلك العهد لم تكن حرفة ، وإنما كانت هواية الشباب المتأدب المتطلع إلى مستقبل أفضل . فلم يكن يعتمد عليها في مواجهة أعباء الحياة . وأحسب أن الشخص الوحيد الذي اعتمد عليها هو أحمد السباعي ، كما نستطيع أن نستشف ذلك من كتابه «أيامي» .

بيد أن السباعي لم يكن يؤجر لرئاسته للتحرير ، وإنما لعمله بالشركة أساساً . . «وعندما انتقل امتياز الجريدة إلى الشركة العربية للطبع والنشر برئاسة الشيخ محمد سرور الصبان طلبني لأنضم إليه كمدير أعمالها بعد أن اختار لتحريرها الأساتذة عبد الوهاب آشي ومحمد حسن فقي وحسن عواد ، فكنا يداً واحدة ، أشاركهم في أعمال التحرير ، ويساعدني بعضهم في بعض أعمال الإدارة . كان راتبي في هذه الأثناء لا يتجاوز خمسين ريالا ، وكان لكل منهم مكافأة يتقاضاها شهرياً لا تزيد عن ثلاثين ريالا . وزيد راتبي على مر الأيام أو السنين إن شئت ، **فأصبحت أتقاضى تسعين ريالا شهرياً لقاء عملي كمدير لشركة الطبع والنشر ، ومدير للجريدة ، ورئيس مسؤول عن تحريرها ، ومدير لمطبعتها** . كان راتباً يستحق الحسد في نظر الكثير ، رغم أن أعمالي كانت شاقة ومرهقة . . »[١٧] .

وإذا كان انتقال جريدة «بريد الحجاز» إلى مكة ، وصدورها باسم «صوت الحجاز» يعد الحدث الهام الأول في تاريخها ، فإن الحدث الهام الثاني هو انتقال امتيازها من الشيخ محمد صالح نصيف ، إلى الشركة العربية للطبع والنشر ، التي يرأسها الشيخ محمد سرور الصبان في الخامس من المحرم ١٣٥٤هـ (٩ أبريل / نيسان ١٩٣٥م) أي بعد ثلاث سنوات من انتقالها إلى مكة . لم نصلنا حتى الآن أسباب هذا الانتقال .

ويربط الدكتور محمد عبد الرحمن الشامخ بين الانتقال الذي لم يفسره أحد ، وبين الخصومات الأدبية التي كانت الجريدة مسرحاً لها . ودليله على ذلك عودة الأدباء الذين كانوا قد كفوا عن التعامل معها . . «إن من الواضح أن هناك علاقة وثيقة بين الحادثتين ، وأنه قد قصد بهذا العمل إنقاذ الجريدة مما أحاط بها من أزمات»[١٨] .

معارك أدبية

والحق إن هذه الجريدة كانت المدرسة الكبرى التي رعت الأدباء وناشئتهم . ويستطيع مؤرخو الأدب ــ كما أجمع الباحثون ــ أن يربطوا ظهور الأدب الحديث بظهورها ، وظهور المطبوعات التي سبقتها ، وقام بجمعها وترتيبها الشيخ محمد سرور الصبان . **فعلى صفحاتها تربت أجيال ، ودارت معارك حامية الوطيس ، ربما من باب التعطش للكلمة ، والتأثر بالهجاء القديم . . أو من باب البحث عن قضية . . أو هي ــ في النهاية ــ انفعالات الطفولة الفكرية** . وربما لكل هذه الأسباب مجتمعة ، استعرت النار على صفحات الجريدة ، وانتهت بعدم الرضا عنها .

وقد جاهد محمد صالح نصيف لتخليص جريدته منها دون جدوى . وتعرض للقضية على صفحات الجريدة أكثر من مرة . وبالعدد ٩٦ الصادر في الخامس من ذي القعدة ١٣٥٢هـ (١٩ فبراير / شباط ١٩٣٤م) هدد بقفل هذا الباب «ما دام النقد قد خرج عن طور التثقيف والتهذيب والإصلاح إلى الأضغان والأحقاد على كتاب جريدة هي لسان حال النهضة الأدبية» .

وبالعدد (١٣٢) الصادر في ٢٧ رجب ١٣٥٣هـ (٥ نوفمبر / تشرين الثاني ١٩٣٤م) وجه نداء «لاستدراك ما فات وتلافي ما هو آت» ، كما يقول عنوان المقال الذي جاء به : «ليس بعزيز على من سعوا فأدركوا ، وتنازعوا فتفرقوا ، أن تجتمع كلمتهم مرة أخرى ، ويتفاهمون في جو الإخلاص والألفة ، حول هذا البنيان فيدعمونه ما دام المبدأ واحد ، والغاية واحدة» . لكن أمثال هذه النداءات لم تعجب طائفة من الأدباء فكفوا عن التعامل مع الجريدة .

وجريدة «صوت الحجاز» لم تكن تملك أن تكون غير ما كانت . وكل المحاولات التي أرادت أن تخرجها عن خطها الأدبي التلقائي باءت بالفشل . **ذلك لأن الصحافة في الحجاز كانت ما زالت في طور النشأة . وفي هذا الطور ، لا يوجد ــ في الغالب ــ صحفيون ، اللهم إلا أولئك القادمين من الخارج** .

وعدم وجود الصحفيين الموهوبين أو المحترفين ، يلجئ الصحيفة التي تصر على الصدور في هذا المناخ ، إلى الاستعانة بغيرهم من فرسان الكلمة أو صناع الحرف ، فتحتفي بالأدباء والشعراء والمفكرين . وربما استطاع بعض هؤلاء بحماسة كامنة فيهم ، أن يواكبوا الشكل الجديد . لكن هذه المواكبة تظل ــ في معظم الأحوال ــ اجتهاداً مخاضياً لا يؤتي أكله إلا من خلال الأجيال اللاحقة .





★ محمد حسن فقي ★

بيد أن «صوت الحجاز» اختزلت الطريق، فنمت على صفحاتها مواهب نعتبرها ـ بحق ـ شيوخ الصحافة السعودية، سواء في عهدها الأول، أو في عهد الشركة العربية، أو بعد صدور نظام المؤسسات. وسواء أكانت تصدر باسم **«صوت الحجاز»** أو **«البلاد السعودية»** فيما بعد أو **«البلاد»** اليوم.

كذلك فإن عدم الاتصال بوكالات الأنباء، أو وجود مراسلين للجريدة بالخارج يضطرها إلى الاكتفاء بالأخبار الداخلية. ولما كانت الأخبار الداخلية الهامة ـ في هذا الوقت المبكر ـ تغطيها الجريدة الرسمية، وهي ـ ولا شك ـ أقدر على تغطيتها، لقربها من مصدري القرار، فإن أي جريدة تعتزم الظهور، لابد أن تبحث لها عن روافد خاصة تغترف منها لأنهارها، وفق إمكاناتها، وسعيها من أجل إبراز الطابع المميز لها.

فإذا لاحظنا أن جريدة «أم القرى» الرسمية ذاتها، قد نحت نحو الأدب منذ أن تولى محمد سعيد عبد المقصود تحريرها، استطعنا أن نتبين ملامح المواد المتاحة التي كانت تفرض نفسها بالضرورة على الجريدة الجديدة.

المعلم الحاذق

يضاف إلى هذين السببين، **عدم وجود مجلة أدبية تلم شمل الأدباء، فكانت «صوت الحجاز» هي هذه المجلة في ثوب جريدة،** خاصة وأن محرريها كانوا من المتطوعين الذين لا يتقاضون عن كتاباتهم أجراً. والمتطوع عادة، يعبر عن خلجات نفسه ـ وليس عن سياسة الجريدة ـ في إطار القوالب المعروفة في زمنه. وهنا يكمن سر احتفائها بالقصيدة والمقال. وفي الحق لقد طوع المقال نفسه كثيراً على أيدي هؤلاء الشبان.

وقد أجمع الذين أرخوا للشيخ نصيف، على أنه لم يكن من رجالات القلم، ومع ذلك فقد كان مشهوداً له بالنظرة الثاقبة في أمور الصحافة، وقد تتلمذ على يديه الكثيرون، منهم الشيخ أحمد السباعي، الذي أقر بفضله في أيامه فقال: «ومضت أيام عرفت في أثنائها الأستاذ فؤاد شاكر، فرشحني للعمل كمحرر في جريدة «صوت الحجاز» تحت إدارة الشيخ محمد صالح نصيف، وكان له فضل المعلم في كثير مما أكتب. كان لا يجيد صناعة الحرف، ولكنه كان ثاقب الذهن، يمر بما أكتب مرور الحاذق الذي يعرف كيف يتصرف الحرف»[19].

وبعد تخليه عن جريدته، أو تخلي جريدته عنه، لم يعد يذكر اسمه إلا في الوظائف العامة. **وكان آخر منصب تقلده ـ لعدة سنوات ـ رئاسة ماليات جيزان. لكن تاريخ الصحافة سوف يظل يذكره في صدر صفحاته، باعتباره المؤسس لأول جريدة سعودية أهلية، فالتاريخ لا ينسى رجاله.**

ورغم أننا جميعاً نعرف من أسس جريدة «صوت الحجاز» ـ «البلاد» حالياً ـ إلا أنني عرفاناً بجميل الرجل أتوجه إلى أعضاء مؤسسة «البلاد» ـ ومنهم من صحبه في رحلته الشاقة أو عرف قدره ـ ليقرروا في اجتماعهم القادم أن يتوجوا صدر جريدتهم بعبارة صغيرة تقول: «أسسها عام ١٣٥٠ هـ، محمد صالح نصيف».

الهوامش

(١) تاريخ مدينة جدة ـ مطابع دار الأصفهاني وشركاته بجدة، عام ١٣٨٣ هـ ـ ١٩٦٣ م، ص ٢٦٢.

(٢) أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة، نشر مؤسسة تهامة، عام ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م، من ص ٢١٠ إلى ص ٢١٤.

(٣) تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية، ص ٩٧، ـ الطابع والناشر شركة المدينة للطباعة والنشر ـ لم تذكر سنة النشر.

(٤) الصحافة في الحجاز، المرجع السابق، ص ١١١ بالهامش.

(٥) أيامي، الناشر مؤسسة تهامة، عام ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م، ص ١٠.

(٦) تطور الصحافة، المرجع السابق، ص ١٠٣.

(٧) أيامي، المرجع السابق، ص ١٠٠.

(٨) تطور الصحافة، المرجع السابق، ص ١٢٥.

(٩) أعلام الحجاز، المرجع السابق، ص ٢٦٠.

(١٠) موجز تاريخ الصحافة في المملكة العربية السعودية، طبع مؤسسة الجزيرة بالرياض، الطبعة الأولى، عام ١٣٩١ هـ ـ ١٩٧١ م، ص ١٦٩.

(١١) تاريخ الطباعة في الشرق العربي، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية، عام ١٩٦٦ م، الفصل الرابع، من ص ٣٣١ إلى ص ٣٣٦.

(١٢) أعلام الحجاز، المرجع السابق، ص ٢٦٠.

(١٣) جريدة صوت الحجاز، العدد ٣٤٣ الصادر في الخامس من ذي الحجة ١٣٥٧ هـ (١٥ يناير / كانون الثاني ١٩٣٩ م).

(١٤) أعلام الحجاز، المرجع السابق، ص ٢٦٥.

(١٥)، (١٦) تطور الصحافة، المرجع السابق، ص ١٣٠.

(١٧) أيامي، المرجع السابق، ص ١٠٨.

(١٨) الصحافة في الحجاز، المرجع السابق، ص ١٤٢.

(١٩) أيامي، المرجع السابق، ص ١٠٨.



الرؤية الاجتماعية في حديث



بقلم: محمد عبد الله العوين

قبل أن أتناول «حديث عيسى بن هشام» لا بد من إضاءة حول جهد السابقين في ميدان القصة، والمقامة... وكيف بدأت.. وإزالة الالتباس حول تشابه فني المقامة، والقصة، وكيف بدأ تأثير المقامة في مطلع عصر النهضة حديثاً.

وعلاقة حديث عيسى بن هشام بالمقامة تدعو إلى التأمل الدقيق في صناعة المقامة قديماً، وما أنشأه المويلحي حديثاً لمعرفة الارتباط الوثيق بين الجديد والقديم، وإن كان المويلحي لم ينسخ طريقة القدماء نسخاً بل تجاوزها، وجدّد فيها.

نشأة المقامة

فالمعلوم أن **بديع الزمان الهمذاني** قد وضع أسس هذا الفن.. بعد أن استفاده من **«ابن دريد»** على أصح الأقوال، أو من **الحسن بن فارس** أستاذ بديع الزمان.. بعد أن كانت حكاية لم ينتظم عقدها.. فجاء بديع الزمان وأضفى عليها اسم «المقامة»[1].. وضع خمسين حكاية، أو مقامة، تختلف في مواضيعها وأغراضها، ففيها الجاد والهازل، والمفيد، والناقد على شيء قليل من الوضوح، وتعمق في اللغة، والإفادة من الغريب، ومأثور العرب، شعراً، ونثراً، وتعمّد السجع، وإنهاء الحكاية، أو المقامة بنهاية مجلس، أو ما يقاربه.. وجعل راويته **(حدثنا)**.. أو **(قال) عيسى بن هشام**، وهو شخصية وهمية، قد يكون لها دلالة على أحد ما من الناس، لكنه لم يفصح عن هويته، والبطل الملازم في كل المقامات، لا يتغير، ولا يتجدّد هو **«أبو الفتح الإسكندري»**، وقد جعله ساخراً، حافظاً للغة، مقداماً، يتخلص من المواقف بذكاء وحيلة. ثم هو يتعمد أن يصنعه من طبقة المكدين.. فلا ينفك عن السؤال، واستعطاف السامعين بكلام جميل، ونظم بديع.

ثم جاء **القاسم بن علي بن محمد الحريري**، فأنشأ مقامات جديدة على غرار ما صنع الهمذاني، لكن الحريري كان أبلغ في الوصف، وأنضج في حبكة القصة أو هي **المقامة التي تحولت إلى قصة**.. لولا مبالغته في الصنعة، وطلبه للكلفة في إنشاء الحديث، واختيار الألفاظ.. وقد ابتدع شخصيتين مثلما فعل الهمذاني.. لكن شخصية البطل لدى الحريري تكاد أن تكون واقعية غير بعيدة من تجارب عاشها في عصره، فقد نسب هذه الحكايات إلى شخصية البطل **(أبي زيد السروجي)**[2] ورواها **(الحارث بن همام)**.. ولا تكاد تختلف اختلافاً بيناً من حيث تناول الموضوع سوى ما جدّ به الزمان.. على وفاة بديع الزمان[3].. وهو قرن تقريباً!.

وقد **أثرت المقامة العربية في الآداب**

العالمية، وترجمت إلى أكثر من لغة، فعلى سبيل المثال وضع **حميد الدين البلخي** (المتوفى عام ٥٥٩ هـ - ١١٦٧ م) مقاماته متأثراً بجهد منشئي هذا الفن في العربية، غير أنه جدّد نسبياً، فاستحدث لكل مقامة بطلاً.. وحذف الراوي، وأصبح الكاتب (البلخي) هو الواصف، مع محافظته على السجع، واختيار اللفظ البديع، وتعمّد مواطن النقد، والسخرية، والنكتة.

وانتقلت إلى **الأندلس** على يد **يوسف بن علي القضاعي، وأثرت في الأدب الإسباني**.. وعادت إلى الظهور بعد أن كادت الفنون الأخرى أن تغلب عليها، في العصر الحديث، بشكل لم يصل إلى ما أحدثه الأقدمون.. **فكتب ناصيف اليازجي (مجمع البحرين)** عام ١٨٥٦ م، وكتب **حافظ إبراهيم (ليالي سطيح)** عام ١٩٠٦ م.

ثم كتب محمد المويلحي[1] **(حديث عيسى بن هشام)** عام ١٩٠٧ م.. بعد عودته من فرنسا على هيئة فصول نشرها في **مجلة «مصباح الشرق»** التي كان قد أنشأها أبوه إبراهيم.. واشتغل معه في تحرير المجلة.

حديث عيسى بن هشام

الطبعة التي وقعت عليها هي الرابعة، ولم يكتب تاريخ الطباعة[*]، وهي تقع في (٤٦٢ صفحة)، من القطع الوسط، وقد كتب بالحرف الكبير الواضح وقسّم على فصول.

أما كيف بدأ الحديث..؟! فهو ما سأعرضه باختصار شديد، بالوقوف على أهم ما جاء في تنقّل الأحداث، وسيرها إلى الختام.

عيسى بن هشام (**الراوية**) يخرج لزيارة أحد القبور «للعبرة» والعظة، يتذكّر الماضي، وما كان فيه هؤلاء الأموات من النعم.. وكيف



★ حافظ إبراهيم ★

أصبحوا ملتفين بالصمت، والفناء، والعدم.. ثم إذا هو «برجّة عنيفة من خلفي، كادت تقضي بحنقي».. ويتبيّن أن الرجة تلك من رجل «طويل القامة، عظيم الهامة، عليه بها المهابة والجلالة، ورُواء الشرف والنبالة».. ويتم التعارف بينهما بعد الدهشة، والإنكار، وإذا بالرجل المنبعث من القبر أحد الباشوات العظام (**أحمد باشا المنيكلي**) ناظر الجهادية المصرية.

ومنعاً للتطويل أورد أهم الأحداث.. في مراحل العمل القصصي في الحديث.. وأقسمها - حسب ما ذهب المؤلف - إلى مرحلتين:

(أ) في الديار المصرية:

١ - حين ذهب الباشا لأخذ لباسه، اتهمه مكاري بطلبه.. وعدم الوفاء به.

٢ - الذهاب إلى النيابة (ص ٢٣)، تمسك النائب بإدانة الباشا.

٣ - الذهاب إلى المحكمة (ص ٣٧)، حكمها بإدانة الباشا.

٤ - في لجنة المراقبة.. وعدم الحصول على براءة، ثم محكمة الاستئناف، أخيراً الحكم ببراءة الباشا، وطلب أجرة المحامي، تأزم الموقف، استرجاع الباشا لذاكرته ووعيه بوقف قديم خلفه بعد موته (ص ٥٦).

٥ - السعي في الحصول على الوقف.. في المحاكم، والذهاب إلى الأحفاد.. ووصف كل ما جرى له.

٦ - تأزم الموقف بمرض الباشا.. وطلب طبيب، والذهاب إلى الإسكندرية؛ ثم خبر انتشار الطاعون (ص ١٠٦).

٧ - الاختلاط بالأعيان والكبراء وزيارة مجالسهم، للتخفيف عن النفس.

٨ - تضمين **قصصي**.. بإدخال **«عمدة»** و**«خليع»** في سير الأحداث، واشتراك عيسى بن هشام والباشا في هذا الوسط معهم. وزيارة، الحانات، المراقص، السباقات، القمار، الأهرام...

(ب) في خارج مصر - (فرنسا):

١ - في شوارع باريس (ص ٢٠٩).

٢ - زيارة المعرض الكبير (ص ٣٠٣).

٣ - المشاهد الطبيعية في المعرض.

٤ - زيارة برج إيفل.. (ص ٣٤٢).

هذا عرض سريع لأهم نقاط الرحلتين.. ويلاحظ أن الباشا من جيل سابق بحوالي قرن أو يزيد قليلاً عن عصر عيسى بن هشام، واستنكار عيسى لمفاهيم الباشا، وإنكار الباشا لمصطلحات العصر، ودهشته بما جد من جديد في المحاكم، والشوارع، والملاهي، وطريقة الأكل، وما سوى ذلك كثير.

الإيحاء الواقعي في الحديث

الباشا من طبقة حاكمة سابقة، كان لها نفوذها وسيطرتها على موارد البلاد، لذا استولى عليه الذهول حين فوجئ بالمكاري يشتد عليه في طلب استئجار حماره: «اذهب عنا أيها السفيه، فلو كان سلاحي معي لقتلتك» (ص ١٤)، وغلبة الشعور بالعزة والرفعة، بحيث تكوّنت طبقة كادحة خادمة مهمتها تيسير أمور الغالبين، المستفيدين من الموارد: «ألم أقل لك إن الفلاح لا يصلحه إلا الضرب» (ص ١٦).. ثم يقول الباشا عند النيابة: «والذي يزيد العقل خبالا أن يحكم الناس

فلاح ، وينوب عن الأمة حرّاث » (ص ٢٧) .

وهذه الطبقة الباشوية تظهر ولاءها للدين ، وتبدي اعتزازها به ، رغم ما يُرى من انتهاكات واضحة لأبسط المفاهيم الدينية ، كما يفعلون عادة ، عن ابتزاز أموال الناس ، والاستيلاء على الأراضي ، والاسترقاق ، وما سواه .. يقول الباشا : « تاالله لقد فسد الحال ، والحل النظام ، وكيف يعيش الناس ، ويستقر لهم حال بغير شرع الله ، وسنّة نبيه ، وهل أصبحتم في الزمن الذي يعنيه القائل بقوله :

قد نُسخ الشرع في زمانهم

فليتهم مثل شرعهم نُسخوا »

(ص ٣٩) .

ومع تغيّر الأحوال بادت هذه الطبقة ، بما لها من سيئات ، ونبتت بعدها أجيال متعددة ، أخذت بالانفتاح على الغرب ، وكان من جراء ذلك مجتمعان اثنان :

١ ـ **مجتمع القاهرة** .. الذي يتعمد الراوي أن يصف مجمله بأن الحياة فيه تأخذ طابع التحديث ، أو التغريب ، حيث الملاهي ، والحانات ، واتباع نهج الغربيين في الأكل والملبس .. وهذه الطبقة أغلبها من الشبان .. الذين انحرفوا إلى ما يرون الغرب فيه ، فيقلدونه على أي حال .. حتى وصل ببعضهم الأمر إنكار المغيبات .

ولكي تكتمل الصورة لا بد أن نرحل قليلاً مع عيسى والباشا اللذين أصبحا وجهاً واحداً للاطلاع على سيئات مجتمعهما .. وكأنهما قد توحّدا في وجهات نظرهما .. بعد أن كانت بينهما مسافة من عدم الفهم والتناقض ، فيذهبان إلى عرس .. ويشاهدان .. تأثر الحفلة بما يفعله الغربيون ، ويدور نقاش بين أحد المستنيرين من « المشايخ » وعيسى بن هشام والباشا حول الغناء ، ويكون هذا المذهب هو المختار لدى عيسى .. ويبدي إشادته به .. لكنه يستنكر السذاجة التي يبديها الناس تجاه السُّياح



★ عباس خضر ★

الأجانب حينما يفسحون لهم المكان ، ويدخلون أبناءهم ، ويأخذون من العرس مناظر للنساء ، في زينتهن ، يتهادونها .. « وربما نُسخت منها الوف النسخ لتباع في الأسواق الأوروبية ، وتُنشر هناك للاستهزاء والسخرية » . (ص ٢٣٠) .

ثم انظر إلى تهكم عيسى بن هشام بهذه الفئة .. التي صورها أبشع تصوير .. فصاحب العرس ببطره وخيلائه أمام ضيوفه من الأمراء والأعيان .. ثم فُتح البابُ للأمير « وفتح المائدة ، ولا فتح سعد للقادسية ، والمعتصم لعمورية ، ومحمد للقسطنطينية ، نعم ولا فتح جدُّه الأعلى للأقطار الحجازية » (ص ٢٣٠) .

ويدور حوار ساخر بين ريفي ومتمدين حول الوجبات ، وطريقة تناول الطعام ، يحاول أن ينتصر هذا الأخير على الكهل الريفي بإيثار ما جد عن الغربيين ، وما استحدث من وسائل اللهو .. (ص ٢٣٣) ، ثم ما يصنعه الخليع المستهتر بأمور الدين والقيم من سخرية بالعمدة واستغفال له ، وما يحسن ذلك العمدة من قليل ما تقع عليه يده في المطاعم الحديثة التي ينكرها ، ويحس بقسوتها عليه ، وبعده عنها (ص ٢٧٤ ـ ٣٢٢) .

وفي المرحلة الثانية نرى التمازج بين الشخصيتين واضحاً جداً في رؤيتها المشتركة .. فهما ينبهران ـ فعلاً ـ بصنائع الفرنسيين ، ورغبتهم في حفظ تاريخهم .. لكنهم لا يكادون يحفظون تاريخ من حولهم ، فيسرقون الأمم الأخرى[٦] .

٢ ـ **المجتمع الآخر** : هو ذلك السقط اللاهث وراء الحياة .. يجتهد للحصول على الكفاف ، دون رغبة في اللحاق بما يجدّ ، وما يصطنعه الكبراء والأعيان ، وهذه فئة تستوطن الأرياف .. أو يسكن أكثرها القاهرة (مصر) لكنها بعيدة عن لغط الحياة ولغوها .. وهي الفئة التي لم يعمد المويلحي في تصويرها إلا على جانب كبير من الجهل والسذاجة .. خاصة في النصف الأخير من الرحلة الأولى .. بعد أن كاد يتفق مع الباشا في جميع رؤاه .. بينما نراه يصف أبناء الفلاحين في مقدمة الحديث بأنهم غلمان نشطوا في الدرس فتبوؤا أحسن المناصب وأزكاها .. بعيداً عن عراقتهم ، أو شرف محتدهم .

المذهب الفكري في الحديث

خلاصة ما يراه المويلحي في حديث عيسى بن هشام ، يمكن إجماله في عدة نقاط :

أ ـ **النقمة على الطبقية المفرطة** .. وكرهه لاستئثار الباشوات بخيرات البلاد ..

ب ـ **حبه لتحديث البلاد** .. ورغبته في مزيد من التنوير .. المحاكم ، تنظيم القضايا .. زيارة المتحف .. والرحلة إلى باريس في حد ذاتها دليل بيّن .

جـ ـ **نقمته أيضاً على الإسراف في الترف** ، وإضاعة القيم ، وما يحدث من تفكك اجتماعي ، وتردٍ في الأخلاق .. (كما وقف على ما يحدث في الحان والمراقص) ..

د ـ **الحرية الاجتماعية المعقولة** .. كما اتضح في نقاشه مع الحكم الفرنسي (المستشرق) .. وذلك في رحلته إلى باريس .

الحداثة في مقامة هذا العصر

من المقدمة التي أبنت فيها باختصار قيم

(المقامة) التقليدية لدى الهمذاني ، والحريري ، ومقارنتها بما أحدثه المويلحي يتجلى الأسلوب التطويري . . والمناحي التجديدية في أكثر وجوه (الحديث) :

١ ــ لم يقتصر على شخصيتين (عيسى ، والباشا) . . كما هو المعروف . . بل أدخل إلى سياق المقامات ، أو الحكايات أبطالا جدداً ، مثل ، العمدة ، الخليع ، ومن يتولّون ناصية الإقناع . . في مسائل عارضة ، مثل . المستنير من المشايخ في ليلة عرس ، ثم مجلس الأعيان ، ونقاش فيه بينهم ، ثم الحكم في باريس .

٢ ــ التضمين الشعري ، والنثري أحياناً . . على هيئة لم نعهدها لدى من سبقه ، إذ تعودوا طلب الغريب ، والتفاخر بروايته ، وإيراد ما شذ تلذذاً بإيراده ليس إلا . . بينما عمد المويلحي إلى اختيار الأجود في سلاسة ، وحسن استشهاد .

٣ ــ إدخال حكايات عارضة . . وهذه لها فضل في إثراء العمل القصصي ، وتأكيد القيمة الفكرية له . . لكنها من الناحية الفنية تذهب بجمال النهاية التي تتوقع في كل لحظة مما يفسد عليها توقعها ودهشتها ، وانتظارها .

٤ ــ مع إتيانه باللفظ المسجوع . . إلا أنه سهل ، غير شديد التكلف .

٥ ــ نهج الموضوع إلى الواقعية ، بحيث خرج عن الاستحالة ، أو الإغراق في الخيال ، أو طلب النكتة لذاتها ، أو الألغاز والأحاجي .

وكأنه يقدم ــ أحياناً ــ مقالة ، لا قصة ، ولا مقالة ، من روعة الصياغة وجمالها . . ويضفي على الصياغة الراقية تلمّس الخيط القصصي « الذي يربط شتات مواضيعها . . ويرجّح كفة الفكرة على كفة اللفظة »[٧] .

ويذهب **الأستاذ عباس خضر** إلى أن المويلحي كاد أن يقترب بالمقامة من فن القصة الحديث . . لو أنه استلهم شيئاً من إبداعات القصة الأوروبية في عصره ، ولكنه حرص على الفكرة دون حرص شديد على تطوير أسلوب المعالجة . . « فقد كان بإمكانه أن يكون « حديث عيسى بن هشام » قنطرة يعبر عليها فن القصة في بلادنا من التراث العربي إلى طور حديث له خصائص لم توجد . . لأنه لم يوجد »[٨] .

★ د. علي الراعي ★

بينما يذهب **الدكتور علي الراعي** إلى أن المويلحي تصادم في داخله مفهوم الرواية مع استلهام المقامة . . فالأحداث في مجملها ، وترابطها ، وتتاليها تشكل عملاً روائياً جيداً لو صيغ بأسلوب فني روائي[٩] .

٦ ــ النهاية المأساوية التي تتفق مع المفهوم الروائي ــ في الرحلة الأولى ــ مثلاً . . عيسى بن هشام يتحدّث عن الباشا بعد شفائه . . ولعله ، يتوقع أن الحظ قد أقبل . . « وأفضت بصاحبي طيب هذه الإقامة ، إلى المقصود من تمام العافية والسلامة ، لولا أن راءنا شيطان من الإنس بخبر الطاعون ، فقلنا إنا لله وإنا إليه راجعون » . . « وسبحان الله . . ما زلنا نُعلل بزوال النحس والنكس ، وما زالت تناوبنا النوائب والأحزان ، وتراوحنا النوازل في كل منزل ومكان » ص (١١٨) .

الهوامش

(١) أصل المقامة في اللغة : موضع القيام ، وقد استعملت في موضع الجلوس ، استعمال الأضداد ، وروى اللغويون في ذلك قول الشاعر :

وكالمسك ترب مقاماتهم
وترب قبورهم أطيب

كما رووا قول زهير بن أبي سلمى :

وفيهم مقامات حسان وجوهم
وأندية ينتابها القول والفعل

ثم تطور معنى المقامة بعد أن انتقل من المكان إلى الجالسين فيه ، فانتقل إلى الكلام الذي يقال في المجلس . انظر . . المعجم الأدبي ، ص ٢٦٠ . . (مقامة) .

(٢) أبو زيد شخصية حقيقية ، ينسب إلى مدينة (سروج) وهي قريبة من البصرة ، فقد أغار الصليبيون عام ٤٩٤ هـ ــ ١١٠٠ م ، على هذه المدينة وخربوها ، كما أفسدوا البصرة ذاتها ، وشردوا أهل المدينتين ، فرحل أبو زيد يتسوّل ، ويسترحم ، وكان ذا فصاحة ولسن ، يجيد الإلقاء ، ويحفظ الشعر ، وقواعد النحو ، فأعجب به الحريري وحكى على لسانه المقامات ، أو أكثرها . . وخاصة المقامة الحرامية (وهي المقامة الثامنة والأربعون) . . انظر ابن خلكان ، أو وفيات الأعيان ، طبعة بولاق ، جـ ١ ، ص ٥٩٨ .

(٣) حاول أن يستوحي بديع الزمان شخصية (أبو دلف الخزرجي) الشاعر الساخر . . وشبّه عليه أبا الفتح الإسكندري .

(٤) (١٨٦٨ ــ ١٩٣٠ م) ، وهو أديب وصحفي ، درس في الأزهر ، واشترك في الثورة العرابية ، واضطر لمغادرة البلاد ، فأقام مدة في فرنسا وتركيا ، عاون أباه في تحرير (مصباح الشرق) . . أما أبوه إبراهيم المويلحي ، فهو كاتب وشاعر ، أسهم بحظ وافر في بعث النهضة الأدبية ، وأتقن التركية ، والفرنسية ، أنشأ (مصباح الشرق) التي كونت مدرسة جديدة في النثر الأدبي . كان شاعراً ، صاحب أسلوب متين دقيق ، يشع ذكاء ، بارع السخرية إذا أراد . له مجموعة مقالات (ما هنالك) صدرت ١٨٩٦ م . . تحدث عن الأوساط الحاكمة في استانبول .

(٥) الناشر مطبعة مصر .

(٦) ص ٤٠٣ . . في المتحف . . وذكر عيسى لمآثر تاريخ العرب ، وما لديهم من آثار ، وضياعها .

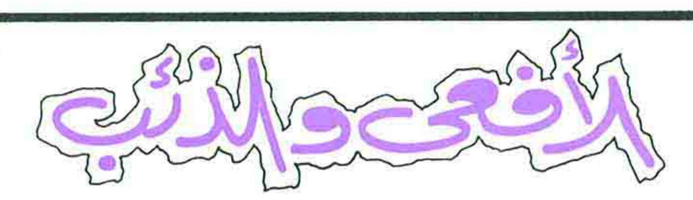
(٧) عباس خضر (القصة القصيرة في مصر منذ نشأتها حتى سنة ١٩٣٠ م) ، ص ١٢٦ .

(٨) المرجع السابق ، ص ٥٣ .

(٩) د . علي الراعي في كتاب (دراسات في الرواية المصرية) ، ص ١٩ .

للاستزادة . . انظر إلى

- كتاب « البنية القصصية ومدلولها الاجتماعي في حديث عيسى بن هشام » ، تأليف محمد رشيد ثابت ، الدار العربية للكتاب ، تونس .
- القصة القصيرة ، دراسة ، مختارات ، د . الطاهر أحمد مكي ، د . المعارف ــ مصر .
- الأدب المقارن ، محمد غنيمي هلال .
- المقامة ، د . شوقي ضيف .



شعر: جهاد جميل الجيوسي

حذار حذار فالأفعى ... على أهدابكم تسعى
ويحمي سعيها ذئب ... على قدميه ما أقعى
قد اتفقا وما ارتفقا ... على زرع الأذى زرعا
فوا أسفي على قومي ... إذا لم يحسنوا صُنعا
ويتفقوا على رجل ... فيجمع أمرهم جمعا
على رجل إذا نادى ... أعاروا قوله سمعا
أنا ما جئت أنشدكم ... ولا ما قلته سجعا
فعذرة لأني جئت (م) ... أقرع سمعكم قرعا
عساني عن مسامعكم ... أذيب بمنطق الشمعا
وأنزع عن عيونكم ... غشاوات الدجى نزعا
تعالوا نجعل التقوى ... علينا في الوغى درعا
لنردع طغمة الأشرار (م) ... عن أقداسنا ردعا
عجبت لمن لهم زاد ... وما زالوا من الجوعى
حرام أن نرى عطشى ... ونحن نجاور النبعا..
حرام أن يظل الذئب (م) ... في أغنامنا يرعى..
ليجعلها طعاماً سائغاً (م) ... يهديه للأفعى..
يقدم جسم أمتنا ... لها ضلعاً يلي ضلعا..
يمزقنا بأيدينا ... ويجلس يرقب الوضعا
ويظهر حرصه كذباً ... ويملأ عينه دمعا
أيذبحنا ويبكينا ... وينعانا إذا ينعى
وسوف يظل ينهشنا ... إلى أن نتبع الشرعا
فحينئذ، بإذن الله (م) ... نخلع جذره خلعا
وندفع عن أراضينا ... وأهلينا الأذى دفعا
ونرفع راية الرحمن (م) ... فوق رؤوسنا رفعا

م = مدوّر يرتبط فيه أول عجز البيت بآخر صدر البيت وهذا ليس للتوضيح ولكن لاحتمال اختلاف الرموز عند العروضيين.

المبرد العالم الأديب

بقلم: د. أحمد عبد الرحيم أحمد عبد الرحمن

★★★ في عصر ازدهار الحضارة الإسلامية كان الخلفاء والأمراء، يشجعون العلماء والمفكرين والأدباء ويجلونهم، ويوفرون لهم أسباب الراحة الذهنية، ويهيئون لهم مجالس العلم والمناظرة، حتى يتيح لهم الاستقرار والاطمئنان، إنتاجاً فكرياً وعلمياً، تزدهر به الدولة الإسلامية، ويزهو به الخلفاء، ويستفيد منه الناس والمجتمع، ويزكو به العلم، ويتدرج في مراحل الترقي.

والمبرد لقب أطلق على: **أبو العباس محمد بن يزيد**. وهو شخصية نحوية أدبية، وظاهرة متميّزة لمعت في القرن الثالث الهجري، وجذبت إليها أنظار الكبراء والوزراء والخلفاء، بفضل التفوق العلمي والأدبي. **نشأ المبرد بالبصرة** وهي في ذلك الوقت مركز إشعاع، وقلعة علم، ودار علماء.. وبها تعلّم ونهل من هذا المنهل الفياض، واستقى من هذا المورد العذب، واغترف من بحر اللغة المعطاء، وقرأ على رجال العلم حتى وصل إلى مرتبة العلماء الأعلام. ثم انتقل إلى **«سر من رأى»** بطلب من **الخليفة المتوكل**. حيث إن المتوكل قرأ وبحضرة الوزير: الفتح بن خاقان **﴿ وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون ﴾** (سورة الأنعام، الآية ١٠٩). فقال له **الفتح بن خاقان**: يا سيدي «إنها» بالكسر ووقعت المشاجرة، فتبايعا على عشرة آلاف دينار، وتحاكما إلى **يزيد بن محمد المهلبي**، وكان صديقاً للمبرد.

فلما وقف يزيد على ذلك خاف أن يسقط عند أحدهما. فقال: والله ما أعرف الفرق بينهما، وما رأيت أعجب من أن يكون باب أمير المؤمنين يخلو من عالم متقدم.

فقال المتوكل: فليس هاهنا من يسأل عن هذا؟..

فقال: ما أعرف أحداً يتقدم فتى بالبصرة يعرف بالمبرد.

فقال المتوكل: ينبغي أن يشخص. فنفذ الكتاب إلى **محمد بن القاسم بن محمد بن سليمان الهاشمي** بأن يشخصه مكرماً.

قال المبرد: وردت «سر من رأى» فأدخلت على الفتح بن خاقان.

فقال لي: يا بصري. كيف تقرأ هذا الحرف **﴿ وما يشعركم انها إذا جاءت لا يؤمنون ﴾** بالفتح أو بالكسر؟

فقلت: إنها بالكسر وهو الجيد المختار، وذلك أن أول الآية **﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم ﴾** ثم قال تعالى يا محمد **﴿ انها إذا جاءت لا يؤمنون ﴾** باستئناف جواب الكلام المتقدم.

قال الفتح بن خاقان: صدقت.

وركب إلى دار أمير المؤمنين فعرفه بقدومي، وطالبه بدفع ما تخاطرا عليه وتبايعا فيه. فأمر بإحضاري فحضرت. فلما وقعت عين المتوكل عليَّ قال: يا بصري. كيف تقرأ هذه الآية: **﴿ وما يشعركم انها إذا جاءت لا يؤمنون ﴾** بالكسر أو الفتح؟

فقلت يا أمير المؤمنين: أكثر الناس يقرؤها بالفتح. فضحك وضرب برجله اليسرى. وقال: أحضر يا فتح المال.

فقال: إنه والله يا سيدي قال لي خلاف ما قال لك.

فقال: دعني من هذا، أحضر المال. وأخرجت فلم أصل إلى الموضع الذي كنت فيه نازلاً حتى أتتني رسل الفتح، فأتيته.

فقال لي: يا بصري أول ما ابتدأتنا به الكذب.

فقلت: ما كذبت. فقال: كيف. وقد قلت لأمير المؤمنين إن الصواب «وما يشعركم أنها» بالفتح.

فقلت: أيها الوزير لم أقل هكذا. وإنما قلت: أكثر الناس يقرؤها

بالفتح وأكثرهم على الخطأ . وإنما تخلصت من اللائمة وهو أمير المؤمنين .

فقال : أحسنت[1] .

ولما قتل المتوكل « بسر من رأى » وقتل معه الفتح بن خاقان ، رحل المبرد إلى بغداد ، ليقوم على التدوين والتأليف .

لماذا لقّب بالمبرد ؟

والباحث في مؤلفات علماء اللغة والأدب يلاحظ أن راء المبرد « الحرف الخامس » من اللقب ، لقيت حظاً كبيراً من عناية الدارسين والمفكرين حيث ذكرت قصص وروايات تثبت فتحها ، وأخرى تثبت كسرها . . ويقول **ابن خلكان** المبرد بضم الميم وفتح الباء الموحدة والراء المشددة ، وبعدها دال مهملة ، وهو لقب عرف به[2] .

واختلف العلماء في سبب تلقيبه بذلك . فيروى أن المبرد سئل : لم لقبت بهذا اللقب ؟ فقال : كان سبب ذلك أن صاحب الشرطة طلبني للمنادمة والمذاكرة ، فكرهت الذهاب إليه ، فدخل على أبي حاتم سهل ابن محمد السجستاني . فجاء رسول الوالي . . يطلبني فقال لي أبو حاتم : ادخل في هذا . . يعني غلاف مزملة فارغاً[3] ، فدخلت فيه ، وغطى رأسه ثم خرج إلى الرسول . فقال : ليس هو عندي . فقال : أخبرت أنه دخل إليك . قال : فادخل الدار وفتشها . فدخل وطاف في كل موضع من الدار ، ولم يفطن لغلاف المزملة ، ثم خرج ، فجعل أبو حاتم . . يصفق وينادي على المزملة : المبرد ، وتسامع الناس بذلك فلهجوا به[4] .

ويذكر **الحافظ أبو الفرج الجوزي** في كتاب « الألقاب » : أن الذي لقبّه بهذا اللقب شيخه أبو عثمان .

والوزير الأندلسي **محمد بن هشام المصحفي** المتوفي في أواخر القرن الخامس الهجري يضبط الراء بالفتح ، ويقول : يقال له : المبرد ـ بفتح الراء ـ ولقّب بالمبرد لحسن وجهه . يقال : رجل مبرد ومقسم ومحسن إذا كان حسن الوجه[5] ، **والسيوطي** يرى أنه لقّب بالمبرد ، لأنه لما صنف **المازني** كتاب « الألف واللام » سأله عن دقيقه وعويصه . فأجابه بأحسن جواب . فقال له المازني : قم فأنت المبرد ـ بكسر الراء ـ أي المثبت للحق ، فحرفه الكوفيون وفتحوا الراء[6] .

أما **ابن عبد ربه** فيعلل فتح الراء في لقب المبرد بأن مبعثه سوء اختيار المبرد للشعر البارد في كتابه « الروضة » قال : ألا ترى أن محمد بن يزيد النحوي على علمه باللغة ومعرفته باللسان ، وضع كتاباً سمّاه بالروضة ، وقصد فيه إلى أخبار الشعراء المحدثين فلم يختر لكل شاعر إلا أبرد ما وجد له ، حتى انتهى إلى **الحسن بن هانئ** ، فاستخرج له من البرد أبياتاً ما سمعناها ولا رويناها ، ولا ندري من أين وقع عليها ، وجل أشعاره في الخمريات بديعة لا نظير لها ، فخطر بها كلها وتخطاها إلى التي جانسته في برده ، فما أحسبه لحقه هذا الاسم ـ أعني المبرد ـ إلا لبرده ، وقد تخيّر لأبي العتاهية أشعاراً تقتل من بردها[7] .

ويذكر **الثعالبي** أن الناس في سبب تلقيبه بالمبرد على قولين :

● **أحدهما** : أنه استحق قول الشاعر فيه :

إن المبرد ذو برد على أدبه
في الجد منه إذا ما شئت أو لعبه
وقلما أبصرت عيناك من رجل
إلا ومعناه إن فكرت في لقبه

● **وثانيهما** : أنه لقّب بذلك على الضد ، كما لقّب الغراب بالأعور . والمثل يضرب به في حدة البصر ، وكما لَقّبَ المتوكل أم ولده المعتز « قبيحة » وكانت أحسن نساء زمانها . فنقشت على خاتمها « أنا قبيحة واقلب » وكما قال أبو نواس في غلام يقال له : سمج .

. . سمّاه مولاه لاستحسانه سمجا[8] .

وأما **نشوان بن سعيد الحميري** فيقول : المبرد لقب محمد بن يزيد النحوي البصري ، لأنه كان يدرس في البرادة[9] .

وكما اختلف العلماء القدماء في سبب تلقيبه بلقب « المبرد » اختلفوا كذلك في ضبط راء « المبرد » بين الفتح والكسر ، وبعض المؤلفين ترك الكلمة دون ضبط . . ولهذا نرى **العلامة محمد عبد الخالق عضيمة** محقق كتاب « المقتضب » للمبرد ، يقول عن **السيرافي** : « ولم يعرض السيرافي لضبطه (ضبط كلمة المبرد) في ترجمته للمبرد في كتابه : (أخبار النحويين البصريين) ونسخة المقتضب التي قرأها السيرافي ليس على الراء فيها إلا الشدة وحدها في الأجزاء الأربعة »[10] .

اتصل هذا الخلاف بين الفتح والكسر بالعلماء المحدثين ، فالشيخ **الشنقيطي** كان متشدداً في كسر الراء ، وكان ينشد في ذم من فتحها :

والكسر في راء المبرد واجب
وبغير هذا ينطق الجهلاء[11]

ومحقق كتاب « المقتضب » يذكر أنه وقف على شعر الظاهر فيه ضبط الراء بالفتح ، ليخلو الشعر من عيب السناد . وهو قول **سليمان بن عبد الله بن محمد النهرواني** المتوفي سنة ٤٩٣ هـ .

تقول ابنتي أبتي تقنع
ولا تطمع إلى الأطماع تعتد
ورض باليأس نفسك فهو أحرى
وأزيد في الورى وعليك أعود
فلو كنت الخليل وسيبويه
أو الفراء أو كنت المبرد
لما ساويت في حي رغيفاً
ولا تبتاع بالماء المبرد[12]

ويذكر العالم النحوي **الأخفش**، بيتين من الشعر أنشدهما أبو العباس المبرد، يبدو منها أنه أراد أن يهون على نفسه ما تشعر به الألقاب في بعض الحالات من ذم جاء فيهما:

لا تكرهن لقباً شهرت به
فلرب محظوظ من اللقب
قد كان لقب مرة رجل
بالوائلي فعد في العرب[١٣]

التندر على المبرد

وكان لقب «المبرد» سبباً في التندر على المبرد أحياناً، ويقول المبرد في ذلك: لم يندر عليَّ أحد في لقبي كما أندر الوراق الملقّب بسذاب، فإني اجتزت به يوماً وهو قاعد في داره، فقام إليَّ وحيَّاني، وعرض عليَّ القرى عرضاً سابري[١٤]. فقلت له: ما عندك؟ فقال: عندي أنت وعليه أنا. وكان عنده لحم مبرد وعليه سذاب مقطع[١٥]. فضحكت منه ونزلت عليه[١٦].

وما من شك أن اشتمال هذا اللقب على هذه الحروف «ب ر د» كان مثار فكاهات سمعها المبرد فتقبلها أحياناً، وضاق عنها صدره أخرى[١٧].. ومن ذلك ما روي أن برد الخيام الكاتب لقي أبا العباس المبرد على الجسر في يوم بارد فقال: أنت المبرد، وأنا برد الخيام، واليوم بارد. أعبر بنا الطريق لئلا يصيب الناس الفالج[١٨].

وقال **أحمد بن طاهر**: خرجت من منزل أبي الصقر نصف النهار في تموز فقلت: ليس بقربي منزل أقرب من منزل المبرد، إذ كنت لا أقدر أن أصل إلى منزلي بباب الشام، فجئته، فأدخلني إلى حويشة له، وجاء بمائدة، فأكلت معه لونين طيبين، وسقاني ماءً بارداً، وقال: أحدثك إلى أن تنام، فجعل يحدثني أحسن حديث. فحضرني لشؤمي وقلة شكري بيتان. فقلت: قد حضرني بيتان أنشدهما؟ فقال: ذاك إليك وهو يظن أني قد أمدحه، فأنشدته:

ويوم كحر الشوق في صدر عاشق
على أنه منه أحر وأومد[١٩]
ظللت به عند المبرد قائلاً
فما زلت في ألفاظه أتبرّد

فقال لي: قد كان يسعك إذا لم تحمد ألا تذم، ومالك عندي جزاء إلا أن أخرجك. والله لا جلست عندي بعد هذا. فأخرجني، فمضيت إلى منزلي بباب الشام، فمرضت من الحر الذي نالني مدة، فعدت باللوم على نفسي[٢٠].

مواهبه

ويذكر الرواة وهم يتحدثون عن مواهب أبي العباس المبرد: أنه أوتي قوة خارقة في حفظ اللغة وآدابها، وذهناً صافياً يمحص به ما يحفظ ويقرأ، وحساً رقيقاً يستشف به مواطن الحسن في الكلام حين يخفى على غيره، ومواطن العيب فيه حين لا يدرك غيره جوانب هذا العيب، ومنطقاً واضحاً فصيحاً مفهماً، يجتذب به ثقة الناس في علمه وأدبه، وحجة مقنعة فاصلة ينتصر بها إذا خوصم، ويهدي بها من طلب إليه أن يهديه[٢١].

ويصفه تلميذه **أبو بكر ابن أبي الأزهر** بأنه: كان من العلم وغزارة الأدب، وكثرة الحفظ، وحسن الإشارة، وفصاحة اللسان، وبراعة البيان، وملوكية المجالسة، وكرم العشرة، وبلاغة المكاتبة، وحلاوة المخاطبة، وجودة الخط، وصحة القريحة، وقرب الإفهام، ووضوح الشرح، وعذوبة المنطق، على ما ليس عليه أحد ممن تقدمه أو تأخر عنه[٢٢].

ويقول أبو بكر ابن مجاهد أحد تلاميذ ثعلب: ما رأيت أحسن جواباً من المبرد في معاني القرآن – فيما ليس فيه قول لمتقدم – ولقد فاتني منه علم كثير لقضاء ذمام ثعلب[٢٣].

وثعلب هذا أحد معاصري المبرد، ممن لهم قدم ثابتة في علم العربية، وكان المبرد يتودد إليه، ويرغب في مجالسته. وثعلب ينزوي عنه مخافة أن تغلبه فصاحة المبرد، وتظهر قوة بيانه على لغة المعلمين التي يلتزم بها ثعلب.

وقد أتاحت له هذه المواهب أن يحتل مكان الصدارة بين علماء العربية في هذا العصر، وأكسبته، وجاهة وسمعة، ومنحته ثقة عارمة بنفسه، وقربت إليه الوجهاء والعلماء، وجعلت من **ابن المعتز** وهو الشاعر الأمير أحد تلاميذه المعجبين به، المقربين إلى داره ومجلسه. وقربت إليه **أبا بكر الصولي** الأديب المؤرخ الجامع لدواوين الشعراء وأخبارهم، ونوادر الخلفاء وأشعارهم ليأخذ عنه وينتفع به[٢٤].

وكان المبرد حاضر البديهة، سريع الإجابة على عويص المسائل. فقد روى **المفجع البصري** أن المبرد، لكثرة حفظه للغة وغريبها، كان يتهم بالوضع فيها فتواضعنا على مسالة نسأله عنها لا أصل لها، لننظر ماذا يجيب. وكنا قبل ذلك قد تمارينا في عروض بيت الشاعر:

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا
حنانيك بعض الشر أهون من بعض

فقال البعض: هو من البحر الفلاني. وقال آخرون هو من البحر الفلاني فقطعناه. وتردد على أفواهنا من تقطيعه «ق بعضنا» ثم ذهبنا إلى المبرد. فقلت له: أيدك الله تعالى: ما القبعض عند العرب؟ فقال: هو القطن. وفي ذلك يقول الشاعر:

كأن سنامها حشي القبعضا

قال فقلت لأصحابي : هوذا ترون الجواب والشاهد . فإن كان صحيحاً فهو عجب ، وإن كان مختلقاً على البديهة فهو أعجب[٢٥] .

وكان المبرد ــ كما يقول ابن خلكان ــ كثير الأمالي ، حسن النوادر ، فمما أملاه أن **المنصور أبا جعفر** ، ولّى رجلاً على العميان والأيتام والقواعد من النساء اللواتي لا أزواج لهن . فدخل على هذا المتولي بعض المتخلفين ومعه ولده فقال : إن رأيت أصلحك الله أن تثبت اسمي مع القواعد . فقال له المتولي : القواعد نساء فكيف أثبتك فيهن ؟ فقال : ففي العميان . فقال له : أما هذه فنعم فإن الله تعالى يقول : **﴿ لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ﴾** (سورة الحج ، الآية ٤٦) . فقال : وثبت ولدي في الأيتام . فقال وهذا أفعله أيضاً ، فإنه من يكن أنت أباه فهو يتيم . فانصرف عنه وقد أثبته في العميان ، وولده في الأيتام[٢٦] .

وفي جمع الجواهر والملح دخل بعض أبناء الملوك على المبرد وعنده سلة حلوى قد أعدها لبعض إخوانه ، فوجد ابنه الفرصة في اشتغال أبيه ، فأقبل يأكل منها ، فنظر إليه المبرد وأنشده :

النـاس في غفـلاتهـم
ورحـى المنيـة تطحـن[٢٧]

وثبت أن المبرد لم يكن يُعلِّم أحداً بدون أجر ، ولا يُعلِّم بالأجر إلا بمقداره ، فمن أعطاه درهماً علمّه بدرهم ، ومن أعطاه درهمين علمّه بهما ، وهكذا . . فاتصل به **الزجاج** وكان قد درس النحو الكوفي على ثعلب إمام الكوفيين ، وأراد أن يتعلَّم النحو البصري على يد المبرد ، لما رأى من سعة علمه . ويصور ذلك الزجاج في أحسن تصوير في أول لقاء له مع المبرد . قال للمبرد : أتأذن ــ أعزك الله ــ في المناقشة ؟ فقال له أبو العباس : سل عمّا أحببت . فسأله عن مسألة فأجاب فيها بجواب أقنعه ؟ فنظر الزجاج في وجوه أصحابه متعجباً من تجويد أبي العباس للجواب . فلما انقضى ذلك ، قال له أبو العباس : أقنعت بالجواب ؟ فقال : نعم . قال : فإن قال لك قائل في جوابنا هذا . . كذا ما أنت راجع إليه ؟ وجعل أبو العباس يوهن جواب المسألة ويفسده ويعتل فيه . فبقي الزجاج سادراً لا يحير جواباً . ثم قال : إن رأى الشيخ ــ أعزه الله ــ أن يقول في ذلك . فقال أبو العباس : فإن القول على نحو كذا فصحح الجواب الأول وأوهن ما كان أفسده ، فبقي الزجاج مبهوتاً . ثم قال في نفسه يجوز أن يكون حافظاً لهذه المسألة مستعداً للقول فيها ، فسأله عن مسألة ثانية ، ففعل المبرد ما فعله في المسألة الأولى حتى سأله أربع عشرة مسألة يجيب عن كل واحدة منها بما يقنع ، ثم يفسد الجواب ، ثم يعود إلى تصحيح القول الأول .

فلما رأى ذلك الزجاج قال لأصحابه : فلست مفارقاً هذا الرجل ، ولا بد لي من ملازمته والأخذ عنه[٢٨] ، ولهذا قاوله أن يعلّمه كل يوم بدرهم ، ووفى له بذلك . فكل يوم يعطيه درهماً ، وكل يوم يتعلّم منه بمقداره[٢٩] .

شاعرية المبرد

وبجانب مكانة المبرد في علوم العربية ، كان يجيد الشعر ، ويقول منه ما يتسم بالدقة والقوة ، ويفيض بالحكمة ، وعطاء الكلمة . سأل المبرد **بشر بن سعد المرشدي** حاجة فتأخرت ، فكتب إليه :

وقـاك الله مـن إخـلاف وعـد
وهضـم إخـوة أو نقض عهـد
فـأنت المرتجى أدبـاً ورأيـاً
وبيتـك في الـرواية مـن معـد
ويجمعنـا أواصر لازمـات
سـداد الـرأي مـن حـب وود
إذا لم تـأت حـاجاتي سراعـاً
فقـد ضـمنتها بشر بـن سـعد
فـأي النـاس آملـه لـبر
وأرجـوه لحـل أو لعقـد[٣٠]

ويقول في بيتين يشرقان بالحكمة والأصالة :

مـا القـرب إلا لمن صـحت مـودته
ولم يخنـك وليس القـرب للنسـب
كم مـن قـريب دوي الصـدر مضـطغن
ومن بعيـد سـليم غـير مقـترب[٣١]

وله في الغزل :

إن كنت لست معي فـالذكر منك معي
يـراك قلبي إذا غيبت عـن بصري
والعـين تبصر مـن تهوى وتفقـده
وباطن القلب لا يعـي مـن النـظر[٣٢]

آثاره

وقد ترك المبرد للمكتبة العربية تراثاً ضخماً لا ينضب في النحو والصرف والبلاغة ومعاني القرآن الكريم ، وكتابه « الكامل » هو أكثر كتبه ذيوعاً وشهرة ، بقي أجيالا بعد أجيال ، وهو يعد في المكتبة العربية أحد أصول الأدب ، لأن المبرد أفرغ فيه من حصيلة علمه ، جملة وافرة من نصوص الأدب العربي الأصيل ، وتولى تفسيرها وشرحها بكل ما يحتاج إليه الشرح من وسائل لغوية ، وتخريجات نحوية ، وإيضاحات معنوية ،

وتنبيهات إلى ما جرت عليه العرب في أساليب خطابها ، وما آثرت من تعبيرات ، وما هجرت من أساليب ، وما تطلقه صريحاً بين الدلالة ، وما تجيء إليه من طريق الإشارة والوحي ، وما ارتبط من معانيها بعادات جاهلية ، أو تصورات وهمية ، أو تصرفات طغت عليها الحضارة ، أو ألوان من الحياة البدوية طويت معالمها مع مرور الأيام ، أو قصة قديمة يرتبط بها معنى النص ، أو نادرة مستحدثة تكون دليلاً عليه .

وقد نهج المبرد في تأليف « الكامل » منهج المعلمين المتميّز بمتابعة جزئيات النص جزئية عقيب جزئية . فهو يبدأ بما في النص من غريب اللغة ، ولا يدع الكلمة الغريبة إلى غيرها حتى يدعمها بالشاهد بعد الشاهد ، وإذا عرض في الشاهد ما يراه خفياً على القارئ تناوله بالشرح والبيان وبالشاهد أيضاً ، حتى يقطع بالفروع الصلة المحكمة بين جوانب النص الأصلي ، فإذا جاء دور المعنى أتبعه بعد إيضاحه بالنظير والشبيه ، وهكذا دواليك[٣٣] .

وكتاب « **المقتضب** » أعظم ما وصل إلى العلماء من الكتب الأصيلة ، وأول كتاب عالج مسائل النحو والصرف بالأسلوب الواضح ، والعبارة المبسوطة ، وكان الأستاذ **محمد عبد الخالق عضيمة** الأستاذ بجامعة الأزهر سابقاً وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية حالياً ، من المهتمين بالمبرد وأثره في العلوم العربية ، فوضع رسالة في هذا الشأن نال بها العالمية من درجة أستاذ من كلية اللغة العربية جامعة الأزهر ، اقتضى ، عمله في هذه الرسالة أن يدرس كتاب « **المقتضب** » للمبرد . وقد رأت لجنة إحياء التراث بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، أن تعهد إليه تحقيق هذا الكتاب ، لما للمبرد من منزلة بين علماء العربية ، ولما « **للمقتضب** » من أثر في جلاء مذهبه النحوي وبيان ملامحه ومعالمه . فقام بتحقيقه وتم طبع الكتاب في أربعة مجلدات في أوائل الستينات ، وفي نهاية سنة ١٩٧٩ م ، أعاد المجلس طبع الأجزاء التي نفدت من طبعته الأولى .

وللمبرد كتاب « **المذكر والمؤنث** » وهو كتاب غني بمادته العلمية في موضوعه ، ولا غنى عنه لدارسي العربية والباحثين فيها . وقد عمل على نشره مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية[٣٤] .

وفي سنة ١٩٧٥ م ، قامت **الهيئة المصرية العامة للكتاب** بنشر وطبع كتاب « **الفاضل** » تحقيق **الأستاذ عبد العزيز المسيمني** رئيس القسم العربي بجامعة كراتشي بالباكستان ، وكتاب « **الفاضل** » للمبرد جاء عنه في مقدمة الكتاب : « وقد جرى المبرد في هذا الكتاب على نحو ما جرى عليه في كتابه « **الكامل** » ، من إيراد مصفى الشعر ، ومنحول النثر ، وروائع الخطب ، وبليغ الرسائل ، وطريف الأخبار ، وغريب اللغة والنوادر . وهذا النص لم ينشر من قبل ، بل لعله لم يكن مما عرف من الكتب التي تداولها العلماء والأدباء ، مما خلفه القدماء عامة ، والمبرد خاصة ، على نفاسة الكتاب ، وجلالة قدر مؤلفه[٣٥] .

وآثار المبرد تبدو واضحة فيما تركه العلماء القدماء والمحدثون من مؤلفات ، والباحث في أمهات الكتب القديمة يجد ذكر لكثير من كتب المبرد في الشعر واللغة والمقصور والممدود والقوافي والأدب إلى غير ذلك ، مما يدل على سعة علم الرجل وقوة ذكائه ، وحرصه البالغ على التحصيل ، والموضوعية ، وما يمد الحضارة الإنسانية بكل نافع ومفيد .

الهوامش

(١) إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي ، ج ٣ ، ص ٢٤٣ ، ط القاهرة .

(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان ، ج ٣ ، ص ٤٤٦ ، ط القاهرة ١٩٤٨ م .

(٣) المزملة : ما يبرد فيه الماء .

(٤) إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .

(٥) المكتبة الأندلسية ، ص ٣٢٣ .

(٦) المزهر للسيوطي ، ج ٢ ، ص ٤٢٧ ، ط القاهرة ١٩٥٨ م .

(٧) العقد الفريد لابن عبد ربه ، ج ٦ ، ص ٧٧ ، تحقيق أحمد أمين ، ط القاهرة ١٩٤٨ م .

(٨) لطائف المعارف للثعالبي ، ص ٤٦ ، تحقيق الابياري والسيرافي ، ط القاهرة ١٩٦٠ م .

(٩) شمس العلوم . للحميري ، ج ١ ، ص ١٤٦ تحقيق « تسترستين » ، ط ليدن ١٩٥١ م .

(١٠) المقتضب للمبرد ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، ج ١ ، هامش ص ١١ ، ط بالقاهرة .

(١١) المقتضب ، ج ١ ، ص ١١ .

(١٢) المقتضب ، ج ١ ، ص ١٢ ، ومعجم الأدباء ، ج ١٣ ، ص ٢٣٥ ، ط القاهرة ١٩٣٦ م .

(١٣) معجم الأدباء لياقوت الحموي ، ج ١٣ ، ص ٢٤٩ .

(١٤) العرض السابري : الذي لا إلحاح فيه .

(١٥) السذاب : نوع من البقول ، والكلمة معربة .

(١٦) لطائف المعارف . للثعالبي ٤٧/٤ .

(١٧) المقتضب للمبرد ، تحقيق عضيمة ، ج ١ ، ص ١٢ .

(١٨) جمع الجواهر في الملح والنوادر ، ص ٦٠ .

(١٩) الومد : الحر الشديد مع سكون الريح .

(٢٠) تاريخ بغداد ، ج ٣ ، ص ٣٨٥ ، للخطيب البغدادي ، ط القاهرة ١٩٣١ م .

(٢١) مجلة كلية اللغة العربية ، ج ٢ ، ص ٢١٩ ، الرياض ــ السعودية ١٣٩٢ هـ .

(٢٢) إنباه الرواة ، ج ٣ ، ص ٢٤٢ .

(٢٣) معجم الأدباء ، ج ١١ ، ص ٢٦٣ .

(٢٤) مجلة كلية اللغة العربية ، ج ٢ ، ص ٢٢٠ ، الرياض ــ السعودية .

(٢٥) تاريخ بغداد ، ج ٣ ، ص ٣٨٠ .

(٢٦) وفيات الأعيان لابن خلكان ، الجزء الثالث ، ط القاهرة ١٩٤٨ م .

(٢٧) جمع الجواهر ، ص ٦٠ .

(٢٨) طبقات الزبيدي ، ص ١١٨ . وإنباه الرواة ، ج ٣ ، ص ٢٤٩ .

(٢٩) ضحى الإسلام لأحمد أمين ، ج ٢ ، ص ١٦ ، الطبعة الخامسة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧٧ م .

(٣٠) تاريخ بغداد ، ج ٣ ، ص ٣٨٥ .

(٣١) تاريخ بغداد ، ج ٣ ، ص ٤٥١ .

(٣٢) روضات الجنات ، ميرزا محمد باقر ، ص ٦٧١ ، ط إيران سنة ١٣٤٧ هـ .

(٣٣) مجلة كلية اللغة العربية ، ج ٢ ، ص ٢٢٠ ، ٢٢١ ، بحث الأستاذ الحجار ، الرياض .

(٣٤) وتم طبعه سنة ١٩٧٠ م ، محققاً تحقيقاً علمياً .

(٣٥) الفاضل للمبرد ، المقدمة بقلم الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم .

تأليف :
موريس كوسون
عرض وتحليل :
د. محمود الذوادي

رحلة في كتاب



الضبط الاجتماعي للجريمة





يعتبر كتاب « الضبط الاجتماعي للجريمة » لعالم الإجرام الكندي الفرنسي الشاب موريس كوسون (Maurice Cusson) أهم كتاب ألَّفه إلى حد الآن حول ظاهرتي الانحراف والجريمة في المجتمعات الغربية المعاصرة . ولقد سبق لنا أن راجعنا في مجلة « الفيصل » (العدد ٧٠) أفكار ونظريات كتابه المهم الآخر « الأحداث لماذا ؟ » (Délinquants Pourquoi?) .
ويتكوَّن كتاب الضبط الاجتماعي للجريمة من تقديم قام به وزير العدل الفرنسي السابق ألن بيرفت (Alain Peyrefitte) ثم مقدمة وخمسة فصول كلها لا تتجاوز ٣٤٢ صفحة من الحجم المتوسط بما في ذلك الصفحات المخصصة للمراجع والفهرست . وقد أعطى كوسون العناوين التالية إلى فصول كتابه هذا . الفصل الأول : تشريح فشل (Autopsie d'un échec) ، الفصل الثاني : الأخلاق (La morale) ، الفصل الثالث : الترهيب (La dissuation) ، الفصل الرابع : منحرفون رغم كل شيء (Délinquants malgré tout) ، الفصل الخامس : العدالة (La justice) . ويعرض المؤلف في مطلع كتابه إلى تعاريف ومفاهيم أساسية لفهم محتوى هذا الكتاب .

فالضبط الاجتماعي يُعرِّفه كوسون : «بأنه مجموعة الوسائل الخاصة التي يستعملها الناس للحد من الجريمة أو لمنع وقوعها» (ص ٢١) . أما الجريمة فتعني عند المؤلف «السلوكات التي تُحدث ضرراً بيِّناً بالآخرين التي يُعاقب عليها القانون الجنائي» (ص ٢٦) وهو تعريف استعمله المؤلف في كتابه الثاني السالف الذكر . ويرى صاحب الكتاب أن الطبيعة البشرية تجعل من الإنسان كائناً له مقدرة على الانحراف (ص ٢٠) (un délinquant en puissance) .

فالجريمة هي إحدى الوسائل التي يلجأ إليها المرء لتلبية رغباته . فالسلوك الانحرافي هو ميل إنساني (ص ١٨) متجذر في صلب الطبيعة البشرية . وإذا كان الأمر كذلك فلماذا إذن يحترم الناس القوانين ؟ وبالتالي لماذا يُضحّي هؤلاء برغباتهم من أجل احترام القواعد والأعراف والقوانين السائدة بالمجتمع (ص ١٩) ؟ وبعبارة أخرى فالإنسان ليس هو بذلك الكائن الذي يُخْضع نفسه تلقائياً (أوتوماتيكياً) إلى القوانين ، ولا هو بالطبع دون مقاومة للرغبات الإنسانية (ص ٢٠) . ومن هذه الخلفية يُعلن المؤلف أن هدف الكتاب هو التحليل الشامل قدر المستطاع لنجاعة وسائل الضبط الاجتماعي المستعملة حالياً بالمجتمعات الغربية فيما يخص ظاهرتي الجريمة والانحراف (ص ٢٥) . ومنه فكوسون يعترف أنه قاوم بكل قواه فكرة اقتراح حلول محددة للجريمة ، وعلى الأخص تقديم حل واحد لمعضلة الانحراف والجريمة .

العلاج النفساني (La psychothérapie) وتأثيره

يعترف عالم الإجرام كوسون أن رأي الباحثين الغربيين في علاج ظاهرتي الإجرام والانحراف لم يَعُدْ يتسم بالتفاؤل منذ عشر سنوات . فأغلبية المتخصصين في هذا الميدان أصبحوا يعتقدون بعدم وجود علاج ناجع ـ حسبما هو متوفر الآن من معلومات ـ للمنحرفين والمجرمين (ص ٣٢) . فالعلاج النفساني الذي شاع استعماله مع هؤلاء وغيرهم من الذين يشكون من مرض أو اختلال في الشخصية (بمفهومه النفسي) يبدو أنه مُنْعَدِمُ التأثير أيضاً في علاج شخصية المنحرف والمجرم . فحصيلة البحوث التقييمية Les recherches évaluatives للوسائل النفسية العلاجية (Les techniques psychothérapeutiques) في المؤسسات العقابية في المجتمعات الغربية تشير أنه ليس هناك أي جدوى على العموم الآن من هذه الطرق النفسية العلاجية بالنسبة لردع وكبح المنحرفين والمجرمين من الرجوع إلى ممارسة الانحراف والجريمة من جديد (La recidive) بعد علاجهم نفسياً . فتحليل الباحث مارتنسن (Martinson) لـ ٢٣١ بحثاً تقييمياً قصد التعرف على مدى تأثير العلاج النفساني على نسبة العودة إلى الانحراف والجريمة (La recidive) أو تركها أثبت أن هذا العلاج هو فعلاً علاج خال من التأثير الإصلاحي على سلوك المنحرف أو المجرم (ص ٣٥) . ولكن هذا لا يعني أن العلاج النفساني لا يُحسِّن مطلقاً من الحالة النفسية للمنحرف ومن مقدرته التكيفية الاجتماعية (ص ٣٦) . وبعبارات المؤلف نفسه يمكن تعريف التأثير الصفري (L'éffet zéro) كالتالي : «نعني بالتأثير الصفري استعمال وسيلة علاجية نفسية (Une psychothérapie) ـ أثناء قضاء الجاني مدة عقابه في السجن أو غيره ـ دون أن تغير هذه الوسيلة إيجابياً (إصلاحياً) من احتمالات المنتفع من هاته العلاجات النفسية . هذا مع الأخذ بعين الاعتبار السمات الشخصية للمعالجين (Les traits de personnalité) مثل مخالفتهم السابقة والسن ومدى تصلب سلوكهم الانحرافي» (ص ٣٧) .

وفي هذا الصدد يسوق كوسون حصيلة النتائج الأساسية التي توصل إليها مارتنسن (١٩٧٦م) ، الذي يشير إلى أن تأثير استعمال مختلف وسائل العلاج النفسية على المجرمين والمنحرفين سواء كان ذلك بالأنظمة العقابية الجنائية مثل السجن أو بعد فترة إطلاق السراح المشروط للسجين (La parole) تأثير «ضئيل جداً» (وفي معظم الحالات ليس هناك أي تأثير) من حيث نقصان أو زيادة احتمالات نسبة العودة إلى اقتراف الانحرافات والجرائم من طرف هؤلاء (ص ٤١) . وتجدر الملاحظة هنا أن بعض علماء الإجرام الأمريكيين أمثال جليزر (Glaser) وبلمر (Palmer) وولسن (Wilson) أشاروا إلى أن بعض المنحرفين والمجرمين يستفيدون مع ذلك من العلاجات النفسية وذلك حسب بعض سمات الشخصية التي يتصف بها هؤلاء ، مثل وجود الرغبة الحقيقية لدى المنحرف للتغيير والتحسُّن ، وكضعف دوافع الشخص المُعَالَج إزاء الإجرام والانحراف (ص ٤٤) . فإذا كانت العلاجات النفسية كما رأينا لا تؤثر سلباً أو إيجاباً في عودة ذوي السوابق الانحرافية والإجرامية إلى ممارسة الانحراف والإجرام بعد انتهاء تنفيذ العقوبات عليهم (سجناً أو مراقبة لسلوكهم بعد اطلاق سراحهم . . .) فإن ذلك يعود إلى القول إن ثقل عبء عوامل الرجوع إلى اقتراف السلوكات الانحرافية والإجرامية من جديد هو المسؤول الأساسي عن فشل التقنيات العلاجية النفسية المشار إليها أعلاه (ص ٤٧) . ومن ثم فإن الرجوع

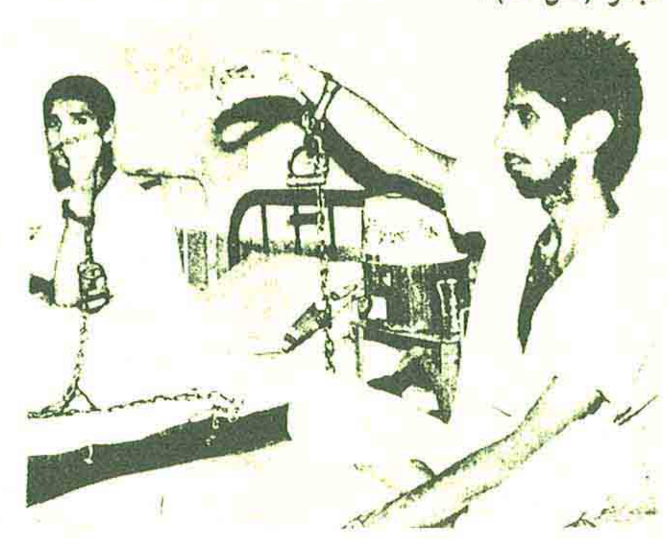
إلى الجريمة والانحراف يمكن إرجاعها في نظر المؤلف إلى أربعة أسباب أساسية :

(١) **التعود على ارتكاب الجريمة** : فلقد أثبت بحث بعد آخر أنه **كلما كان عدد المخالفات (الانحرافات) كبيراً كان الاتجاه نحو العودة إلى الانحراف والإجرام أكبر** مَهْمَا كانت الطريقة التي نقيس بها الإجرام أو الانحراف السابق للمبحوث (ص ٤٨) . فنسبة احتمال ارتكاب ذوي السابقة الإجرامية الواحدة لجرائم جديدة هي ٢٥ ٪ ، بينما تصل هذه النسبة عند ذوي الأربع سوابق إلى ٤٦ ٪ . ومن هنا فدرجة التعود على اقتراف الجرائم والانحرافات تسمح لنا بالتنبؤ بمستقبل مدى احتمال العودة إلى الجريمة بين المنحرفين (ص ٤٩) .

(٢) **علاقة السن بالعودة إلى الإجرام** : أكد ولكنس (Wilkins) « ١٩٦٩ م » ، أنه كلما كان المنحرف صغير السن عندما يُلْقَى عليه القبض لأول مرة مال إلى العودة إلى ارتكاب المخالفات الانحرافية الإجرامية .

(٣) **الجريمة كطبيعة ثانية** : يؤكد المؤلف أن الرجوع إلى الانحراف والجريمة يصبحان ظاهرة متوقعة جداً عند هؤلاء المنحرفين والمجرمين الذين أضحى العمل الإجرامي عندهم طبيعة ثانية أو حاجة مهنية ملحة ومتجذرة في شخصيتهم .

(٤) **السن والجريمة** : يشير كوسون إلى أن بلوغ الخمس والعشرين (٢٥) سنة هو السن الذي يبلغ فيه سلوك الانحراف والإجرام أقصى مداه لدى الشخص . ويرجع انخفاض نسبة المخالفات الإجرامية والانحرافية بعد ذلك إلى **النضج الفكري والمعنوي اللذين يقاومان النزعات الإجرامية . ومن هنا يمكن القول إن سن التقاعد عند كل من المنحرف والرياضي هو بالتأكيد سن مبكر (ص ٥٢) .**



ومن هنا يعتقد صاحب الكتاب أن المنحرفين الذين يستمرون في ممارسة الإجرام والانحراف بعد سن (٣٥) هم صنف من المنحرفين الذين يمكن وصفهم بـ « المعوَّقين » (Les handicapés) :

(أ) **فعلى المستوى النفسي** ، فهم غير قادرين على التغلب على صعوبات المرور من ظروف الحياة الإجرامية والانحرافية إلى ظروف الحياة العادية وذلك بعد إطلاق سراحهم .

(ب) **أما على مستوى العائلة** ، فالمنحرف طالما أبوه غير موجود أو كان مدمناً على الخمر ، فإن هذا الإدمان يمس كلا الأبوين . وكل هذه المنعطفات العائلية تجعل الأولاد يغادرون بيت الوالدين غالباً في سن الرابعة عشرة . وهذه الحالات العائلية المشار إليها أعلاه لا تُسهل بالتأكيد فُرص الدراسة أو العمل أمام أبناء وبنات مثل تلك العائلات . ولقد أصاب **عالم الاجتماع الأميريكي باركر** (Parker) « ١٩٦٣ م » عندما أعطى شارلي (Charlie) صورة المنحرف الأبدي (Le délinquant éternel) (ص ٥٤) وذلك نتيجة لسماته التالية : العودة إلى الجريمة ، والإدمان على الخمر ، وتغيير العمل باستمرار . وبذلك يجد نفسه في محيط اجتماعي لا يرحب به لأنه لا يستطيع العمل فيه ، ولا هو قادر على العيش والتأقلم مع الناس هناك . وهكذا يصبح السجن لشخص مثل شارلي أفضل ملجأ (ص ٥٥) .

تجربة ما بعد السجن

يبرز كوسون أن العراقيل الاجتماعية المختلفة التي يجابهها طليق خريج المؤسسات العقابية تساعد بالتأكيد على رجوع هذا الأخير إلى ارتكاب المخالفات الانحرافية والإجرامية من جديد . وتأتي في مقدمة هذه العراقيل صعوبة وجود عمل مرض . فالعمال ذوو الخلفية السجنية هم أسوأ العمال أجراً (ص ٥٥) وهذا بالطبع في حالة وجود من يقبل تشغيلهم . فقد أثبت **دايل** (Dale) « ١٩٧٤ م » ، أن هناك ٧٤ ٪ من أصحاب العمل الذين رفضوا تشغيل الأشخاص ذوي الخلفية السجنية (ص ٥٧) . ومن جهة أخرى فقد دل بحث **عالم الإجرام الأميريكي جليزر** (Glaser) أن ٤٠ ٪ فقط من الأشخاص الراغبين في العمل ــ هم الذين أخبروا فعلاً أصحاب العمل بماضيهم الإجرامي (ص ٥٧) ــ **أما دور العائلة في دفع المنحرف إلى العودة إلى الانحراف فيلخصه كوسون في التالي :**

١ ــ عدم قضائه الليلة الأولى في البيت العائلي .

٢ ــ عدم تفاهمه مع من يعيش معهم (زوجته مثلاً) .

٣ ـ عدم رؤيته لأولاده (ص ٥٨).

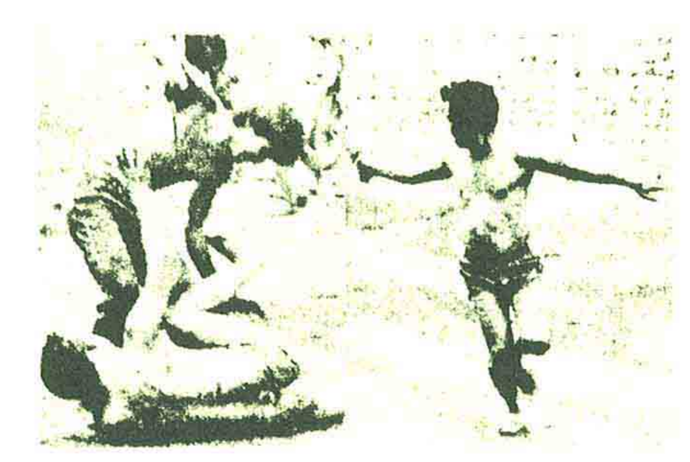
ويرى صاحب الكتاب من جهة أخرى أن احتمال رِدّة (La recidive) المنحرف إلى ممارسة الإجرام والانحراف تكون كبيرة في صورة محافظة المنحرف ـ بعد مغادرته المؤسسة العقابية ـ على علاقات مع المجرمين والمنحرفين. ويقارن المؤلف صورة المنحرف كثير العودة المتكررة إلى عالم المخالفات بذلك المجرم الذي ارتكب **جريمة واحدة** في سن متقدم (٤٠ سنة) مثل ذلك المحاسب الذي يقتل زوجته لأسباب عاطفية. فهذا الشخص لا يمكن في رأي المؤلف وصفه بأنه متعود على الجريمة ولا أنه يعاني من صعوبات وجود عمل إلخ... **ومنه فالعلاج النفساني غير صالح له إذ إنه من غير المحتمل أن يعود إلى الجريمة** (ص ٦١). ويُنهي كوسون هذا الفصل من كتابه بإضافة تحليل أكبر إلى **أسباب فشل العلاجات النفسية المتبعة في المجتمعات الغربية لإصلاح المنحرفين والجرمين**. في نظر المؤلف أن **معظم تلك الطرق العلاجية النفسية تستند فلسفتها على مبدأين أساسيين:**

١ ـ شحن علاقة العلاج النفساني مع السجين بالحب (لا العداء).

٢ ـ تحاشي معاقبة المنحرف أو المجرم لأن سبب انحراف أو إجرام هذا الأخير يعود إلى كونه غير سعيد في المجتمع (ص ٧٢). لكن دراسات ولر (Waller) لا تدل على وجود أي تأثير إيجابي مهم لمثل هذه العلاجات النفسية لردع المساجين، وبالتالي إصلاحهم بعد إطلاق سراحهم من المؤسسات العقابية (ص ٧٣). **ويكتشف المختص النفساني المعالج طال الزمن أو قصر أنه رغم ثقته وتفهمه لزبائنه فإنهم يظلون مستمرين في سلوكهم الانحرافي** (ص ٧٣). ونتيجة لذلك تأتي استقالات كثير من المختصين بالمراكز الإصلاحية وميلهم إلى الرتابة (La routune) والاستكانة (La passivité)... ومع ذلك فهم لا يقرون بالفشل.

وباستمرار ارتكاب الأعمال الانحرافية من طرف هؤلاء المعالجين يُصبح اللجوء إلى العقاب هو البديل الوحيد. **ويشير كوسون أن أشهر طريقة علاجية نفسية جماعية المسماة** (Community treatment project) **تستعمل فعلاً العقاب عشر مرات أكثر من العلاج النفساني (ص ٧٨). ومن هنا فإن العلاج النفساني للمنحرفين لا يختلف في النهاية عن الطرق العتيقة السلطوية** (ص ٨٠). وهكذا تتحول العلاقة العلاجية النفسانية التعسفية (La relation thérapeutique répressive) بسرعة إلى عملية استغلالية متبادلة. فالمُعَالج النفساني يحاول من جهته إقناع السجين (المُعَالَج) بأنه يود إعانته ولكن مهمته في الحقيقة هي السيطرة على المنحرف أو المجرم رغم تظاهره بإصلاح هذا الأخير. أما المنحرف أو المجرم فهو يحاول من ناحية ثانية قدر جهده تفادي شبح **القوة العقابية** (Le pouvoir coercif) التي تُحدق به دائماً (ص ٨١).

وهكذا فالوسائل النفسية العلاجية لا تختلف عن غيرها من الوسائل التقليدية العقابية إلا من حيث التسمية (ص ٩١)، حسب وجهة نظر كوسون. ولا بد من الإشارة هنا أن ما يثيره موضوع فشل العلاجات النفسية في إصلاح المجرمين والمنحرفين بالمجتمعات الغربية الحديثة ما هو إلا عرض من أعراض خيبة السياسات الإصلاحية الفاشلة بهذه المجتمعات. وقد لخّصت إحدى الجرائد الأميركية الأسبوعية (The National Observer) في أوائل السبعينات مدى **انتشار فشل الجهود الإصلاحية في السجون ومراكز الإصلاح بالولايات المتحدة الأميركية بقولها** : (rehabilitation is a flop) أي إن تجربة الإصلاح مُنيت بفشل ذريع. وليس من المبالغة اليوم أن يصف المرء بأن موقف التشكك فيما يخص فاعلية سياسات وفنيات (les techniques) عمليات الإصلاح هو الموقف الذي يسود أكثر فأكثر بين المسؤولين على الإصلاح في المؤسسات الإصلاحية الغربية. فأثناء رحلة ميدانية صحبت طلبتي لأحد مراكز الإصلاح السجنية المدججة خاصة بالمختصين النفسيين بولاية نيويورك (١٩٧٤ م)، سألت المسؤول الكبير عن مدى ثقته بجدوى الأساليب الحديثة الإصلاحية الباهظة الثمن في عملية الإصلاح. فكان رده إنه لا يستطيع الحكم على تجربة مركز الإصلاح الآن. لكن ما **جاء في تحاليل كوسون بهذا الخصوص يفيد بأن الفشل هو السمة العامة، خاصة للتجارب التي تتبنى الطرق النفسية العلاجية. ومن ثم يجيء طرح كتاب «الضبط الاجتماعي للجريمة» لقضية فشل الإصلاحات في وقته المناسب**. ورغم أن المؤلف لا يقترح بديلاً معيناً إلا أنه يضع النقاط على الحروف بأسلوبه ومنهجه العلميين دون إخفاء انتقاده لجذور أسباب هذا الفشل الذريع. **فإذا كانت ليونة وإنسانية** (humanitarianism) **معاملة السجين والجاني في الغرب قد فشلت في إرجاعه إلى الطريق السوي داخل مجتمعه فهل معنى ذلك أن نترك مبدأ الإصلاح أساساً، أم أن هناك سبلاً أخرى لإصلاح أقوم وآمن وأرخص؟ أم هل أن الإصلاح خاصة لفئات معينة من المنحرفين غير ممكن؟ وإذا كان الأمر**



كذلك، فالسبيل الأقوم لمحاربة الجريمة والانحراف في المجتمع هو في مبدأ «الوقاية أفضل من العلاج». والشريعة الإسلامية لها في هذا المضمار منهجها الفذ في ربط الفرد بمجتمعه بطريقة تُؤمّن التضامن العضوي بين الاثنين الذي بدونه لا يمكن إيقاف تصلب ظاهرة الانحراف والجريمة اللذين تعاني منها المجتمعات الغربية اليوم.

الأخلاق La morale

مما تقدم ذكره يرى المؤلف أن المجتمعات الغربية الحديثة لا تملك في الوقت الحاضر وسائل إصلاحية ناجعة للسلوك المنحرف أو الإجرامي (ص ٩٥) وبالتالي فهي لا زالت اجتماعياً عاجزة عن ضبط الجريمة. ويذهب كوسون من خلفية فشل طرق الإصلاح هذه إلى تحليل وسائل أخرى تبدو في رأيه أكثر مقدرة على إنجاح عملية الضبط الاجتماعي للجريمة. ويأتي عامل ما يسميه صاحب الكتاب بالأخلاق (La morale) أول العوامل الناجحة في ضبط الجريمة والانحراف التي يناقشها الكتاب. **فالأخلاق في نظر المؤلف هي ذلك الموقف الذي يجعلنا نرى بأنه من السوء فعل السرقة أو الاعتداء على الآخرين** (ص ٩٥). والأخلاق بهذا الاعتبار هي أقدم الوسائل التي استعملها الإنسان في عملية الضبط الاجتماعي. ويبدو للمؤلف أن الدافع الأخلاقي الضابط لسلوك المنحرف أو الإجرامي هو حصيلة ما يسمى في علم الاجتماع **بالتأثيرات الاجتماعية غير الرسمية** (les influences sociales informelles) كتأثير الوالدين والأصدقاء والجيران (مقارنة **بالتأثيرات الرسمية** مثل السلط الشرطية والمحكمية والعقابية).

إذن فإن مفهوم الأخلاق بهذا المعنى قد طرأت عليه في نظر كوسون تغييرات هامة في القرنين الماضيين خاصة من طرف علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا، حتى أن البعض رأى أن ما تعرض له مفهوم الأخلاق من تطور قد أدى إلى ما يمكن الإطلاق عليه: **نظرية الأخلاق اللاأخلاقية** (ص ٩٧) (la thèorie de la morale immorale).

وينتقد صاحب الكتاب هنا بالخصوص علماء الاجتماع والإجرام الذين أشاعوا **مفهوم نسبية الجريمة** في المجتمعات الحديثة. **فشو و مكاي** «١٩٤٢ م» (Shaw et Mckay)، **وكلاورد وأهلن** «١٩٦٠ م» (Cloward et Ohlin)، **وولف جانج وفركوتي** «١٩٦٧ م» (Wolf gang et Ferracuti)، كلهم تأثروا في تفسيرهم للسلوك الإجرامي والانحرافي **بمفهوم صراع الثقافات** (Les conflits des cultures). ودلالة هذا الأخير أن المجموعات الإنسانية ذات الثقافات المختلفة (Des cultures differentes) تُعلّم أعضاءها معايير للسلوك يمكن أن تصطدم مع القانون العام للمجتمع الكبير وبالتالي يمكن أن تدفع بهؤلاء إلى الجريمة (ص ٩٨). ومما لا شك فيه أن المجتمعات العصرية خاصة الغربية منها تسود فيها أخلاقيات (Des morales) متعددة، وأحياناً متناقضة إزاء ـ مثلاً ـ العمل والجنس والعائلة والدين والأيديولوجية السياسية. **لكن مع هذا، فكل الثقافات تمنع (تُحَرِّم) ارتكاب السرقة والعنف** (ص ١٠١) (Le vol et la violence). فدراسة نيومن (Newman) «١٩٧٦ م»، في ستة مجتمعات مختلفة الثقافات حول ارتكاب السرقة والعنف هي مثال على ذلك. فنسب إجابة عينة الدراسة على السؤال الرئيسي: (**هل تعتقد أن السرقة التي يستعمل فيها العنف يجب أن يمنعها القانون؟**) كانت كالتالي: **الهند** ٩٧٪، **وأندونيسيا** ٩٩٪، **وإيران** ٩٨٪، **وجزيرة سردينيا** ١٠٠٪، **والولايات المتحدة** ١٠٠٪، **هونغ كونغ** ٩٨٪. ولقد أثبتت دراسة أخرى بمدينة **منتريال** أن موقف المنحرفين أنفسهم إزاء السرقة والعنف يتفق أساساً مع نتائج دراسة نيومن (ص ١٠٤).

فمن هذه البحوث ومن بحوث أخرى حول سلوك المراهقين خاصة يخلص كوسون إلى تسجيل الملاحظات التالية:

١ ـ كلما كان المراهق يُنكّل بالسرقة في مظاهرها المختلفة كان أقل احتمالاً أن يلجأ إليها (ص ١٠٥).

٢ ـ كل شيء يشير إلى أن السلوك الانحرافي ليس مسألة مبدأ ولا عقيدة بالنسبة للمنحرفين أنفسهم. (ص ١٠٨).

٣ ـ أن **سايكس وماتزا** (١٩٥٧ م)، (Sykes et Matza) الباحثين الأمريكيين كانا مُصيبين عندما أكدا أن المنحرفين ليس لهم قيم

تتعارض فعلاً مع القيم السائدة بالمجتمع حول الخير والشر (ص ١٠٩).
ولكن هذا لا يعني أن المنحرفين لا يؤثرون البتة في سلوك أصدقائهم. وإنما يقتصر تأثيرهم على تعليم رفاقهم، وسائل ـ وليس مُثُلاً (des ideaux) ـ ارتكاب المخالفات فقط. **ويعتبر هذا الفرق مهماً جداً** إذ إنه يسمح بفهم أحسن لسلوك المنحرفين. لما يُدعى **بالأقلية النشطة** (La minorité nomique) في أي مجتمع **هي تلك الأقلية التي تعارض عن اقتناع صارم القيم الاجتماعية العامة بالمجتمع الكبير** مثل **مجموعة المثقفين الروس** المعارضين للحكم، أو **مجموعة المحافظة على البيئة** (les écologistes) **والحركة النسائية التحررية**، أما ما يُسمى **بالأقلية اللامعيارية** (la minorité anomique) **فهي تلك الأقلية التي ليس لها نظام قيمي ومعياري محدد تقترحه لتغيير المجتمع الكبير**. ومن هنا فهي ثُلة من الأشخاص تجد نفسها تنحرف تحت تأثير قيم ومعايير هي لا تملكها في الحقيقة (ص ٨٧، ١٩٧٦ م Moscovici). فالأقلية اللامعيارية تتميز عن الأغلبية بكونها أقلية غير قادرة على التقيد بمعايير الأولى، أو بعدم وجود المعايير عندها أصلاً. وهكذا يمكن القول إن الأقليات المنحرفة ليست إلا أقليات اللامعيارية (ص ١١١)، ويتضح من كل هذا للمؤلف أن تفسير السلوك الانحرافي بواسطة **النظرية السوسيولوجية لصراع الثقافات** La théorie sociologique du conflit des cultures ـ التي سادت **التفكير السوسيولوجي الغربي** منذ الخمسينات ـ هو تفسير **يتسم بالمبالغة (ص ١١٢)**. ومن ثم يرى كوسون أهمية إعطاء ما يسميه **بالاعتقادات الأخلاقية** (Les convictions morales) للأفراد والجماعات كعوامل أساسية في تفهم وتفسير السلوك الانحرافي (ص ١١٣).

الضبط الاجتماعي والأخلاق

يمكن القول إن ما يُطلق عليه في العلوم الاجتماعية بالضبط الاجتماعي هو عبارة على ما تفرضه كل المجتمعات على أفرادها من قواعد سلوك يتحتم التقيد بها. ويرى صاحب الكتاب **أن ارتباط الفرد بالجماعة** (Intégration) **هو العمود الفقري لعملية الضبط الاجتماعي**. وهذا ما يعنيه في نظر كوسون **عالم الاجتماع الفرنسي دوركهايم** (Durkheim) بالسلوك الأخلاقي في كتابه «**التربية الأخلاقية**» (L'éducation morale)، فهو السلوك قصد تحقيق المصلحة العامة (L'interêt commun) (ص ١١٥). ومن خصائص السلوك المتأثر بالوازع الأخلاقي بهذا المعنى هو شعور المرء بالتأنيب (Le blâme) الذاتي عند ارتكابه للمخالفات والانحرافات. **فالتأنيب في نظر دوركهايم لا يأتي من الخوف** (La crainte) **وإنما هو حصيلة عملية إقناع ثم اقتناع**. ففي الميدان الأخلاقي يظل الهدف هو إقناع الآخرين بالطبيعة الحسنة أو السيئة للسلوك. «والبشر طالما يتقيدون بالوازع الأخلاقي لاعتبارهم إياه أنه حق» (ص ١١٩)، ولعل درجة التأنيب الذاتي تعكس مدى تأثير الجماعة على الفرد. ومن هنا فالتأنيب عامل ضروري بالنسبة لعملية الضبط الاجتماعي، وبالتالي بالنسبة لكبح ظاهرة الانحراف. **ومن هذا المنطلق يعرض المؤلف إلى البحوث التي ربطت بين المناخ التربوي الذي تلقاه الفرد وبين الانحراف**. فكانت ملاحظاته كالتالي:

(١) النزاعات الانحرافية تزداد عند الشخص ذي التربية المتهاونة (permissive) والمحروم من عناية الأهل... وهكذا **يُمكن القول إن مجرم المستقبل هو ذلك الذي تلق في طفولته وشبابه تربية غير منضبطة** (ص ١٢١).

(٢) إن دراسة **الباحث شيروكوس** (Chirocos) «١٩٧٧ م»، للطلبة في ولاية فلوريدا بالولايات المتحدة الأمريكية أظهرت أنه كلّما توقع هؤلاء الطلبة استنكار الآباء والأمهات لمخالفتهم السلوكية قلّ ارتكابهم للانحرافات. (ص ١٢٢).

(٣) إن خوف المنحرف من تشويه سمعته الاجتماعية بين الناس الذين يعرفهم هو عامل مساعد على التقليل من انحرافه.

(٤) إذا كان الشخص يخاف من اكتشاف رفاقه لسلوكه الانحرافي فذلك أيضاً سبب لكي يَحُدَّ الفرد من مخالفاته. ومن هنا فإن **الباحث لتْل** (Little) «١٩٨٠ م» يعتقد **أن عملية الضبط الاجتماعي تستمد قوتها أساساً من العقوبات** (Les sanctions) **غير**



الرسمية (ص ١٢٣) . ويخلص المؤلف إلى القول إن عملية التأنيب الذاتي تُعبّر عن الاعتقادات الأخلاقية السائدة في المجتمع ، وإن عملية تضامن الفرد مع جماعته تجعله أكثر حساسية لاحترام القانون والمحافظة على مكانته الاجتماعية . أما عندما ينْقاد الشخص المنحرف وراء نوازعه ولذاته الشخصية فإن ذلك يُضعف من قدرة مقاومته للانغماس في المخالفات مستقبلاً وبالتالي يعتقد أنه لا يخاطر بالكثير من سمعته الاجتماعية (التي فقدها فعلاً) من جراء ارتكابه السلوكات الانحرافية في السابق . عند ذلك يجد المنحرف نفسه في **حلقة مفرغة** تفقده الدوافع التي تُقْنِعُه بالتقيد بالقوانين والمعايير الاجتماعية (ص ١٢٦) .

مصدر الفراغ الأخلاقي

يرجع المؤلف هذا الفراغ الأخلاقي في المجتمعات الغربية المعاصرة إلى جملة من العوامل :

(١) عدم اهتمام الوالدين بتربية أولادهم .

(٢) عدم تبني الوالدين لمبادئ أخلاقية راسخة (قوية) .

(٣) التفكك العائلي الناتج عن إدمان الأبوين أو الفقر المدقع .

(٤) ضعف الأبوين المتمثل في خوفهما من مجابهة أولادهما يومياً في شؤون الحياة .

(٥) رفض الوالدين المبالغ فيه في عدم حرمان أولادهما مما يبغون .

(٦) تمرد بعض الأطفال ضد السلطة العائلية في سن مبكر الأمر الذي يدفع بالوالدين على طول المدى إلى التسليم بالأمر الواقع أمام عصيان الأبناء (ص ١٢٨) .

ويبدو أن بحث **يوشلسن وسامينوا** (١٩٧٦ م) (Yochelson et Samonow) ، قد دل على **أن معظم المجرمين الكهول الذين قاموا بدراستهم كانوا فعلاً أطفالاً مُدَلَّلين** . (ص ١٢٩) . وبهذا النمط التربوي الذي لا يبعث على الارتباط أخلاقياً (بالمعنى الدوركهايمي) بالعائلة والمحيط الاجتماعي يجد المراهق نفسه هامشياً ذا صعوبات ليس فقط مع الوالدين والمدرسة والجيران بل ومع الناس على العموم . ومن هنا يتعرض هذا الأخير إلى **الوصم الاجتماعي** (La stigmatisation) الواسع فيلجأ محيطه الاجتماعي إلى تحذير الجميع من مَغَبَّة سلوك هذا الشخص (ص ١٣٢) . وهكذا يتحقق الطرد أو الرفض الاجتماعي له . وبخسارة المنحرف لسمعته الاجتماعية يُصبح من الصعب إيقاف السلوك المنحرف عنده ، وينهار عنده الوازع الأخلاقي بالمعنى السوسيولوجي (ص ١٣٤) . فلا يبقى دافع أساسي لانتظار سلوك سوي أخلاقي من مثل هذا الفرد الذي تعرض لكل لما سبق ذكره أعلاه .

سر القوة الضابطة للأخلاق

يرى المؤلف أن قوة الأخلاق الرادعة تمكن في كونها تمنع ارتكاب بعض السلوكات على أساس أن هذه الأفعال تتناقض مع عادة قدسية محرمة (Le tabou) (ص ١٤٤) . **فالبنسبة للمرء المتخلق فإن ارتكاب خطأ ما يُهدد السمعة الشخصية (L'estime de soi même) نفسها** . ومن ثم فالمخالفات الإجرامية لا يمكن وقوعها دون إلحاق ضرر على المستوى المعنوي (النفسي) . ويعتقد كوسون **أن هذا من أهم العوامل التي تجعل معظم الناس المتخلقين (بالمعنى السوسيولوجي) يحيدون عن الجريمة** . وحتى إذا ما وقعوا فيها فإنهم عادة لا يطيلون كثيراً . **ويختم كوسون تحليله للأخلاق وعلاقتها بالجريمة بأن التنظيم العقابي الرسمي (Le systeme pénal formel) خسر الكثير من قوته الرادعة في المجتمعات العصرية بضعف قوة العقوبات غير الرسمية (Les peines informelles) المتمثلة في الأخلاق بالمعنى السوسيولوجي لهذه المجتمعات (ص ١٥٣)** .

• إن المتأمل من جهة في ظاهرة الأخلاق بمعناها الدوركهايمي ـ الذي وجد المؤلف علاقة متينة بينه وبين انتشار وتصلب عود كل من ظاهرة الانحراف والإجرام في المجتمعات الغربية المدروسة في هذا الكتاب ـ **لا يسعه إلا أن يُصبح أكثر تشاؤماً لا على مستقبل هذه المجتمعات فحسب بل علـى الأغلبية الساحقة لمجتمعات المعمورة** . إذ إن انفتاح وانجذاب هذه الأخيرة إلى **عملية التحديث** (La modernisation) في نمطها الغربي لا يمكن إلا أن يُضعف من مدى استمرارية قبضة التأثيرات الأولية (غير الرسمية) التي يتلقاها الفرد من عائلته وأصدقائه وجيرانه . وإذا تم ذلك ـ ولو بصورة نسبية ـ في بقية المجتمعات فإن انزلاقها في دوامات الانحراف والإجرام يُصبح أمراً لا مناص منه في رأي دوركهايم . **لكن الشيء الذي يبعث من ناحية ثانية على نوع من الأمل هو استحالة إعادة تجربة التحديث حرفياً في أنماطها الغربية** . هذا في حالة نجاح عملية التحديث في هذه المجتمعات . والظروف الراهنة لا تُشجع على قرب تحقق ذلك في بقية **مجتمعات العالم الثالث** نظراً لعدة عوامل منها التاريخية والثقافية والحضارية . . . **فالمجتمع السعودي الحالي مثلاً لا يزال يتسم بصفة أمن عالية لا تكاد تضاهى في أي مجتمع**

من مجتمعات العالم المعاصر رغم جهود التحديث والعصرنة المكثفة والمستمرة وذلك لخلفيته الحضارية والثقافية الإسلامية التي يتصف بها هذا المجتمع في عمق أخلاقياته وتركيباته .

لكن التحديث بمحتواه الغربي لا بد أن يُحدث بعض التناقضات في المجتمعات الراغبة والمتعرضة لعوامل التحديث أرادت ذلك أم لم ترده . وهذه التناقضات قد تترجم في **صراع القيم** (Conflit des valeurs) والمفاهيم والرؤى لدى الشخص ومن ثم يُصبح حظ سلوك الانحراف والإجرام أكبر في مثل هذه المجتمعات . وهكذا يبدو أن تأثير التحديث على المفهوم الدوركهايمي للأخلاق في المجتمع هو تأثير سلبي على العموم من حيث تأمين المجتمع من نسب مرتفعة من الجريمة والانحراف .

الترهيب (La dissuation)

يَعْني المؤلف بالترهيب ما للعقاب من أثر تخوفي وترهيبي رادع (effet intimidant) على الأشخاص في المجتمع (ص ١٥٩) بصفة عامة أو على هؤلاء الأفراد الذين تعرضوا فعلاً إلى العقاب . **فـفي الحالة الأولى يمكن أن يرتدع الفرد بواسطة تخيله لآثار تنفيذ العقاب الذي يمكن أن يلحق به إذا ما انحرف . أما في الحالة الثانية فيمكن أن يكف الفرد ذو السوابق الانحرافية عن العودة إلى الانحراف (La recidive) بسبب تذكره للتجربة العقابية نفسها . (Walker ، ١٩٨٠ م) (ص ١٥٩) . أما الفرق بين الترهيب والرادع الأخلاقي (بالمعنى الوارد في هذا الكتاب) هو أن ردع الأول للسلوك الانحرافي يأتي من التطبيق الفعلي للقانون في المجتمع ، بينما يأتي في الحالة الثانية من تجذر المعايير والقوانين الاجتماعية في شخصية الفرد نفسه كنتيجة للتنشئة الاجتماعية (ص ١٦١) .**

الإجرام ويقينية وقوع العقاب

يبدو أن الدراسات المتعددة أثبتت أن العلاقة متينة جداً بين ظاهرة قلة الإجرام من جهة ويقينية نزول العقوبة بالجاني من جهة أخرى . فكلّما كان احتمال إلقاء القبض على الشخص المنحرف أو سجنه كبيراً في مجتمع ما كانت نسبة ارتكابه للجريمة منخفضة (ص ١٦٢) .

ومن هنا يتضح ضآلة نسبة الانحراف في الشوارع المضيئة والعمارات المحروسة إلخ . . (ص ١٦٤) .

طبيعة ومدى تأثيرات عملية الترهيب : يمكن القول إن عملية الترهيب هذه لا تؤثر على سلوك فئات المجتمع بدرجات متساوية . ومن هنا يأتي تصنيف المؤلف لهذه الفئات كالتالي :

١ ـ هناك الأغلبية الساحقة التي ليس لها الحاجة ولا العادة لارتكاب الجريمة والانحراف .

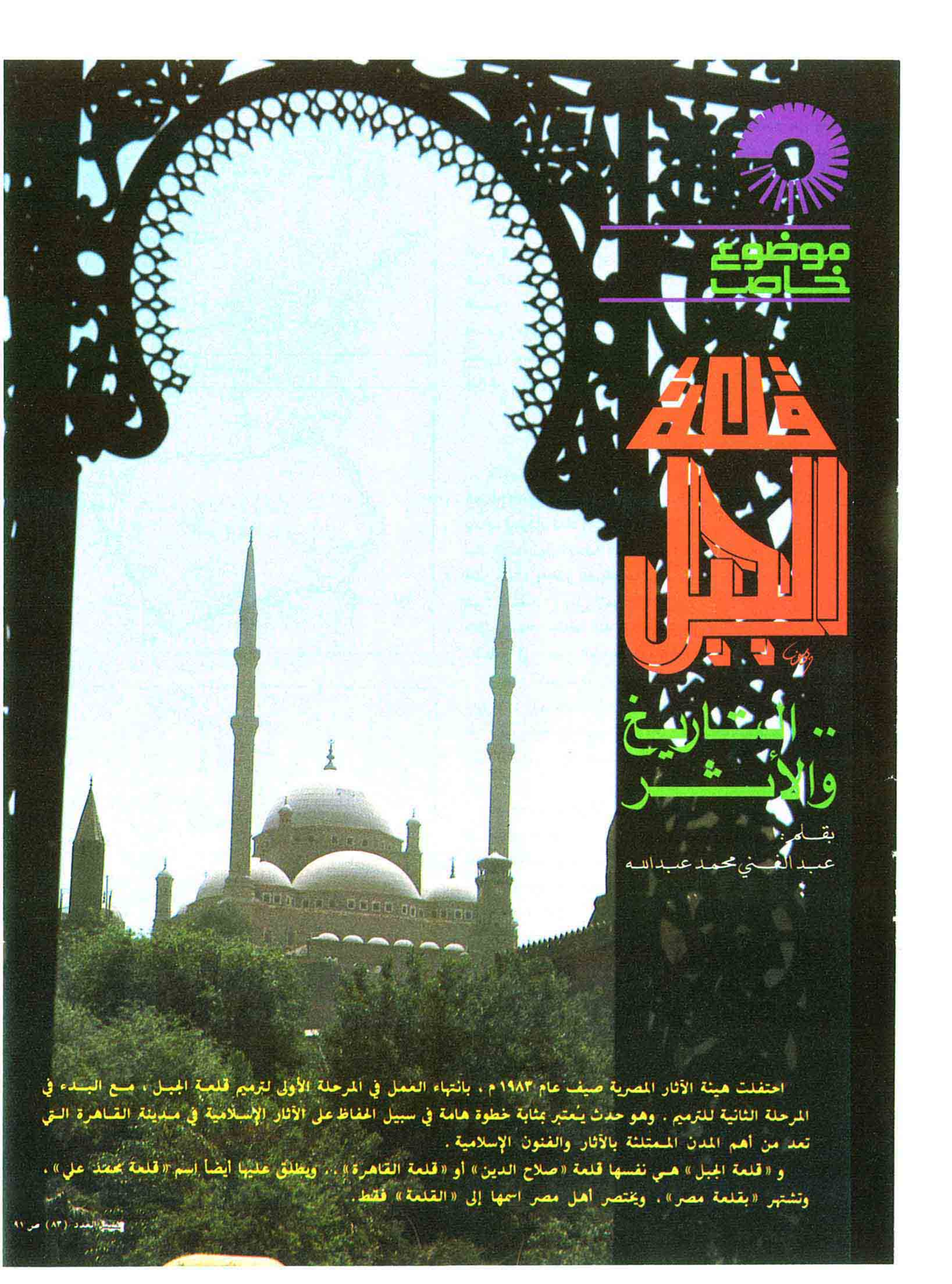
٢ ـ هناك المجموعات المتأثرة بنوازع الانحراف والإجرام لكن قيمها الأخلاقية تقف حجر عثرة أمام التقمص الفعلي للسلوك غير السوي .

٣ ـ هناك أقلية ضئيلة ذات رغبة مُعْلَنَة لارتكاب الجريمة إلى جانب عجزها على تلبية حاجتها بدون الوسائل غير الشرعية . (ص ١٩٧) .

٤ ـ هناك الفئات التي تشمل المجرمين المؤقتين (Les occasionels) أو المختصين (Les professionels) الذين يستطيعون فعلاً التخطيط لارتكاب الجريمة .

الترهيب الخاص : يثير المؤلف في هذا القسم من كتابه ما سماه **بالترهيب الخاص** (La dissuation specifique) . فالمنحرف الذي عُوقب في السابق هو أكثر تحسساً من المواطن العادي فيما يخص إنذار وتهديد العقوبة (ص ١٩٨) . فالدراسات في هذا الشأن تدل على أن للنظام الجنائي الاجتماعي فاعليته في ضبط السلوك الانحرافي التي تمس عادة أقلية صغيرة من السكان (ص ١٩٨) . لكن دور عقاب المجموعة المنحرفة له انعكاسات رادعة تنتشر إلى فئات أخرى مختلفة من نفس المجتمع سواء كان ذلك عن طريق تفشي أخبار المنحرف المـُعَاقَب إلى الجيران ، أو عن طريق الاعتبار من طرف من تحدثهم أنفسهم بالانحراف بذلك (ص ٢٠٠) . **ومع هذا فإن الباحثين كلستر وكوسلن (Claster et Coslin) وجدا أن المنحرفين هم أكثر تفاؤلاً من غير المنحرفين فيما يخص عدم إمكانية القبض عليهم لاعتقادهم في شدة صلابتهم وخبرتهم** (ص ٢٠٢) . ومن هنا يخلص صاحب الكتاب إلى طرح المعادلة التالية : كلما كان يقين القبض على المنحرف مرتفعاً كانت احتمالات مخاطرات المنحرفين لارتكاب الجريمة قليلة . . ومن ثم يأتي انخفاض نسبة الجريمة في مثل هذه المجتمعات . وإن ارتفاع نسب الانحراف والجريمة بالمجتمعات الغربية اليوم يبدو أنه يعود في كثير من جوانبه إلى الملاحظات والعلاقات المشار إليها أعلاه فيقينية العقاب للجاني تبق إذن بدون منازع عاملاً مهماً لكبح وضبط الجريمة .

البقية في العدد القادم



قلعة الجبل

.. التاريخ والأثر

بقلم :
عبد الغني محمد عبد الله

احتفلت هيئة الآثار المصرية صيف عام ١٩٨٣ م ، بانتهاء العمل في المرحلة الأولى لترميم قلعة الجبل ، مع البدء في المرحلة الثانية للترميم . وهو حدث يُعتبر بمثابة خطوة هامة في سبيل الحفاظ على الآثار الإسلامية في مدينة القاهرة التي تعد من أهم المدن الممتلئة بالآثار والفنون الإسلامية .

و « قلعة الجبل » هي نفسها قلعة « صلاح الدين » أو « قلعة القاهرة » .. ويطلق عليها أيضاً اسم « قلعة محمد علي » ، وتشتهر « بقلعة مصر » . ويختصر أهل مصر اسمها إلى « القلعة » فقط.

وهي تقع في الحي المعروف باسمها «حي القلعة» من أعمال قسم «الخليفة» أحد أهم أقسام مدينة القاهرة وأقدمها . وقد أقيمت على إحدى الرُبى المنفصلة عن «جبل المقطم» الواقع على مشارف مدينة القاهرة ، ويستطيع الرائي أن يراها بوضوح – الآن – ويقترب من أسوارها ، أثناء اختراقه لشارع صلاح سالم ، الطريق الدائري المقام حول القاهرة .

وتعتبر قلعة الجبل .. كما قال الدكتور عبد الرحمن زكي ، من أفخم القلاع الحربية التي شيدت في العصور الوسيطة ، وأسوار هذه القلعة الشامخة مر بها الكثير من أحداث وتاريخ مصر خلال العصور الأيوبية والمملوكية والعثمانية .. حتى أيام الخديوي إسماعيل «من أسرة محمد علي آخر الأسر الملكية التي حكمت مصر» ، وهي أحداث تتباهى بأمثالها كثير من الشعوب الحية ، وتؤلف ثبتاً جيداً في معالم تاريخ العالم الإسلامي[1] .

البداية

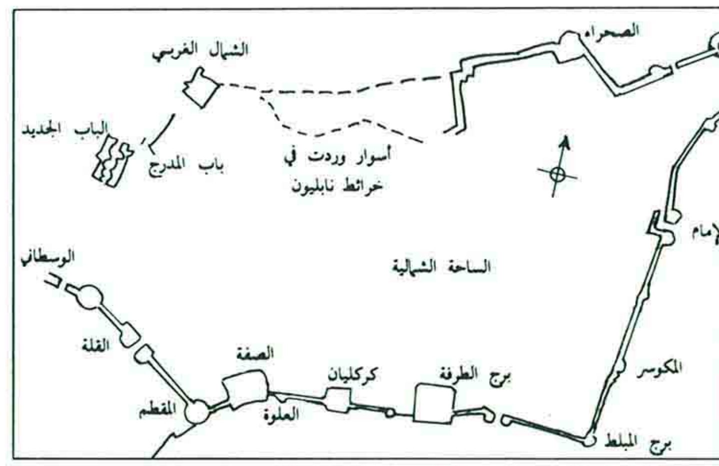
فقدت مصر كل ممتلكاتها في فلسطين عام ١١٥٣م ، وقد فشل الصالح طلائع – الوزير الفاطمي – في التحالف مع الصليبيين بهدف استرداد تلك الأراضي المسلوبة التي وقعت في يدهم . وفي تلك الأثناء توفي الخليفة الفاطمي «الفائز» عن عمر يناهز أحد عشر عاماً ، واختار الصالح طلائع من بعده خليفة «طفلاً» أيضاً هو «العاضد» ، وتلى ذلك عدة مؤامرات أدت إلى مصرع الصالح طلائع نفسه ، وخلفه ابنه ولكنه قتل على يد شاور حاكم الصعيد والطامع في منصب الوزارة .. وكان ذلك في عام ١١٦٣م .

استمرت الأمور لبعض الوقت في حالة عدم استقرار حيث ظهر «**ضرغام**» الذي كان يناوئ «**شاور**» في منصب الوزارة ، وأجبر «**شاور**» على الهرب ، فلجأ إلى «**نور الدين**» في الشام طالباً مساعدته من أجل العودة إلى مصر .. وقد وعد شاور بأن يقدم «لنور الدين» ثلث خراج مصر[2] .

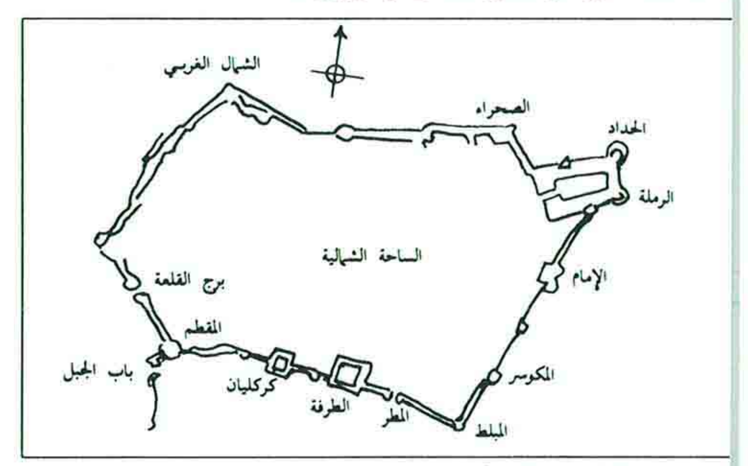
«ضرغام» – اتجه إلى الخصم الآخر – «**عموري**» ملك بيت المقدس لكي يساعده في التصدي «لشاور ونور الدين» ، وقد وعده «ضرغام» بدفع الجزية ، فتقدم «عموري» لغزو مصر ولكنه توقف عند **بلبيس** ، وفي هذا الوقت كان «نور الدين» قد قرر مساعدة «شاور» نظراً لأهمية مصر الاستراتيجية في الصراع مع الصليبيين . ونتيجة لذلك فقد عاد «شاور» ومعه حملة تضم العسكر التركمان يقودهم «**أسد الدين شيركوه**» ، وتضم الحملة بين صفوفها «**صلاح الدين يوسف بن أيوب**» .

اصطدم «شاور» وحملته مع «عموري» وحملته عند بلبيس وكان النصر حليف «شاور» – أبريل (نيسان) ١١٦٤م – ، وتم الاستيلاء بعد ذلك على **الفسطاط** .. وتم التخلص من «ضرغام» بعد قتله ووصل «شاور» إلى كرسي الوزارة .. وهنا رفض دفع الجزية «لنور الدين» فسيَّر الأخير حملة جديدة بقيادة «صلاح الدين» خرجت من **حملة «شيركوه»** في مصر .. واستولت على بلبيس وشرق النيل .

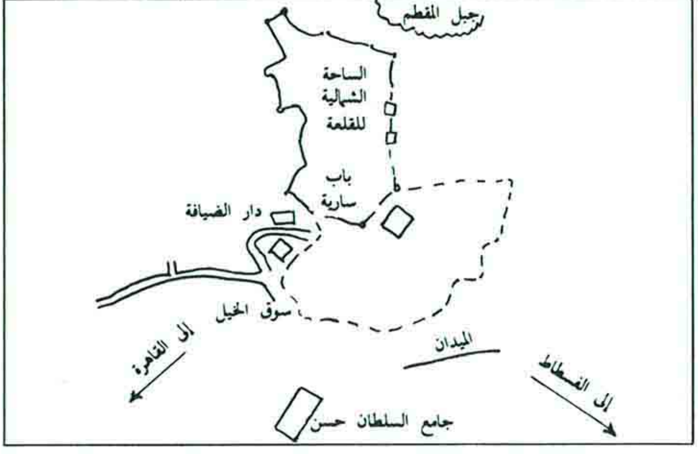
استنجد «شاور» «بعموري» ملك بيت المقدس فحضر إلى مصر بحملة جديدة وحاصر بلبيس لمدة ثلاثة أشهر . إلا أن الظروف والأحداث في سورية حتمت عودة كلاً من «شيركوه وعموري» ، وتم عقد هدنة بينهما في أكتوبر



★ الساحة الشمالية عن الدكتور جمال محرز عن كبريزويل ★



★ الساحة الشمالية عن الدكتور أحمد فكري ★



★ موقع القلعة وما حولها زمن المقريزي – منتصف القرن الخامس عشر – كما تخيلها كازانوفا ★

★ القلعة والأسوار التي تضم العواصم الإسلامية الأربع لمصر . عن كازانوفا ★



★ مسجد محمد علي ومسجد الناصر محمد ★

(تشرين الأول) عام ١١٦٤ م. وأهم ما كشفت عنه تلك الحملة هو أهمية مصر القصوى لطرفي الصراع، وغناها.. وفي نفس الوقت ضعفها.

قاد «شيركوه» حملة أخرى في ٦ يناير (كانون الثاني) عام ١١٦٧ م، وقد وصل فيها بجيشه إلى **مدينة «اطفيح»** جنوب القاهرة بحوالي ٤٠ ميلاً وعبر النيل بجيشه إلى الضفة الغربية.. وعندئذ أسرع «عموري» بجيشه إلى مصر وتمركز على الضفة الشرقية للنيل قبالة معسكر «شيركوه».. ثم سار الجيشان في اتجاه الشمال يفصل بينهما نهر النيل.. إلى أن توقفا فعسكر «عموري» في الفسطاط وفي الناحية الأخرى عسكر «شيركوه» في الجيزة.

بدأ «عموري» في طلب التوصل إلى عقد معاهدة بينهما، ولكنه باغت «شيركوه» أثناء المباحثات.. وعبر إلى الغرب ودارت معركة رهيبة على بعد عشرة كيلومترات جنوب القاهرة يوم ١٨ أبريل (نيسان) ١١٦٧ م، وانتصر فيها «شيركوه» انتصاراً ساحقاً، اتجه بعدها إلى **الإسكندرية** وبعد أن ترك «صلاح الدين» حاكماً عليها عاد إلى الصعيد.

تعرض «صلاح الدين» لحصار صليبي فاطمي، الأمر الذي دعا «شيركوه» للاتجاه لمساندته في الإسكندرية، وتم عقد معاهدة في أول أغسطس (آب) عام ١١٦٧ م، تنص على مغادرة الجميع مصر ولكن «شيركوه» ترك حامية في الفسطاط.

عاد «عموري» لغزو مصر في نوفمبر (تشرين الثاني) من نفس العام وقام بذبح كل سكان مدينة بلبيس وأقدم «شاور» على حرق مدينة الفسطاط حتى لا تقع في يد «عموري» فهجرها سكانها[٣].

استنجد الخليفة الفاطمي «بنور الدين» فأرسل حملة جديدة في ١٧ ديسمبر (كانون الأول) ١١٦٨ م، وانضم الجيش المصري إلى جيش «نور الدين» الذي كان بقيادة «شيركوه»، فأيقن «عموري» ضياع مصر تماماً وانضمامها للمعسكر الإسلامي كوضع طبيعي فعاد إلى **فلسطين**، وحاول «شاور» قتل «شيركوه»، ولكن «صلاح الدين» تصدى له وقبض عليه وقتله.. فتقرر تعيين «شيركوه» وزيراً.

وسارت الأمور بشكل مغاير.. وأصبحت تخدم «صلاح الدين» فقد توفي «شيركوه» بعد تسلمه للوزارة بشهرين فحل محله «صلاح الدين» في ٢٣ مارس (آذار) ١١٦٩ م، وأصبح «صلاح الدين» هو كل شيء في مصر اعتباراً من ذلك التاريخ[٤].

صلاح الدين والسلطة

لم يبدأ صلاح الدين مباشرة في الأعمال المعمارية ـ والحربية

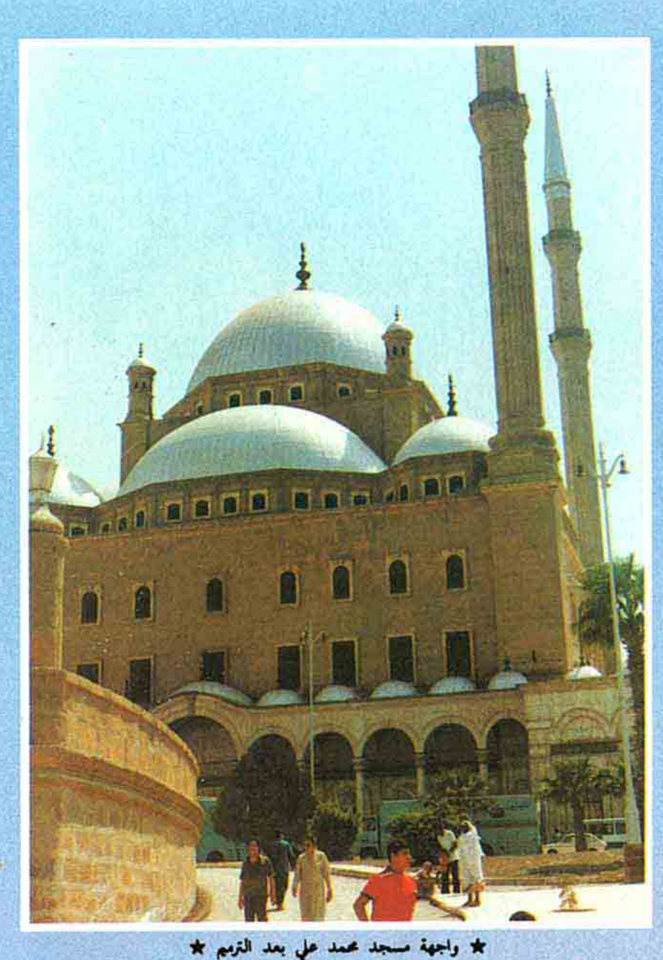
منها على وجه الخصوص ـ بعد توليه السلطة ، ولكنه تمهل قليلاً حيث قابلته عدة مشاكل منها تعرضه لبعض الثورات من أتباع الفاطميين ، وتعرضه لغضب نور الدين نفسه ، فأصبح يخشى على نفسه من نور الدين وأتباع الفاطميين .

ففي بداية وزارة « صلاح الدين » طلب « نور الدين » منه أن يقطع الدعوة للخليفة الفاطمي ويطلقها للخليفة العباسي ، وقد تردد صلاح الدين في فعل ذلك . إلا أن ذلك تم في العاشر من سبتمبر (أيلول) عام ١١٧١ م ، وقد توفي آخر الخلفاء الفاطميين بعد ثلاثة أيام من هذا التاريخ دون أن يعلم بما حدث . وهناك بعض الأقوال التاريخية تقول إن رجلاً من الموصل ظهر في مدينة القاهرة فجأة وكان هو أول من أطلق الدعاء للخليفة العباسي على المنبر ، وتلك قصة لم يؤيدها **بهاء الدين** أو **ابن الأثير** وأرجعوا أمر الدعاء نفسه إلى « صلاح الدين » .

ولكن بعد وفاة **العاضد** استولى « صلاح الدين » على القصر الفاطمي ودفع بكنوزه إلى « نور الدين » وأمرائه ولم يحتفظ لنفسه بشيء منه ، وقام بإهداء مكتبة القصر الفاطمي إلى كاتبه « **القاضي الفاضل** » . . واستمر يعيش هو في دار الوزارة(*) . . ولم تكن بعيدة عن القصر الفاطمي .

وقد تعرض صلاح الدين لعدة محاولات لإعادة الفاطميين ولكنه استطاع القضاء عليها والتخلص منها ، ولكن غضب « نور الدين » عليه وقلقه منه ، لم يتخلص منه « صلاح الدين » إلا بوفاة نور الدين نفسه . حيث إن صلاح الدين لم يستطع الوقوف ضده . . على الأقل أدبياً .

وكانت أكثر المحاولات ضد « صلاح الدين » تأثيراً وخطورة هي تلك المحاولة التي قادها « **كنز الدولة** » في **أسوان** ولكنها قضي عليها بواسطة « **الملك العادل** » في سبتمبر (أيلول) ١١٧٤ م . . واستطاع « الملك العادل » أيضاً أن يخمد محاولة أخرى بقيادة « **داود بن العاضد** » وكانت كل تلك الأحداث دافعة « لصلاح الدين » بضرورة الحذر والحرص . . فعمل على بناء القلعة ليحتمي بها إذا قدر لثورة فاطمية أن تنجح أو تحرز نتائج خطيرة . . أو قدر « لنور الدين » أن يلاحق « صلاح الدين » في مصر .


★ واجهة مسجد محمد علي بعد الترميم ★

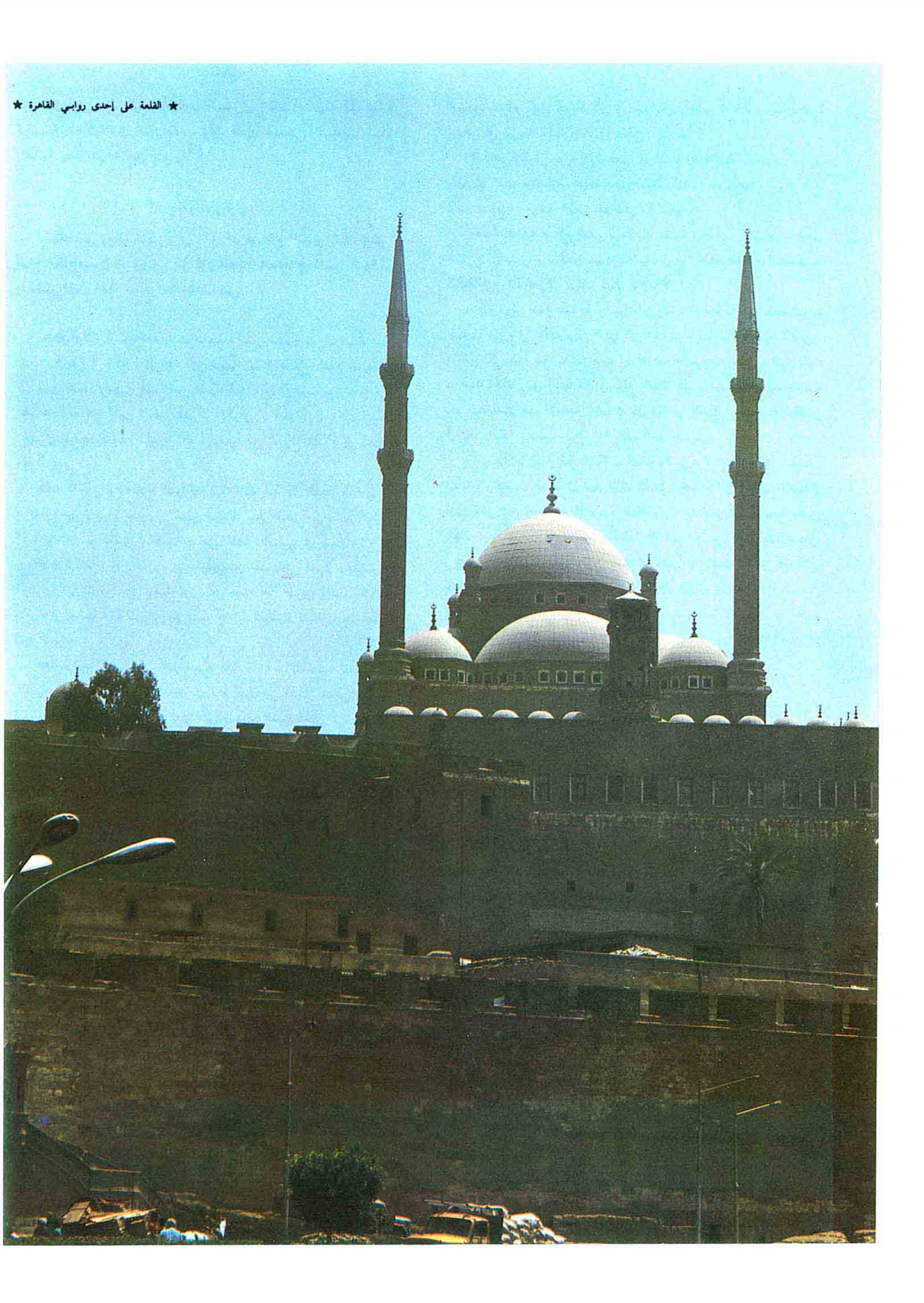
نظريات بناء القلعة

وقد تعرض كثير من العلماء والمؤرخين لأسباب بناء القلعة بإسهاب ، ولكن تدور كل أقوالهم حول نظريتين رئيسيتين كان السبب السابق ذكره مباشرة « وهو الخوف من ثورة فاطمية ، أو ملاحقة من نور الدين » أولى هذه النظريات .

نظرية لين بول

رأى لين بول أنه كان لكل مدينة سورية قلعة أو حصن ، وقد دلت تجارب كثيرة ومتعددة على إمكان سقوط المدينة في حين تظل القلعة ممتنعة على الغزاة . . وسبيلاً لاسترداد المدينة فيما بعد ، وعلى ذلك كان من الواجب أن يكون لمدينة القاهرة ـ التي اتخذها صلاح الدين عاصمة له ـ قلعتها هي الأخرى ، أما القول إنها سوف تكون معقل دفاع صلاح الدين إذا ما قرر نور الدين ضربه في مصر فمردود عليه بأن صلاح الدين لم يفكر في بناء القلعة إلا بعد وفاة نور الدين بعامين . . والقول الصحيح ـ في





★ القلعة على إحدى روابي القاهرة ★

نظر لين بول ـ إنه اتبع الأسلوب السوري (لكل مدينة قلعتها) كوسيلة للوقاية من الثورات.. وقد قرر صلاح الدين بناء القلعة بعد عودة من سورية[6].

رواية المقريزي

وتتلخص رواية المقريزي[7] في أن صلاح الدين كان يخشى أتباع الفاطميين.. ويخشى من نور الدين محمود في نفس الوقت ولذلك فقد اتخذ عدة احتياطات هي:

●● أولا: أرسل أخيه الملك المعظم «شمس الدولة توران شاه بن أيوب» في عام ١١٧٣ م، إلى بلاد اليمن لتصبح مملكة لصلاح الدين تحميه من نور الدين محمود واستولى عليها شمس الدولة فعلاً، ولكن موت نور الدين ترك الجو خالياً لصلاح الدين فاستمر بمصر، «والرأي أن اختياره اليمن كان لبعدها الجغرافي إلى جانب عدم تأثيرها الاستراتيجي على الصراع القائم في الشام وقتذاك».

●● ثانياً: لزم صلاح الدين دار الوزارة ولم يلجأ إلى القصر الفاطمي، «والرأي حتى لا يوغر صدر نور الدين ضده أو يوغر صدر أمراء نور الدين أيضاً باعتبار أن القصر الفاطمي يضاهي القصر العباسي في بغداد».

●● ثالثاً: وزع أمراءه على القصرين الفاطمي الشرقي والغربي، «والرأي أن ذلك من أجل إرضاء نور الدين محمود عن طريق إرضاء هؤلاء الأمراء إلى جانب أن ذلك يشير إلى انتهاء الخلافة الفاطمية كلية وهو مطلب لنور الدين».

●● رابعاً: عمل على اختيار موقع القلعة، وهناك قصة تقول إن الاختيار جاء بعد أن تم تعليق اللحم في عدة أجزاء من مدينة القاهرة ففسد كله بعد يوم وليلة إلا أن اللحم الذي علق في موقع القلعة الحالي لم يتغير إلا بعد يومين وليلتين[8].

وعلى ذلك يمكن القول إن نظرية المقريزي وهي التي تلق قبولا بين كثير من المؤرخين.. تلتقي عند رغبة صلاح الدين التخلص من الثورات والخوف من نور الدين محمود.

عمارة القلعة ـ الأثر

يرتبط بناء القلعة باسم ذلك الفتى الرومي المعروف باسم «قراقوش». فقد وُلد في آسيا الصغرى وعاش شرخ شبابه في مدينة دمشق وتسمى باسم «بهاء الدين عبد الله الأسدي»[9]، وعمل بالجيش وكان يمتاز بالصلابة والشدة والقدرة على مواصلة العمل، الأمر الذي قاده إلى أن أصبح واحداً من أمراء الجيش السوري الذي دخل إلى مصر بقيادة شيركوه والذي كان من بين أفراده صلاح الدين «ابن أخي شيركوه». وقد شهد قراقوش انهيار الدولة الفاطمية بمصر.. وشهد أيضاً جهود صلاح الدين من أجل قيام الدولة الأيوبية حتى قيامها بالفعل.. وقراقوش كلمة تركية تعني «الطائر الأسود». وكان قراقوش يميل إلى الشدة، ولقد اتصف في التاريخ بالشدة، حتى أن ابن مماتي كتب عنه كتاباً كله سخرية فانتشر هذا الكتاب وذاع وتسلى به الناس. وقد توفي قراقوش في مستهل رجب ٥٩٧ هـ، بالقاهرة ودفن في تربته المعروفة في سفح المقطم[10].

اضطلع قراقوش بعدة أعمال منها بناء القلعة وعدة منشآت حربية أخرى وبالذات القلاع والأسوار المحيطة بمصر عموماً والقاهرة خصوصاً.. واضطلع أيضاً بمسؤولية حراسة القصر الفاطمي.

وقد أسند إليه صلاح الدين مهمة بناء القلعة وبناء سور القاهرة، وهو السور الذي يدور حول العواصم الإسلامية الأربع: **الفسطاط، العسكر، القطائع، القاهرة**، وكان ذلك عام ١١٧٦ م.

قام قراقوش بهدم المساجد والقبور التي كانت موجودة على تلك الربوة المنفصلة من جبل المقطم وهي الربوة التي اختيرت موقعاً لبناء القلعة.. ومهد الأرض لكي يقوم ببناء القلعة عليها.. ثم هدم الأهرامات الصغيرة التي كانت موجودة بالجيزة ونقل أحجارها إلى موقع القلعة حتى يستخدمها في بناء القلعة وقد استخدمت هذه الأحجار أيضاً في بناء **قناطر الجيزة**. واستخدم قراقوش في بناء القلعة والسور حوالي ٥٠ ألف أسير صليبي.

مات صلاح الدين قبل استكمال القلعة والسور وتم استكمالها في العصور التالية، واكتملت القلعة في عهد الملك الكامل «**محمد ابن الملك العادل أبي بكر ابن أيوب**»، فأتم بناء القلعة وأنشأ بها الأدر السلطانية. وظل بالقلعة. واستمرت من بعده داراً لمملكة مصر حتى عصر **الخديوي إسماعيل**. وفي ذلك يقول «**ابن عبد الظاهر**» إن الملك الكامل هو الذي اهتم بعمارتها وعمارة أبراجها ثم تحول إليها من دار الوزارة عام ١٢٠٧ م. ونقل إليها أولاد «**العاضد**» وأقاربه وسجنهم في أحد بيوت القلعة.. ولما جاء السلطان «**المنصور قلاوون**» شرع في عمارة برج عظيم فيها عام ١٢٨٤ م.

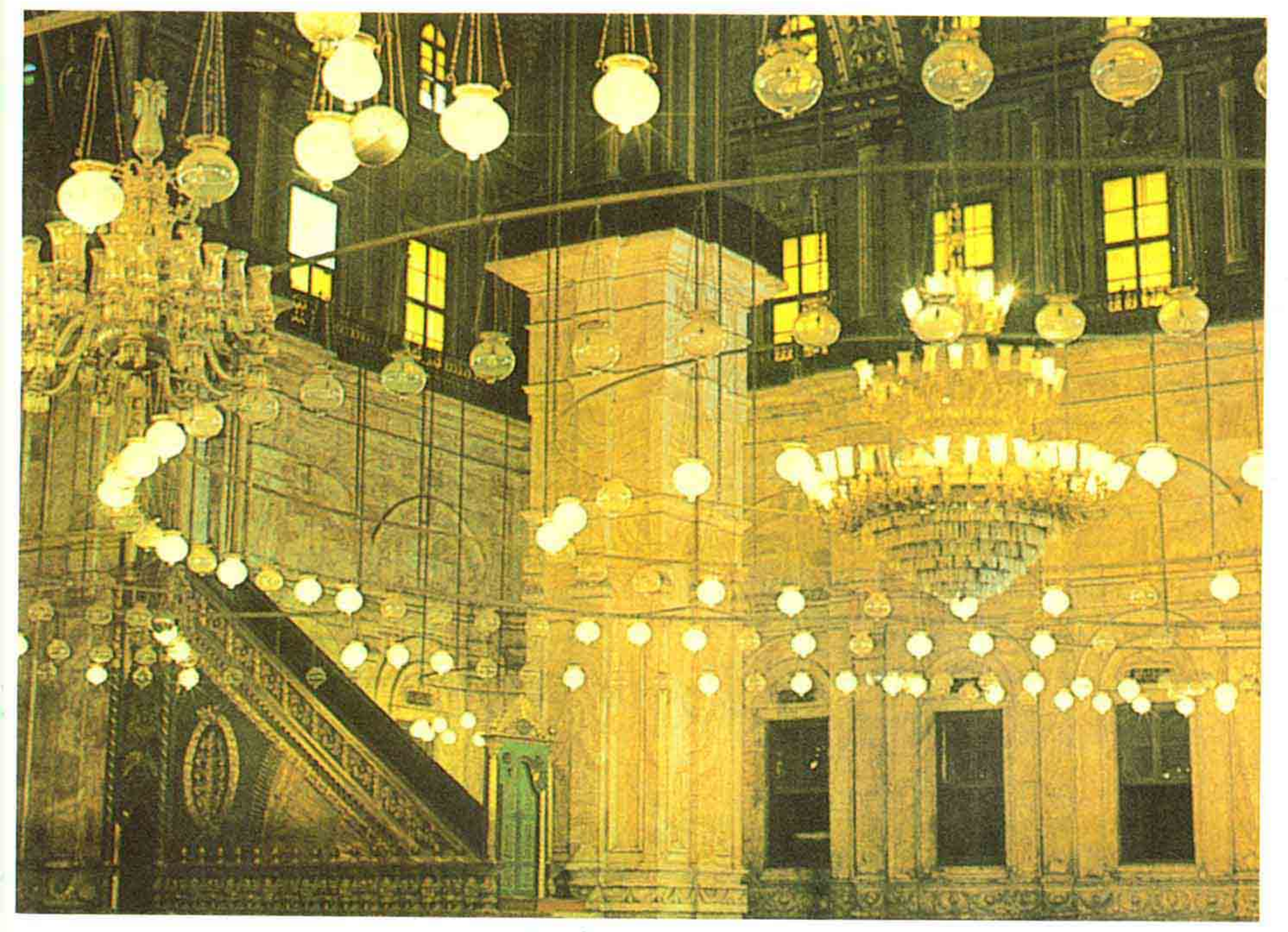
ساحات القلعة وعمائرها

تنقسم القلعة إلى ساحتين بواسطة سورين مختلفين تماماً، أحدهما شمالي يكون ساحة ذات مسقط أفقي مستطيل غير منتظم الشكل بطول ٦٥٠ متراً تقريباً وبعرض ٣١٧ متراً تقريباً، ويتصل هذا السور الشمالي بالسور الجنوبي بواسطة رقبة عرضها ١٥٠ متراً تقريباً، وهذان السوران يكونان ما اتفق عليه كل الباحثين بالساحة الشمالية والساحة الجنوبية ويفصل بين الساحتين حائط سميك جداً هو «الرقبة» وعلى كل طرف من أطراف هذا الحائط ـ الرقبة ـ برج، وفي وسط هذا الحائط باب يسمى باب «القُلّة» Kulla».

الساحة الجنوبية يحيط بها السور الجنوبي وهي شكل غير منتظم، وترجع إلى عدة عصور مختلفة «٥١٠ × ٢٧٠ متراً»، وهي المكان الذي يزوره الناس الآن للسياحة وبه مجموعة المساجد من بينها مسجد محمد علي والناصر محمد. وهي أحدث معمارياً من الساحة الشمالية.

أما الساحة الشمالية فيحيط بها سور بشكل غير منتظم ويتخلل السور أبراج نصف دائرية ومربعة وأبواب صغيرة، وأبواب ذات مداخل منكسرة[11] ـ باشورة ـ ويمكن حصر كل تلك الأبراج والأبواب كالتالي بدءً من غرب السور الجنوبي للساحة الشمالية:

١ ـ برج المقطم، وهو مستدير Mukattam.



★ مسجد محمد علي من الداخل ★

٢ ــ برج الصُفَّة ، وهو مربع Soffa .

٣ ــ برج العلوة ، وهو مستدير Elwa .

٤ ــ برج كركليان ، وهو مربع Kerkyalin .

٥ ــ برج الطرفة ، وهو مربع Turfa .

[بين كركليان والطرفة برج مستدير بدون اسم] .

٦ ــ باب المطر وأحياناً يقال « المطار » وهو عبارة عن فتحة في السور يكتنفها برجان مستديران Matar .

٧ ــ برج المكوسر وهو مستدير ويقال المقوصر أو المقوسر Muqusar .

٨ ــ باب القرافة أو الإمام وهو فتحة يكتنفها برجان مستديران . وهو عبارة عن مدخل منكسر « باشورة » .

[بين المقوصر والإمام يوجد برج مستدير بدون اسم] Imam .

٩ ــ برج الرملة ، وهو مستدير Ramla .

١٠ ــ برج الحداد ، وهو مستدير Haddad .

١١ ــ برج الصحراء ، وهو مربع Sahra .

١٢ ــ البرج الشمالي الغربي ، بقي منه الأساسات فقط .

١٣ ــ الباب المدرج باب ذو مدخل منكسر « باشورة » Mudarrag .

١٤ ــ الباب الجديد Gadid .

١٥ ــ الباب الوسطاني Middle gate .

حكايات عن أبراج القلعة

وحكاياتها كثيرة .. وهي ذات دلالات تاريخية كبيرة وربما أثرت لمدة عصور أو سنوات تالية لها .

شجر الدر أو شجرة الدر ــ أم الخليل المستعصمية الصالحية زوجة الصالح نجم الدين أيوب ــ تلك المرأة الفاتنة التي حكمت مصر واستطاعت بعد وفاة زوجها أن تخفي خبر وفاته وتدير الأمر في فترة من أحلك فترات التاريخ الإسلامي ــ فترة معركة المنصورة التي كانت دائرة بين المسلمين والفرنسيين ــ قتلت في برج المقطم وكان ذلك خاتمة لمغامراتها .. فقد تزوجت من عز الدين أيبك أحد أمراء المماليك البحرية ثم تآمرت عليه وقتلته فكان أن تآمر عليها زوجة عز الدين وابنه وأتباعه وقتلوها «بالقباقيب» في الحمام .. ثم علقت جثتها على جدران برج المقطم وبعد أن تعفنت جثتها أسقطت بجوار البرج وظلت ملقاة دون أن يهتم بها أحد .. إلى أن ووريت التراب .

المماليك في عهد محمد علي لهم قصة هم الأخرون في الباب الجديد .. فقد أعد لهم محمد علي الكبير حفلاً كبيراً وهو ينوي التخلص منهم ومن متاعبهم رغم عمل مسيرة بالخيل داخل القلعة لتخرج من الباب الجديد ، ثم حصروا بداخل الباب الجديد وأطلق عليهم الرصاص فقتلوا جميعاً عدا واحد منهم فر وقفز بحصانه من فوق سور القلعة المطل على ميدانها . ويقال إن ذلك حدث في باب « العزب » Azab ، أحد الأبواب الرئيسية للساحة الجنوبية على الميدان .

وبئر يوسف لها قصة هي الأخرى ، فهي من العجائب وقد استنبطها قراقوش[12] وقال عنها ابن عبد الظاهر : إنها من عجائب الأبنية تدور البقر في أعلاها فتنقل الماء نقالة في وسطها وتدور أبقار في وسطها تنقل الماء من أسفلها ولها طريق إلى الماء ينزل البقر إلى معينها .. في مجاز .. وجميع ذلك حجر منحوت ليس فيه بناء ، وقيل إن أرضها مسامتة لبركة الفيل وماؤها عذب . وسمعت من يحكي من المشايخ أنها لما نقرت جاء ماؤها حلواً فأراد قراقوش أو نوابه الزيادة في مائها فوسع نقر الجبل فخرجت منه عين مالحة غيرت حلاوتها ، وذكر القاضي ناصر الدين شافع بن علي في كتابه عجائب البنيان أنه ينزل لهذه البئر بدرج نحو ثلاثمائة درجة .

اختلاف بنيان القلعة

عماد الدين ـ سكرتير صلاح الدين الأيوبي ـ حدد محيط القلعة بـ ٣٢١٠ أذرع هاشمية وبحساب بسيط يمكن لنا معرفة أنه بين مقاس الساحة الشمالية وما ذكره عماد الدين فارقاً قدره ٦٤٠ متراً وهو ما جعل « البروفيسور كريزويل » مقتنعاً تماماً بأنه ما زال هناك أجزاء من أسوار قلعة صلاح الدين مطمورة ولم تكتشف بعد .

وحين القول « بقلعة صلاح الدين » فيقصد بها علمياً الساحة الشمالية وحتى هذه لم تكن من عمل صلاح الدين وحده ولكن أضيف إليها فيما بعد .. فهناك في نفس الساحة أعمال أخرى للملك العادل شقيق صلاح الدين وهي أعمال تتميز عن سابقتها ويمكن معرفتها بسهولة ويسر وهي :

١ ـ الأحجار المنحوتة نحتاً ناعماً من أعمال صلاح الدين والمنحوتة نحتاً خشناً من أعمال العادل .

٢ ـ الأحجار من أعمال صلاح الدين جاءت صغيرة على عكس الأحجار من أعمال العادل فهي كبيرة وضخمة .

٣ ـ الأبراج الدائرية من عمل صلاح الدين ، أما تلك التي من أعمال العادل فهي مربعة .



★ واجهة مسجدي الناصر محمد ، ومحمد علي ★



★ واجهة مسجد محمد علي من جهة الصحن ★

٤ ـ المزاغل[13] ذات عقود ـ أقواس ـ مسطحة أو مستقيمة يخفف عنها حمل البناء عقود عاتقة « أي أن العقد العلوي يعتق حمل البناء عن العقد السفلي أي يحمله عنه بحيث لا يتم الضغط بثقل البناء على السفلي فينكسر وتتعطل وظيفته » وذلك في أعمال صلاح الدين ، أما في أعمال العادل فإن تلك المزاغل قد غطيت بنصف مخروط نائم على أحد أجنابه .

٥ ـ واستثناء من كل تلك القواعد توجد بعض الأبراج الدائرية قواها العادل بشكل دائري مثل الرملة والحداد .

وعلى أي الأحوال استمرت أعمال التجديد والإضافة على القلعة في العصور التالية لإنشائها ، فقد بدئ في بنائها على عهد صلاح الدين عام ٥٧٢ هـ ـ ١١٧٩ م ، وأضاف لها الملك العادل وجدد فيها عام ٦١٤ هـ . ثم حدثت تعديلات أخرى عام ٩٠٦ هـ ، على يد **السلاطين طومان باي وجنبلاط** ، وفي فترة عثمانية غير معروفة في القرن ١٦ ، ١٧ م . وأجريت تعديلات مختلفة وإضافات كثيرة وتجديد في أسوارها في عهد **محمد علي الكبير** .

الزمن

هذه هي القلعة .. حكايات .. أسرار .. وقبل ذلك كله عمارة وبنيان .. ومن بعد ومن قبل .. زمن يذوب معه الحجر .. ويبلى مع امتداده الحديد .. وانشغل الإنسان عنها وظلت هي كمبنى يقاوم الزمن والإهمال .. والتعمد أحياناً حتى صار حالها غير ما كان عليه .. وأصبحت خرائب وأطلال فتهدمت بعض أسوارها وأغلقت ساحتها الشمالية وشغلها من لا يهتم بقيمتها الأثرية .. وتآكلت جدران الأسوار والأبراج وتكسرت بعض ألواح الرخام .. وتوقف نبات الحدائق الداخلية .. وتحطمت العرائس على حوائط مسجد الناصر محمد وتآكلت الكسوة المصنوعة من الرصاص على قباب مسجد محمد علي وتوقف مسجد سارية عن القيام بدوره بسبب حالته المعمارية السيئة .. وبدا وكأن القلعة في طريقها إلى الزوال .. وهي التي تمثل أفخم القلاع الحربية الإسلامية في العصور الوسيطة على الإطلاق .. وخلال السنوات الأخيرة .. وصل فيها حال القلعة إلى أدنى مستوياته .. كان لا بد من وقفة .. لها ومعها .

الترميم

وفجأة .. دب النشاط داخل ساحات القلعة وأبنيتها .. إذ انطلق أكثر من ١٥٠٠ شاب مصري يكونون كتيبة مغامرة ترتق

الذين كتبوا عن القلعة

العديد من المؤرخين والرحالة ورجال الآثار ونقّاد الفنون ورجال العمارة كتبوا عن القلعة وتاريخها .. تغنّى بها الشعراء وكتب عنها رجال السياسة .. وهرع إلى رؤيتها السائحون .. والزوار .. والقادة والملوك وأصحاب الشأن .

كتب عنها **المقريزي** في « المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار » ، وفي « السلوك في معرفة دول الملوك » . **وابن جبير** في رحلته ، **وأبو الفداء** في « المختصر في تاريخ البشر » ، وفي الجزء الثالث من « صبح الأعشى في صناعة الإنشا » كتب عنها **القلقشندي** ، وتعرض لها **أبو المحاسن ـ ابن تغري بردي الأتابكي** ـ في النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، **وابن إياس** في بدائع الزهور .. **ومحمود أحمد** في الدليل المختصر لأهم المباني الأثرية في القاهرة . **وعبد الرحمن زكي** في القلعة وما حولها من آثار .

كتب عنها **كازانوفا Casanova** في تاريخ ووصف قلعة القاهرة ، **وهيرز Herz (Max)** في الكتالوج ، و « القاهرة من خمسين عاماً مضت » **ولين بول Lane Poole** في صلاح الدين وتاريخ مصر ، **وورسفولد Worsfold** في كتابه The redewption of Egypt ، وكذلك تحدث عنها **بكر (C.H.) Becker** في كتابه Ant Cairo in the Encyolopaedia of Islam ، وكذلك تكلم عنها **دافيد روبرتس وصوفيا بول** الأول في كتابه « مصر والنوبة » ، والثانية في كتابها « امرأة إنجليزية في مصر » ، وتضمن الكتاب الأول عدة رسومات خالدة ، وتعرض لها ولكنسون في كتاباته .

ولما تقدم « **ك . أ . س . كريزويل K. A. C. Creswell** » لتأليف كتابه الرائع « العمارة الإسلامية في مصر » أضاف إليه الفصل الخاص بالقلعة بعد إدخال التعديلات عليه . The Muslim Architecture of Egypt – Ayyubids and Early Bahrite Mamluks – A. D. 1171 – 1326 oxford. Charendon – Press 1959.

وقد ترجم هذا الجزء الخاص بالقلعة بواسطة الدكتور جمال محرز إلى العربية بعنوان « وصف القلعة » وكان وقتئذ مديراً لمصلحة الآثار المصرية . وقد راجعه الدكتور عبد الرحمن زكي وكان مديراً للمتحف الحربي بالقلعة .

ويعتبر البروفيسور كريزويل أشهر من كتب عن القلعة وأشهر من أجرى فيها « حفريات » .. فقد أشرف على حفرياتها في العشرينات من هذا القرن . وقد نشر المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة هذه النتائج في نشرته في عام ١٩٢٤ م ، تحت عنوان :

Archaeological Researches at the citadel of Cairo.

وقد استأنف كريزويل حفرياته بالقلعة مرة أخرى في الخمسينات وتم تعديل بعض آرائه الأولى .

تحدث عنها أيضاً الأساتذة : **فريد شافعي ، كمال الدين سامح ، سعاد ماهر ، محمود سامي ، تركي حسن** والعديد من أساتذة التاريخ وعلم الاجتماع .. وغيرهم كثيرون .. وما زال يتحدث عنها العديد من المهتمين بعلم الآثار الإسلامية ونقّاد فنونها .

هذا غير الذين أرخوا لفترة صلاح الدين وعلى رأسهم **بهاء الدين** .. سواء المعاصرين له أو التالين لعصره أو المحدثين .. فقد تعرضوا للقلعة ، وكذلك العلماء الذين رافقوا الحملة الفرنسية على مصر .. وغيرهم .. وغيرهم .. كثيرون .

الدرج والحبال إلى ارتفاعات شاهقة وصولا إلى قمم قباب المآذن، وجواسقها، وقباب المساجد نفسها، من أجل ترميم مبنى القلعة هناك فوق تلك الربوة من جبل المقطم في موقع قبة الهواء[١٤].

لقد تم الاستعانة بكل هؤلاء الشبان من **كليات الفنون الجميلة والهندسة والآثار**.. بعد أن وضح استحالة الاستعانة بالشركات الكبرى في الترميم بسبب تلك التكاليف المادية الباهظة.. وبسبب فترات الترميم الزمنية الطويلة التي طلبتها تلك الشركات. وبدأت فكرة الاستعانة بالشباب في مكاتب **هيئة الآثار المصرية** وتبناها رئيسها **الأستاذ أحمد قدري** ثم اندفعت الهيئة كلها من أجل إنجاح الفكرة.. ونجحت.. وبدأت تستغل في العديد من الآثار الأخرى في مصر.

حجم الترميم

حجم الترميم.. في القلعة.. ضخم، فهو على سبيل المثال وليس الحصر وصل بحجم أعمال قدرة خمسة آلاف متر مكعب من الحجر الجيري تقريباً. فقد تم ترميم أحجار حوائط وعقود الباب المدرج، و «باب القلة Kulla»، وباب الجبل - باب صغير في الشمال الشرقي -، والباب الجديد، وقد تم استبدال كل الأحجار المتآكلة بغيرها جديدة[١٥]**. وتم إعداد باب الجبل ليكون مدخلاً عاماً من طريق صلاح سالم. وأعيد ترميم برج الطرفة على طريق صلاح سالم، وبرج المقطم وهو البرج الذي شهد مصرع شجرة الدر.**

●● **بئر يوسف**: تم تنظيف درجها وتم إعدادها للسياحة.. وهي على أي الأحوال بسبب المياه المالحة التي خرجت منها لا تستخدم الآن في جلب المياه إلى القلعة.

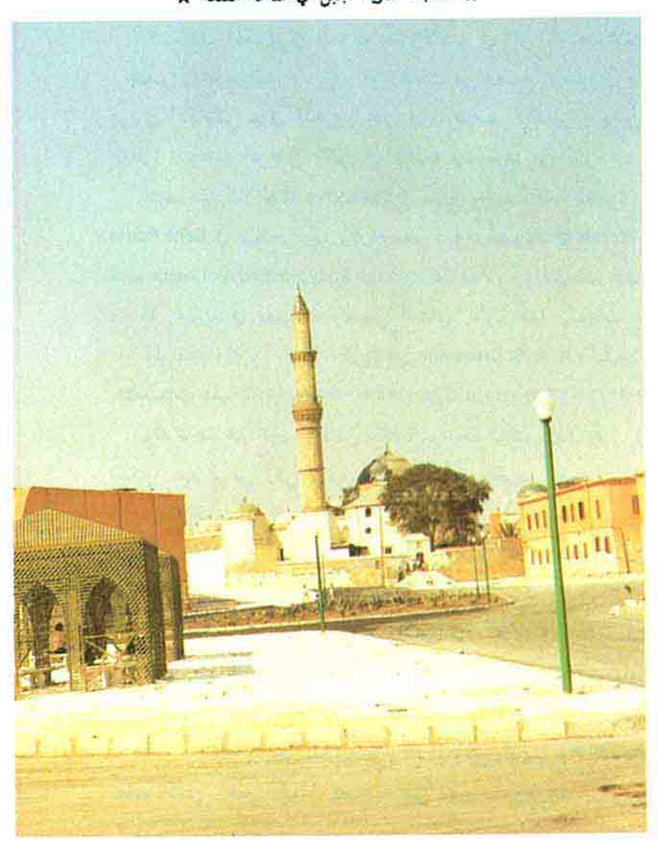
●● **مسجد محمد علي**: تعرض للترميم الشامل باعتباره واحداً من أهم الآثار الإسلامية داخل مبنى القلعة. فهذا المسجد صممه **المهندس التركي «يوسف بوشناق»** على نمط مسجد السلطان أحمد في استامبول واقتبس منه المسقط الأفقي بما في ذلك الصحن والنافورة، أو «الفوارة التي تتوسط الصحن للوضوء». وقد كانت رغبة محمد علي في بنائه تنبع من كونه مسجداً لتأدية الشعائر إلى جانب إقامة مقبرة لنفسه بداخله. وقد استلزم هذا المسجد جهداً كبيراً في الترميم بسبب سوء حالته، فقد تم تنظيف الواجهة الحجرية للمسجد وكذلك المآذن والقباب، وقد استبدلت الكسوة التي تغطي القباب برصاص جديد تم تجليدها جيماً به.. وهي عملية شاقة وخطرة في نفس الوقت. تم أيضاً ترميم الكسوة الرخامية التي جُلِّد بها المسجد من الداخل والخارج، إلى جانب ١٦٠٠ متر مربع من سجاد المسجد.. وهو من النوع العريق والفخم واتضح أنه كله كان يحتاج إلى الترميم. هذا إلى جانب إعادة صباغة كل الأجزاء بتلك الألوان الرائعة والزاهية المذهبة والمفضضة وهي أجزاء غاية في الدقة واستمرت لفترة طويلة.. واستلزمت أكثر من ١٣ عملية للوصول بها إلى الهدف المأمول.

●● **مسجد الناصر محمد بن قلاوون**.. أحد أروع المساجد المملوكية في مصر الإسلامية بأرجائه المتسعة، وأرضيته المفروشة بألواح الرخام وأسقفه المبطنة بماء الذهب، وحوائطه التي تم كسوتها بألواح رخامية في شكل زخرفي رائع.. وطعمت بالصدف، وزخرفت تيجان أعمدته بزخارف ملونة ورائعة.. أعاد الترميم إليه شبابه مرة أخرى وعاد كأجمل ما تكون العمارة الدينية الإسلامية.. وخاصة في نمطها المملوكي.. أزهى ما وصلت إليه المدرسة الفنية الإسلامية من رقي وتقدم. وأعيدت كذلك الشرائط الكتابية الزخرفية إلى حالتها الأولى.

●● **مسجد «سارية الجبل»**.. وكان قد شيد في العصر العثماني **للجنود الإنكشارية**، حيث صدرت إليهم الأوامر بعدم مغادرة قلعة الجبل، تعلوه قبة كبيرة مكسوة بالقيشاني.. وداخل المسجد أيضاً نص تاريخي على لوحة الإنشاء كتب عليها «قد بنى أمير الأمراء المصريين سليمان باشا... اللهم اجعله من الفائزين.. مسجداً لوجه الله المعين طلباً لمرضاة رب العالمين ليعبدوا فيه عبادة الله وكان تاريخه... فاركعوا مع الراكعين»[١٦] وقد تم ترميم هذا المسجد ترميماً شاملاً وعاد إلى القيام بدوره الطبيعي بعد فترة زمنية طويلة نسي فيها الجميع هذا المسجد العريق بسبب سوء حالته المعمارية التي كان قد وصل إليها.

●● **قصر الجوهرة**.. جنوبي مسجد محمد علي مباشرة، وقد كان مخصصاً لسكن محمد علي واستقبالاته، ويحتوي على الكثير من الغرف والصالات من بينها صالة العرش.. وكان قد تعرض لحريق مدمر في عام ١٩٧٢م، أعيد أيضاً ترميم الجزء الباقي منه وسيتم استكماله في المرحلة الثانية. وقد تم ترميم المئات من التحف كالساعات والفازات والكؤوس والنارجيلات والسجاد والتماثيل بالحجم الطبيعي والملابس التاريخية وأضيف إلى ذلك قاعة «الكوشة»، وكذلك «**قاعة الكسوة**» وهي تضم أجزاء من كسوة الكعبة المباركة. وتم ترميم **قاعة الديوراما** وهي عبارة عن منظر - بانوراما -


★ مسجد سارية الجبل في ساحة القلعة ★



مجسم لمحمد علي باشا جالساً على أريكة الحكم يستمع مع خلصائه ومستشاريه إلى مظلمة فلاح مصري، وذلك بالحجم الطبيعي في واحدة من أروع ما تم ترميمه في القلعة، وقد اشترك في ترميم تلك القاعة **نبيل شاروبيم، وعفاف الأتربي، ونادية لقمة، ومحمد رشدي، وأحمد أمين، وسامح عبد الفتاح، ومحسن عباس، ومنال عبد الرؤوف، وصفاء عبد ربه، ومكرم فرج، وفاطمة إبراهيم، وأحمد راضي عبد الفتاح، وهدى إسماعيل** وهي أسماء يجب ذكرها جميعاً نظراً لجهودهم في ترميمهم تلك القاعة التي أشار كل الخبراء إلى استحالة ترميمها بسبب قسوة التدمير التي تعرضت له خلال الحريق... أما زخرفة قصر الجوهرة فهي تعود إلى **أسلوب «الركوكو»** وهو أسلوب ذو تفاصيل زخرفية مركبة.

متاحف القلعة

هناك عدة متاحف بقلعة الجبل بعضها جديد، وهي في أغلبها متاحف أصلية أقيمت في مواقعها.. وقد تم ترميمها جميعاً وعادت إلى نشاطها مع المرحلة الأولى:

١ ـ **متحف قصر الجوهرة**، وهو قصر محمد علي الكبير، وقد أقيم المتحف داخل المبنى الملحق بالقصر. وتعرض فيه تحف وأثاثات من قصور أسرة محمد علي حتى عصر الملك فاروق. وكان قصر الجوهرة قد تعرض لحريق عام ١٩٧٢م، قضى على الجزء الخارجي منه ولكن سيتم ترميمه في المرحلة الثانية.

٢ ـ **متحف الركايب الملكية**، وتعرض فيه مجموعة من المركبات من عصر الخديوي إسماعيل حتى عصر الملك فاروق، وقد صنعت تماثيل بالحجم الطبيعي للخيل والشهاشرجية غاية في الإتقان والدقة مع الملابس التاريخية لهم. وهذا المتحف لا يضم إلا المركبات التي تجرها الخيول وهي «**المناطير**»، «الكاريتّات» وهي أسماء تعود عليها أهل مصر ومفردها «حنطور»، «كاريتّة» والحنطور هو الأكبر حجماً.. وما زال هذان النوعان من المركبات مستخدماً في مصر ـ رغم ندرته ـ. «وهو متحف جديد».

٣ ـ **متحف الحديقة الأثرية**، وهو يقوم على مساحة تسعة آلاف متر مربع، ويضم هذا المتحف المكشوف العديد من الآثار والفنون الإسلامية الكبيرة الحجم، والحجرية على وجه الخصوص. «وهو متحف جديد»..

٤ ـ **المتحف الحربي**، وهو ليس جديداً.. ولكنه أحد أقدم المتاحف الحربية في العالم وهو يضم العديد من الأسلحة التي استخدمت في الجيش المصري من أقدم العصور حتى اليوم إلى جانب العديد من الأزياء العسكرية التاريخية والأعلام والبيارق والمزاريق (مفردها «مُزْرَاق» وهو العلم المثلث الصغير الملون الذي يوضع فوق رأس الحربة قبل السن الخاصة بها)، وغير ذلك من الأدوات المستخدمة في الجيوش.

٥ ـ **مجموعة المساجد**، وهي تعتبر بما تحويه من كنوز فنية وزخارف وأدوات كالمحاريب المنقولة والمنابر الخشبية والرخامية وأدوات الإنارة «المشكاوات» والحديد الزخرفي وغير ذلك.. تعتبر متاحف رائعة ونادرة.

وعاد قصر الجوهرة إلى نفس الظروف الفنية التي نشأ في كنفها من ١٧٨ سنة. وسيعود إلى تلك الظروف الكاملة عقب المرحلة الثانية من الترميم.

العودة إلى الحفريات

وتقرر إجراء بعض الحفائر في القلعة، وتم اختيار موقعين لهذه الحفائر قرب **مسجد سارية الجبل** وحول **قبة سيدي محمد الكحكي** وقد أسفرت تلك الحفائر عن اكتشاف مجموعة معمارية إلى جانب أحد الأسوار المطمورة.

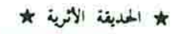
وهناك اكتشافات أخرى لنصوص ونقوش تحكي قصص الإنشاءات المعمارية وأصحابها من السلاطين والملوك والولاة.

وفوق الباب المدرج ـ «أحد المداخل الرئيسية للساحة الشمالية» ـ «بسم الله الرحمن الرحيم. أمر بإنشاء هذه القلعة الباهرة، مولانا الملك الناصر صلاح الدنيا والدين أبو المظفر يوسف بن أيوب محيي دولة أمير المؤمنين على يد أمير مملكته ومعين دولته قراقوش عبد الله المكي في سنة تسع وسبعين وخمسمائة»(١٧).

وتحت هذه الكتابة نقشت كلمتان بالخط الكوفي.. تمثلان حكمة لكل من أعتلى عرش مصر.. «الملك لله».

القلعة.. الأثر

قلعة مصر.. قلعة الإسلام.. يد الترميم تعمل فيها بأسرع


★ الحديقة الأثرية ★





★ جانب من سور القلعة، ويشرف على مسجدي الرفاعي والسلطان حسن ★

ما يمكن وأقصى ما تستطيع .. تحول ساحاتها إلى حدائق خضراء .. لتعود كما كانت، وتجدد كل شبكات مياهها وما هو خاص بالكهرباء حتى لا تؤثر على مبنى القلعة باعتبارها إضافات حديثة .. والأمر ليس بالهين .. فبناها يقوم على ١٩١ فداناً وعمائرها أقيمت منذ أكثر من ٨٠٠ عام .. غير ما استجد.

قلعة الجبل .. تعود إلى سابق عهدها .. جديدة وشامخة كما كانت رمزاً للنضال ضد الطامعين في أرض العروبة والإسلام .. وقد أقيمت في فترة .. من أقسى فترات النضال والكفاح ضد مغتصبي أرض الإسلام.

الهوامش

(١) عبد الغني عبد الله، فن العمارة الحربية الإسلامية، مجلة الوعي الإسلامي، العدد ١٥٥، أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٧٧م.

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، جـ٢.

(٣) المقريزي، الخطط.

علي بهجت، جابرييل، حفريات الفسطاط.

(٤) بهاء الدين، المحاسن السلطانية.

(٥ و ٦) لين بول، Saladin، Lane Poole.

(٧) المقريزي، الخطط، جـ٢، السلوك جـ١.

(٨) اتخذت هذه الوسيلة في اختيار موقع مدينة بغداد «المدينة المدورة» حينما أمر أبو جعفر المنصور بإنشاء المدينة لتكون عاصمة الدولة العباسية.

(٩) ترجم له كل من ابن خلكان، ابن إياس، ابن مماتي وغيرهم.

(١٠) رياض توفيق، قلعة صلاح الدين: قراقوش الذي بنى القلعة.

(١١) الباب ذو المدخل المنكسر ويسمى «باشورة» وهو عنصر حربي إسلامي يجعل المدخل بفتحتين متعامدتين لكي يمكن إيقاف المهاجم بداخله «Bententrance».

(١٢) من روايات المقريزي، الخطط، جـ٢، ص ٢٠٣، ص ٢٠٤.

(١٣) المزاغل هي فتحات رمي السهام ضيقة من الخارج ومتسعة من الداخل.

(١٤) كان موقع القلعة يعرف بموقع قبة الهواء وكان حاتم بن هرثمة والي مصر قد بناها سنة ٨١١م.

(١٥) يجب ملاحظة أن استبدال الأحجار الجيرية ليس عملاً هيناً إذ يجب أن يكون الحجر قد قطع من موقع أصلي يتميز بنفس الظروف التي سيؤدي دوره فيها؛ فمثلاً إذا كان موقع الحجر في البناء شرقي سفلي أي أن الشمس تشرق عليه صباحاً وهو في أسفل الحائط فيجب قطع هذا الحجر من الجبل من الجزء الشرقي في أسفل الجبل .. وهكذا باقي الجهات.

(١٦) رياض توفيق، قلعة صلاح الدين: شباب مصر يمسحون دمعة عتاب.

(١٧) تاريخ الانتهاء من عمارتها من أعمال صلاح الدين.

المـراجع

تم الاعتماد أساساً على عدة مراجع .. وهي في تناولها لقلعة الجبل اعتمدت بدورها على العديد من المراجع .. وهي:

١ ــ جمال محرز، «قلعة الجبل»، هذا الكتاب ترجمة للجزء الخاص بالقلعة من مؤلف البروفيسور كريزويل.

The Muslim Architecture of Egypt Ayyubids and early Bahrite Mamluks.

٢ ــ عبد الرحمن زكي، «القلعة وما حولها من آثار».

٣ ــ ك. أ. س. كريزويل K.A.C. Creswell.

Archaeological Researches at the citadel of Cairo.

نشر هذا المقال في نشرة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة عام ١٩٢٤م، وهو يتضمن نتائج حفريات كريزويل بالقلعة.

٤ ــ عبد الغني محمد عبد الله، فن العمارة الحربية الإسلامية، مجلة الوعي الإسلامي، العدد ١٥٥ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٧٧م.

٥ ــ هيرز Herz.

1. Cairo Fifty years ago.

2. Catalogue.

٦ ــ لين بول Lane Poole.

1. Saladine

2. History of Egypt.

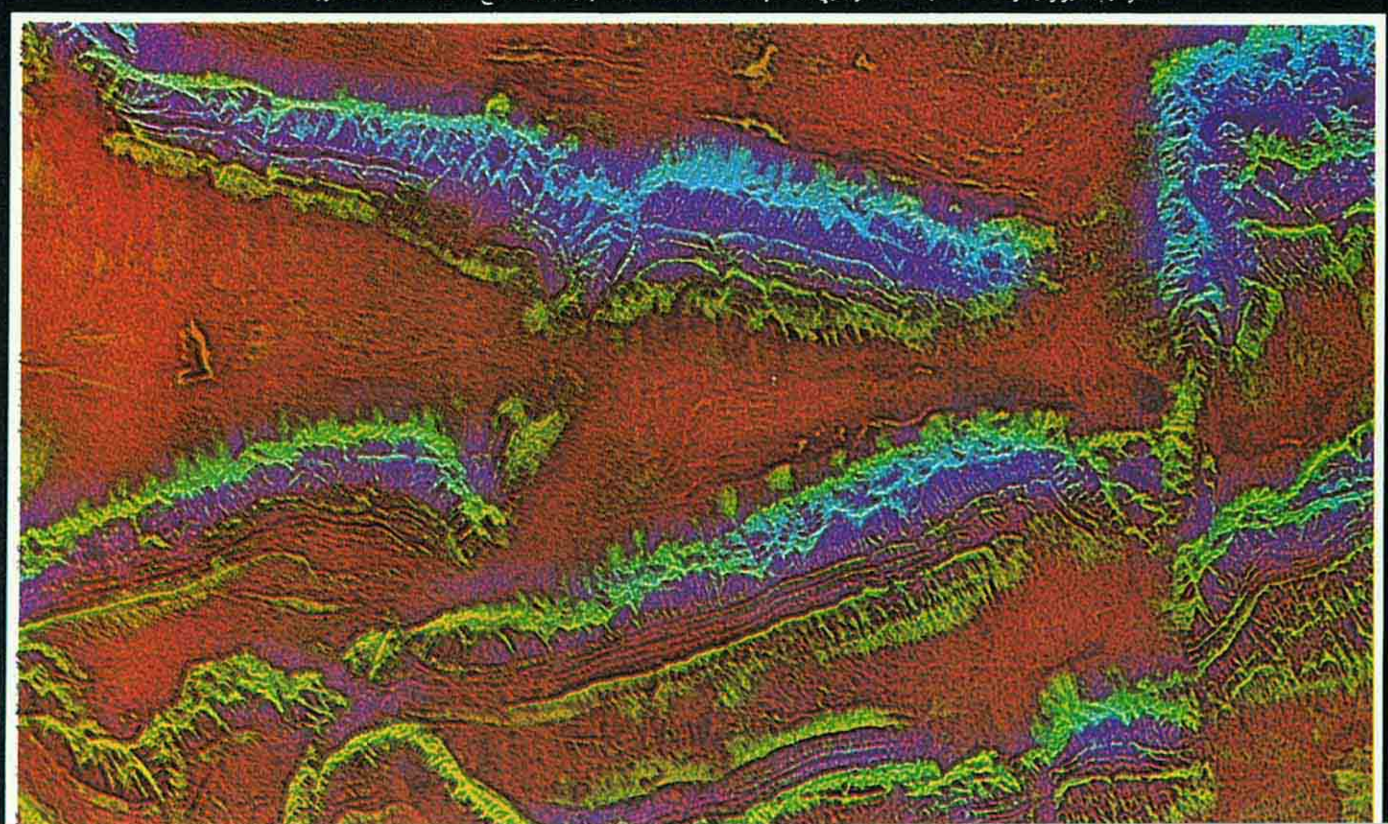
تقنية تصوير الأرض الراداري من الفضاء

بقلم: عدنان عضيمة

أحدثت تقنية (تكنولوجيا) تصوير الأرض من الفضاء بواسطة الأنظمة الرادارية الدائرة حول الأرض Orbiting Radar Systems ثورة جديدة في مجالات علوم الجيولوجيا والمناخ والمحيطات. وتعتمد هذه الطريقة على توجيه أمواج متناهية القصر MICROWAVES نحو الأرض، واستقبال الأمواج المنعكسة التي تحمل معلومات مفصلة عن سطحها.

بقيت طرق تصوير الأرض من الفضاء لفترة طويلة دون أن يطرأ عليها تطور يذكر. إذ اعتمدت هذه الطرق أساساً على نفس مبدأ **التصوير (الفوتوغرافي)** العادي الذي يتلخص بتجميع الإشعاعات الضوئية الشمسية المنعكسة عن سطح الأرض بواسطة العدسات، وتسجيلها على الأفلام الحساسة. وأحدث الابتكارات في هذا المجال تعتمد على **الأنظمة الرادارية** التي تحملها التوابع الفضائية الدائرة حول الأرض. حيث يقوم النظام الراداري بتوجيه أشعة ذات أطوال موجات متناهية القصر، وعند سقوط هذه الأشعة على سطح الأرض تنعكس ليعود جزء منها إلى الرادار فتقوم أجهزة متخصصة بتحليلها وتركيب صورة منها للسطح الذي يجري تصويره. وتستخدم هذه الأنظمة الموجات الإشعاعية التي يتراوح طول موجتها بين (٠,٠١، ٠,٧٥) ميكرون – جزء المليون من المتر – ومن أنواعها (**مجاور الأشعة تحت الحمراء** ADJACENT INFRARED) **والضوء المرئي** VISIBLE LIGHT **والأشعة فوق البنفسجية** ULTRAVIOLET، وكلها من الطيوف الكهرومغناطيسية. ولقد ساعد ابتكار أجيال جديدة من الرادارات على التوسع في الدراسات المتعلقة بسطح الأرض، وتم بذلك الحصول على فيض من المعلومات في شتى العلوم المتعلقة بالأرض لم تكن معروفة من قبل.

★ تراكيب جيولوجية واضحة التقطها النظام الراداري الفضائي (SIR-A) لمنطقة جبلية في إقليم (سينكيانغ SINKIANG) شمال شرقي الصين ★



وأهم مزايا هذه الطريقة تكمن في أن الأنظمة الرادارية الفعالة مزودة بأجهزة الإصدار والاستقبال الإشعاعي في نفس الوقت، فهي بذلك لا تعتمد على ضوء الشمس، ومن ثم فإن بإمكانها القيام بتصوير الأرض في أي وقت من الليل أو النهار، وفي كل الأحوال الجوية، لأن الغيوم والضباب والعواصف ليس لها تأثير يذكر على خصائص الموجات متناهية القصر. كما تسمح هذه الطريقة بالحصول على فيض من الصور المتتابعة التي تساعد على تحليل الظواهر دائمة الحدوث والتغير كالتيارات البحرية والمحيطية، وحركة الجليديات، وتغيّر شكل الغطاء النباتي للأرض.

ويعتمد سطوع نقطة ما من الصورة الرادارية على مقدار (**الطاقة الموجية**) التي تحملها الموجات متناهية القصر عند ارتدادها عن سطح الأرض نحو **اللاقط الراداري** RADAR RECEIVER. كما تتعلق طاقة الارتداد الموجية بالخواص الفيزيائية والهندسية للسطح الذي تسقط عليه من حيث ميله وتعرجه وكثافة غطائه النباتي، كما تتعلق بخواصه الكهربائية **كالناقلية** CONDUCTIVITY التي تتغير بتغير مسامية الصخور والتربة ومحتواها المائي.

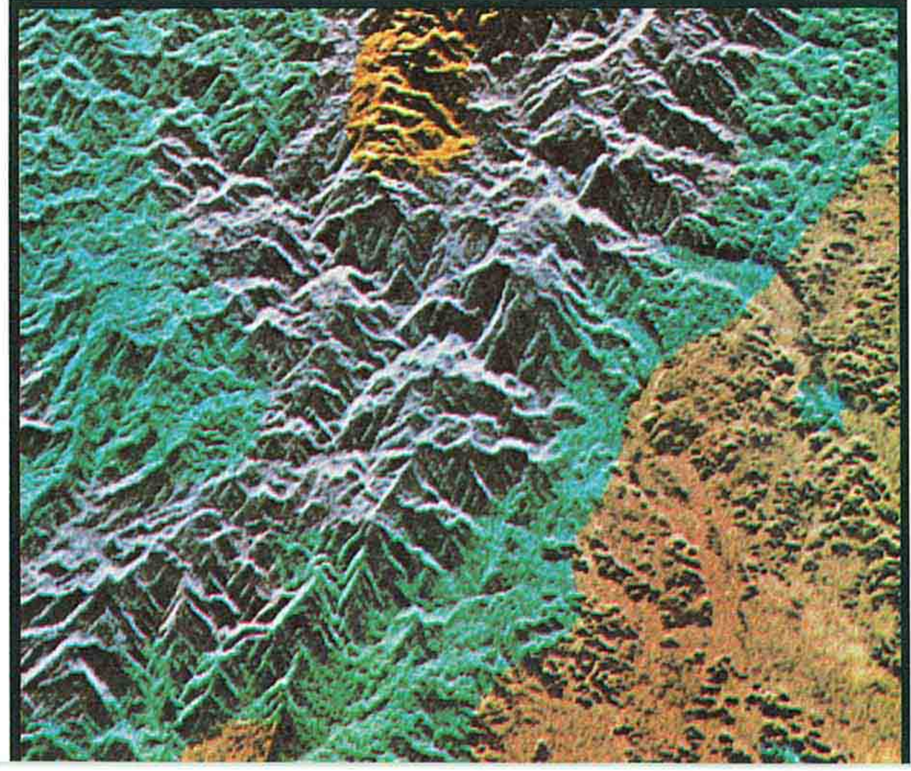
وفي حقل الضوء المرئي ومجاور الأشعة تحت الحمراء من الطيف تتعلق قدرة الأرض على عكس الأمواج بدرجة أساسية بنوعية التركيب الكيميائي للسطح العاكس، بينما لا تدل هذه القدرة في حالة استعمال الموجات الطويلة في الطرق الفوتوغرافية العادية إلا على (**المحتوى الحراري**) للسطح، ولهذا فإن استعمال الموجات متناهية القصر فتح آفاقاً رحبة نحو وصف متكامل لخواص سطح الأرض.

البدايات

ويعود ابتكار تكنولوجيا التصوير الراداري للأرض من الفضاء إلى عام (١٩٧٨م)، إلا أنه منذ ذلك الحين طرأت عليها سلسلة من التطورات الهامة، إذ تم تصميم نظامين راداريين في أميركا وضعا قيد التشغيل على مدار حول الأرض، أحدثهما حمله إلى مداره **المكوك الفضائي (كولومبيا)** عند إطلاقه للمرة الثانية في نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩٨١م، وأطلق عليه SIR - A اختصاراً للعبارة SHUTTLE IMMAGING RADAR - A واستطاع هذا الرادار أن يقدم صوراً مفصلة للكثير من التراكيب الأرضية السطحية. أما النظام الراداري الأقدم فهو الذي حمله **التابع الفضائي (سيسات** SEASAT) عام ١٩٧٨م، وكلا النظامين تم تصميمها في **معهد (كاليفورنيا) التكنولوجي**. ويتم التصوير الراداري بتوجيه الأشعة الموجية نحو سطح الأرض فتنعكس عن كل نقطة من السطح، ثم تعود إلى هوائي الرادار وتتداخل (INTERFERE) مع بعضها على سطحه بناء على سعة (AMPLITUDE) وصفحة (PHASE) كل منها. ويقوم (**الدليل الراداري الموجي** RADAR WAVE GUIDE) بتحليل المعلومات، ثم يرسل النتائج المبدئية إلى الحاسب الإلكتروني الذي يحولها إلى رسوم وخرائط موافقة لخصائص السطح الذي جرى تصويره. وتمكّن هذه الطريقة من الحصول على تفاصيل لمساحات شاسعة من سطح الأرض نظراً لإمكانية تسجيل المعلومات الموجية الواردة إلى الهوائي أثناء دورانه ليجري تحليلها فيما بعد بأجهزة معالجة المعلومات. وتستعمل نفس هذه الطريقة في (**علم الفلك الإشعاعي** RADIO ASTRONOMY) إذ تسمح بجمع معلومات موسعة عن الكون باستعمال عدة **تليسكوبات إشعاعية** RADIO TELESCOPES متباعدة تلعب دور مقاييس **التداخلات الإشعاعية** RADIO INTERFEROMETERS.

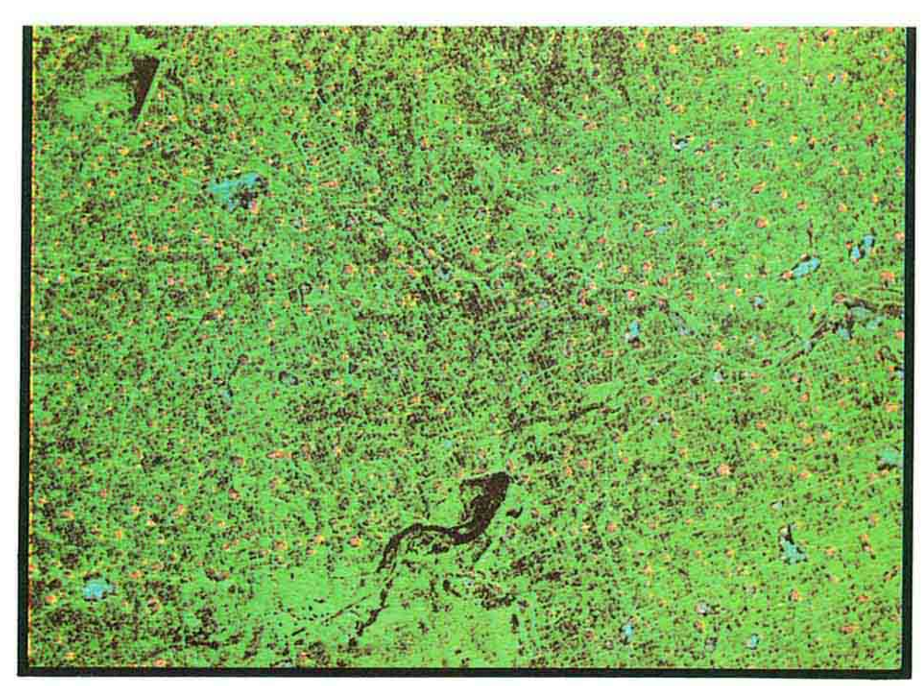
وأهم ميزات طريقة التصوير الراداري تكمن في إمكانية التحكم بالخواص الموجية المرسلة إلى الأرض من حيث سعتها وطولها، وعادة ما ترسل إلى الأرض دفعات متتابعة من الأمواج ذات (**التواتر** FREQUENCY) الثابت والمعروف بدقة. والفاصل الزمني بين إصدار الأمواج نحو سطح الأرض واستقبالها على الهوائي بعد انعكاسها يحدد أبعاد المساحة التي يجري تصويرها، كما تتعلق خصائص نقاط السطح التركيبية بهذا الفاصل الزمني إذ إن جميع النقاط التي يكون لها نفس البعد عن الهوائي ونفس الخصائص الفيزيائية تنعكس الأمواج عنها خلال نفس الفاصل الزمني. وتختلف الطاقة التي تحملها تلك الأمواج المنعكسة باختلاف طبيعة السطح فيمتص الماء أو الرمال أو الغابات

★ تكوينات جيولوجية مختلفة لمنطقة جبلية التقطها النظام الراداري (SIR-A) سمح تحليلها بتحديد نوع الصخور والتكوينات الجيولوجية ★



التصوير الراداري للأرض من الفضاء تحتل مكانة بارزة في شتى فروع العلوم الحديثة إذ قدمت مفاهيم جديدة في علوم الجيولوجيا والمحيطات والمناخ والأرصاد الجوية والتلوث والبحث عن مصادر الثروات الطبيعية ، وتم بواسطتها التعرف على المظاهر السطحية وتحت السطحية للأرض كالكشف عن (**الصدوع** FAULTS) **والقبب** DOMES وتوزع الغابات **ونظام التعرية** EROSIOn ، ونظراً لتغيّر خصائص الأمواج المنعكسة بشكل كبير عند تغير ميل SLOPE الطبقات فإن طريقة التصوير الراداري أصبحت تعد مثالية لرسم الخرائط الطوبوغرافية ، وقد أمكن رسم خرائط طوبوغرافية دقيقة للمناطق الصحراوية حتى وهي مغطاة بالرمال . إذ بيّنت المعلومات الموجية التي أرسلها نظام (SIR - A) الراداري عندما حلق فوق **صحراء مصر الشرقية** والتي عمل على تحليلها خبراء (**معهد المساحة الجيولوجية الأميريكي**) و (**مخبر جيت بروبالجن JET PROPULSION**) أن الخصائص التركيبية التي يمكن الحصول عليها بالتصوير الراداري لا يمكن الحصول عليها بأية طريقة أخرى من الطرق التقليدية . فقد أمكن التعرف لأول مرة على التركيب الجيولوجي لمناطق شاسعة يزيد سمك الرمال فوقها عن عدة أمتار فقدمت الصور الرادارية بذلك صورة جديدة للتاريخ الجيولوجي للصحراء الشرقية ، إذ إنها كانت من أكثر المناطق غنى بالماء والوديان الخصبة ، وأن أحد أنهارها كان يفوق في عرضه وغزارته نهر النيل . ويعتقد الخبراء أن التطورات اللاحقة لتكنولوجيا التصوير الراداري قد تمكن من الكشف عن المياه الجوفية في المناطق الصحراوية تطبيقاً لخاصة قدرة الإشعاعات الموجية القصيرة على اختراق الرمال والصخور المسامية ، كما من شأنها أن تكشف الآثار المدفونة تحت سطح الأرض .

ويعكس الغطاء النباتي للأرض الأمواج الرادارية بدرجة كبيرة بسبب احتواء الأنسجة النباتية والمحاليل النسغية على الشوارد المعدنية ، ولهذا تبدو الصور الرادارية للمناطق المزروعة شديدة الوضوح . ويعتقد الخبراء أنه سيتم



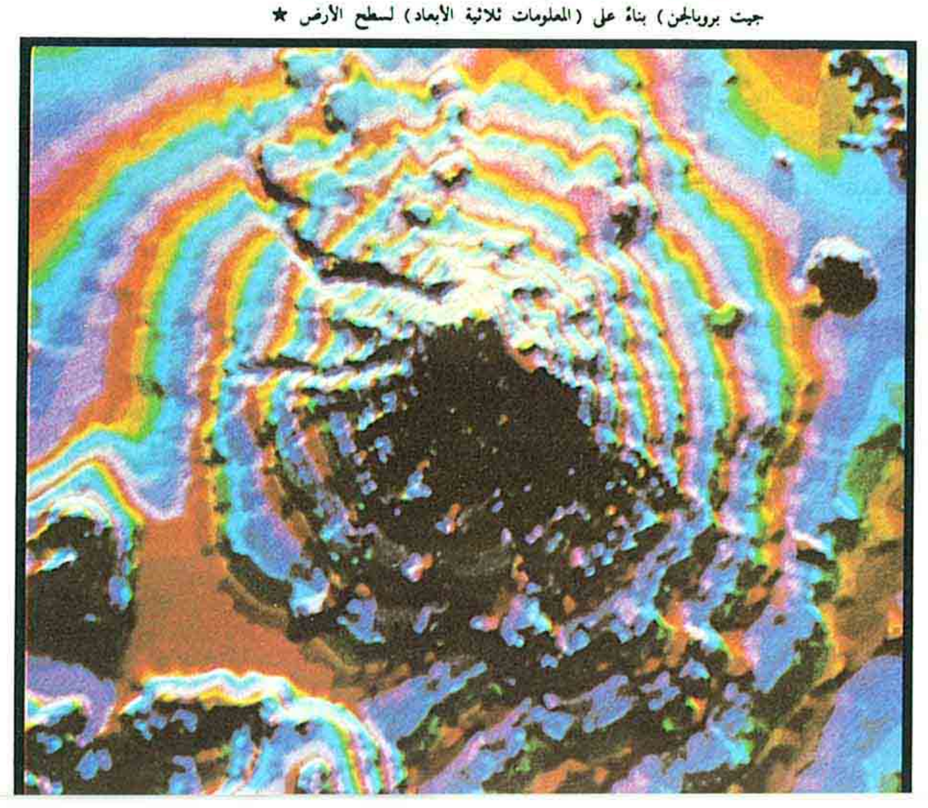
★ صورة رادارية لإقليم (هوبيه HOPEH) الزراعي شمال شرقي الصين التقطها النظام الراداري (SIR–A) من ارتفاع (٢٥٠) كم ★

أو الصخور مقادير مختلفة منها ، وعادة ما ترسم خرائط ذات بعدين للمساحة المصورة بناء على مقدار الطاقة الموجية المنعكسة . ويتطلب التصوير الراداري للأرض القيام بمليارات العمليات الحسابية التي يجب إنجازها بسرعة فائقة للحصول على تفاصيل أكثر دقة لسطح الأرض . ولهذا السبب تستعمل في تكنولوجيا التصوير الراداري أحدث الحاسبات الإلكترونية (**كالسوبر كومبيوتر** SUPER COMPUTER) من **طراز (كراي ١** CRAY 1) الذي يمكنه إنجاز (١٠٠) مليون عملية حسابية في الثانية الواحدة . وحتى عند استعمال (السوبر كومبيوتر) فإن فيض المعلومات الوارد إلى الهوائي في ثانية واحدة يحتاج إلى (٥٠٠) ثانية من العمليات الحسابية ! . . .

التطبيقات

أصبحت التطبيقات العملية لتكنولوجيا

★ صورة طوبوغرافية تركيبية لجبل (شاستا SHASTA) شمال (كاليفورنيا) صممت في (مخبر جيت بروبالجن) بناءً على (المعلومات ثلاثية الأبعاد) لسطح الأرض ★



التوصل لطريقة تسمح بالتعرف على الأنواع المختلفة من النباتات المزروعة والغابية في مناطق شاسعة خلال زمن قصير.

أما المنشآت التي يبنيها الإنسان كالجسور والطرق والأبنية فيرجع سبب عكسها الشديد للأمواج الرادارية إلى احتوائها على المعادن بنسب عالية، إذ تعمل هذه المعادن كسطوح الهوائيات على عكس القدرة الموجية الواردة إليها. واعتماداً على هذه الخاصة تم الحصول على صور رادارية لعربات وخطوط السكك الحديدية، والطرق وأبراج تقطير البترول، والجسور ومنصات الحفر والتنقيب عن البترول، والسفن والغواصات البحرية، **ولازالت الخرائط التي ترسم اعتماداً على تطبيقات التصوير الراداري ثنائية الأبعاد، وهذا يخلق مشكلة صعوبة تحديد ارتفاع النقاط المختلفة للمناطق المصورة بالنسبة لبعضها، مما يقتضي تصوير (الهدف) من زوايا مختلفة حتى يمكن رسم خطوط المناسيب، ويتطلب هذا القيام بحل مسائل حسابية بالغة التعقيد**. ولحل هذه المشكلة عمد **(جراهام GRAHAM) من معهد (جوديير Good Year** لأبحاث الفضاء) إلى تطبيق فكرة تعتمد على استعمال هوائيين، أحدهما يصدر الأشعة الموجية باتجاه الأرض، بينما يقومان معاً باستقبال الأشعة المنعكسة من زوايا مختلفة. وبمقارنة (أطوار) هذه الأمواج يمكن التعرف على ارتفاع كل نقطة من نقاط الهدف بالنسبة لسطح البحر.

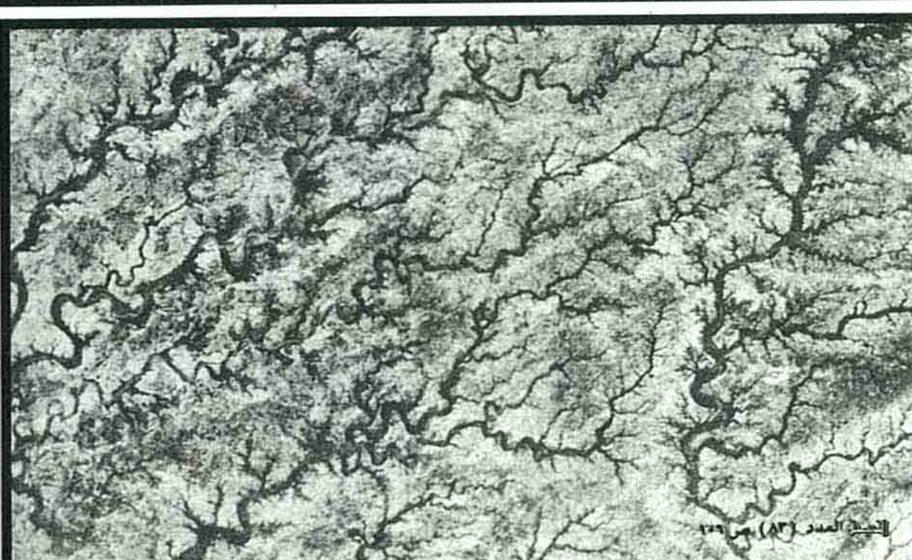
وقابلية الأمواج التي يرسلها الرادار على اختراق السطوح المائية، والعمق الذي يمكنها بلوغه يتعلق بطولها، إلا أن هذا العمق محدود بسبب امتصاص الماء للقدرة الموجية بدرجة عالية، والجزء المنعكس من هذه القدرة يتعلق بمدى اضطراب السطوح المائية، ولهذا تعد طريقة التصوير الراداري من أفضل طرق رسم خرائط التيارات البحرية والمحيطية و **(الدوامات EDDIES)** وحلقات المياه الدافئة، كما وضعت مخططات حركة التيارات الهوائية قريباً من سطوح البحار والمحيطات، وأصبحت هذه المعطيات العلمية الجديدة تلعب دوراً هاماً في تطوير الدراسات المتعلقة بالمناخ والتوقعات الجوية.

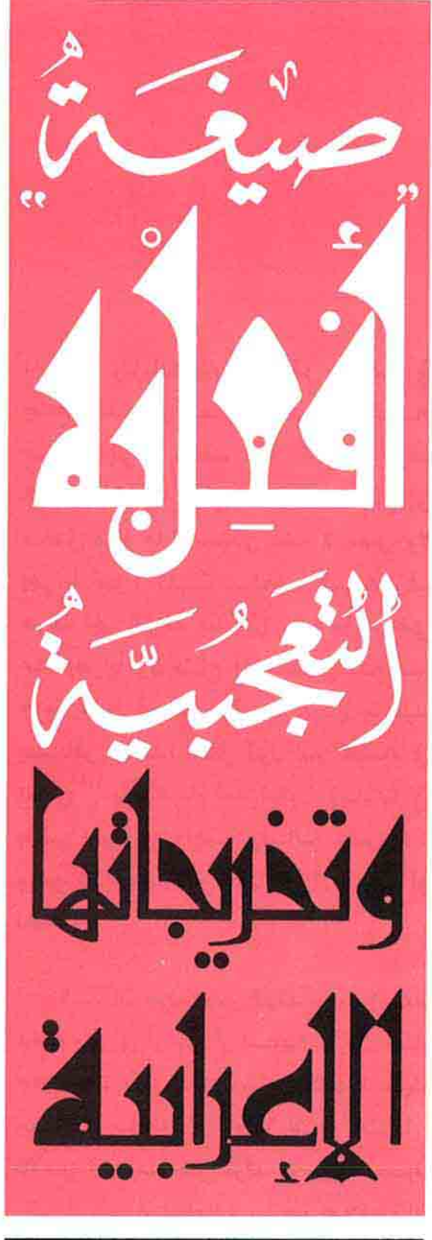
وفي المناطق القطبية تعكس الكتل الجليدية الثابتة والعائمة الأمواج الرادارية بحيث يمكن رسم خرائط حركة الجبال والكتل التي تعمل التيارات المحيطية على إزاحتها باستمرار، وتستخدم هذه الخرائط في تحديد خطوط عبور السفن القطبية، وأماكن إقامة منصات الحفر والتنقيب عن البترول. ووضعت الولايات المتحدة برامج لأبحاث موسعة تهدف إلى تصوير مناطق شاسعة من سطح الأرض اعتماداً على تكنولوجيا التصوير الراداري، بهدف الحصول على معلومات موسعة عن جوها وعن المحيطات والثروات الطبيعية والمناخ والتلوث ينتظر أن تبدأ بتنفيذها لدى إطلاق المكوك الفضائي في مطلع عام ١٩٨٤ م، حيث سيضع حول الأرض تابعاً رادارياً فضائياً أطلق عليه SIR-B. كما تقوم **كندا** وبعض دول **أوروبا واليابان** بابتكار توابع فضائية لأهداف التصوير الراداري أكثر تطوراً من تلك التي صنعتها الولايات المتحدة.

وفي مجال الأبحاث الفلكية والكونية تجد تكنولوجيا التصوير الراداري تطبيقات هامة إذ مكنت حتى الآن من تصوير سطوح أقمار **كوكبي (زحل) و (الزهرة)** وحيث كان تصويرها بالطريقة الفوتوغرافية العادية مستحيلاً بسبب الحلقات التي تحيط بها وتحجب سطحها. ولا يشك علماء الفلك بأن تكنولوجيا التصوير الراداري الفضائي ستحتل مكانة متعاظمة الأهمية في مجال التعرف على هذا الكون الفسيح.

★ قنوات الصرف الطبيعية: DRAINAG CHANNELS. الصورتان للمنطقة الصحراوية الواقعة على الحدود بين العراق والمملكة العربية السعودية ★







بقلم: د. جميل علوش

للتعجب صيغتان قياسيّتان هما: «ما أفعله» و«أفعل به» وطائفة من العبارات السماعية مثل لله درّه؟ وسبحانَ الله؟ ولله أنت؟ ويا لك من رجل؟ وحسبك بخالد رجلاً ونحو ذلك. وكل ذلك إنما يفهم من قرينة الكلام لا بأصل الوضع[1].

و«أفعِل به» هي ندّ «ما أفعله»؟ ونظيرها بل إنّها على رأي النحاة تفضلُها بلاغةً وقوة معنى. فالفرق في آستعمال الصيغتين بلاغي محض. فقولك: أعظِمْ بحرمةِ الجار أبلغ وأقوى في النفس مِن قولك: ما أعظمَ حرمة الجار؟[2].

وأجمعَ جمهورُ النحاة على فعليّة «أفعِلْ به»، ثم قال البصريّون: لفظُهُ الأمرُ ومعناه الخَبَر. وهو في الأصل على صيغة «أفعَلَ» بمعنى صار ذا كذا، كأغدَّ البعيرُ أي صارَ ذا غدة، ثم غيِّرت الصيغة فقبُح إسناد صيغة الأمر إلى الاسم الظاهر فزيدت الباء في الفاعل ليصير على صورة المفعول به «كامرز بزيد» ولذلك التزمت بخلافها في: «وكفى بالله شهيداً» فيجوز تركها كقولة الشاعر:

عُمَيْرةَ ودِّعْ إن تجهّزتَ غازياً
كفى الشيبُ والإسلامُ للمرء ناهيا[3]

وقد عارض جماعة من النحويين بينهم الفرّاء والزجاج والزمخشري وابن كيسان وابن خروف هذا الرأي وقالوا: لفظه ومعناه الأمر وفيه ضمير والباء للتعدية[4]. ثم اختلف هؤلاء حول الضمير المقدّر في فعل الأمر وانقسموا فريقين[5]:

★ أحدهما: يرى أنّ الضمير راجع إلى المخاطب المُستدعى منه التعجبُ.

★ والآخر: يرى أنّ الضمير راجع إلى الصّفة المتعجب منها.

ولكل فريق حججه وأدلته. فقد اعترض الفريق الثاني على الأول بأنه لو كان الضمير المستتر في «أفعِل» للمخاطب لكان يجب أن يختلف هذا الضمير تذكيراً وتأنيثاً وإفراداً وتثنية وجمعاً حسب حال المخاطبين[6].

وقد آحتجَّ هؤلاء بأنه كلام جرى مجرى المثل والأمثال لا تغيّرُ عن حالها[7]. أما الفريق الثاني فقد رأى في اعتبار الضمير المستتر راجعاً إلى الصفة المتعجب منها مخرجاً من المأزق السابق إذ لا يكون ضمير الصفة إلا مفرداً[8]، وبهذا يتجنبون التناقض في موقفهم.

لقد اختلف النحاة في هذه الصيغة أكثر مما اختلفوا في الصيغة الأولى «ما أفعلَه»؟ مع أنّ اختلافهم في الصيغة الأولى كثيرٌ ومتسعُ الجوانب. ومهما يكن من أمر فالذي اشتهر هو رأيُ البصريين القائل إن «أفعِلْ به» لفظه الأمر ومعناهُ الخبر. فرأيُ البصريين هذا يدرَّس في المدارس والجامعات ولا يكاد أحد من المختصين بالنحو في الوقت الحاضر يأبَهُ لغيره.

وعلى الرغم من أني إلى اتجاه البصريين في التخريج والتعليل أمْيَلُ وبقياساتهم المنطقية أشغَفُ، لا أراهم التزموا جانب الصواب في هذه النقطة بالتحديد. لقد أجمعوا على أن «افعِلْ به» فعل ماضٍ جاءَ على صورة الأمر، وأن الباء حرف جر زائد، وأن المتعجب منه مجرور لفظاً مرفوع محلاً على أنّه فاعل. وهذا تخريج عجيب جداً وبعيدٌ عن المنطق للأسباب التالية:

(١) لم يحصُلْ في العربية أن آستعمل الأمر بمعنى الماضي والمعهود خلافُه إذ استعمل الماضي بمعنى الأمر نحو: مات فلان رحمه الله، أي ليرحمه الله[9]. ومن المعروف أن الأمر هنا يفيد الدعاء.

(٢) كيف تكون «أفعِلْ به» فعلاً ماضياً وقد ورد للتعجب صيغة أخرى مشهورة هي «فَعُلَ» بضم العين على وزن «كَرُمَ» نحو قوله تعالى ﴿كبُرت كلمة تخرج من أفواههم﴾[10].

(٣) ثمة صيغة ماضوية أخرى للتعجب هي «أفعَلَ»[11] بغير «ما»، فنقول: أحسنتَ رجلاً وأكرمتَ رجلاً. قال الأعشى[12]:

تقول ابنتي حين جد الرحيلُ: أبرحتَ عمّاً وأبرحت جاراً!

فلو كان القصدُ من «أفعل به» أن تدل على



الماضي لاستغنيَ عنها بالصيغ الماضوية التي ذكرناها . ولم يكن ثمة من حاجةٍ لاستعمال « أفعِلْ به » وليس من المعقول أن يظهر هذا الفعل مرة على صورته الحقيقية المعروفة ومرة على صورة الأمر . ولا بدَّ أن يكون في اختلاف الصيغتين اختلاف في المدلول .

(٤) من المقرر أنَّ كل تغيير في الصيغة التي يُعبِّر بها عن معنى معيَّن لا يمكن أن يتمَّ عبثاً ولا بدَّ أن يكون لحكمة منوية . وإذا كانَ الأمر كذلك أفلا يحقُّ لنا أن نسأل : ما الحكمة المنوية من مجيء الماضي على صورة الأمر؟ فإذا كان ثمة أية حكمة فليبيّنها لنا القائلون بهذا الرأي والآخذون به . وإذا لم يكن ثمة أية حكمة فكلامهم باطل . ولست أدري كيف يمكن أن يجيء الماضي على صورة الأمر ليؤدي معنى أدّاه بثلاث صيغ ذكرها النحاة في كتبهم وهي « فَعُلَ » و« أفعَلَ » بالإضافة إلى « ما أفعل » كما ذكرنا آنفاً .

لهذه الأسباب كلّها نجيز لأنفسنا أن نرفضَ ما اتفق عليه النحاة البصريّون ونقله عنهم المتأخرون حول « أفعِلْ به » وتبق أقوال البصريين بحاجة إلى برهان .

الباء حرف جر أصيل

أما أن تكون الباء في « أفعِلْ به » حرف جر زائداً فهذا ما لا يمكن تصديقهُ ولا القولُ به للأسباب التالية :

١ - إن حرف الجر الزائد لا يمكن أن يكون لازماً في الجملة ، فالزيادة واللزوم لا يجتمعان وهما معنيان متناقضان ، فكيف نقبل قول النحاة بأنه زائد وبأنه لازم في الوقت نفسه؟ بل كيف ثبَتَ لهم أنه زائد ما داموا لم يستطيعوا الاستغناء عنه ، وما دام شيئاً أساسياً في تركيب الجملة؟ ولزيادة الإيضاح ننقل ما جاءَ في جامع الدروس العربية تعريفاً لأقسام حروف الجر[12] ، فقد عرّف المؤلف حرف الجر الأصلي بما يأتي : هو ما يحتاج إلى متعلق وهو ما لا يستغنى عنه لا معنى ولا إعراباً نحو : كتبت بالقلم . كما عرّف حرف الجر الزائد بما يأتي : هو ما يستغنى عنه إعراباً ولا يحتاج إلى متعلق نحو ما جاءنا من أحد . ونحو : ليس سعيد بمسافر . وهذا يبطل قول ابن هشام في المغني[14] بأن الباء قد تكون زيادتها في بعض المواضع واجبة وغالبة وضرورة . وهو كلام متناقض بحاجة إلى إثبات أو تصحيح .

٢ - إن حرف الجر الزائد تكون زيادته قياسية بعد نفي أو نهي أو استفهام ، وما جاء خلاف ذلك تأوله النحاة ، وما لم يستطيعوا تأويله حصروه في مواضع محدودة لا يقاس عليها . فالأصل في حرف الجر الزائد أن يكون مسبوقاً بنفي أو نهي أو استفهام ، وما جاءَ خلاف ذلك فهو نادر . وهو في هذه الحالة لا يكون لازماً في الجملة بل يكون قابلاً لأن يستغنى عنه . نقول : خرجتُ فإذا بالأسدِ ، وخرجتُ فإذا الأسدُ ، دون باء . وهذا ما لا يتفق مع « أفعِلْ به » ، فالباء هنا جاءت بعد فعل أمر يتضمن نبرة شديدة من التوكيد والإثبات ، ممّا يناقض الظروف التي تزاد فيها حروف الجر عادة ، ويقطع بأن الباء هنا ليست حرف جر زائداً .

٣ - هذا بالإضافة إلى أن جمهوراً كبيراً من النحاة منهم الفراء والزجاج والزمخشري وابن كيسان وابن خروف اعتبروها حرفاً أصلياً للتعدية[15] وكذلك يفهم من كلام **سيبويه**[16] حيث قرن بين اللام في قولهم : كرماً وصلفاً لك التي تقع بدلا من قولهم : أكرمْ وأصلف بك ، والباء في مرحباً بك ، كلتاهما استعملتا للتبيين . ويستنتج من هذا أن الباء في « أفعل به » حرف جر أصيل استعمل للتبيين تماماً كالباء التي تستعمل بعد « مرحباً » « فأكرم بك » مثل « مرحباً بك » خصوصاً إذا علمنا أن صيغة « أفعِلْ به » تعبر عن مصدرها المهجور وتدل عليه كما سنبين فيما بعدُ .

تخريج جديد

والآن وبعد أن نقضنا ما أجمع عليه النحاة البصريُّون في صيغة التعجب الثانية « أفعِلْ به » ، نرى لزاماً علينا أن نبيّن رأينا في الموضوع وأن نخرج بتخريج معقولٍ وتعليلٍ مقبول له .

وقبلَ ذلك علينا أن نعترف أن التعجب نمط من الكلام فريد لا يسعنا حمله على غيره . وقد أشارَ إلى ذلك **ابن الأنباري** حيث قال[17] : وإنما لا يتصرف فعلُ التعجيب لوجهين :

● **أحدهما** : أنهم لمّا لم يصوغوا للتعجب حرفاً يدلُّ عليه ، جعلوا له صيغة لا تختلف لتكون دلالة على المعنى الذي أرادوه ، وأنه مضمن معنى ليسَ في أصله إلخ . . .

● **الآخر** : إنما لم يتصرف لأن الفعل المضارع يصلُحُ للحال والاستقبال والتعجب إنما يكون مما هو موجود في الحال إلخ . . .

وبناء على ذلك ، سنجد صعوبة في تخريج هذا الكلام الفريد وإعرابه على الوجه الصحيح الحقيقي . ونحن نشدد هنا على لفظتي « الصحيح والحقيقي » إذ ليس المهم أن نتعارف على تخريج مشكلة ما ، بل المهم أن نجد التخريج الصحيح والحقيقي لتلك المشكلة ، لأنه قد يكون من السهل أن نعارض رأياً ونثبت بطلانه ونتقضه على صاحبه ، غيرَ أن الصعوبة تكمن في الإتيان

ببديل لذلك الرأي المنقوض وتقديم عوض منه .

لقد استطعنا أن نثبت أن « أفعِلْ به » فعل أمر وليسَ فعلاً ماضياً على صورة الأمر ، واستطعنا أن نثبت أن الباء حرف جر أصلي لا زائد ، ومع ذلك ، ما زال في المسألة عقدة لا بدّ من حلّها ، ويبدو أن حلها صعب جداً .

فاعل « أفعِل به »

هذه العقدة هي فاعل « أفعِل به » ماذا يكون . فالّذين قالوا بأن فاعله هو المتعجب منه المجرور لفظاً المرفوع محلاً قد بطل رأيهم ببطلان قولهم إنه فعل ماضٍ جاء على صورة الأمر ، وقولهم إن الباء حرف جر زائد . والذين قالوا[18] بأن فاعله ضمير المخاطب المستتر فيه وجوباً والمقدّر « بأنت » يبدو رأيهم مهتزاً أمام حقيقتين :

★ إحداهما : أن هذا الفعل لا يحمل معنى الخطاب .

★ الأخرى : أنه يلتزمُ صيغة الإفراد والمخاطب لا يمكن أن يكون مفرداً مذكراً فقط .

كما أن الذين قالوا بأن فاعله ضمير يرجع إلى الصفة المتعجب منها كالحسن والقبح ، يبدو رأيهم مهتزاً أمام حقيقتين :

● أولهما : أن هذا الفعل لا يحمل معنى الخطاب كما ذكرنا آنفاً .

● الثانية : أننا لو جارينا هؤلاء واعتبرنا الخطاب موجهاً إلى الصفة المتعجب منها كالحسن والقبح مثلاً فإن ذلك ينتقضُ بحقيقتين أيضاً :

ــ أولاهما : أن صفة التعجب قد تكون مؤنثة كالكرامة والوسامة والصراحة والجراءة والجدارة ، مما يستوجب إسناد فعل الأمر إلى ضمير المخاطبة ، وهذا ما لم يقع في الكلام العربي .

ــ الثانية : لو افترضنا أن الخطاب موجه وضعاً إلى الصفة المتعجب منها فإن تناقضاً كبيراً يبرز في مثل قولنا[19] : « أحسن بك » ففي هذه الجملة مخاطبان هما الصفة المتعجب منها والمخاطب الآخر المرموز إليه بكاف الخطاب . وهذا مستحيل ، إذ لا يمكن أن يتوجه الخطاب إلى أكثر من مخاطب واحد .

إذن فقد أثبتنا الآن بالإضافة لما أثبتناه سابقاً أن الفاعل ليسَ ضمير الخطاب المقدر ، وليسَ ضمير الصفة المتعجب منها ، وبقي فعل التعجب دون فاعل .

ونحن لا ندري إن كان النحاة يبحثون عن الحقيقة خالصة في مثل هذه المشكلات النحوية ، أم أنهم يقصدون تطبيق مقتضيات الصناعة الإعرابية والتمسك بها مهما كان الثمن ؟ نقول هذا في خضمّ هذه الآراء المتضاربة والتعليلات المتناقضة ، وإلا لما معنى الإصرار على البحث عن وجود فاعل لفعل التعجب .

ولكن ما دام العثور على الفاعل هو عقدة العُقد ومشكلة المشكلات ، وبما أن الفاعل شيء أساسي في تركيب الجملة الفعلية فما لنا إلا أن نشمر عن ساعد الجد للبحث عنه وتعيينه وإسناد وظيفته إليه . إن المسألة عويصة وهي بحاجة إلى طول تأمل وتفكير . ولكيْ يكون تعليلنا صحيحاً ينبغي أن نتدرج فيه على مهل ، نضع المقدمات ثم نصل إلى النتائج .

محاولة لحلّ الإشكال

ولقد ثبت لنا بالبرهان القاطع أن الفاعل الذي أشار إليه النحاة كان متهماً ، وأن كلامهم فيه ليس صحيحاً . كذلك ثبت بطلان الوجوه التي ذكرها النحاة في البحث عنه ، فما الحل إذن ؟

لننظر إلى هذا البيت للمتنبي[20] :

قبحاً لوجهك يا زمان فإنّهُ
وجه له من كل لؤم برقُعُ

ولنقرأه على الوجه التالي :

أقبِحْ بوجهك يا زمان فإنّهُ
وجه له من كل لؤم برقُعُ

وبقليل من التأمل يتبدّى لنا أن المعنى الذي تفيده الصيغتان (المصدر في الرواية الأولى وفعل التعجب في الرواية الثانية) واحد ، ألا وهو المبالغة في الذمّ كما أن « أحسن به » تفيد المبالغة في المدح[21] . وهذا دليل على أن « أقبِحْ به » فعل أمر لأن « قبحاً » تفيد الدعاء ، والدعاء أحد معاني الأمر . فالشاعر يدعو على الزمان هنا بأن يقبحَ وجهه . وهو تعبير قديم عرفه العرب ، فهم يقولون : قبّحَ الله وجهك ، عند الغضب أو التملح ، كما يقولون : ثكلتك أمك . ويقولون في مقابل ذلك : لله درّك في حالات الإعجاب والرضا ، وهذه كلها من عبارات التعجب السماعية .

ونحن في حديثنا عن العلاقة الوثيقة بين المصادر الدعائية التي تنوب عن أفعالها وصيغة التعجب الأمريّة « أفعل به » ، لم نكتشف جديداً ، فقد لمح سيبويه هذه العلاقة قبلنا وأشار إليها وتحدث عنها ، قال[22] : وممّا ينصب فيه المصدر على إضمار الفعل المتروك إظهاره ولكنه **في معنى التعجب** قوله : كرماً وصلفاً ، كأنّهُ يقول : ألزمك الله وأدام لك كرماً وألزمك صلفاً ، ولكنّهم خزلوا الفعل ههنا كما خزلوه (يعني حذفوه) في الأول لأنّه صارَ بدلا من قولك :

أكرمْ به وأصلفْ به ، كما انتصب « مرحباً » . وقلت (لك) كما قلت (بك) بعد « مرحباً » لتبيين من تعني وصار بدلا من اللفظ ب « رحُبَت بلادك » ، وسمعت أعرابياً وهو أبو مَرْحَب يقول : كرماً وطولَ أنفٍ أي أكرمْ بك وأطولْ بأنفك .



هل للمصدر فاعل؟

وما يهمُّنا من عقد هذه الموازنة بين «قبحاً له» و«أقبح به» هو محاولة البحث عن الفاعل. ويبدو لنا أن العثور على الفاعل ليس سهلاً. فنحن نعلم أن قبحاً وتعساً وسحقاً مصادر منصوبة على المفعولية المطلقة وعاملها محذوف وجوباً يدل عليه المصدر المذكور.

والسؤال الذي يواجهنا الآن هو الآتي: هل يقدر في المصدر ضمير مستتر يكون فاعلاً له: أم أن المصدر ليس له فاعل؟

وللمصدر حالات مختلفة، فقد يكون مضافاً إلى فاعله، نحو: قراءة **زهير** متقنة، وقد يكون مضافاً إلى مفعوله، نحو: قراءة **الدرس** متقنة، أو معرفاً بأل، نحو: ضعيف **النكاية** أعداءه، أو مجرداً منها، نحو: **إطعامٌ** في يوم ذي مسغبة. يتيماً ذا مقربة. ، أو نائباً عن فعله، نحو: **فصبراً** في مجال الموت صبراً...

أما الحالة الأولى التي يضاف فيها المصدر إلى فاعله، فليس للمصدر ضمير مستتر فيه، فقد اكتفى النحويون بالمضاف إليه بديلاً عن الفاعل فاعتبروه مضافاً إليه لفظاً وفاعلاً محلاً أو حكماً[٢٣]. وهذا ضرب من الخلط بين تقدير الإعراب وتفسير المعنى، فزهيرٌ في المثال السابق فاعل في المعنى ولكن المعنى لا يتأتى عنه شيء لأنه مضاف إليه في الوظيفة، والكلمة لها وظيفة واحدة لا وظيفتان، فلا يمكن أن تجتمع الإضافة والفاعلية في حال واحدة، فكل حديث عن الفاعل هنا وهمٌ لأن الكلمة ليست مبنية ولا مجرورة بحرف الجر الزائد حتى يكون لها إعرابان واحد لفظي وآخر محلي. وبوسعنا أن نقول بناء على ذلك: إن المصدر في حالة إضافته إلى فاعله (على اعتبار ما كان) مجرد من الفاعل ولا يتحمل ضميراً مستتراً.

أمّا في حالة إضافة المصدر إلى مفعوله فالفاعل محذوف كذلك ولا يقدر في المصدر ضمير قطعاً[٢٤]. وكذلك لا يقدر ضمير في المصدر المعرف بأل ولا في المصدر المنكر[٢٥]... إلخ.

والذي يبدو لي من ذلك كلِّهِ أن المصادر العاملة وغير العاملة لا يستتر فيها ضمير. وقد اتفق النحاة على انعدام الضمير في جميع ضروب المصدر إلا ما كان نائباً عن فعل الأمر حيث قدّر فيه بعضهم ضميراً مستتراً وجوباً[٢٦]. وقد أوضح ابن هشام[٢٧] أنه يمنع ذلك وينكر أن يعمل المصدر النائب عن فعله. وما دامَ لا يعمَلُ فمن المُحال أن نقدر فيه ضميراً.

إذن فقد ثبت لنا أن المصادر على مختلف أنواعها وحالاتها لا يقدر فيها ضمير مستتر. وكنّا قد أوضحنا آنفاً العلاقة الوثيقة بين المصادر ـ وخصوصاً الدعائية منها ـ وصيغة «أفعل به». وإذا كانت المصادر لا تحتمل ضميراً فمن الأحرى ألا تحتمل صيغة «أفعِل به» ضميراً لأنها محمولة عليها.

إنها صيغة أمريّة جاءت لتسدَّ مسدَّ المصدر وتؤدي عملَهُ، وبخاصة أنها ليس لها مصدر. فكما صغرت وفي النية تصغير مصدرها المفقود[٢٨]، كذلك لم يقدَّرْ فيها فاعل بناء على أن مصدرها لم يقدّر فيه فاعل لو كان موجوداً. فهي صيغة جيء بها لتؤدي عمل المصدر وتقوم مقامه. وهذا سرّ مخالفتها لغيرها من الصيغ الأمريّة. فلئن قال البصريّون إنها فعل ماضٍ جاء على صورة الأمر فنحن نرى أنها مصدر جاءَ على صورة الأمر. ولو قال البصريّون ذلك لأصابوا كبد الحقيقة. إن العلاقة بين المصدر والأمر وثيقة جداً. أما العلاقة بين الماضي والأمر لمفقودة، وكان على النحاة أن ينتبهوا إلى هذه النقطة الدقيقة.

الهوامش

١ ـ جامع الدروس العربية، لمصطفى الغلاييني، ج ١، ص ٦٣.

٢ ـ المرجع في العربية، للشيخ علي رضا، ج ٣، ص ٧١.

٣ ـ أوضح المسالك، لابن هشام، ج ٢، ص ٢٧٣.

٤ ـ نفس المصدر، ج ٢، ص ٢٧٤.

٥ ـ شرح التصريح على التوضيح، للشيخ خالد الأزهري، ج ٢، ص ٨٨ـ ٨٩.

٦ ـ أسرار العربية، لابن الأنباري، ص ١٢٢ ـ ١٢٣.

٧ ـ نفس المصدر والمكان.

٨ ـ شرح التصريح على التوضيح، ج ٢، ص ٨٨.

٩ ـ نفس المصدر والمكان (الحاشية).

١٠ ـ الأشباه والنظائر، للسيوطي، ج ٢، ص ١٦١.

١١ ـ شرح التصريح، ج ٢، ص ٨٩.

١٢ ـ خزانة الأدب، للبغدادي، المطبعة السلفية، ج ٣، ص ٢٧٥.

١٣ ـ جامع الدروس العربية، ج ٣، ص ١٩٧.

١٤ ـ مغني اللبيب، لابن هشام، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، ج ١، ص ١٠٦.

١٥ ـ شرح التصريح، ج ٢، ص ٨٨. أسرار العربية، ص ١٢٤.

١٦ ـ الكتاب، طبعة الأعلمي ـ بيروت، ص ١٩٤.

١٧ ـ أسرار العربية، ص ١١٦.

١٨ ـ شرح التصريح على التوضيح، ج ٢، ص ٨٨.

١٩ ـ نفس المصدر، ج ٢، ص ٨٩.

٢٠ ـ ديوان المتنبي، شرح اليازجي، ص ٥٢٥.

٢١ ـ أسرار العربية، ص ١٢٢.

٢٢ ـ الكتاب، ص ١٩٤.

٢٣ ـ جامع الدروس العربية، ج ٣، ص ٢٨٠. أوضح المسالك، ج ٢، ص ٢٤٦.

٢٤ ـ جامع الدروس العربية، ج ٣، ص ٢٧٨.

٢٥ ـ شرح التصريح، ج ٢، ص ٦٣.

٢٦ ـ جامع الدروس العربية، ج ١، ص ١٢٤. المرجع في العربية، ج ١، ص ٢٩.

٢٧ ـ شرح قطر الندى، ص ٢٦٠ ـ ٢٦١.

٢٨ ـ الإنصاف في مسائل الخلاف، لابن الأنباري، ج ١، ص ١٣٩.



نظمتُ الشعرَ من قلبي وروحي
فإنْ يعبقْ فذاكَ شذا جروحي

ولستُ بطامحٍ لخلودِ ذكري
فقد نَهْنَهْتُ نفسي عن طموحِ

أنا لقناعتي في خيرِ حالٍ
رضيتُ من الملابسِ بالمسوحِ

لِيَرْقَ إلى الذرى غيري، فإني
قريرُ العينِ ما بينَ السفوحِ

نزوحي طالَ عن وطني وأهلي
متى تُطوى حكاياتُ النزوحِ؟

لَحَى اللهُ النوى، كم قرَّحتْني
وأضنتْني، وكمْ نكأتْ قروحي

رزحتُ ـ ولا أزال ـ بألف عبءٍ
وقانا اللهُ عاقبةَ الرزوحِ

شكَا بَعْضي إلى بَعْضي، فأغْنتْ
خُلاصاتُ المتونِ عن الشروحِ

أنا في الشِّعْرِ من فتحٍ لفتحٍ
فما بالُ الحسودِ نَفَى فتوحي؟

يباهيني بصرحٍ من ترابٍ
ويغمضُ ناظريْه عن صروحي

سأصفحُ عن مثالبه، فإني
رأيتُ اللهَ في القلبِ الصَّفوحِ

وأسكتُ عن سفاسفِهِ، لئلاَّ
يُساءَ الظنّ في خُلُقي السَّموحِ

جُموحي ليس يجديني فتيلاً
فلن أُصغي لداعيةِ الجُموحِ

إذا شيطانُ شعري خانَ عهدي
قبستُ الوحيَ من أعماقِ روحي

لجأتُ إلى الوضوحِ فَرَاجَ سوقي
تُقاسُ اللوذعيَّةُ بالوضوحِ

نصحتُ وفي فمي ماءٌ، ولكنْ
رأيتُ الصمتَ يزري بالنَّصوحِ

جُنوحُكَ عن طريقِ الحقِّ عارٌ
فحاذرْ من مغبّاتِ الجُنوحِ

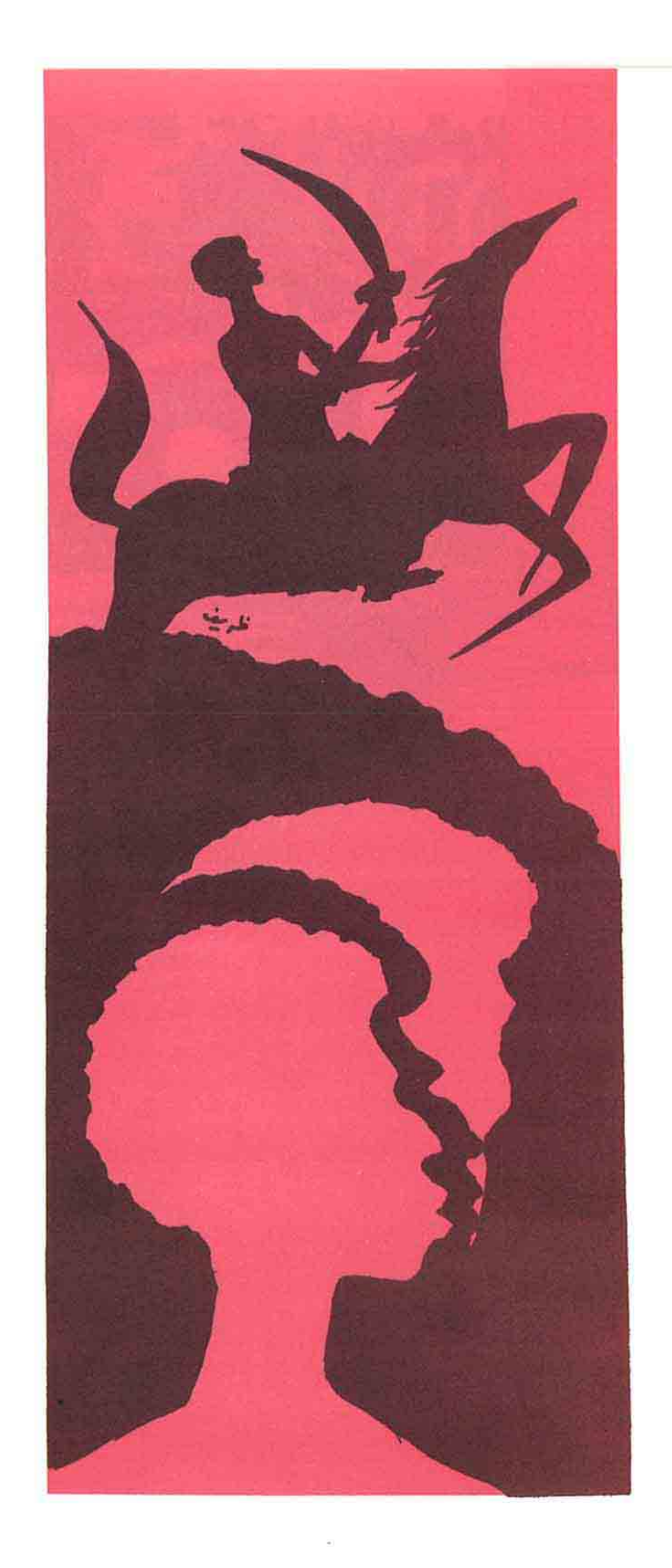
إذا استعصى عليك بلوغُ شأوٍ
فَجُدَّ إليهِ بالرأيِ السَّبوحِ

نجا من حملةِ الطوفانِ نوحٌ
ولولا الحزمُ ضاعتْ فُلْكُ نوحِ

☆ ☆ ☆

يختزن التاريخ العربي في صحائفه المشرقة عددا كبيرا من البطولات والأبطال سطروا للانسان العربي بحروف من نور عزته وكرامته، ورسموا له شخصية محددة المعالم واضحة القسمات، يفخر بها على مر الزمان.. ومن هؤلاء الأبطال أبو الفوارس عنترة بن شداد الذي حفظ له التاريخ بطولته، وشهد بفروسيته وشجاعته التي تناقلتها الركبان، وشنفت أذن الزمان، وكان ظهور عنترة واشتهاره مع بداية استعار حرب من أشهر الحروب التي قامت في الجاهلية هي حرب «داحس والغبراء» التي يقال إنها استمرت زهاء أربعين عاما كنظيرتها المشهورة حرب «البسوس»، وكان لكل منها سبب يختلف عن الآخر وإن اتفقا في الدفاع عن العصبية القبلية أو الحمية الجاهلية، وما فيها من طلب للثأر وحماية للجار.





بقلم: د. خليل أبو دياب

فبينما كانت حرب البسوس حماية لجار اعتدي عليه من قبل كليب كانت حرب داحس والغبراء بسبب الافتراء والظلم والخداع الذي لم يحتمله قيس بن زهير العبسي من قبل حذيفة بن بدر الفزاري مما كان سبباً رئيسياً في هياج الشر واستشراء القتال بين «عبس وذبيان»، وكانت بينهما أيام كثيرة من أشهرها «يوم المريقب» وكان لبني عبس على فزارة وفيه قتل عنترة أبا الحصين ضمضماً المري، وقد بلغه أن ابنيه «حصيناً وهرماً» يتوعدانه ويشتمانه فرد عليهما في معلقته بهذه الأبيات:

ولقد خشيت بأن أموت ولم تدر ... للحرب دائرة على ابني ضمضم
الشاتمي عرضي ولم أشتمهما ... والناذرين إذا لم ألقهما دمي
أن يفعلا فلقد تركت أباهما ... جزر السباع وكل نسر قشعم

ثم كان ما كان من موقف الرجلين العظيمين « الحارث بن عوف » و « هرم ابن سنان » المريين ودورهما في الصلح بين القبيلتين وتحملهما ديات القتلى من الطرفين مما تغنى به زهير بن أبي سلمى في معلقته على نحو ما نرى في هذه الأبيات :

يميناً لنعم السيدان وجدتما
على كل حال من سحيل ومبرم
تداركتما عبساً وذبيان بعدما
تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم
فأصبحتما منها على خير موطن
بعيدين فيها من عقوق ومأثم
عظيمين في عليا معد وغيرها
ومن يستبح كنزاً من المجد يعظم

وقد كان لشاعرنا دور كبير في حروب داحس والغبراء ، وحسن فيها بلاؤه وحمدت مشاهده .

عيبه .. سواد لونه

وشاعرنا هو عنترة بن شداد ، وقيل ابن عمرو بن شداد ، ولكن نسبته إلى شداد هي التي شاعت وذاعت ، وأمه أمة حبشية تدعى زبيبة ، وهو لذا يعد من أغربة العرب الذين ورثوا السواد عن أمهاتهم ، ومنهم « خفاف بن ندبة » و « السليك بن السلكة » ، وقد ورث هؤلاء الأغربة غير السواد من أمهاتهم انحطاط المكانة الاجتماعية ، ويحسبنا أن نذكر أن شاعرنا كان منبوذاً يأنف أبوه من الاعتراف به ، بل يطبق عليه نظام القبلية في استعباد أبناء الإماء واسترقاقهم حتى أجبره كما أجبر القبلية بأسرها على الاعتراف به بل والافتخار ببطولته وفروسيته عندما تعرضت قبيلة طيء لعبس ، فانزوى عنترة بعيداً عن ميدان القتال رافضاً المشاركة في الدفاع عن هؤلاء المتغطرسين الذين يأبون عليه حقه الشرعي في الحياة القبلية ، حتى جاءه أبوه يطلب منه النصرة والحماية للقبيلة ، فما كان منه إلا أن قال والألم يعتصر نفسه ويمزقها : « العبد لا يحسن الكر إنما يحسن الحلاب والصر . . » ، فلم يجد أبوه بداً من إعلان اعترافه به قائلاً : « كر يا عنترة وأنت حر » . فانقلب العبد الأسود الحقير مارداً جباراً يجتاح الأعداء كالريح الهوجاء تدمر كل ما يعترض سبيلها ، واستنقذ ما وقع في أيدي الطائيين ، وأعاد الكرامة والعزة إلى بني عبس الذين اعترفوا بفضله وشهدوا بفروسيته واحتفلوا ببطولته .

ولكن هل خلص لهذا الشاعر الفارس حقه الاجتماعي في الحرية والكرامة والعزة ، وهل ظل قومه على اعترافهم بفضله وبطولته ؟

إذا رجعنا إلى سيرة عنترة وأنعمنا النظر في شعره فإننا نجد شاعرنا لا يزال يعاني من ألم النكران والجحود ، ويقاسي من سفاهة الأعراب ، وجفائهم وفظاظتهم ، فلم يتناس هؤلاء لونه الأسود وأمه الحبشية ، ولم يتركوه لينسى كل ذلك ، بل كثيراً ما رأينا حتى سادتهم من أمثال « قيس بن زهير » ، الذي كان من أسباب اندلاع حرب داحس والغبراء يعلن إثر بعض المواقع التي تجلت فيها فروسيته وحسن فيها بلاؤه أنه ما حمى الناس إلا ابن السوداء . . أرأيت إلى هذا الشكران الذي قدمه سيد من سادات قومه إليه في يوم من أيام نصره وحمايته لهؤلاء القوم ؟ أرأيت كم يقسو ويغلظ هؤلاء على فارسهم البطل ، لقد مزقت هذه الكلمات نفس الشاعر الإنسان ، وألهبت شاعريته فطفق يزفر بهذه الأبيات من قصيدة طويلة يدافع فيها عن لونه الأسود الذي عيره به سيد قومه :

إني امرؤ من خير عبس منصباً
شطري ، وأحمي سائري بالمنصل
إن يلحقوا أكرر وإن يستلحموا
أشدد ، وإن يلفوا بضنك أنزل
حين النزول يكون غاية مثلنا
ويفر كل مضلل مستوهل
ولقد أبيت على الطوى وأظله
حتى أنال به كريم المأكل
وإذا الكتيبة أحجمت وتلاحظت
ألفيت خيراً من معم مخول
والخيل تعلم والفوارس أنني
فرقت جمعهم بطعنة فيصل

وعلى هذه الشاكلة يدفع عنترة اساءة قيس بن زهير له ويرد سخريته به ، فإذا كان شطره الأسود فيه غميزة ومطعن للطاعنين فهو يحميه بسيفه العضب ويتوجه بإقدامه وبطولته وفروسيته التي تشهد بها الكتيبة عندما تحجم وتتراجع من هول المعركة ، فهي تغنيه عن العمومة والخؤولة اللتين لا تغنيان من يتزيا بهما فتيلاً في مثل تلك المواقف ، وناهيك بمن تشهد له الخيل والفوارس ، أما شطره الآخر فهو من خير عبس منصباً .

وابتلي عنترة بكثير من أبناء قومه من أمثال قيس كانوا يحاولون مفاخرته لا بالبطولة والفروسية ، فذلك ما لا سبيل إلى مفاخرته بهما وإنما كانوا يتسللون لواذاً إلى مفاخرته بل تعييره بما يعجز أمامهم عن دفع قالتهم وهو تعييرهم له باللون الأسود الذي جلبه إليه انتسابه إلى تلك الأمة الحبشية ، ومن هؤلاء عمارة بن زياد الذي كان لا يفتأ يحسده ويعيره بلونه وعبوديته ، فرد عليه بقوله :

ستعلم أينا للموت أدنى
إذا دانيت لي الأسل الحرارا
وخيل قد دلفت لها بخيل
عليها الأسد تهتصر اهتصارا

وكأني بعنترة لم يجد بداً من الاعتراف بهذا اللون الأسود ، والخضوع لهذا الشبح المخيف الذي يطارده في كل فج وطريق يسد عليه سبل الحياة وفجاجها ، فنراه كثيراً ما يذكر هذا اللون ويدافع عن نفسه التي ضرب عليها هذا السياج القبلي المحكم فلم تستطع منه افلاتاً إلا على أجنحة شفافة من شاعريته يصوغها شعراً رائعاً يتغنى فيه بأمجاده وفضائله ، ويشيد ببطولته وفروسيته على شاكلة قوله :

تعيرني العدا بسواد جلدي
وبيض خصائلي تمحو السوادا
سلي يا « عبل » قومك عن فعالي
ومن حضر الوقيعة والطرادا

وقوله كذلك :

وإن أك أسوداً فالمسك لوني
وما لسواد جلدي من دواء
ولكن تبعد الفحشاء عني
كبعد الأرض عن جو السماء

ونراه يعلن أن لونه الأسود وأمه «زبيبة» التي ينتسب إليها لا يعيبانه ولا يشينانه ما دام الأعداء قد تطامنوا أمامه، وقصروا عن همته، وتقطعت أعناقهم دون بلوغها .

ومن يقلب سيرة عنترة وشعره يجدهما يفيضان بذكر خصائله وفضائله وأخلاقه، ويرسمان لنا صورة مثالية لشاعرنا الفارس البطل، فقد كان فارساً مشهوداً له، وحسبنا أن نذكر في هذا المقام شهادة «عمرو بن معدي كرب الزبيدي» الملقب بفارس العرب الذي قال : «ما أبالي من لقيت من فرسان العرب ما لم يلقني حراها وهجيناها»، (يعني بالحرين عامر بن الطفيل وعتيبة ابن الحارث بن شهاب)، وبالهجينين عنترة والسليك بن السلكة . وإلى جانب شجاعته كان جواداً سخياً يجود بما ملكت يده، وفي ذلك يقول من معلقته :

وإذا شربت فإنني مستهلك
مالي، وعرضي وافر لم يكلم
وإذا صحوت فما أقصر عن ندى
وكما علمت شمائلي وتكرمي

فروسية .. ومروءة

وكان إلى جانب هذا يقتحم المعارك ويعف عن المغانم :

يخبرك من شهد الوقعية أنني
أغشى الوغى وأعف عند المغنم

وكان يستميت في القتال لا يفكر في النجاة شأن الأبطال الذين يفرون عندما يحدق بهم الخطر، كما كان يأنف من الظلم ولا يحتمل البغي، وكان ذا مروءة ونجدة ويحفظ الحرمات، ويرعى الجوار ولا يتعرض للنساء لا من قومه ولا من غيرهم، وفي شعره نجد صورة رائعة لمروءته وفروسيته تتمثل في قوله :

أغشى فتاة القوم عند حليلها
وإذا غزا في الجيش لا أغشاها
وأغض طرفي إن بدت لي جارتي
حتى يواري جارتي مأواها

فهو يعلن في صراحة أنه لا يتعرض للنساء إلا إذا كن في حماية بعولتهن وفرسانهن، كما أنه يغض الطرف عن جارته حتى يغيبها خدرها، ونراه يعلل هذا السلوك العفيف بقوله :

إني أمرؤ سمح الخليقة ماجد
لا أتبع النفس اللجوج هواها

وهذه الفروسية الرائعة هي التي جعلته يقف من الموت موقفاً متسامياً إذ نراه كثيراً ما يعلن عدم خوفه منه، بل إنه يمضي إلى أبعد من ذلك حيث يعلن ترقبه له في كل لحظة، وطبيعي أن نجد هذا الموقف من عنترة وأمثاله من شجعان العرب أحلاس المعارك الذين رضعوا لبانها، واقتحموا غمراتها، وفي ذلك يقول شاعرنا من إحدى ملاحمه مخاطباً حبيبته :

بكرت تخوفني الحتوف كأنني
أصبحت عن غرض الحتوف بمعزل
فأجبتها إن المنية منهل
لا بد أن أسقى بكأس المنهل
فاقني حياءك لا أبا لك واعلمي
أني أمرؤ سأموت إن لم أقتل

وأنت تحس من هذه المحاورة العنيفة كيف يستشعر الفارس البطل فروسيته، وكيف يحس وجوده إحساساً عميقاً لا يجعله يذهل عن الحقيقة التي يؤمن بها، أو يتناساها في زحمة الحياة والرغبة الجامحة فيها، فهي تحاول جاهدة أن تخوفه من الموت لتصرفه عن خوض غمرات المعامع ليخلص لها حبيباً تساقيه الحنان والحب، وتصافيه الوداد والعطف، ولكنه يجبهها ويعنف بها مؤكداً لها أنه ليس بمعزل عن غرض المنية وأنه لا بد وأن يسقى بكأس الموت التي كتب على الأحياء أن يردوها، وهل سينجو من الموت ويخلد إن لم يقتل؟ وأنت تحس كذلك خشونة عنترة وعنفه في البيت الثالث مما يتنافى ومخاطبة الحبيبة، ولكنها الغلظة والخشونة وجفاء الطبع التي فطر عليها شاعرنا الفارس البطل، ونحن كثيراً ما نجد مثل هذه المحاورة في شعره كما نرى في قوله :

يا عبل أين من المنية مهربي
إن كان ربي في السماء قضاها

وإن برئت إلى حد ما من الخشونة التي شاعت في تلك المحاورة، وما دام الموت يتربص بالأحياء، ويترصده في كل طريق، ولن ينجيه منه الفرار، فقد حق له أن يصبر نفسه في القتال ويثبتها حتى لا تتطلع إلى الفرار كما تتطلع نفس الجبان :

وعرفت أن منيتي إن تأتني
لا ينجني منها الفرار الأسرع
فصبرت عارفة لذلك حرة
ترسو إذا نفس الجبان تطلع

ويدفعه هذا الإحساس العميق بالنهاية المحتومة إلى أن يدعو قومه إلى الاستماتة في القتال والثبات في المعارك وعدم الفرار لأن ذلك لن يجديهم فتيلاً، ولن يدفع عنهم غائلة الموت :

تعالوا إلى ما تعلمون فإنني
أرى الدهر لا ينجي من الموت ناجيا

وهذه النظرة إلى الموت نجدها عند الشعراء الصعاليك الذين فرضت عليهم العصبية القبلية البغيضة نمطاً معيناً من الحياة في القفار وفي شعاف الجبال يترصدون أعداءهم ويترصدهم الموت في كل فج وطريق، كما نرى عند «الشنفرى» و«تأبط شراً» وغيرهما من هذه الطبقة البائسة .

الاحساس الفردي .. والجماعي

ومن يقلب الطرف في شعر عنترة يجد موقفاً عجيباً من الشاعر الفارس

تجاه قومه ، فبالرغم من الإحساس العميق بالفردية في ضمير عنترة إلا إننا نحس أحياناً وعيه الشديد بروح الجماعة تختزنه ذاكرته ، فينساب على لسانه شعراً رائعاً يتغنى فيه بأمجاد القبيلة ويتحدث باسمها وكأنه لا يعاني - ولم يكن - من ذلك الشرخ الاجتماعي أو التمزق في روحه الجماعي ، مما يدل على إنه كان ذا نفسية كبيرة جعلته يتسامى على المجابهة العدائية التي كان يجدها من قومه أحياناً ، وإن كنا نظن ظناً أن ذلك الموقف الرشيد كان بعد أن عادت إليه حريته ، وأصبح يستشعر كرامته في إطار القبيلة أو النظام القبلي الجاهلي ، فقد اختزن ضمير الجماعة العبسية روح الكراهية لعنترة ، ولكنها أخذت تتحلل منه شيئاً فشيئاً عندما أعاد لها اعتزازها وكبرياءها ، بيد أن عدداً قليلاً من أفراد القبيلة لم يستطع أن يتخلص من ذلك الروح العدائي ، وظل يربطه بعنترة روح المنافسة والكراهية والحقد والحسد لما أصاب من شهرة ذائعة وصيت بعيد من أمثال «عمارة بن زياد» وغيره ، وهذا الروح الجماعي يظهر في جوانب كثيرة من شعره على شاكلة قوله :

أعاذل كم من يوم حرب شهدته
له منظر بادي النواجذ كالح
فلم أر حياً صابروا مثل صبرنا
ولا كافحوا مثل الذين نكافح
إذا شئت لاقاني كمي مدجج
على أعوجي بالطعان مسامح
نزاحف زحفاً أو نلاقي كتيبة
تطاعننا أو يذعر السرح صائح
تداعى بنو عبس بكل مهند
حسام يزيل الهام والصف جانح
تركنا ضراراً بين عان مكبل
وبين قتيل غاب عنه النوائح
وعمراً وحباناً تركنا بقفرة
تعودهما فيها الضباع الكوالح
يجرن هاماً قد فلقته رماحنا
تزيل منهن اللحى والمسايح

فأنت تحس أنك أمام شاعر القبيلة الأثير الذي يتغنى بأمجادها ويفاخر بفضائلها وكأنه لم يكن يوماً يختزن في لا وعيه كراهية القبيلة وعداءها له ، ثم اقرأ قوله :

ونعم فوارس الهيجاء قومي
إذا علقوا الأعنة بالبنان
هم قتلوا لقيطاً وابن حجر
وأرْدَوْا حاجباً وابن أبان

وكذلك قوله :

أبينا فلا نعطي السواء عدونا
قياماً بأعضاد السراء المعطف

موقف إنساني

تحس أنك أمام شاعر قبلي لم يعان من التمزق الاجتماعي ما عانى عنترة ، ولكنه الاستشعار بالكرامة والحرية هو الذي أنطقه بذلك . ومن هذا الجانب الجماعي كان رثاؤه لمالك بن زهير الذي قتله بنو فزارة وهو في جوارهم مدعين أنهم ثأروا به لمالك بن حذيفة بن بدر الذي قتله قيس بن زهير عندما جاء يطلب الرهان برغم أنهم قبلوا الدية بعد مقتله كما تذكر بعض الروايات . وإذا قرأنا رثاء عنترة لمالك فإننا نحس رنة الحزن العميق فيه والألم الممض يمزق نفسه ، ونحس أنه نفثة مصدور وزفرة مفؤود ، ويدل هذا على أن فارسنا المغوار الذي جدَّل الأبطال ومزق الأجساد وحطم الرؤوس ، بل إنه طلب من نديمه أن يسقيه الخمر في الاقحاف ، هذا الفارس العنيف الذي يخيل إلينا أنه مجرد من الأحاسيس الإنسانية نجده في هذه القصيدة يتحول إلى إنسان يمتلىء عاطفة ويتفجر إحساساً وشعوراً ، ونجده يتنزى ألماً وهو يبكي صديقه ، ويدفعه ذلك إلى تصوير ألمه وحزنه من تلك الحرب المشؤومة التي حصدت أمثال مالك الإنسان البطل والتي كان سببها سباق داحس والغبراء ، وما وضع له من رهان ، واقرأ هذه الأبيات لتدرك مبلغ الأسى الذي يعتصر قلب شاعرنا ويمزق نفسه حسرات عليه :

ألا يا غراب البين في الطيران
أعرني جناحاً قد فقدت بناني
ترى هل علمت اليوم مقتل مالك
ومصرعه في ذلة وهوان
فإن كان حقاً فالنجوم لفقده
تغيب ويهوي بعده القمران
لقد كان يوماً أسود الليل عابساً
يخاف بلاه طارق الحدثان
فلله عيناً من رأى مثل مالك
عقيرة قوم إن جرى فرسان
فليتهما لم يجريا نصف غلوة
وليتهما لم يرسلا لرهان
وليتهما ماتا جميعاً ببلدة
وأخطأهما قيس فلا يريان
لقد جلبا حيناً وحرباً عظيمة
تبيد سراة القوم من غطفان
وكان لدى الهيجاء يحمي ذمارها
ويطعن عند الكر كل طعان
به كنت أسطو حينما جدت العدا
غداة اللقا نحوي بكل يمان
فقد هد ركني فقده ومصابه
وخلّى فؤادي دائم الخفقان
فوا أسفاً كيف انثنى عن جواده
وما كان سيفي عنده وسناني
رماه بسهم الموت رام مصمم
فيا ليته لما رماه رماني

أرأيت إلى هذه النفثة الحزينة التي تفجرت من أعماق عنترة الفارس الشجاع الذي كان لا يهاب الموت ولا يخشى المنية ، ويقتحم معمعان المعارك

ويخوض غمار الحرب العوان لا يحسب للأبطال أي حساب؟

أرأيت إلى هذا الفارس الذي يخيل إليك أنه مجرد من الأحاسيس والمشاعر كيف تذوب نفسه حزناً وألماً، وتتمزق حسرات على صديقه القتيل.. ولكنها الإنسانية التي تكتنز مشاعرها وأحاسيسها في أغوار النفس الإنسانية لتظهر عندما تنزل بها المصائب وتلم بها النوائب فتنكأ ما كاد يلتئم من جراحها، وتجدد ما كاد يبلى من آلامها.

علاقة عنترة بعبلة

وجانب آخر من جوانب عنترة الإنسانية يتمثل في غزله العفيف بعبلة التي أحبها حباً عذرياً عفيفاً وكابد من آلام الشوق والحرمان ما صوره في جوانب كثيرة من شعره، ولا تتسع هذه العجالة للبحث في حبه كيف ومتى بدأ، وموقف عمه وابن عمه من هذا الحب، وكذلك مصيره.. فقد أوسعها الباحثون بحثاً ودراسة، وإن كانت جوانب كثيرة منها تغرق في ظلمات الأساطير ويغلفها الخيال.. والذي يعنينا هنا أن نشير إلى أنه في شعره الموثوق به، والذي كاد يخلص من عبث الرواة ووضعهم لا يكاد يطيل في غزله ونجواه لحبيبته كما نرى في هذه الأبيات:

ظعن الذين فراقهم أتوقع
وجرى ببينهم الغراب الأبقع

إن الذين نعيت لي بفراقهم
هم أسهروا ليلي التمام فأوجعوا

فهو على الرغم من خلوصه إلى نجوى حبيبته فإنه لا يطيل في تلك النجوى، وإنما يبتسرها ابتساراً، ويتخلص منها سريعاً، وكأنها عبء ثقيل تنوء تحته نفسه ليخلص إلى نجوى حبيبة أخرى لعلها أعز عليه وأكرم وآثر لديه من تلك الحبيبة، وهي الحرب التي يجد فيها راحته وروحه، ويحقق وجوده الذي يفتقده في زحمة الحياة مع أولئك الأعراب الذين لا يفتأون يذكرونه بلونه الأسود وبانتسابه إلى تلك الأمة الحبشية كلما حاول أن ينساهما، فيتغنى بفروسيته وبطولته وشجاعته ودفاعه عن تلك القبيلة وحماية نسائهم من ذل الأسر وهوان السبي:

ومغيرة شعواء ذات أشلة
فيها الفوارس حاسر ومقنع

فزجرتها عن نسوة من عامر
أفخاذهن كأنهن الخروع

وإلى جانب هذه الصفات البطولية العظيمة نجد في شعره بعض صفاته الجسدية في محاورة طريفة تدور بينه وبين عبلة التي تعجب من شحوب لونه واتساخه وعدم اهتمامه بمظهره، واهماله ملابسه وطيبه وشعره الذي تلبد الوسخ في ضفائره فأصبحت معه أشبه ما تكون بعبس الابل:

شعث المفارق منهج سرباله
لم يدهن حولا ولم يترجل

ولعل هذه الصورة التي رسمها لشعره تذكرنا بصورة أشد منها قذارة رسمها الشنفرى لشعره في لاميته حيث يقول:

وضاف إذا هبت له الريح طيرت
لبائد عن أعطافه ما ترجل

بعيد بمس الدهن والفلي عهده
له عبس عاف من الغسل محول

ويمضي في محاورته مدافعاً عن نفسه أمام حبيبته فيعلن أنه قد استغنى عن التطيب والدهن والتجمل بلبس الدرع السابغة شأن الأبطال الشجعان، وما هذا الوسخ الذي يكسو جلده إلا صدأ الحديد الذي لم يغسله، ولكن هل يشفع له هذا التبرير ويزيل التهمة ويعيد له البراءة لدى حبيبته؟:

فتضاحكت عجباً وقالت يا فتى
لا خير فيك كأنها لم تحفل

وهذا الموقف اللامبالي منها دفعه إلى إعلان عجبه منها ومن سوء رأيها فيه، وأنها لم تر فيه إلا هذا الجانب القذر، وعميت أو غفلت عن الجوانب الرائعة التي تدفع الجميع إلى الاعجاب به والتنويه بفضله فقال:

فعجبت منها حين زلت عينها
عن ماجد طلق اليدين شمردل

لا تصرميني يا عبيل وراجعي
في البصيرة نظرة المتأمل

وتبلغ المحاورة حداً بعيداً تكاد تقترب من التوتر والغضب حينما يجره دفاعه عن نفسه إلى إثارة الغيرة في نفس محبوبته فيعلن لها أن كثيرات غيرها يترامين عليه ويتهافتن على حبه ويرغبن فيه إن رغبت هي عنه:

فلرب أملح منك دلا فاعلمي
وأقر في الدنيا لعين المجتلي

وصلت حبالي بالذي أنا أهله
من ودها وأنا رخي المطول

ويأتيها بالقياس الصحيح الذي يقاس به الرجال فيقول:

يا عبل كم من غمرة باشرتها
بالنفس ما كادت لعمرك تنجلي

فيها لوامع لو شهدت زهاءها
لسلوت بعد تخضب وتكحل

فهذا هو الميزان الذي يوزن به الرجال وتقاس به جلائل الأعمال لا التطيب والتخضب والاكتحال. وطبيعي لمن يخوض المعارك ويباشر غمراتها أن يذهل عن الطيب والكحل والخضاب.

وعلى هذا النحو عشنا في هذه الجولة مع أحد شعرائنا الأفذاذ الذين فرضوا على القبيلة الاعتراف بهم، وعلى التاريخ تسجيل بطولاتهم محاولين استجلاء الجوانب الإنسانية في شخصيته وشعره آملين أن يجد فيه الشباب العربي المسلم مثلاً يحتذى وبطلاً يقتدى.

* * *



بقلم: د. عبد الرحمن العيسوي

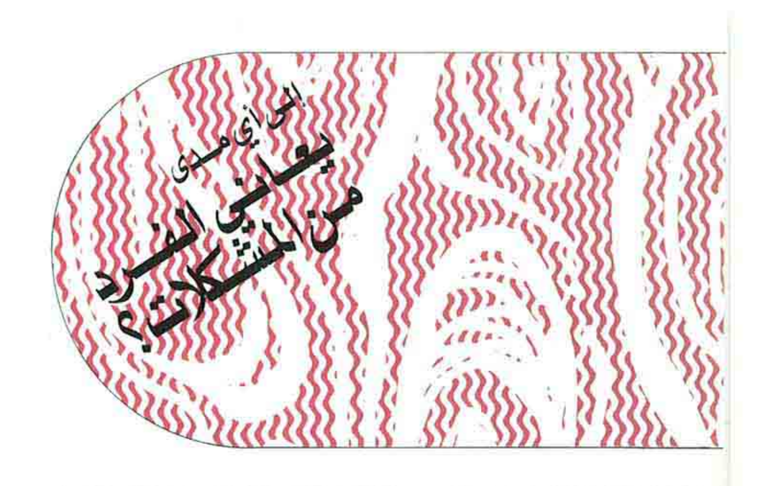
المشكلات من أهم معوقات الفرد عن العمل والإنتاج والإبداع وبذل الطاقة والعطاء ، وهي كذلك سبب من أسباب معاناته وحرمانه من السعادة والراحة والاستقرار ، وإذا زادت حدتها أدت به إلى المرض ، ولذلك فإن حلها يعد ذا قيمة إنسانية واجتماعية على حد سواء ، ويتطلب حلها التعرف على نوعية المشكلات ومقدار كثافتها وأسبابها ومدى انتشارها ، وكذلك التعرف على أسباب حدوثها .

ومن أجل ذلك أجرى الكاتب دراسة ميدانية تناولت ١٦٤ فرداً من النساء والرجال والشباب من أبناء الطبقات الاجتماعية المختلفة والتخصصات العلمية المتباينة الذين تراوحت أعمارهم ما بين ١٥ ـ ٥٤ عاماً بمتوسط عمر قدره ٢٥,١٣ عاماً وانحراف معياري قدره ٨,٤٨ ، وهم من **سكان حي محرم بك بالإسكندرية** .

منهج الدراسة

اعتمدت الدراسة على تطبيق استمارة بحث صممت لهذا الغرض ، تضمنت قائمة مكونة من عشر مشاكل : جسمية ونفسية واقتصادية وعائلية وفكرية وإسكانية ومواصلات وعاطفية وأخلاقية وتعليمية . وطلب من المفحوص أن يحدد عما إذا كانت المشكلة موجودة لديه أم لا ، وأن يحدد مقدار شدتها بدرجة من عشر درجات تزيد كلما زادت حدة المشكلة وتقل كلما قلّت حتى يعطي الدرجة صفراً إذا لم يكن يعاني من المشكلة على وجه الإطلاق . كذلك طلب من المفحوص أن يوضح نوع المشكلة ، وكذلك أهم المشكلات عنده في الوقت الحاضر ، وذلك بعد أن شرح لهم الباحث مدلول كل مشكلة وأمثلتها التوضيحية .

وفي الإجابة على التساؤل : أي المشكلات أكثر انتشاراً وشيوعاً لدى العينة ، نجد أن **المشكلتين النفسية والاقتصادية** احتلتا مركز الصدارة الأولى وتوجد كل منهما بنسبة ٦٢٪ ، أي أن نحو ثلثي العينة تعاني من المشكلات النفسية أو الاقتصادية . واحتلال المشكلة النفسية نفس المركز الذي تحتله المشكلة الاقتصادية له معناه من حيث أهمية المشكلات النفسية في الوقت الحاضر ، الأمر الذي يتطلب توفير الرعاية النفسية لأبناء المجتمع وقاية وعلاجاً .



وتحتل **مشكلة المواصلات** المرتبة الثالثة ، أما مشكلة الاقتصاد ويعاني منها ٥٥ ٪ من مجموع العينة فاحتلت المكانة الرابعة . أما عن أقل المشكلات انتشاراً فكانت المشكلة الأخلاقية ١٨ ٪ وتليها المشكلة العقائدية أو الفكرية ونسبتها ٢٢ ٪ ، ثم التعليمية أو الدراسية وبلغت نسبتها ٣٧ ٪ . وفيما يلي هذه المشكلات حسب ترتيب انتشارها :

ـ النفسية ٦٢ ٪ ، الاقتصادية ٦٢ ٪ ، المواصلات ٥٧ ٪ ، الإسكانية ٥٥ ٪ ، الجسمية ٤٧ ٪ ، العائلية ٤٦ ٪ ، العاطفية ٤٠ ٪ ، التعليمية ٣٧ ٪ ، العقائدية ٢٢ ٪ ، الأخلاقية ١٨ ٪ .

وكان هناك نحو نصف المجموعة يعانون من المشكلة الجسمية (٤٧ ٪) وأقل من ذلك قليلاً بالنسبة للمشكلة العائلية أو الأسرية . وتكشف هذه النتيجة أن هناك نسباً كبيرة تعاني من المشكلات ، فلا توجد مشكلة لا يعاني منها أفراد العينة إطلاقاً ، وإنما كانت أقل مشكلة هي الأخلاقية يعاني منها نحو خمس العينة .

وانتشار هذه المشكلات وتنوعها يدعونا لتوفير الرعاية الصحية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية والإسكانية لأبناء المجتمع ، وإن كانت المشاكل النفسية تحتل المرتبة الأولى مما تكشف بحق عن طبيعة العصر الذي يوصف بأنه عصر الأزمات والتوترات النفسية (انظر جدول ١) .

ويستمر تحليل النتائج لنحصل على المتوسط الحسابي للدرجة الكلية المعبرة عن ثقل معاناة الفرد من المشكلات جميعها . فلقد عرفنا أن كل مشكلة قدرت على مقياس من ١١ نقطة (من صفر ـ ١٠) وبذلك يكون الحد الأقصى للدرجة التي عليها الفرد ١٠ × ١٠ = ١٠٠ ، علماً بأنه كلما زادت الدرجة زادت حدة معاناة الفرد من المشكلات .

وبحساب المتوسط الحسابي لعدد ما يعانيه الفرد من المشكلات العشر وجد أنه يساوي ٤,٤٢ ، ومعنى ذلك أن كل فرد من أفراد هذه العينة يعاني في المتوسط مما يزيد عن أربع مشاكل . ويمثل هذا عبئاً ثقيلاً على الفرد .

ودل فحص الاستمارات على أن هناك حالتين فقط لا يوجد لديهما أية مشكلات على وجه الإطلاق ، وتمثلان ١,٢ ٪ ومؤدى ذلك أن هناك ٩٨,٨ ٪ من مجموعة العينة لديهم مشكلة أو أكثر وتؤيد هذه النتيجة الفرض القائل إنه لا يوجد أي فرد خالي تماماً من المشكلات . كذلك وجد أن هناك ١١ حالة لا توجد لديهم سوى مشكلة واحدة ، وتعادل هذه الحالات نسبة ٦,٧ ٪ ، أي أن الفرد المعاصر مثقل حقاً بالمشكلات .

ولقد وجد أن المتوسط الحسابي لثقل أو أوزان المشكلات جميعاً هو ٢٦,٥ بانحراف معياري قدره ١٦,٨ ، وإذا فرضنا أن الأصل في الإنسان أن يكون خالياً ومتحرراً من المشكلات ، وأمام هذه النتيجة فإننا نلمس أن العينة تعاني من المشكلات بدرجة كبيرة .

ونذهب بالتحليل أكثر من ذلك لنجد أوزان كل مشكلة على حدة ، وكانت الدرجة القصوى هي عشرة والصغرى صفراً . وتدل المتوسطات الحسابية لثقل أو كثافة أو شدة المشكلة على مقدار معاناة الناس منها بصرف النظر عن مدى انتشارها بين الناس أو تكرارها . ويمكن وضع المشكلات حسب متوسط وزنها على النحو الآتي مبتدئين بأكثرها كثافة :

	م	ع[1]
(١) الإسكانية	٤,٣٤	٣,١٣
(٢) اقتصادية	٣,٩٣	٣,٧٧
(٣) المواصلات	٣,٧٩	٤,٠٤
(٤) النفسية	٣,٢٣	٣,٤٢
(٥) الجسمية	٢,٣٥	٣,٣٢
(٦) أخلاقية	٢,٣٤	٤,٦٥
(٧) عائلية	٢,٢٣	٣,١٣
(٨) تعليمية	٢,١٢	٣,٢٢
(٩) عقائدية	١,٠٤	٢,٣١
(١٠) عاطفية	٠,٧٣	٢,٠٧

م[1] = المتوسط الحسابي ، ع = الانحراف المعياري

فبينما كانت المشكلة الإسكانية تحتل المكانة الرابعة من حيث الانتشار نجدها تحتل المركز الأول من حيث الشدة أو الكثافة أو التركيز ، بمعنى أنها إذا وجدت فإنها توجد بدرجة قاسية وعنيفة وملحة عند الفرد . ومن الطريف أن تحتل كل من المشكلة الاقتصادية والمواصلات نفس الترتيب في الكثافة وفي الانتشار بين الناس . وبينما تحتل المشكلة النفسية المركز الأول من حيث كثرة الانتشار ، نجدها تمثل المكانة الرابعة من حيث الشدة ومؤدى ذلك أنها توجد عند أناس كثيرين ، ولكن حدتها أقل من الإسكانية والاقتصادية والمواصلات . والجدول الآتي يوضح ترتيب المشكلات من حيث الكثافة ومن حيث الانتشار والتكرار :

ترتيب التكرار		ترتيب الكثافة أو الشدة	الفرق في الترتيب
النفسية	١	٤	٣
الاقتصادية	٢	٢	صفر
المواصلات	٣	٣	صفر
الإسكانية	٤	١	٣
الجسمية	٥	٥	صفر
العائلية	٦	٧	١
العاطفية	٧	١٠	٣
التعليمية	٨	٨	صفر
العقائدية	٩	٩	صفر
الأخلاقية	١٠	٦	٤

والفرق الواضح بين ترتيب التكرار وترتيب الكثافة يكمن في المشكلة الأخلاقية حيث يقل انتشارها عن مقدار حدتها ، أما المشكلة العاطفية فتأخذ عكس الاتجاه حيث تقل الكثافة عن التكرار .

على ضوء هذه الدراسة يمكن اقتراح **ضرورة توفير أساليب التربية النفسية والجسمية الصحيحة للطفل منذ نعومة أظفاره ، وإشباع حاجاته النفسية والمادية بطريقة معتدلة ومعقولة ، وحمايته من العدوان والتسلط والصد والنبذ ، وضرورة إشعاره بأنه مرغوب فيه ومقبول لدى الجماعة . كما يتطلب الأمر تربية الطفل على القيم العربية والإسلامية الأصلية ، والتمسك بالحق والخير والجمال ، وتعويده على تحمل المسؤولية والتعاون والإيثار والتضحية ، وتقدير المصلحة العامة والطاعة والولاء** . وفوق كل ذلك إشعاره بالانتماء إلى التراث العربي حتى نجنب الأجيال الصاعدة مرارة الاضطراب والتوترات والأزمات النفسية والصراعات الخلقية وضعف الصحة العامة والتعرض للإصابة بالأمراض . الأمر الذي يقتضي توفير وجهات صحية للأطفال في المدارس والعمال في المصانع ، حقاً إن العقل السليم في الجسم السليم . والمواطن القوي المؤمن خير من المواطن الضعيف . ويتطلب رفع كفاءة المواطن الإنتاجية تحريره مما يكبل طاقاته بأغلال المشكلات والصراعات التي تطحنه .

وتلقي الدراسة بالمسؤولية على الفرد نفسه للعمل على تحرير نفسه ، بقدر الإمكان ، من المشكلات ، وعلى الأسرة التي تتولاه وتصقله وتحميه وتغرس فيه القيم والعادات السلوكية السليمة ، والمدرسة التي تنقل إليه حضارة العصر ، وقيم المجتمع ، وتدربه لكي يكون مواطناً صالحاً ، ثم المجتمع برمته الذي يتعين عليه توفير حاجات الأفراد ، وتوفير وسائل الضبط والنظام أيضاً .

علاقة المشكلات بالأمراض السيكوسوماتية

للتحقق من وجود ارتباط بين الأمراض السيكوسوماتية والمعاناة من المشكلات العشر ، تم إيجاد معامل الارتباط بينهما ويوجد مساوياً ٠,٢٦٦ ومع درجات حرية قدرها ١٦٢ يكون لهذه المعامل دلالة إحصائية عالية عند مستوى ثقة ٩٩٪ مؤكداً وجود علاقة إيجابية بين الأمراض السيكوسوماتية ، وبين المعاناة من المشكلات مؤداها أنه كلما زادت معاناة الفرد من المشكلات التي يعاني منها زاد تعرضه للإصابة بالأمراض السيكوسوماتية . وفي هذه الحالة لا نستطيع أن نجزم أيهما سبباً في حدوث الآخر : هل المشكلات تعود إلى الأمراض أم أن الأمراض هي التي تتسبب في حدوث المشكلات . على كل حال دون تقرير العلاقة السببية أو العلية ، نحن في حاجة ـ في ضوء هذا الارتباط وحده ـ إلى الاهتمام بتحرير الأفراد من المشكلات ومن الأمراض السيكوسوماتية .

وقد شمل البحث مجموعة من الأمراض السيكوسوماتية أي تلك الأمراض التي تنتج من أسباب نفسية لكنها تتخذ في أغراضها أشكالا جسمية وهي :

الربو ، ضغط الدم ، السمنة ، أمراض الفم والأسنان ، الصداع النصفي ، أمراض القلب ، قرحة المعدة ، قرحة القولون .

ولقد قدرت الدرجة عشرة لكل مرض من هذه الأمراض وتم حساب معامل الارتباط بين هذه الدرجات وبين درجات المجموع الكلي للمشكلات .

الوصف الإكلينيكي للمشكلات

إلى جانب الإجابة على الأسئلة المحددة الخاصة بالمشكلات تضمن الاستخبار المستخدم سؤالا عبَّر فيه المفحوص بحرية وبأسلوبه المستقل عن وصف المشكلة التي يعاني منها . ولقد حللت هذه الاستجابات فتبين أن أهم المشكلات هي :

المشكلات الجسمية : كانت المعاناة من صعوبات في التبول ، المعاناة من النحافة ، والشعور بالتعب والإرهاق الجسمي ، وزيادة الوزن والسمنة ، وضعف الأبصار ، وسوء الهضم ، والمعاناة من الروماتيزم المفصلي ، والقرحة ووجود حموضة شديدة في المعدة ، وإلى جانب ذلك الصداع ، والتهابات باللثة ، ووجود اضطرابات في المعدة ، والدوخة ، والمغص ، والفشل الكلوي ، ووجود «كرش» كبير ، مع حالات من الضعف العام والخمول ، وحالات بواسير ، وضيق التنفس ، وآلام في العمود الفقري ، وآلام في المرارة ، وحالات تضخم الكبد والطحال والأنيمياء ، والإمساك ، وواضح أنها حالات متنوعة ومتعددة وتشمل البدن كله .

المشكلات النفسية : القلق ، والتوتر ، والإرهاق ، والتعب ، والاكتئاب النفسي ، والكبت الجنسي ، والغضب ، والشعور بالخوف من المجهول ، والمعاناة من الأرق ، والشعور بالقلق إزاء المستقبل والعمل ، والشعور بالفشل في الحب ، والشعور بعدم الاستقرار ، وسرعة الغضب والضيق من أتفه الأسباب .

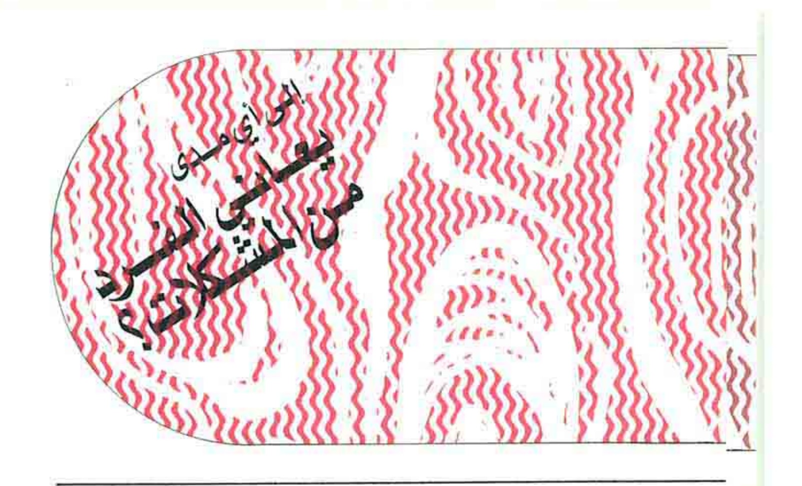
المشكلات الاقتصادية : انحصرت في قلة الدخل ، وعدم كفايته وتخطيته للمصروفات المطلوبة ، وتحقيق المستوى الاجتماعي اللائق خاصة في ضوء زيادة الأسعار .

المشكلات الأسرية : كانت المعاناة من تعدد الزوجات ، وفقدان الشعور بالجو المنزلي السعيد ، أو مرض أحد أفراد الأسرة ، أو المشاجرات العائلية ، والفشل في التوفيق بين مطالب العمل ومطالب الأسرة ، والتفكك العائلي ، وحالات زوجات الأب ، وحالات الانفصال والطلاق .

المشكلة الإسكانية : تتلخص في البحث عن شقة ، أو ضيق المسكن الحالي وعدم ملاءمته ، وتعطيل الزواج بسبب عدم وجود شقة ، وتعطيل المصاعد في بعض الأحيان ، والشجار مع سكان المنزل بسبب الغسيل ، وارتفاع الإيجارات ، والرغبة في الحصول على شقة مستقلة ، والرغبة في الحصول على شقة لإتمام الزواج بعد خطوبة دامت ست سنوات .

المشكلات العقائدية : من أمثلتها الإيمان بسياسة زعيم سياسي ، ورفض سياسة الآخرين ، والإحساس بعدم وجود ضمير إداري بين بعض رجال الإدارة ، وتهديد الروتين للمصالح الحيوية للناس ، والإيمان بالحب ، والإيمان بفكرة الحجاب الإسلامية ، والمعاناة من فكرة الصراع الطبقي ، أو التحيز لكاتب من الكتّاب .

وجاء على لسان أفراد العينة في وصف **المشكلات الأخلاقية** المعاناة من ظاهرة السب والشجار مع الوالد بسبب التدخين ، والمعاناة من الحقد ضد الفرد خاصة إذا كان يشغل منصباً مرموقاً ، والمعاناة من خداع الناس



وغشهم ، والعبث بحقوقهم إلى جانب النواحي الجنسية . وانحصرت **مشاكل المواصلات** في الرغبة في شراء سيارة والزحمة وعدم توفر وسائل المواصلات العامة في الترام والحافلات ، وصعوبة وقوف سيارات الأجرة ، وفقدان كثير من الوقت في الذهاب والإياب للعمل ، والإهانات التي تحدث في وسائل المواصلات العامة ، زيادة إلى مصاريف المواصلات بسبب البعد عن العمل . وتناول أفراد العينة بعض **المشاكل العاطفية** مثل الحب الشديد والفشل فيه ، وعدم التوافق والفشل في الزواج ، والصراع بين حب شخصين في وقت واحد . أما **المشاكل التعليمية** أو التربوية فكانت تنحصر في الرغبة في استكمال التعلم العالي بعد المتوسط ، والفشل الدراسي ، وصعوبة استكمال الدراسات العليا في بعض التخصصات كالطب ، والرغبة في استكمال التعلم بالخارج ، وصعوبة المناهج وسوء معاملة المدرسين وقسوتهم ، والعقاب البدني والمعاناة من حالات الاضطهاد على يد بعض العمداء في الكليات .

الفروق الجنسية في المشكلات

أيها أكثر معاناة من المشكلات ، الذكور أم الإناث؟

لقد وجد أن متوسط عدد المشكلات التي يعاني منها الفرد الذكر ٤,٥٨ بينما كان هذا المتوسط بالنسبة للأنثى هو ٤,١٩ مشكلة ، فالذكر أكثر معاناة من المشكلات عن الأنثى بفرق قدره ٠,٣٩ وتفسير ذلك أن الذكر يتحمل مسؤولية أكبر عن الأنثى ، ومستوى طموحهم أكثر ارتفاعاً عن الإناث . وعلى كل حال تتفق هذه النتائج مع نتائج البحوث السابقة من حيث تمتع الأنثى بمزيد من الاتزان الانفعالي عن الذكر .

ويذهب التحليل إلى أبعد من ذلك لنرى تلك الفروق الجنسية في المشكلات النوعية ، وتدل مطالعة الجدول على أن **الذكور أكثر معاناة من المشكلات الجسمية والنفسية والاقتصادية والأخلاقية والعاطفية . ويبدو أن ذلك راجع إلى أن ضغوط الحياة الاقتصادية والاجتماعية تسقط على الرجل بصورة أكثر مما تسقط على الأنثى ، إلى الحد الذي يلاحظ معه أن عمر الرجل أقصر من عمر الأنثى .** ويبدو الفرق الجنسي أكثر وضوحاً في المشكلة العاطفية والجسمية . وهنا يقودنا التحليل إلى التساؤل **لماذا يعاني الفرد الذكر من المشكلات العاطفية أكثر من الأنثى؟** ربما يرجع ذلك إلى الحرمان العاطفي ، أو إلى أهمية العاطفة في حياة الشاب الذكر عن الأنثى . وقد يرجع هذا الفرق إلى نضوج الأنثى انفعالياً أكثر من الذكر .

هذا ويتساوى تقريباً الجنسان في المشكلات الإسكانية والمواصلات والمشاكل التعليمية حيث يشعر بها الجنسان بمقدار واحد تقريباً .

وفيما يلي المشكلات موزعة حسب نسب انتشارها بين كل من مجموعة الإناث والذكور ، وكان عدد الذكور ١٠٦ والإناث ٥٨ حالة :

	ذكور	إناث	الفرق
المشكلة الجسمية	٥٢	٣٨	١٤
المشكلة النفسية	٦٥	٥٥	١٠
المشكلة الاقتصادية	٦٦	٥٣	١٣
المشكلة العائلية	٤٣	٥١	٨
المشكلة العقائدية	١٩	٢٨	٩
المشكلة الإسكانية	٥٤	٥٧	٣
مشكلة المواصلات	٥٦	٥٩	٣
المشكلة الأخلاقية	٢١	١٤	٧
المشكلة العاطفية	٤٦	٢٨	١٨
المشكلة التعليمية	٣٧	٣٦	١

أما درجات الإناث فكانت أكثر في المشكلات العائلية والعقائدية .

فرق العمر

أيها أكثر معاناة من المشكلات كبار السن أم صغار السن؟

تم تقسيم العينة إلى كبار السن ممن تتراوح أعمارهم من ٢٥ ـ ٥٤ ، وصغار السن ممن تتراوح أعمارهم من ١٥ ـ ٢٥ سنة ، ووجد أن المتوسط الحسابي لعدد المشكلات لدى كبار السن هو ٤,٤٨ ، بينما كان هذا المتوسط لصغار السن هو ٤,٥٠ **ويشير ذلك إلى أن صغار السن أكثر معاناة من المشكلات ، ولكن الفرق يبدو ضئيلاً مما يجعلنا نفترض التساوي بينهما .** ولقد تم تحليل المشكلات النوعية لدى أفراد كل عمر ، ووجد أن كبار السن يعانون أكثر من المشكلات الجسمية والاقتصادية ، أما صغار السن فكانت مشكلاتهم أكثر في النواحي العقائدية والإسكانية والمواصلات والعاطفية والتعليمية .

هذا ، ولقد أريد التعرف على مدى ترابط المشكلات مع بعضها البعض ، وتم حساب قيمة مقياس كاي ٢ بين الجسمية والنفسية من جدول ٢ × ٢ ووجدت مساوية ٣,١٨٦ وهي تقل قليلاً عن مستوى الدلالة الإحصائية عند مستوى ثقة ٩٥٪ ، وتشير هذه النتيجة إلى ترابط المشكلات الجسمية والنفسية ، مما يؤكد أن الإنسان وحدة متكاملة متفاعلة . وبالنسبة للارتباط بين المشكلات العائلية والنفسية فلقد وجدت كاي٢ مساوية ٤,٧٣١ وهي ذات دلالة عند مستوى ثقة ٩٩٪ . وتؤكد أن للعلاقات والأحوال الأسرية علاقة ارتباطية بالأحوال النفسية والعكس صحيح .

الدكتور:
أوله يورنسن

طريقة "المعالجة المثلية"

.. تشفي مرضى عجز الطب عن معالجتهم

إعداد:
فهمي عبد الحميد

في ضاحية ـ لونبي ـ التي تقع على بضعة كيلومترات من شمالي كوبنهاغن تقع عيادة دكتور شاب يدعى «أوله يورنسن»، تخرّج من معاهد الطب الدانمركية، وتخصص كجراح في نهاية الخمسينات. كانت له طموحات كبيرة بعلم الطب فاشترك في دورات طبية في بلاد عديدة كألمانيا، وفرنسا، والصين، وعاد إلى الدانمرك ليعتكف في مختبراته ويعيد التجربة بعد الأخرى، وأخيراً بدأ بالمعالجة واشتهر اسمه بسرعة ونشرت الكثير من القصص حول شخصه. والقصص جميعها تدور حول كيفية علاجه المرضى الذين يشكون من أمراض مزمنة عجز الطب عن مداواتهم.

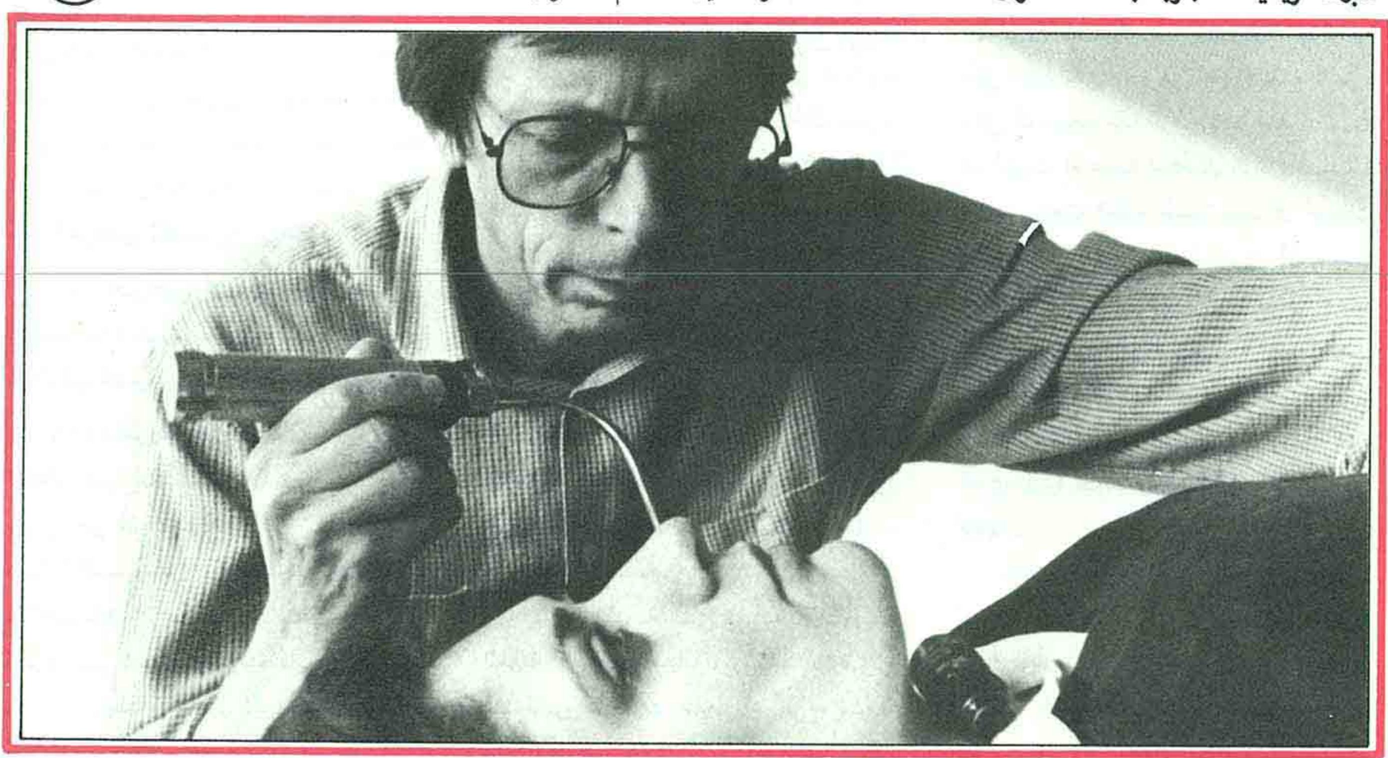
يداوم هذا الطبيب من الساعة التاسعة صباحاً وحتى الثانية بعد الظهر، وهاتفه مشغول بشكل دائم، وسكرتيرته تجيب إن لم يكن الهاتف مشغولا: **إن شئتم مراجعة الدكتور فأقرب فرصة هي نهاية الشهر القادم.**

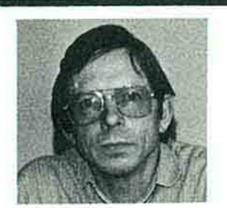
طلبت من السكرتيرة هاتفياً أن تبلغ الدكتور رسالة مني:

ـ صحفي عربي يود التحدث معكم.

وكان جوابه على السكرتيرة أن أترك رقم هاتفي. واتصل بي فعلاً مساءً على هاتفي الخاص بقوله:







طريقة "المعالجة المثلية"

ـ لو لم تكن عربياً لما اتصلت بك .

ـ لماذا ؟

ـ أحترم العرب لأنهم أوجدوا أدوية تصنع من الأعشاب ، هذه الأدوية هي التي تعالج المرضى ، أما الأدوية الكيماوية المتطورة اليوم فهي التي تقتل الإنسان .

المعالجة المثلية

اتفقت مع السيد **يورنسن** على مقابلة معه في عيادته بعد الدوام ، وبدأ يشرح لي أصول هذه الطريقة التي يعالج بها مرضاه .

يقول الدكتور أوله يورنسن :

ـ المهمة الوحيدة الملقاة على عاتق الأطباء هي علاج المرضى وجعلهم أصحاء ، بهذه الجملة يبدأ الدكتور الألماني الأصل **هاهنمان** ، مؤسس علم « **المعالجة المثلية** »(*) كتاب (**فن شفاء الأعضاء**) الذي صدر عام ١٨١٠ م ، ومن البديهي أن ينتظر المريض الذي يراجع الطبيب أن تكون نتيجة المعالجة التي يتلقاها تتوج بالشفاء ، ومن المعروف أيضاً أن **الأمراض تقسم إلى نوعين :**

(١) **أمراض عرضية** قد تصيب الإنسان لفترة قصيرة وعلى الأغلب يشفى منها خلال فترة قصيرة حتى من دون معالجة طبيب .

(٢) **وأمراض مزمنة** تستمر ، مع أن المعالجة الطبية أيضاً مستمرة ، وتصنيف المرض بالمزمن يعني أن الطب عاجز عن شفاء المريض منه **كالروماتيزم** ، ومرض الشقيقة **ـ الصداع النصفي ـ** بالإضافة إلى أنواع أخرى من الصداع ، والتحسس **كالربو وحمى الخريف ، التهاب الجيوب** ، وأمراض أخرى تصيب الأقنية المعوية والمعدية ، وأمراض نفسية كحالات **اليأس والرهبة** من شيء ما غير معروف تصيب البعض .

جميع هذه الأمراض يعجز الطب عن معالجتها ، لكن طريقة « المعالجة المثلية » تستطيع أن تفعل ذلك .

ويستمر الدكتور يورنسن بقوله :

ـ أسباب عدم إمكانية معالجة المرضى الذين يشكون من هذه الأمراض هي تماماً عدم معرفة الخلايا ـ التي يتكون منها جسم الإنسان ـ ونشاطها وعملها ، وبالتالي عدم معرفة كيفية معالجة الخلايا المريضة بواسطة الأدوية الكيماوية .

من النادر أن نسمع من طبيب اعترافه بأن الحالة مستحيلة الشفاء أو المعالجة ، وخاصة في حالات الأمراض المزمنة وإنما يوحي الطبيب إلى المرضى بأنهم يشكون من مرض ما غريب ولسبب أو لآخر لا يمكن معالجته ، **وحينما يتخذ الأطباء قرارهم هذا يبلغون المريض أنه مصاب بفيروس نادر . أو أن التقدم في السن هو السبب ، أو أن السبب نفسي ، وفي الحالة الأخيرة هذه سيتهم الطبيب المريض أنه لا يشكو من أي مرض وأنه يتوهم أنه مريض ، ومع مرور الزمن فإن المريض سيقتنع من كلام الطبيب ، ويستمر المرض بنخر جسمه .**

وقبل أن أتحدث عن بعض الحالات التي عالجتها ـ يقول الدكتور يورنسن ـ قد أشرح قليلاً عن طريقة المعالجة ، إذ أجريت تجارب على بعض الأشخاص الأصحاء بإعطائهم جرعات من الأدوية التي تستخدم بطريقة المعالجة المثلية لمدة معينة ، ولوحظ أن هؤلاء الأشخاص قد ظهرت عندهم أعراض مرضية ، هذه الأعراض دونت . ومؤخراً حينما يأتي مريض يعاني من هذه الأعراض فإن العملية في غاية البساطة وهي التوصل إلى العلاج المضاد ، لأن الأعراض معروفة مسبقاً من خلال التجارب .

حالات مرضية

ويقول الدكتور « يورنسن » إن العملية تبدو بسيطة وغير معقدة ، إلا أن **المشكلة هي أن الأعراض ليست واحدة للمرض الواحد للمعالجة المثلية ، لأن الأعراض تختلف من مريض إلى آخر** ، وهذا يعني ضرورة التوصل إلى العلة في المريض الذي يقف أو يستلقي أمام الطبيب والتوصل إلى كيفية تطور العلة في جسم المريض ، هل هو عضلي ؟ ، هل هو نفسي ؟ ، هذه الأشياء قد أوضحها بأمثلة أوردها :

منذ عدة سنوات أتت فتاة صغيرة إلى عيادتي وكانت تشكو من آلام فظيعة في كتفها حتى أنها لم تكن قادرة على تحريكه لعدة أشهر . وقبل أن تصاب بهذا المرض بعدة أسابيع كانت قد أجريت لها عملية استئصال الزائدة الدودية ، وحينما راجعت الطفلة طبيبها بعد أن أصيبت بآلام الكتف توصل الطبيب إلى **أن سبب هذه الآلام هي بكتيريات لا تزال بجسم الفتاة ، هذه البكتيريات كانت أيضاً السبب في التهاب الزائدة الدودية .** وبقيت الفتاة الصغيرة في المستشفى للمعالجة مرة أخرى لفترة طويلة ولم يطرأ أي تحسن على كتفها .

عند عيادتها لي تحدثت معها ووالديها طويلاً ، وتبين لي أن السبب ليس له أية علاقة بالزائدة الدودية ، وإنما يعود إلى تعرض كتف الصغيرة إلى برد شديد وتقلص عضلي ، عالجت الصغيرة على التو واختفت الآلام فوراً وخرجت

الفتاة معافاة لا تشكو من أي شيء .

أما الحالة التالية فتلقي ضوءً على الأعراض النفسية عند بعض المرضى حيث راجعتني سيدة شابة تشكو من إسهال مزمن لازمها عدة سنوات وعولجت عند عدد كبير من الأطباء إلا أن النتيجة كانت أن هز الأطباء أكتافهم وقالوا لا أمل .

وأثناء قيامي بفحص المريضة أمامي دار الحديث المعتاد الذي أتحدثه دائماً مع المرضى . . حيث تبين لي من خلاله أنها سبق أن أنجبت طفلة ولدت في وقت مبكر ، لذا فإن الطفلة بقيت تحت المراقبة في الغرفة الزجاجية بالمستشفى . وبعد مدة حين أخذت الطفلة وعادت بها إلى حيث تسكن لم تتمكن من التقرب إلى طفلتها . وبقيت تشعر شعور الغربة نحوها ، وبدأت حالة الإسهال المزمن معها مما قد تكون لها علاقة بالاضطراب النفسي عند المرأة ، **وبعد معالجة قصيرة لهذه الحالة الغريبة من نوعها توقف الإسهال وعاد شعور الحنان نحو طفلتها .**

استخدام الوخز بالإبر

ومع أن التوصل إلى العلاج الصحيح في حالة طريقة المعالجة المثلية شاق ومعقد للغاية إلا أن الدكتور « يورنسن » يؤكد أن الطريقة بنيت على مبدأ يقول :

« كما أن الصبغيات تجد طريقها إلى النباتات فإن مواد (المعالجة المثلية) تجد أيضاً طريقها الصحيح إلى المرض من خلال الأعراض التي تبدو على المريض ، وهذه الطريقة تتطلب تعاوناً كبيراً بين المريض والطبيب » .

لقد حاول بعض الباحثين بمجال **(المعالجة المثلية)** خلال السنوات الأخيرة استخدام التكنولوجيا الحديثة في المعالجة ومنهم **الدكتور الألماني راينهولد فول** حيث طور بعض الأجهزة الإلكترونية التي توصله إلى مصدر الداء ببعض الأمراض المزمنة ، إلا أنها أيضاً تتطلب الوقت الطويل للمعالجة .

واكتشف الدكتور **باول نوجير** ، وهو طبيب فرنسي يعالج **بطريقة الوخز بالإبر** ، اكتشافاً علمياً عظيماً يستند إلى أنه بمراقبة النبض مراقبة دقيقة جداً من الممكن التوصل إلى النقطة التي سيوخز فيها إبره ، وذلك بواسطة الانعكاس الضوئي على المنطقة التي يراقب فيها النبض ، وبتعرض المنطقة إلى إشعاعات ضوئية فإن النبض يتغير بعدد دقاته فيعرف أنه هنا سيوخز إبره .

وفي عام ١٩٧٤ م ، درست نظرية الطبيب الفرنسي وتوصلت إلى نتيجة وهي حينما استخدم « **نوجير** » هذه الطريقة للمعالجة بواسطة الوخز فمن الممكن استخدامها أيضاً بطريقة المعالجة المثلية . **وبعد تجارب طويلة استطعت أن أستخدم هذه الطريقة التي تتطلب مني ٤٥ دقيقة للعثور على أصل الداء ، وبالتالي لإعطاء العلاج اللازم لهذه الأمراض المستعصية .**

ويصنف الدكتور « يورنسن » الأشياء التي تستعمل في طريقة المعالجة المثلية فيقول : إنها مصنوعة من مواد **خام طبيعية** ومن فلزات وأملاح ومواد نباتية . وصنع بعضها من الأغشية الحيوانية . ويلجأ المختص عند تركيب هذه المواد إلى تحليل المواد الأولية بمواد كيماوية محللة . وحينما تتحلل المادة ترج المادة رجاً شديداً ، يؤخذ بعدها أجزاء بسيطة منها ثم تحلل مرة أخرى ، وترج أيضاً ، وتعاد الكرة إلى أن تزول المادة فلا يبقى منها سوى ذرة المادة والتي من الممكن أن تعطي إشعاعات ، لذا فإنه من الممكن التفاعل بين جسم الإنسان وهذه المواد خلال وجود هذه المواد في زجاجات .

ويكون دور هذه المواد في العلاج باصطدامها بسبب الداء ، ولا يمكن أن تسبب أية مضاعفات أثناء تناولها .

إن هذا لا يعني أنه من الممكن معالجة جميع المرضى ، ذلك أن بعض الحالات قد يكون من غير الممكن معالجتها ، إلا أن إحصائياتي الشخصية ، يواصل الدكتور « يورنسن » قد بينت أن نسبة الشفاء للمرضى الذين أعالجهم هي على النحو الآتي :

- **٥٧ ٪ من روماتيزم المفاصل .**
- **٤٨ ٪ من أمراض الروماتيزم الأخرى ومنها أمراض آلام الظهر .**
- **٧٥ ٪ من أمراض الحساسية كالربو وحمى الخريف .**
- **٥٣ ٪ من أمراض الشعور بالرهبة**
- **٤٠ ٪ من أمراض الشعور باليأس .**

كما أنه توجد بعض الأمراض التي لم أتمكن من معالجتها مثل نزف الدماغ ، وأمراض انفصام الشخصية (سكيتسوفرين) .

قد يكون جديراً بالذكر أن الدكتور « **أوله** » **يعيد ٨٠ ٪ من تكاليف العلاج للمرضى الذين لم يتمكن من إيجاد دواء لدائهم !** .

الهوامش

(★) « **المعالجة المثلية** » شرحت في القاموس : معالجة الداء بإعطاء المصاب جرعات صغيرة من دواء لو أعطي لشخص سليم لأحدث عنده أعراض المرض المعالج .

طب Medicine

لكل إنسان توأم اختفى أثناء الحمل :

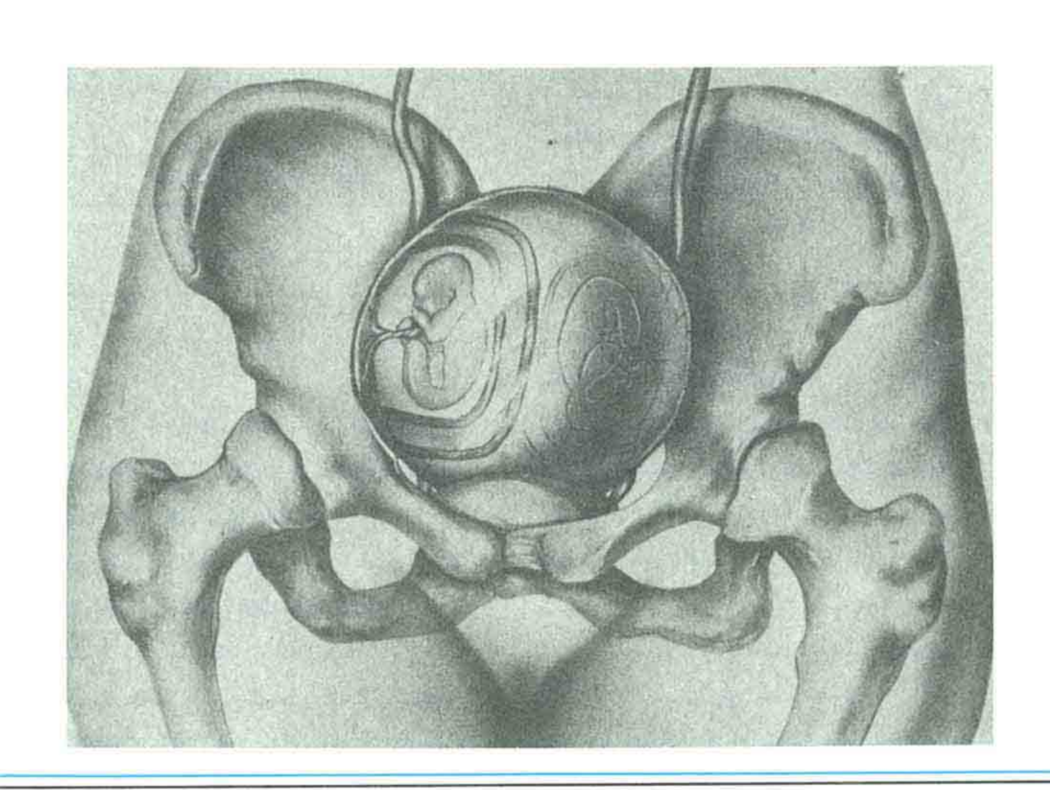
باستعمال **التصوير الصوتي** Sonograph أحدث تقنية في **عالم تصوير الأجنة** في باطن الأم التي تستخدم الموجات فوق الصوتية ultrasonic waves أمكن أخيراً للعلماء أن يكتشفوا أننا نُخلق جميعاً كتوائم أثناء الفصل الأول للحمل (حتى ١٤ أسبوعاً)، ثمّ في بداية الفصل الثاني يتوقّف أحد الجنينين عن النمو ويختفي كيس حمله دون أن يترك أثراً ما مُفسحاً المجال للتوأم الآخر لينمو ويولد في الموعد المحدّد .. هذه الظاهرة الغريبة اكتشفت أولا في مستشفيات أوروبا ثم في أميركا وأخيراً دلّت الأبحاث في بلجيكا وبريطانيا ويوغوسلافيا على نفس النتائج .

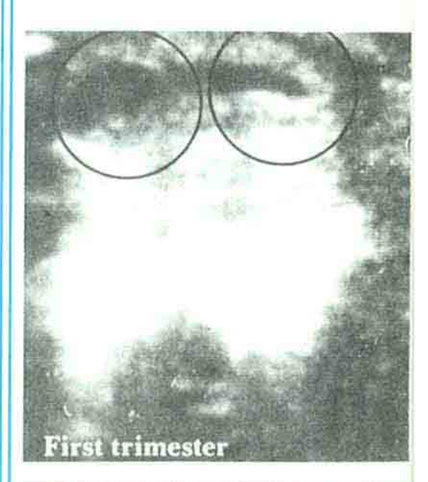
طبيبا التوليد obstetricians البروفسور في التوليد وعالم أمراض النساء (**لويس كيث** Louis Keith) و(**هيليان لاندي** Helain Landy) من مدرسة الطب في جامعة الشمال الغربي بدأا بدراسة جميع ما كتب عن هذا الموضوع ودراسة جميع تواريخ الحالات لتحديد نسب حالات التوأم المختفي ، وكدراسة أوليّة قدرا بأن نسبة (١٠ – ٢٠ ٪) من كل التوائم تختفي أثناء الحمل gestation ، في حين علماء بحّاثة آخرون كعالم الحياة Biologist (**سالفاتور ليفي** Salvatore Levi) من **جامعة براجان (بروكسل)** قدّر بأن النسبة أكبر من هذا بكثير وتصل إلى حوالي (٧١ ٪) وذلك بعد دراسات كثيرة على النساء الحوامل .. ويعتقد (لاندي) بأنه خلال سلسلة عمليات فإن أجهزة الأم قد تختار أقوى التوأمين والأكثر قدرة على التحمّل ، بينما تهمل التوأم الآخر وتتركه يتلاشى .. ولكن **أين تختفي هذه الأجنة ؟** البحّاثة يقولون إن الشرح المحتمل لهذه الظاهرة الغريبة هو أن **الجنين تمتصّه نسج الأم والعظام بعد أن يحلّله الجسم .**

ويعلّق (**كيث**) قائلاً : «نحن في الحقيقة لا نختلف عن الحيوانات في عملية الولادة إلا بكوننا لا نلد الأولاد دفعة واحدة ، ورغم ذلك هذا يحصل مع بعض الكائنات الإنسانية أكثر ممّا نعتقد» . ويضيف : «وأنا أعتقد بأن ظاهرة اختفاء التوائم ظاهرة بيولوجية ولا يوجد طريقة لمنعها» .

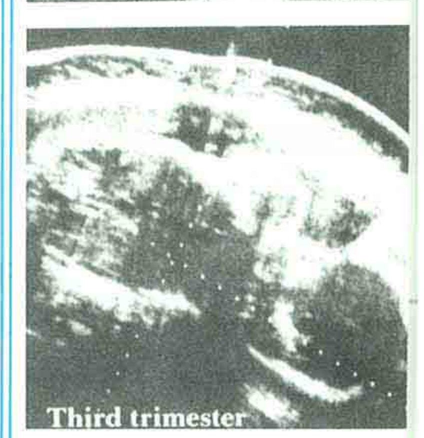
ونشاهد في الصور صور فوق صوتية لعملية اختفاء التوأم .. **ففي الصورة (العليا)** نرى في الدائرة اليسرى كيس التوأم الطبيعي وبجانبه على اليمين كيس التوأم الأصغر الذي سيختفي وذلك في الفصل الأول للحمل ، وفي **الصورة التي في (الوسط)** في الفصل الثاني للحمل نرى أن التوأم الصغير قد توقّف عن النمو (على اليسار) .. وفي الصورة (تحت) في الفصل الثالث للحمل نرى أن التوأم الصغير قد تلاشى تماماً في حين أنّ التوأم القوي استمرّ في النمو .







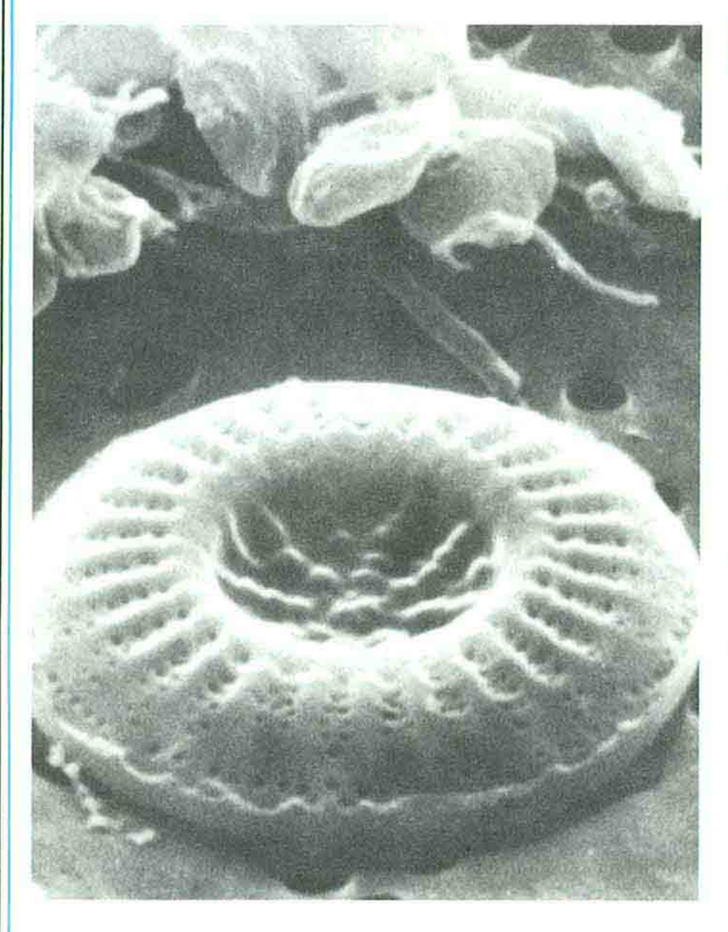




طب Medecine

لأول مرة .. التركيب الداخلي لكرية الدم الحمراء :

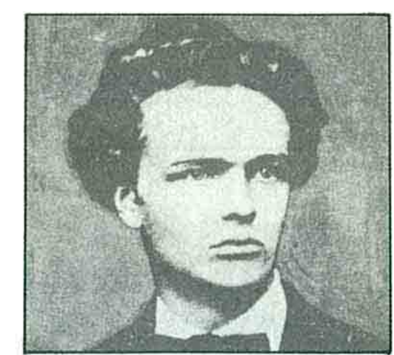
العالمة (نانسي سكينر وودهاوس Nancy Skinner Woodhouse) مديرة الميكروسكوب الإلكتروني (السكانير) في كلية الطب في **جامعة فيرجينيا** وهي تقوم بعملها النظامي المعتاد في أخذ صور مكبّرة **لخلايا الدم الحمراء** وقع نظرها فجأة على منظر غريب دهشت له . إنّها خلية دم حمراء إنسانية red blood cell وقد جرّدت من غلافها الخارجي outer Membrane وبدت بهذا الشكل التركيبي التشييدي الهندسي الرائع الذي نراه في الصورة (مكبّراً (١٠) آلاف مرة) والذي يزيدنا تعظيماً وإجلالا لمركّبها ومبدعها خالق الحب والنوى (سبحانه) . وهذه أول مرة في تاريخ الطب يُرى التركيب الداخلي لخلية دم حمراء إنسانية بهذا الوضوح .. والعلماء والأطبّاء فحصوا هذه الصورة الغريبة وأعلنوا جميعاً أنهم لا يملكون أيّة فكرة عن سرّ هذا التركيب البديع العجيب وعن المهام التي تنفذها هذه الثقوب



والأشكال وإن كانوا بصدد عمل الدراسات لتبيان وظائفها .

ومن المعلوم أن خلايا الدم الحمراء في الإنسان عددها كبير جداً وهو حوالي (٢٥) مليون مليون كريّة مهمّتها حمل **الأكسجين** من الرئتين ونقله وتوزيعه على جميع خلايا الجسم بواسطة **الهيموجلوبين** hemoglobine (خضاب الدم) ، وأن قطر الكريّة هو (٧ ـ ٨) على ألف من الميليمتر ، ونشاهد بوضوح الطرف الممزّق من غشاء هذه الخلية الحمراء (أسفل الصورة) ، وفي (أعلى الصورة) نرى **الصفائح الدموية** platelets وتعدادها من (٢٠٠ ـ ٣٠٠) ألف صفيحة في المم³ من الدم وهي على هيئة صفائح أو قشور مدوّرة مهمّتها تكوين خثارة صفائحية (تجلّط thrombosis) لسد مكان نزيف أيّ جرح في الجسم ـ لمزيد من التفاصيل يراجع موضوع (الدم شريان الحياة) ـ مجلة «**الفيصل**» ـ العدد (٥٩) ـ .

العبقرية والجنون في أدب أوجست ستراندبرغ



★ أوجست ستراندبرغ ★

إذا جاز لنا أن نعرف الجنون والعبقرية تعريفاً يقرب بينهما فيمكننا القول إن الجنون هو مجموعة من العقد الزمنية في اللاوعي، تخرج إلى سطح الشعور أحياناً على شكل أفعال غير منسجمة مع واقع الحياة العادية. ولكنها أحياناً لا تتحول إلى أفعال بل تصاغ من قبل صاحبها في رؤية تعكس بصدق حركة اللاشعور أو تسجل بإعجاز موجات الأعماق في محيط النفس الهادر. ويسمى الجنون المدروس الواعي هذا نوعاً من العبقرية.

وإذا جاز لنا أن نستشهد بواحد من هؤلاء العباقرة المجانين فليس أمامنا أجلى ولا أوضح من كاتب السويد وأديبها العملاق: **«أوجست ستراندبرغ»**، الذي هو أيضاً بحق رائد من رواد الحركة المسرحية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي.

طفولة بائسة

كانت طفولة ستراندبرغ البائسة، وغربته الشديدة عن مجتمعه.. وحتى عن والده ـ أقرب الناس إليه ـ من العوامل التي ساهمت في تشكيل شخصيته المضطربة.. تلك الشخصية التي سجلت تأثيرها الواضح على مسار الحركة المسرحية حتى يومنا هذا، واستطاعت أن تفرض وجودها في عصر حفل بعباقرة الأدب والفن والمسرح أمثال: **إبسن** النرويجي، **وزولا** الفرنسي، **ونيتشه** الألماني، **وشو** الأيرلندي.

والحديث عن طفولة ستراندبرغ لا بد أن يشار إليها بشيء من التفصيل، وذلك لما لتلك الطفولة من تأثير في شخصيته.. وبالتالي في إنتاجه الأدبي والمسرحي بشكل عام. فأبوه كان تاجراً ميسور الحال.. حلت به أزمة مالية فأعلن إفلاسه.. ووجد أمامه ابنه أوجست ينصرف إلى أمور ليست من المال ولا من التجارة في شيء فوبخه.. ثم أخذ يضربه ضرباً مبرحاً ليصرفه عما هو فيه من عبث الأطفال ـ كما كان يسمي الميول الأدبية آنذاك ـ وظلت هذه الصفة ملازمة له حتى بعد أن كبر ولده وترسخت أقدامه في ميدان المسرح.. إذ جاءته يوماً دعوة إلى حفل تكريم في **المسرح الملكي بروما**.. ولما علم والده بالأمر قال له باحتقار: **«دعك من هذا الهراء الذي تسميه المسرح»**.

وكما فقد الطفل حنان الأب فقد خسر الأم أيضاً.. ماتت وهو صغير، فتزوج والده من سيدة جافة ظالمة كانت تعمل حائكة للملابس، وقد وصفها الكاتب فيما بعد بقوله:

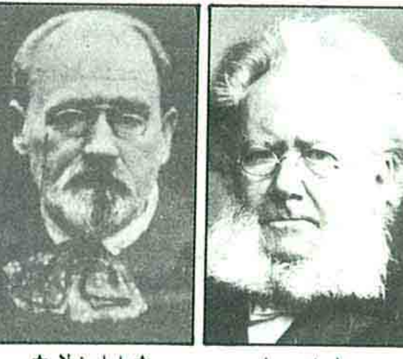
«لقد دخلت علينا هذه الدمية البروتستانتية، لكنها ركلت إلى خارج البيت روح الطفولة».

قلق.. وعدم استقرار

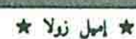
هذه كانت طفولته.. ولم يكن شبابه بأحسن حالا.. فقد عمل في عدد من الوظائف، لكنه كان يتركها إلى غيرها. إذ كان خلال تلك الفترة يعمل على تشكيل شخصيته التي لم يكن لها أن تهدأ: **فقد عمل في التدريس**.. ثم في التدريس الخاص لأبناء الأسر النبيلة، ثم استهوته **دراسة الطب** لكنه لم يكملها، ثم جرب حظه في **التمثيل** لكنه لم يوفق، فاتجه إلى **التأليف المسرحي** حيث كتب أولى مسرحياته: **«محروم من حماية القانون»** في عام ١٨٧٠م. ويكفي عنوان المسرحية وحده للدلالة على ما يعانيه الكاتب من كبت نحو مجتمعه، وما يختزن في أعماقه من شعور بالظلم نحو أبناء جيله.

والمسرحية رغم عنوانها المتشائم إلا أنها لاقت نجاحاً كبيراً لفت إليها أنظار وأسماع **الملك كارل الخامس عشر ملك السويد** آنذاك، فأكرم الكاتب، وعين له راتباً شهرياً مدى الحياة. إلا أن الراتب قد انقطع بسبب وشاية الحساد كما يقول بعض مؤرخي سيرته.. ولكن المهم في الأمر أن هذه الحادثة قد رسخت في أعماقه شعوره بالظلم، وزادت حدة حالته المرضية سوءً، حتى خطر لمن حوله أن ينقلوه إلى مستشفى للأمراض العقلية.

وحين تجاوز هذه المحنة راح يبحث عن وظيفة أخرى غير الكتابة **فعمل بالصحافة**، ثم تركها ليعمل **كاتباً في التلغراف**، **ثم مساعداً لأمين مكتبة ستوكهولم الملكية**، ثم عمل مصنفاً للمخطوطات الصينية في المكتبة إلى أن عاد إلى الكتابة. وإن دل هذا التخبط الوظيفي على شيء فإنما يشير إلى الاضطراب العميق داخل نفسه، وعدم



★ إبسن ★ ★ إميل زولا ★



بقلم: يوسف الغزو



★ نيتشه ★ ★ برنارد شو ★

الاستقرار المتدفق من لا وعيه . لكنه سخر هذا كله ليربطه بخيط رفيع في قاطرة اسمها العبقرية .

المرأة في حياته

والحديث عن جنون ستراندبرغ وعبقريته ، لا بد أن يقودنا إلى الحديث عن المرأة في حياته . ولا يتسع المقام هنا إلا للحديث عن أخطر هاتيك النسوة وأبعدهن أثراً وتأثيراً على مساره الفكري لفترة غير قصيرة من الزمن .

وكانت تلك المرأة هي **البارونة سيري فون آسن زوجة البارون « فرانجل »** . كان الكاتب في البداية صديقاً لزوجها ، ثم وقع في غرامها . . وأحس نتيجة لذلك بتأنيب الضمير . . فعزم على الهروب إلى باريس . . فركب سفينة مبحرة إلى هناك . ولكن الشوق سرعان ما هاجه إليها . . فطلب من قائد السفينة أن يعود به من حيث أتى وإلا سيفقد عقله . واستغرب قائد السفينة هذا الطلب ، لكنه اضطر إلى الموافقة بسبب إلحاح أوجست ورجائه وتوسلاته . وهبط على الشاطئ وبينه وبين العاصمة مسافة تزيد عن خمسين ميلاً . وظل على الشاطئ وحيداً شريداً . . لا يستطيع أن يعود إلى العاصمة لإحساسه بالذنب ، كما أنه لا يستطيع أن يترك أرض السويد التي فيها محبوبته . . واستمر على هذه الحال مدة سنتين أشار إليها في واحد من كتبه فقال :

« كنت كوعل بري . . أسير على نبات عش الغراب وغيره من النباتات الغضة في خيلاء . وكنت أقطع الفروع الصغيرة أو أرمي بنفسي نحو الأشجار . ماذا كنت أريد ؟ أنا نفسي لم أكن أعرف » .

وحين لم يعد قادراً على الاستمرار في هذا الوضع ، ألقى بنفسه في البحر وكاد يغرق لولا أن انتشله قارب عابر وأرسله إلى مستشفى في العاصمة . . وهناك زارته البارونة وزوجها ، وظلت تشرف على علاجه حتى تعافى . وبعد سنة واحدة طلقت البارونة من زوجها وتزوجت من الكاتب بعد أن عرفت السويد بقصة حبهما العجيب . وعملت بالتمثيل في المسرحيات التي كتبها ، وكان قد أنجز في تلك الفترة عدداً من المسرحيات التي صادفت نجاحاً منقطع النظير . .

ومن تلك المسرحيات : « الغرفة الحمراء » ، و « سر النقابة » ، و « رحلة البر السعيد » .

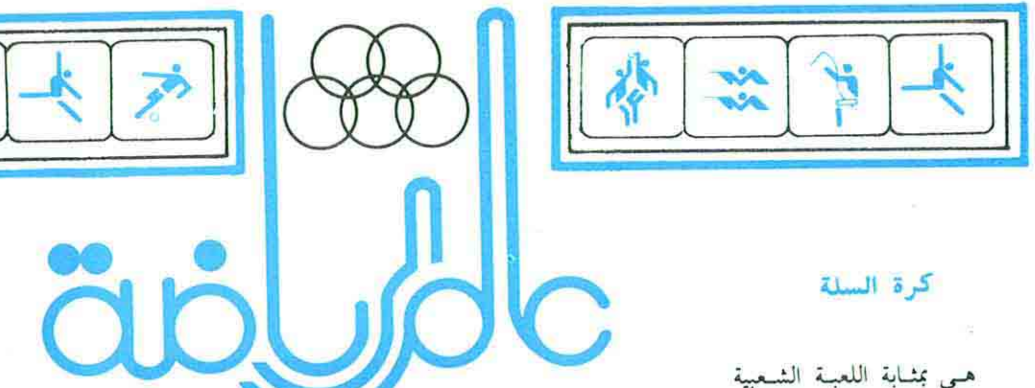
لكن الغيرة سرعان ما دبت بين الزوجين . كان يغار عليها بجنون حتى من الممثلين الذين يعملون في مسرحياته . ثم دفعه الهوس إلى اتهامها بالخيانة . وكانت تلك زوبعة هوجاء أفرزت **مسرحية « الآنسة جولي »** التي كتبها عام ١٨٩٢ م ، وأفرغ فيها كل ما تأجج به قلبه من غيرة وحقد وشك . وبعد الانتهاء من كتابتها تم الطلاق بينهما . وكتب بعد طلاقها كتاباً أسماه : **« اعترافات مجنون »** ضمنه كل ما عاناه في حب زوجته الأولى البارونة « سيري فون آسن » .

هذا طرف من سيرة هذا الكاتب الذي ربط بين العبقرية والجنون بشعره ، وطوّع اللاوعي في أعماقه إلى وعي ، وأعطى للأدب المسرحي نماذج من الفن المسرحي . . فناً ينبض بالوعي والصدق .

ومن الغريب في سيرة هذا الكاتب ، أنه كتب كل هذه الأعمال وهو يعاني ـ بشهادة أطبائه ـ عدداً من الأمراض النفسية والعقلية . . بينها مرض **انفصام الشخصية ، عقدة النقص ، مرض الكآبة والجنون ، السادية ، وجنون الاضطهاد** . لكن فكره المتيقظ ، وحدة إحساسه بالحياة حوله قد حولت تلك الأمراض الجنونية ، إلى أنماط من الأعمال قدمها في كتب ومسرحيات صاغها بشتى أساليب المدارس الفنية ، فكتب **المسرحيات الطبيعية** كمسرحيتي : الأب والآنسة جولي . **والمسرحيات التاريخية** كمسرحيتي : جوستاف فاسا ، وجوستاف أولف . **والمسرحيات الخيالية** كمسرحيتي : الحلم والطريق إلى دمشق . وقد وصف أسلوب مسرحياته في رسالة بعث بها إلى أحد أصدقائه نقتطف منها ونختتم بها هذا المقال :

« شكلها مألوف ، فكرتها بسيطة ، شخصياتها قليلة . خيالية بلا قيد يحد الخيال . لكنها تعتمد على الملاحظة ، والخبرات والدراسة الواعية . بسيطة لكن ليس في بساطتها ما يخل بعمقها . ليس هناك جهاز ضخم لتنفيذها ، وليس بها أدوار ثانوية تافهة ، وليس بها أي نوع من المسائل الميكانيكية القديمة أو المسرحيات ذات الفصول الخمسة المركبة تركيباً آلياً ، ويمتد عرضها إلى ما بعد منتصف الليل » .





كرة السلة

هي بمثابة اللعبة الشعبية الثانية في العالم بعد كرة القدم ، حيث يهتم بها شعوب العالم أجمع ويولونها اهتماماً كبيراً نظراً لما تتميز به من إثارة وحيوية ومنافسة شيقة تظل من بداية المباراة إلى نهايتها .

وهناك تساؤلات عدة قد تدور في أذهان البعض ؛ منها على سبيل المثال : كيف بدأ التفكير فيها ؟ . . . من الذي ابتكرها ؟ . . كيف بدأت أول مباراة ؟ . . . كم عدد لاعبيها قديماً وحديثاً ؟ . . متى دخلت الأولمبياد لأول مرة ؟ . . . ما مواصفات الملعب ؟ . . وأخيراً ما أهم التعديلات التي أدخلت عليها منذ بدايتها ؟ وما التعديلات والمقترحات الجديدة التي ستناقش في الدورة الأولمبية القادم عام ١٩٨٤ م ، التي ستقام بلوس انجيلوس بأمريكا حيث تقام فيها الدورة .

بداية كرة السلة

الإنسان دائماً ما يتحايل على الطبيعة ويسخرها لصالحه بحيث يتغير ويستمتع بها على أي الأحوال وفي أي الظروف . ونظراً لرداءة الطقس في الولايات المتحدة الأمريكية أغلب شهور السنة ، فقد فكرت جمعية الشبان المسيحية بأمريكا في إيجاد وسيلة تشغل فراغ الشباب فطلبت من **الدكتور « جوليك »** رئيس الجمعية في ذلك الحين أن يفكر في إيجاد وسيلة لحل هذه المشكلة ، فأحال الموضوع بدوره إلى الدكتور « جايمس نيزسميث » الأستاذ بجامعة كانزاس سيتي بلورنس . . وهكذا ظهرت لعبة كرة السلة في عام ١٨٩١ م .

أصل التسمية وأول مباراة

جرت أول مباراة لكرة السلة عام ١٨٩١ م ، حيث تم اللعب في قاعة كبيرة استعمل فيها اللاعبون الكرة المخصصة لكرة القدم وكان الهدف عبارة عن سلة فاكهة مفتوحة من أعلى ومقفلة من أسفل ، ومنها اتخذت اسم اللعبة كناية عن السلة ، ويعلو هذا الهدف عن الأرض حوالي ٣٢٠ سم ، وبما أن الهدف أو (السلة) مغلقة من أسفلها فكان على الحكم عند إصابة الهدف أن يصعد على سلم خاص لرفع الكرة من السلة . . وهي عملية شاقة كما تبدو ، لكن الحقيقة أنها لم تكن مزعجة في ذلك الوقت لأن الإصابات كانت قليلة جداً . . فقد كانت لا تتجاوز الخمس إصابات في المباراة الواحدة وهذا يرجع إلى كثرة اللاعبين في الفريقين المتبارين حيث يتألف كل واحد منهم من أربعين إلى خمسين لاعباً .

أما عن أول فريق يلعب خارج منطقته فهو فريق « يال » الأميركي وذلك عام ١٨٩٦ م ، ويأتي من بعده « بنسلفانيا » ثم فرق غربي أميريكا .

مواصفات الملعب

ملعب كرة السلة يتراوح ما بين ٢٨ متراً (طول) ، و ١٤ متراً (عرض) قابل للزيادة متران في الطول مقابل متر في العرض ، ويوجد في كل من طرفي الملعب سلة من الحبال الرفيعة مفتوحة من الأسفل ومعلقة بدائرة معدنية قطرها ٤٦ سم ، وقطر المعدن المصنوع منه الحلقة ٢ سم ، مثبتة على لوحة في حدود ١ × ١ م ومرسوم عليه مربع ٤٠ × ٤٠ سم في منتصفه تثبت الحلقة المعدنية على اللوحة على بعد ٢ سم من جدارها وبارتفاع ٣ أمتار عن الأرض .

يتكون الفريق الواحد من خمسة لاعبين يشكلون عادة كالتالي :

مهاجمان يلعبان نحو أركان الملعب . . واحد في الوسط عادة يكون أطول لاعبي الفريق لأنه يلعب بالقرب من السلة . . لاعبان متأخران عادة يكونان أقصر لاعبي الفريق وأكثرهم نشاطاً لأنهما يمسكان بالكرة معظم وقت المباراة . . وسبعة لاعبين احتياط للفريق الواحد .

تلعب المباراة على شوطين كل شوط عشرون دقيقة لعباً ، أي أن زمن المباراة ٤٠ دقيقة ولا يحسب الوقت المنقطع ووقت تغيير اللاعبين .

والهدف من اللعبة هو محاولة كل فريق إدخال الكرة في سلة الفريق الآخر لتحتسب له نقطتان .

كرة السلة والألعاب الأولمبية

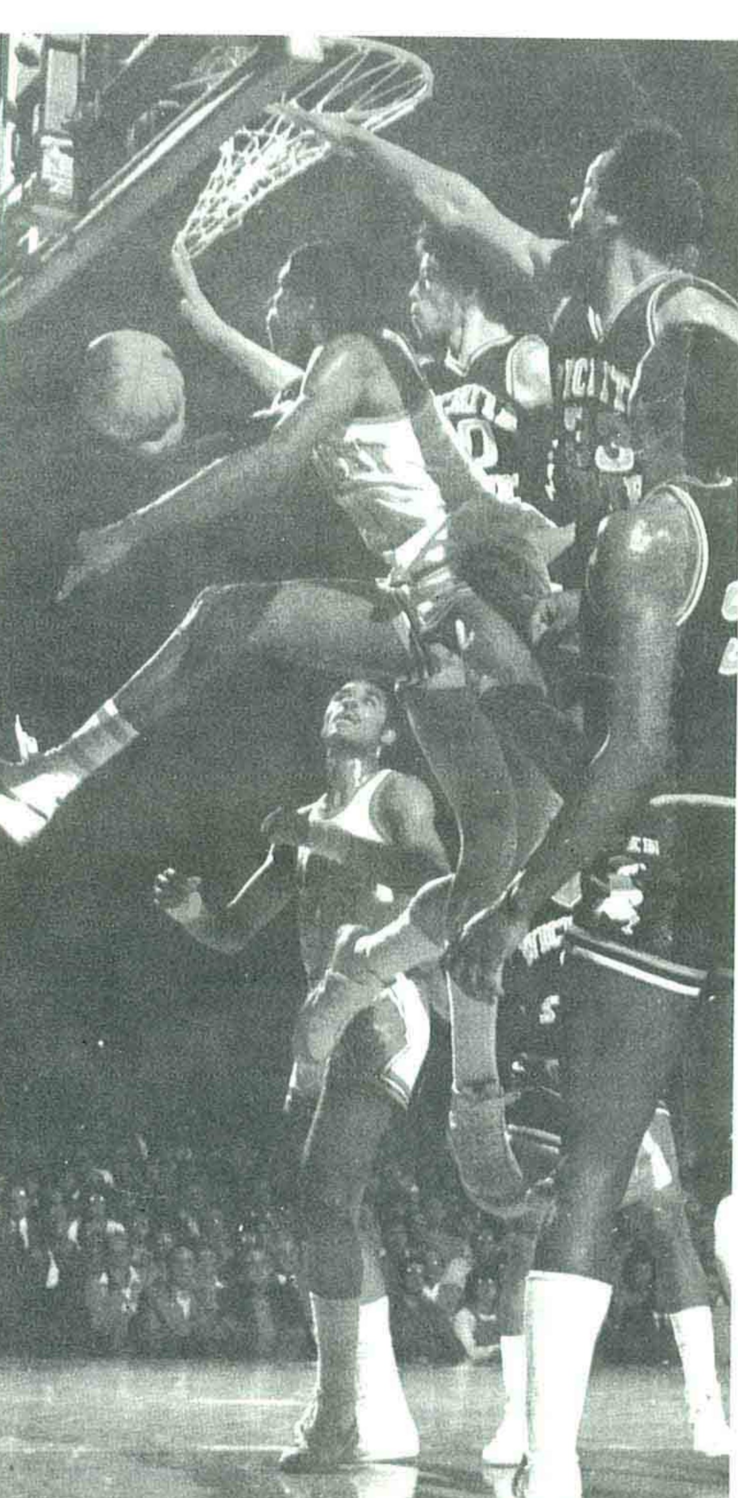
منذ اختراع هذه اللعبة

والتعديلات مستمرة في قوانينها بهدف جعلها أكثر حيوية مما زاد من سرعة الهجوم في اللعبة ولعل من أهم هذه التعديلات هي تقليل عدد اللاعبين من أربعين أو خمسين لاعباً إلى تسعة لاعبين ثم إلى سبعة ثم إلى خمسة فقط وذلك في عام ١٨٩٧ م، وبعدها بعام واحد حدد وزن الكرة وأصبحت السلة مفتوحة من أسفل، وأصبحت كرة السلة ضمن الألعاب الأولمبية في الدورات الحديثة منذ عام ١٩٠٤ م، واختفت بعد ذلك لتعود عام ١٩٣٦ م، وما تزال حتى الآن.

أهم التعديلات

كرة السلة من أكثر الألعاب التي طرأت على قوانينها مجموعة من التعديلات منذ نشأتها عام ١٨٩١ م، حتى الآن مما يجعلها دائماً أكثر حيوية وسرعة ولتصبغ بطابع حماسي ومثير في الأداء. مع العلم بأن أي تعديل في كرة السلة لا يتم إلا كل أربع سنوات، وعن طريق المؤتمر العالمي الذي يعقد مع كل دورة أولمبية ومن أهم هذه التعديلات ما يلي:

● ١٨٩٥ م ـ أصبحت السلة المسجلة تحسب بنقطتين



بدلا من ٣ نقاط أثناء اللعب وبنقطة واحدة بدلا من ٣ نقاط في الرمية الحرة الناجحة.

● ١٨٩٧ م ـ حدد عدد اللاعبين نهائياً بخمسة فقط.

● ١٩٠٤ م ـ بعد ارتكاب أربعة أخطاء شخصية من قبل اللاعب يخرج نهائياً من اللعب.

● ١٩٢١ م ـ لم تعد مخالفة المشي بالكرة خطأ شخصياً.

● ١٩٣٤ م ـ تقرر جعل حكام المباراة ثلاثة ـ أحدهم داخل الملعب والاثنان على الخط (كما في كرة القدم).

● ١٩٣٦ م ـ تقرر إدخال قاعدة العشر ثوان وإلغاء رمي الكرة ما بين اثنين من الوسط بعد كل إصابة ناجحة، وتحديد عدد الحكام باثنين داخل الملعب، ومنح (٤) أوقات مستقطعة للفريق بدلا من ثلاثة والسماح بخمسة لاعبين احتياط لكل فريق.

● ١٩٤٤ م ـ لم يعد عدد مرات تبديل اللاعبين محدداً، ويشطب اللاعب من اللعب عند ارتكابه خمسة أخطاء شخصية لا أربعة.

● ١٩٤٨ م ـ تقرر إضافة قاعدة الـ ٣ ثوان أي أن المهاجم لا يستطيع البقاء ضمن منطقة

الحرة للفريق الخصم أكثر من ذلك، كما وسعت منطقة الرمية الحرة وأصبحت مستطيلة الشكل وحدد عدد لاعبي الفريق من الاحتياطيين بـ (١٢) لاعباً وأرقامهم على الصدر والظهر من ٤ إلى ١٥.

أثناء الدقائق الأخيرة من المباراة يستطيع الفريق الاختيار بين تنفيذ الرميات الحرة أو الاستعاضة عنها بإدخال الكرة من الجانب.

● ١٩٥٢م – حدد اطلاق صفارة الحكم عند إيقاف اللعب فقط وإلغاء «الصافرة» بعد كل إصابة ناجحة.

● ١٩٥٦م – أصبح الفريق لا يستطيع الاحتفاظ بالكرة أكثر من ٣٠ ثانية دون أن يحاول التصويب على السلة كما وإن اللاعب لا يحق له الاحتفاظ بالكرة أكثر من خمس ٥ ثوان.. وتقرر توسيع منطقة الرمية الحرة وجعلها بشكل شبه منحرف بدلا من المستطيل للحد من سيطرة اللاعبين الطوال على اللعبة.

● ١٩٦٠م – تبديل قاعدة الـ (٣) دقائق الأخيرة من المباراة بـ (٥) دقائق.

● ١٩٦٤م – إدخال قاعدة الهرم أو الصندوق فوق منطقة الـ (٣) ثوان بغرض الحد من تفوق طوال القامة.. أي أن اللاعب لا يستطيع مسك الكرة إذا كانت على أعلى من مستوى السلة.

● ١٩٦٨م – إدخال قاعدة الـ (١٠) ثوان وإعادة مدة الـ (٣) دقائق الأخيرة بدلا من خمس وتوقيف ساعة التوقيت كلما أطلق الحكم صفارته.

● ١٩٧٢م – إعادة خط المنتصف إلى الملعب وتطبيق قاعدة الـ (١٠) ثوان طيلة المباراة وإلغاء قاعدة الـ (٣) دقائق الأخيرة، وتحديد عدد أفراد الفريق الواحد بـ (١٠) لاعبين من الاحتياط.

● ١٩٧٦م – عندما يرتكب الفريق ثمانية أخطاء خلال الشوط الواحد فإن كل خطأ إضافي عن ذلك يرتكب ضد لاعب مهاجم يستلزم إعطاء رميتين حرتين للفريق الخصم.

تعطى رمية حرة إضافية للاعب الذي يقوم بأداء الرميتين إذا لم تنجح إحداهما.

تعطى رمية حرة إضافية للاعب المهاجم الذي يرتكب ضده خطأ شخصي أثناء محاولته التسجيل.

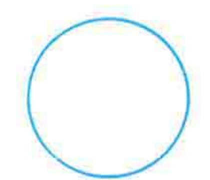
العيد الخمسيني للسلة

بمناسبة العيد الخمسيني لتأسيس الاتحاد الدولي لكرة السلة الذي يضم حالياً ١٥٨ دولة ويشمل أكثر من ٢٠٠ مليون لاعب في العالم أقيمت مباراة كبرى بين منتخب الولايات المتحدة الأمريكية ومنتخب أوروبا في شهر يونيو (حزيران) الماضي (١٩٨٢م) في جنيف بسويسرا سبقتها مباراة للسيدات بين منتخبي البرازيل وكوريا الشمالية والجنوبية.

ونظراً لاعتذار سويسرا عن إقامة هاتين المباراتين لعدم توفر الصالة المناسبة فقد اقترح **«رايموندو سابورتا» رئيس لجنة المسابقات في الاتحاد الدولي لكرة السلة ورئيس اللجنة المنظمة لكأس العالم في إسبانيا ١٩٨٢م** – أن تقام هاتان المباراتان في برشلونة أثناء إقامة مباراة كأس العالم لكرة القدم ودعوة الفرق المشتركة للحضور إلى إسبانيا قبل الموعد بأسبوع لحضور افتتاح كأس العالم في برشلونة يوم ١٣ يونيو بين الأرجنتين وبولونيا، ثم إجراء المباريات في برشلونة ويكون جميع اللاعبين ضيوفاً على إسبانيا.. وقد وافق الاتحاد الدولي على هذه الدعوة.

آخر الأخبار

سوف تشهد كرة السلة تحولا كبيراً في أسسها خلال السنوات القليلة القادمة لما يجب أن تكون عليه اللعبة عام ٢٠٠٠م، سواء من حيث تعديل نظم بطولاتها الدولية أم من حيث تعديل موادها. وقد تم اجتماع الاتحاد الدولي لكرة السلة مؤخراً في روما بحضور ممثلين عن الاتحاد الأمريكي لكرة السلة والاتحاد الكندي وسكرتير الاتحاد الإفريقي، كما حضر جانباً من الاجتماعات **رئيس اللجنة الأولمبية الدولية خوان أنطونيو ساماران**، وعدد كبير من رؤساء الاتحادات الأهلية والمدربين والحكام والصحفيين لإعداد الاقتراحات الأولية لصياغتها بشكل مبدئي، لعرضها على اللجنة التنفيذية للاتحاد الدولي لكرة السلة في أغسطس (آب) القادم ١٩٨٢م، في مدينة كالي بكولومبيا أثناء إقامة بطولة العالم التاسعة لكرة السلة، ومن ثم إقرارها في مؤتمر اللعبة في دورة لوس أنجيلوس الأولمبية عام ١٩٨٤م.



وضاع الكلام

بقلم: غالب حمزة أبو الفرج

تاه في الطريق .. عصفت به رياح الخماسين ، التي أخذت تطل على القرية البيضاء .. وهي في غرفتها المطلة على مشتل الزهور .

ترى لماذا تموت الأزهار .. لماذا لا تظل على ما هي عليه من بهاء وروعة .. طوال العام وهل هناك خيط رفيع يربط بين الزهور وقلب المرأة .

وقد يشيخ الوجه والجسد ويظل القلب نابضاً بالحركة متدفقاً للحنان . ولكن ..

لماذا هي وحدها التي تشعر بما تشعر به من جفاف ؟

جفاف في القلب لدرجة جعلتها تنكر على نفسها هذا الذي وصلت إليه ..

أو يصاب الإنسان بالقنوط عندما يرى كل شيء أمامه بلا غد ..

هي وحدها التي تعرف الأسباب التي أدت بها إلى هذا الدرب المسدود .. فلقد لعبت ورقتها الأخيرة بعد أن استنفدت كل أسباب الوصول إلى ما ترغب ..

ليتها تنسى الماضي فلا تفكر فيه .. وتعود لمعالجة ما شاب علاقتها معه .. هذا الزوج الذي بدأ صغيراً معها ثم كبر ..

قد تطغى سنوات النجاح على الإنسان فيصاب بالإعصار ..

وهي في دوامة بعد هذا الإعصار الدامي الذي استطاع أن يتسلل إلى عقلها وقلبها فأوقف وجيبه .

وفي الليل : كانت أزهار الأمس مجرد طيف يتحرك في الظلام .

هكذا رأتها حتى بعد أن كبرت .. لشد ما تغيرت تقاسيم وجهها .. لعبت تجاعيد الزمن خطوطاً بدت ظاهرة .. حتى شجرة الصفصاف التي زرعتها يوم جاءت إلى هذا البيت أصبحت تنزع إلى الهدوء حتى إذا ما لامسها هواء الليل أخذت تصرخ بألم .

ربما كانت هناك صلة كبيرة بين المرأة والشجرة .. كلتاهما تمنحان الحياة النماء والرواء .. وكلتاهما أيضاً : تمنحان الحياة الاستمرار .. والعطاء ..

يقولون : إن الشجرة عندما تشيخ يلتف حولها صغارها .. يلتمسون منها حكايا الأمس وذكرياته .. وهي لا تريد أن تفضي بدخائل قلبها لأحد .. لا لأنها تخاف على هذه الذكريات وإنما لأنها لا تخص أحداً سواها .. وسواه .. هذا الذي أحبته وضحت من أجله بأسرتها .. أمها وأبيها .. وبيتها الذي كان يربض هناك على تلة .. من تلال **دمشق** التي لم ترها منذ ذلك اليوم الذي غادرتها فيه معه .. إلى هنا ، إلى هذه القرية البيضاء .

مسكينة هي المرأة .. تولد في مدينة ، وتتزوج في مدينة أخرى ، وتنجب في مدينة ثالثة ، وقد تموت في مدينة رابعة ! .

وهي تذكر يوم زفافها هناك على أطراف **بردى في مدينة دمشق** التي أحبت حتى إذا ما انتقلت معه إلى **بيروت** .. ودعت مدينتها بالكثير من الدموع ، ودعت ذكرياتها فيها لتبدأ ذكريات جديدة .

سنوات سبع أمضتها في بيروت تحتضن الحنان بعيداً عن الواقع .. وملء قلبها خوف فراقه .. فقد كانت تخاف على وليفها من فتيات **الجامعة الأميركية** .. حتى إذا ما نال شهادته في الطب عادت إلى القرية البيضاء .. ترمق الأفق في نظرات ساهية ولكنها بعيدة عن الخوف .



لكم أحبت هذه **القرية الشفا** .. حباً قد يزيد على حب زوجها لها رغم أنها الأرض التي ولد عليها .

ولقد أراد زوجها أن يقدم علمه لسكان القرية ، فرضي بالبقاء فيها طوال سنواته التي مضت لا تقطعها سوى رحلات متتابعة لأهم مدن العالم جرياً وراء المؤتمرات الطبية .

وهي تعرف زوجها .. وتعرف رفيقة دراسته « **سهى** » اللبنانية الشقراء التي حاولت أن تستحوذ على قلب زوجها أثناء الدراسة .. ولكن .. فلقد كان من أهم أسباب خوفها في بيروت وجود هذه المرأة بجانب زوجها في الجامعة .

لقد شعرت بالخطر منذ ذلك اليوم الذي التقت عيناها بالعينين الزرقاوين في لقاء صامت .. لكنه كان قد حكى الكثير والكثير ..

وهي تعرف بأنها كانت أكثر تماسكاً منها اليوم .. عندما عرفت هدف هذه الفتاة من جريها وراء زوجها حتى جاء ذلك اليوم الذي قال لها زوجها كل شيء . فسهى من أسرة لبنانية غنية .. خدمتها في محاولة إبقاء خالد في بيروت .. ليعملا سوياً في عيادة واحدة .

لكن ، زوجها أبى هذا العرض وغادر بيروت إلى هذه القرية .. وفي نفسه إحساس بكل ما كانت تريده سهى ، ولكم أحست بالألم عندما جاءت أول ابنة لهما . فلقد أصر يومها زوجها على أن يسميها « **سهى** » .. وكانت تعرف معنى هذه التسمية ، ولكنها أجابته وفي هدوء .. **لك ما تريد يا خالد** ..

وكبرت الصبية .. وكبرت معها أمها التي رأت فيها شيئاً جديداً جعلها تنسى تلك المرأة .. حتى ذلك اليوم الذي عاد فيه زوجها إلى القرية من أحد المؤتمرات التي أقيمت في **لكسمبورج** .. فلقد قال لها بعدها : **أو تدرين من التقيت في المؤتمر ؟**

أجابته في هدوء ونعومة : **نعم !!**

ـ وتقولينها ؟

نظرت إليه ، بكلتا عينيها :

ولماذا لا أقول إنك التقيت الدكتورة سهى ؟

والتفت إليها مندهشاً :

ولكن كيف عرفت ؟

أجابت في هدوء :

● **بسيطة .. فأنا وأنت لا يهمنا في هذه الدنيا سوى سهى !!** وضحكت .

ـ تعنين ابنتنا سهى ؟

● قالت : نعم ، ولا .. وضحكت ثم قالت متسائلة :

ـ وكيف أمضيت أيام المؤتمر ؟

ولم يجب دفعة واحدة ، وإنما قال : **ككل المؤتمرات ..** فصمتت .

ترى لماذا تحوم هذه المرأة حول بيتها وزوجها .. أم أن يد الأقدار تريد أن تنسج شيئاً لا تدريه .. وضاع الكلام .. تاه في الطريق .

بدأت تعصف به رياح الخماسين ، فشبح المرأة يخيف المرأة دائماً .. حتى ذلك اليوم الذي جاء فيه زوجها إلى البيت قائلاً : **أو تدرين ؟**

ـ وأجابت في بلاهة : لا ..

● **لقد عينت سهى كطبيبة في مستشفى الملك بالطائف ..**

ـ وكيف عرفت ؟

● تلفتت لي وقالت إن حرب لبنان جعلتها تفقد ثروتها .. ولم يبق لها إلا أن تعمل .. فقد التحقت قبل عام بمستشفى من مستشفيات **الرياض** ثم أخيراً جرى نقلها إلى مستشفى الطائف .

ـ وما معنى هذا

● لا شيء ..

ـ لا شيء .. وإنما أشياء يا زوجي الحبيب . فسهى على بضعة أقدام من قريتنا وتقول لا شيء .

نظر إليها في حب وقال :

ـ لو كنت أريدها لفعلت ذلك في بيروت .

● **أتقول الحق ؟**

ـ نعم أقوله ومن كل قلبي .

ولفها الصمت بردائه بعد أن ضاع الكلام مرة أخرى هذه المرة .. ولكثير من الوقت جعلها تفكر وتقدر .. بلا جدوى . أما هو فقد أخذ يطيل النظر إلى وجه امرأته وشبه ابتسامة تظلل وجهه وعينيه .

ومضت يده تتسلل تمسك بيد زوجته وتربت عليها في حنان وحب .



الجسر

بقلم:
حسين عيد

(١)

تباطأ **كامل** خلال عبوره مقهى القرية الوحيد . جلس مرهقاً . ركن حقيبته الضخمة بجواره . . كان الحاضرون قلة . يتحركون بعصبية . لا يتحدثون . يتناولون مشروباتهم على عجل . ينطلقون مهرولين . .

ترامت أمامه بيوت القرية . تزاحمت . بدت مهجورة على ضوء أشعة الشمس الغاربة . .

« يجب أن أغادر قبل أن يهبط الليل على القرية ! »، حدّث **كامل** نفسه . .

تقدّم منه عجوز مغضن الوجه . وضع أمامه كوب شاي أسود اللون وكوب ماء . انصرف دون أن ينطق .

رشف من كوب الشاي الساخن رشفة سريعة . رنا بناظريه إلى مخرج القرية المتسع ، المترب . . كان الجسر ــ رابضاً ــ بظلاله الممتدة على البعد ، شامخاً ، متجبراً . .

تناول رشفة أخرى . نظر حوله . . اكتشف المقهى خالياً من الرواد . .

« يجب أن أغادر أنا أيضا . . ما أسرع مرور الوقت ! » .

رمى قطعة نقود فضية على الصينية . آنسه رنينها الخافت . حمل حقيبته ثانية . اندفع ناحية مخرج القرية الوحيد . . في اتجاه **الجسر** . .

(٢)

يجتاز **كامل** مدخل الجسر . يشعر بلسعة برد . تيار دافق من ريح قارص . يحكم أزرار معطفه القديم حوله . يمشي وحيداً في الظلام . . معظم مصابيح الجسر معطوب . تتلاطمه أنوار كشافات السيارات القادمة من ورائه . تضيء الطريق للحظات خاطفة . .

« يجب أن أمضي للأمام . . أن استمر في الترحال . . وهل أستطيع غير ذلك ؟! » .

يتذكر ما حكاه الأب ذات مرّة : **« سمعنا أن رجلاً رفض أن يسافر . . اختار القرية كي يمكث فيها وحده . . أعتقد أنها أجمل مكان في العالم . . لأنه لم يشاهد أي مكان آخر . . فتاه بين سراديبها وأزقتها الخفية . . لم يعثر له أحد على أثر !! »** .

يحسّ ثقل الحقيبة في يده . يبدلها في الأخرى . يتحرك حثيثاً . يكاد يتعثر في حفرة بأرضية الجسر . يتحامل . يتشبث بحاجز الجسر . تسقط عيناه على المياه المتلمعة ، التي تنساب برفق . . تطارده أشباح خفية . يجري . يهرب . يجد نفسه محاصراً في غرفة مغلقة . . المياه تتسرب من شقوق بالجدران . ترتفع بالحجرة . يلهث . يتصبب عرقاً . يبحث عن مخرج . . يترامى أمامه جسم الجسر طويلاً ، متحدياً . .

يرنو إلى السماء . تزحف طبقات السحب . تتراكم . تتداخل . تتكتّل . تشكل حاجزاً رهيباً ، لا يتسرب منه بصيص من نور نجم واحد . .

يسرع في خطوه . يدبّ على الجسر متعجلاً . .

(٣)

يقترب الجسر من نهايته . سيغادره في أية لحظة . . إلى الطرقات الممهدة . .

يتريث مفكراً : هنا مفترق الطرق . . ثمة طرقات شتى . . بعضها مضاء واضح . . وأخرى مختبئة بين الظلمات . .

يحملق أمامه . تجيش أعماقه بيقين غامض . . **« إن سبيل السفر ما زال طويلاً . . لكن يجب أن أختار طريقي ! »** .

يتنفس بانتظام . يتطلع إلى الأفق الغارق في الظلمات . . **« يجب أن أختار طريقاً !! »** .



تأليف :
جوهان بيتر هيبل
ترجمة :
ملاك ميخائيل

كان (بوتمان) رجلاً ألمانياً فقيراً، ضاقت به سبل العيش، وسدت في وجهه أبواب الرزق، فلم يجد بداً من مغادرة وطنه (ألمانيا) بحثاً عن مستوى معيشي أفضل. وقد شد رحاله قاصداً مدينة (أمستردام) بهولندا، وهي مدينة كبيرة ذات شهرة تجارية عالمية...

وعندما نزل (بوتمان) إلى رصيف ميناء (أمستردام) المعروف باسم (هيت آي)، رأى السفن الكبيرة الراسية بجوار بعضها البعض، واستلفتت أنظاره سفينة ضخمة؛ كان عمال الشحن يفرغونها من الصناديق والغرائر المليئة بالبضائع المتنوعة. وبعد أن راقب تفريغ السفينة لوقت طويل، تقدم إلى أحد الحمالين يسأله عن اسم صاحب هذه السفينة. نظر إليه الحمال مندهشاً وهز رأسه قائلاً:

- كانيفرستان... كانيفرستان...

عندئذ تحرك (بوتمان) مغادراً رصيف الميناء المزدحم وهو يتمتم قائلاً لنفسه:

- لا بد أن الهر (كانيفرستان) هذا: رجل موفور الثراء...

وسار (بوتمان) في طريقه حتى دخل مدينة (أمستردام)، وشق زحام شوارعها، لكنه توقف فجأة عندما وقع بصره على قصر من أكبر وأجمل القصور التي رآها في حياته. وراح يحملق مشدوهاً في ذلك البناء الفاخر، ذي المداخن الأربع البارزة من سقفه، والشرفات الواسعة، والنوافذ التي يزيد ارتفاعها على ارتفاع بيته الصغير الذي كان يقطنه في ألمانيا، والحدائق الغنّاء ذات الأشجار الباسقة المثمرة، والأزهار الجميلة العطرة. ولم يستطع أن يخفي فضوله أو يتمالك نفسه، فسأل أحد المارة:

- هل يمكن أن تخبرني عن اسم صاحب هذا القصر المنيف؟!!



ويبدو أن الرجل - كما بدا من مشيته السريعة - كان متعجلاً، إذ قال وهو يهز كتفيه ورأسه، ويكاد أن يعدو عدواً:

- كانيفرستان... كانيفرستان...

عندئذ قال (بوتمان) لنفسه:

- لقد فهمت كل شيء الآن. فما دام للهر (كانيفرستان) تلك السفن الضخمة التي تحمل إليه الكنوز المتنوعة من كل انحاء العالم، فلا بد أن يكون له مثل هذا القصر الرائع الذي يعيش فيه...

ومضى (بوتمان) في طريقه وهو يفكر في حالته التعسة بين كل هؤلاء الأثرياء السعداء.

وواصل سيره سارحاً مع أحلامه، وهامساً لنفسه:

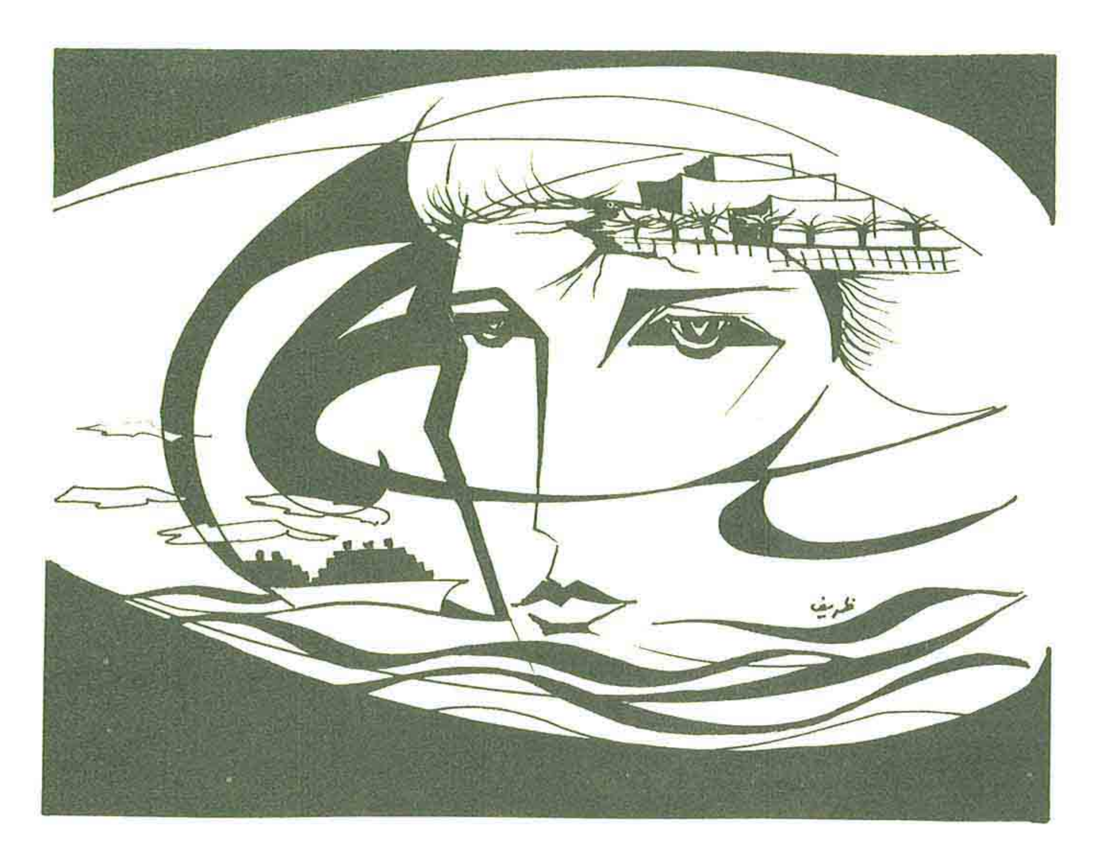
«لشد ما أتمنى أن يساعدني الله، فألتحق بعمل عند الهر (كانيفرستان) صاحب السفن الضخمة والقصور الكبيرة»...

ولم يكد ينتهي من أمنيته هذه، حتى شاهد موكباً جنائزياً مهيباً، تتقدمه عربة نقل الموتى السوداء اللون، تجرها أربعة أزواج من الخيول المطهمة؛ المغطاة بالمطارف المخملية، وهي تسير في وقار ومهابة، كأنها تعلم أنها تحمل رجلاً عظيماً إلى مثواه الأخير. وخلف العربة، سار جمع كبير من أهل وأصدقاء ومعارف الميت، وقد ارتدوا ملابس الحداد السوداء، ومشوا في حزن صامت...

ولم يسع (بوتمان) إلا أن يحس بهذا الشعور المقبض، الذي يحس به في مثل هذا الموقف كل رجل وحيد غريب. وبعد أن وقف باحترام، ممسكاً قبعته القديمة في يده، تقدم إلى آخر السائرين في نهاية الموكب الحزين، وأمسك بطرف سترته قائلاً:

- آسف يا سيدي.. لا بد أن المتوفي كان صديقاً

ـانيفرستان..



حمياً لك ... فهل يمكن أن أعرف من هو صاحب هذا الجناز المهيب ؟!! .

أجابه الرجل وهو يشد نفسه ، ويكاد أن يجري ليلحق بالموكب الذي كان ينعطف إلى شارع آخر ، موشكاً على الاختفاء عن الأنظار :

ـ كانيفرستان ... كانيفرستان ...

وفي لحظة واحدة امتلأ قلب **(بوتمان)** بالحزن على المتوفي ، وأيضاً بالعزاء لنفسه ، وانحدرت دموعه الساخنة وهو يهمس في أسى :

ـ يا لك من مسكين حقاً ، يا هر (كانيفرستان) .. فما الفائدة لك الآن من كل سفنك وقصورك وكنوزك الكثيرة ؟! إنك الآن لا تحمل من كل ما تمتلك أكثر مما سأحمله أنا الآخر عند موتي ... لا أكثر من كفن من الحرير أو القطن ...

وتنبه (بوتمان) إلى أن الظلام قد بدأ يسدل أستاره السوداء على الأفق ، وأنه لم يكن قد حدد بعد أين سيقضي ليلته هذه ؟! فأخذ طريقه باحثاً عن فندق صغير يناسب ظروفه المالية السيئة . ولما وجد ما يشبه الفندق ، دخل من الباب الزجاجي الداكن اللون ، وقصد ذلك الرجل العجوز متسائلاً :

ـ هل أجد عندكم غرفة صغيرة ، أقضي فيها الليل يا سيدي ؟! .

اتسعت عينا الرجل العجوز دهشة ، وهز رأسه قائلاً :

ـ كانيفرستان .. كانيفرستان ...

عندئذ ثار (**بوتمان**) وأخذ يصرخ مستنكراً :

ـ أسألك عن غرفة أبيت فيها ، فتقول لي (كانيفرستان) ، لقد شاهدت جنازته منذ قليل .. فماله ولنا الآن ؟! .

وأحس بيد قوية تربت على ظهره ، والتفت فرأى رجلاً بديناً يبتسم وهو يمسك به من كتفيه قائلاً :

ـ هدئ من روعك يا عزيزي .. فهذا الرجل الهولندي لا يعرف من لغتنا الألمانية حرفاً واحداً ...

ـ ولماذا يذكر لي (كانيفرستان) إذن ؟!

ضحك الألماني البدين ، وقال موضحاً :

ـ (كانيفرستان) ؟! إنه مجرد تعبير هولندي معناه (لا أعرف) ...

وكاد (**بوتمان**) أن يتجمد ، وهو يستعيد في ذهنه أحداث يومه كلها .

مفترق طريق

بقلم: محمود حنفي



حينما لاحت له الفكرة كخاطر عارض، لجأ إليها أسلوباً للتعبير عن ضجره وتهديداً للمرأة التي لا ترضى بالكف عن الشجار. فيما بعد، ومع إصرار زوجته في التمادي في تصعيد النقاش، واصطدام كافة محاولاته لإنهاء الخلاف بعنادها ورعونتها، تضخمت الفكرة وتبدت كطوق نجاة.. لقد أعلن أمامها ويأساً أخيراً، عزمه على ترك البيت.

طفح الكيل، ومثل بالون نفخ فيه إلى أقصى ما يحتمل جلده اللدن.. كانت نفسه مهددة بالانفجار. كثيراً ما تأمل أحداث ثلاثين عاماً هي كل عمره، فلا تكشف له إلا عن فشل متتابع حصاده الهزيمة الكاملة. ولم تشغله استهانتها بقراره، قدر انشغاله بتفاصيل صغيرة من تلك التي تسبق رحيل إنسان من مكان إلى مكان..

لقد جرى في الشقة طولا وعرضاً، بحثاً عن قميص نظيف و«بيجامة»، و«شبشب» وبعض الملابس الداخلية وأدوات الحلاقة. وحين عثر على كل تلك الأغراض، جمعها في حقيبة يدوية متوسطة الحجم، وبدأ يصلح من هندامه تأهباً للخروج.. عند ذلك فقط، وقفت في طريقه، ممتقعة الوجه، مرتخية قسماتها ببهتان أطفأ بريق عينيها فتبدتا كبحيرتين راكدتين. سألته بصوت مختلج:

– إلى أين؟

★ إلى حيث ألقت!!

– اتصل ببابا أولا..

★ لن أتصل بأحد ..

- إذن سوف أتصل به أنا ..

★ افعلي ما تشائين ، عندما يصل لن يجد أحداً غيرك يتحدث إليه ..

لحظة أن تجيش مشاعره ، تعود أن يلتقي بذلك اللطيف الشفاف الأثير الذي ودعه زمن ما بعد البلوغ وإدراك الشباب . تهب عليه نفحة من صدق الطفولة والصبا تسلمه إلى أحلام تتبدى لي الآن عسيرة التحقق . كم قدم من تنازلات حتى باتت حياته على هذا الخزي والتخاذل .. ؟ بثمن بخس باع روحه لشيطان ناعم خبيث هلامي التكوين ، النجاح : وظيفة مرموقة مع ضمان الترقي والصعود ، وصاحب مركز اجتماعي كبير يتكئ عليه حسبما تقضي شروط توزيع النعم المعتمدة ، أما خاتمة المطاف .. تتويج الجهد المبارك .. حدود الأمن الدائمة المستقرة .. فهي زوجة غبية عكرة المزاج ، تحيل مشاكل عالمها الضحل إلى نفوذ أبيها الكبير ، وأمواله ، والتزامه بقهر كل ما يصادفها من صعوبات . لقد ألق بنظرة شاملة إلى أثاث بيته الفخم ، فنفذت إلى روحه برودة قاسية ، قال : فشل مشروع السعادة ، فلم يتحقق منه غير عكسه من منغصات الشقاء . وحينما جذبته من ذراعه لم يكن ينظر في وجهها .. كان منشغلاً بمسألة يبحث لها عن حل ، قال لها عند باب الخروج :

- سأستخدم السيارة ، على أن أعيدها لك غداً أو بعد غد ..

وتشبثت به كحيوان جريح ، وقالت يتصارع في أعماقها الأمل في أن تمنعه مع يأس غير محدود :

- إذن فأنت تهجرني لأني لم أنجب لك أطفالا ...

تعلقت نظراته بوجهها المكفهر لحظة ، وشاهد من خلال الغيوم التي تفصله عنها ، قطرات دمع تتساقط من مقلتيها المختنقتين بالحنق .. أدرك لوهلة خاطفة ، وفيما يشبه الحس الأسطوري ، كم غابت عنه تلك الحقيقة المخيفة : فلقد ضمهما حقاً بيت ذو جدران باردة ، خاو من الأطفال ..

يا له من غروب يهبط كالقدر .. تبسط العتمة جناحيها على الطريق أمامه قبل أن تضاء المصابيح الصفراء بنورها الكابي ، ويهجم الليل متوغلاً بما يحمل في طياته من صمت مفعم بالرهبة والغموض . شملته رعشة مرجفة وهو ينطلق بالسيارة محاذياً شاطئ البحر ، وإلى يمينه أفق أضاءته حمرة قانية . توقف ليبتاع لفافات من أحد (الأكشاك) قرب « **المنشية** » ، ثم انحنى بالسيارة تجاه غرب المدينة ..

لقد قرر ألا يذهب إلى أحد يعرفه ، على الأقل **بالإسكندرية** ، واستقرت في داخله رغبة ملحة في ترك المدينة برمتها ، فاستجاب لفكرة برقت في رأسه ، فاستقر عزمه على الرحيل إلى **القاهرة** عبر **الطريق الصحراوي** ..

وهناك يفكر على راحته .. لقد سرت في أعماقه موسيقى حانية أخاذة ، إيقاعها صورة الطريق الآخذ في الانفراج أمام ناظريه من خلال نافذة السيارة الأمامية .. وغبش الليل الهابط على الصحراء المنبسطة بلا حدود ، وصوت عجلات السيارة المتناغم في أذنه متداخلاً في غطيط محركاتها . ذابت رعشته في تيار النشوة البهيجة الذي طوقه بعذوبة حانية واستحالت إلى نبض دافئ رقيق ..

قبل ذلك ، وعقب مغادرته البيت ، استسلم حيناً لقلق مبعثه التفكير في حياته التي قرر التمرد عليها بضربة خاطفة .. عمله ، وأصدقاؤه ، والأب المتغطرس الذي لن يقبل هجره لابنته بسماحة وفهم ، وأمه المتقدمة في السن المرتكنة إلى ما يقدمه لها من مساعدة وبر . ولقد تساءل تحت ضغط لحظة الاضطراب والهموم عن احتمالات عودته ، فتمثلت لخياله لحظات من العذاب وانتهاك الآدمية قذفت به إلى جحيم من الكآبة ..

- يعود ؟! .. يا لقبح انخلاع قلوب العاجزين .

اندفع في الطريق الضيق الملتوي كثعبان زاحف يلتمس جحراً دافئاً وسط ظلمة آخذة في الرسوخ . وراحت السيارات المقبلة في اتجاهه تبرق على البعد بأضواء كشافاتها الخاطفة ، كأنها ترسل إليه تحيات وتشجيع . ومرقت إلى جواره سيارة تجاوزته بسرعة مجنونة ، اغتاظ لحظة ، ثم ابتسم . قال إن السرعة والاندفاع دواء للقلقين المعذبين ، وفي هذا الفضاء الرحيب تصبح مطهراً وغسيلاً للروح . ضغط بقدمه على « دواسة » الوقود فارتجت به السيارة وتخلخلت سرعتها ، ثم انطلقت كما قذيفة مفاجئة تخترق سكوناً طاغياً . تمنى



لــو بقي الــطريق لا نهـــائياً ، لا ينتهي فلا يتوقف . . وتـلاشى وسط خضم مشاعره ، واستسلم لنشوة تشبه وجد الصوفيين . .

يا له من عالم انحط قدره ، حتى بات الإنسان فيه مترعاً بكل شيء إلا ما يقربه من جوهره الأصلي : كونه إنساناً . خلق الله الإنسان لكي يتأمل ويكتشف ويحب ، فإذا بالوسائل التي كان مفــروضاً أن تعينـه على تلك الغايات الباهرة ، من مـأكل وملبس وسكن ، تستعبده . . تمتص رحيق نفسه المتشوقة إلى السمو ، فلا يبق لها سوى الجفاف ، واللهاث اليومي يغذيه الخوف المتسلط من انقطاع الزاد . في صباه وأولى سنوات الشباب ، يا طالما استغرق شغوفاً في قصص البطولة الفاضلة ، واستهوته مالكة زمام أفكاره آراء قاطعة لتغيير العالم . . ذات يوم وما تلته من أيام ، وفي غفلة ساذجة ، تخلى عن أحلامه الباهرة ، وغاياته العظمى ، ضيعها في أحضان الزوجة المضمخة بالعطر المصنوع ، وانجذاباً نحو إغراء وعود الأب ذي المركز الكبير ، واستهلاكاً في الامتيازات التي أغدقت عليه . .

كانت السيارة تنهب به الأرض ، تخلى عن قيادتها فصارت هي التي تقوده . وكأنه قد هجر الأرض ومن عليها ، انسل من رداء جسده ، ومن مقعد السيارة ، ومن فوق الأرض التي تجري عليها وطار محلقاً . وسطعت أمام عينيه دفعة من الضوء أحس أنها تحرق وجهه وتعميه . كان قد أخذ يقاوم شعوراً بالتضاؤل ، انقبض له قلبه فور تردد عبارة حميه التي أنهى بها لقاءه الأول به :

ـ « أنت شاب ذكي مجتهد ، وبمساعدتي سيكون لك مستقبل باهر بإذن الله » .

ولثوان معدودة ، سطعت مرة ثانية دفعة الضوء المحرقة ، ثم مرة ثالثة ، ثم كم . . لم يعد قادراً على الحساب . غمره ضوء كدفعة من أشعة شمس ضحى صيفي ، ففقد بصره تماماً . فقط ، وعبر لحظة زمنية قصيرة ، ارتج سمعه بتأثير فرقعة حادة عالية . . ثم خرج مرة أخرى ، ونهائياً من الرجفة الحادة ، القاسية ، المحدودة . . تقلب داخل دوار متصاعد جياش ، واختلطت في بصيرته لمعات ضوء متذبذبة وسط ظلام أخذ في التسلط . شهق بلا مقاومة ، ثم سكن . .

كان قد أحس ، عبر صحوة حارة كالبرق ، بوخزة آلمته عند جانب صدره الأيسر . غير أن آلامه الآن أخذت في التلاشي ، ممتزجة ، في خدر أعم ، راح ينتشر في بدنه الذي شيئاً فشيئاً كان يفقد اتصاله به . وتضاربت في خياله المهوش رؤى مختلطة ذات طابع خرافي . . لقد امتلأ أسفاً حينما استقر في يقينه قرار حاسم بإرغامه على العودة قبل أن تكتمل رحلة الخلاص ، وفي نفس الوقت أطل عليه وجه حالم حزين لصبي فقير مال عليه ثم غاب في تلافيف الرؤيا والذكرى . أراد أن يسترجعه ، ولكن محاولته اصطدمت بلا مبالاة غير محدودة . فيما عدا ذلك ، إنما ارتطمت بوعيه المجهد ، مشاهد شائهة لبيته وعمله وحميه الكبير . . . ثم زوجته يرتسم عليه الهلع والتساؤل . . غير أنه لم يكن وجهاً موحياً ، لم يوح إليه لا بالرغبة أو الأسف .

عندئذ ، إنما كانت أصابعه تتلمس الرمال في جهد أسطوري ، تبحث عن شيء لا تعرفه . وعلى صفحة وجهه المتقلصة بالألم ، ارتعشت شفتاه ، ثم انقبضتا ، وهبط في داخله ظلام كثيف .



أبو الفتح عثمان بن جنّي وكتابه "الخصائص" أو "خصائص العربية"

تأليف:
أبو الفتح عثمان بن جني
تقديم:
فيكتور بصال

المؤلف:

هو **أبو الفتح عثمان بن جنّي، الأزدي ولاء، الرومي أصلاً**، وُلد في **الموصل** حوالي عام ٣٠٢ هـ، وتوفي في **بغداد** عام ٣٩٢هـ، فهو من رجالات القرن الرابع الهجري.

نشأ في الموصل، وتلقّى مبادئ علومه فيها، ثم كانت له رحلة في طلب العلم وتلقّي الروايات عن العلماء في بغداد والشام وغيرهما من البلدان، كما روى كثيراً عن الأعراب الذين لم تفسد لغتهم، شأن سابقيه من أئمة اللغة.

كان رجل جد، وامرأ صدق في قوله وفعله، عفّ اللسان والقلم. صحب أستاذه **أبا علي الفارسي الحسن بن أحمد بن عبد الغفّار** (المتوفى سنة ٣٧٧هـ) مدة أربعين سنة، ولازمه في السفر والحضر، وقد أحسن أستاذه تخريجه، ونهج له سبل البحث والتقصّي، والتوسع في التفكير.

وابن جنّي كثير الاعتزاز بأستاذه، كثير الرواية عنه، وقد أثنى عليه في كتابه «الخصائص» موضوع مقالنا.

منزلته وعلمه

بلغ ابن جنّي في كافة علوم العربية منزلة لم يبلغها إلا الأقلّون، فهو إمام في **اللغة والنحو والأدب**، ويبدو علمه وفضله في مؤلفاته، وهو يُعَدّ بحق فقيه اللغة العربية. اشتهر ببلاغة العبارة حتى في المسائل العلمية الجافة. فتح أصولا في العربية وفقهاً، فكان رائداً وإماماً فيها، ولو أتيح له أتباع وتلامذة لكوّنت هذه الأصول مذهباً علمياً متميزاً، إلا أنه لم يرزق بمثل هؤلاء الأتباع. وهو واسع الرواية والدراية، يرجع إليه في أكثر موضوعات اللغة، «وكان الشعر أقل خلاله، لعظم قدره وارتفاع حاله»[1] ويجول في كافة فنون المعرفة.

عصره واتجاهاته

عاش ابن جنّي في القرن الرابع الهجري، وهو عصر ضعف الدولة العباسية، واستبداد ولاة الأقاليم بمعظمها، إلا أنه عصر تدوين العلوم والوصول بالحركة الثقافية إلى ذروتها.

كان ينظر في كتب الفقه وأصوله كثيراً، وقد احتذى في فقه العربية ومباحث النحو منهج أصول الفقه، وكان يعتني بشكل خاص بكتب **الإمام محمد بن الحسن**، وهو من أصحاب الإمام أبي حنيفة.

وهو يصبو إلى ما يراه الحق، ويحكّم العقل في الوصول إلى علل الأشياء، ويجمع في ذلك أغلب التيارات الفكرية التي كانت سائدة في عصره.

والمذاهب النحوية في عصره ثلاثة، هي: (المذهب البصري ـ المذهب الكوفي ـ المذهب البغدادي) وقد حدث من التحيّز بين المذهبين السابقين)، وكان ابن جنّي على المذهب البصري، إلا أنه كان يأخذ العلم عن أهله أياً كان مذهبه.

وقد صنّف ابن جنّي أكثر من خمسين كتاباً

أبو الفتح عثمان بن جني وكتابه "الخصائص"

من الكتب اللغوية القيمة، وقد حقق بعضها وطبع بعضها، ومنها ما يزال مخطوطاً، ومنها المفقود، وقد ذكرت في كتبه أو كتب غيره من المؤلفين القدامى.

كتاب «الخصائص»

تفيد كلمة «فقه» في اللغة العربية، انبثاق الحقيقة من نفس الإنسان وإدراكه لها. أما **«فقه اللغة»**: فهو معرفة حقيقة اللغة، وتأصيل أصولها، ودراسة أصواتها وتطورها.

ومن تتبع التآليف في فقه اللغة في تراثنا، نجد ما يلي:

(١) **الأصمعي** «أبو سعيد عبد الملك بن قُريب» (المتوفى سنة ٢١٥ هـ)، في كتابه: «فقه اللغة وسر العربية».

(٢) **ابن جنّي** «أبو الفتح عثمان» (المتوفى سنة ٣٩٢ هـ)، في كتابه: «الخصائص».

(٣) **أحمد بن فارس** «أبو الحسين القزويني» (المتوفى سنة ٣٩٥ هـ)، في كتابه: «الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها».

(٤) **ابن سيده** «أبو الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي» (المتوفى سنة ٤٥٨ هـ)، في كتابه: «المخصص».

(٥) **جلال الدين السيوطي** (المتوفى سنة ٩١١ هـ)، في كتابه: «المزهر في علوم العربية وأنواعها».

هذا عرض بياني لأهم التآليف في موضوع فقه اللغة في تراثنا القديم. ويعتبر كتاب «الخصائص» أول من سجّل هذا العلم، وأول من ناقش أبحاثاً خطيرة في فقه اللغة.

ويطلعنا ابن جنّي أنه بقي مدة طويلة يفكر في هذا العلم، حتى تم له تسجيله.

وهو يذكر أن علماء اللغة قبله، قد تحاشوا التطرق لهذا العلم، ويبيّن أسباب ذلك.

وابن جنّي خطا في مؤلفه هذا من الفروع إلى الأصول، ومن فرض القواعد إلى وصف الحقائق، ومن عمل النحاة في أفقهم المحدود إلى عمل اللغويين في أفقهم الرحب الطليق.

ونستعرض الآن بعض الأصول التي استنبطها ابن جنّي في كتابه «الخصائص»:

(١) الاشتقاق الكبير ومنهاجه: يقول ابن جنّي في كتابه «الخصائص» في «باب القول على الفصل بين الكلام والقول» ما يلي:

«ولنقدم أمام القول على فرق بينهما، طرفاً من ذكر أحوال تصريفهما واشتقاقهما، مع تقليب حروفهما، فإن هذا موضع يتجاوز قدر الاشتقاق، ويعلوه إلى ما فوقه. وستراه فتجده طريقاً غريباً، ومسلكاً من هذه اللغة الشريفة عجيباً.

فأقول: إن معنى (ق و ل)، أين وجدت وكيف وقعت من تقدم بعض حروفها على بعض، وتأخره عنها، إنما هو للخفوف والحركة.

وجهات تراكيبها الست مستعملة كلها، لم يهمل منها شيء، وهي:

★ **الأصل الأول**: (ق و ل)، وهو القول، وذلك أن الفم واللسان يخفّان له، وهو بضدّ السكوت الذي هو داعية للسكون.

★ **الأصل الثاني**: (ق ل و)، منه القِلْو: حمار الوحش، وذلك لخفته وإسراعه.

★ **الأصل الثالث**: (و ق ل)، منه الوقل للوعل، وذلك لحركته.

توقّل في الجبل: إذا صعِد فيه، وذلك لا يكون إلا مع الحركة والاعتمال.

★ **الأصل الرابع**: (و ل ق): وَلَقَ يَلِقُ: إذا أسرع.

وقُرئ في الآية الكريمة: ﴿**إذ تَلِقُونه بألسنتكم**﴾، أي تَخِفُّون وتسرعون[٢].

★ **الأصل الخامس**: (ل و ق): جاء في الحديث: «لا آكل من الطعام إلا ما لُوِّق لي»، أي ما خدم وأعملت اليد في تحريكه.

★ **الأصل السادس**: (ل ق و) منه اللقوة للعُقاب، قيل لها ذلك لخفتها وسرعة طيرانها.

وأما (ك ل م): فهذه أيضاً حالها، وذلك أنها حيث تقلبت فمعناها الدلالة على القوة والشدة، والمستعمل منها أصول خمسة، وأهملت منه (ل م ك) فلم تأت في ثبت.

وأما (س م ل): فالمعنى الجامع لها المشتمل عليها الإصحاب والملاينة».

ثم يبدي ابن جنّي رأيه في هذا المنهج الذي استقراه فيقول:

«وهذه الطرائق التي نحن فيها حَزْنَةُ المذهب، والتورد لها وعر المسالك، ولا يجب مع هذا أن تُستنكر، فقد كان أبو علي - رحمه الله - يراها ويأخذ بها، وشاهدته غير مرّة إذا أشكل عليه الحرف: الفاء أو العين أو اللام، استعان على علمه ومعرفته بتقليب أصول المثال الذي ذلك الحرف فيه».

ويرى بعض الباحثين المعاصرين أن أصحاب **الاشتقاق الكبير**: «اقتبسوا فكرة تقليب الأصول من **معجم العين للخليل، وجمهرة لغة العرب لابن دريد**، فكان كل منهم حين يعرض لشرح كلمة من الكلمات يذكر معها تقلباتها، ويذكر معنى كل صورة من صورها، دون التعرض للربط بين دلالات تلك

الصور ، فهي طريقة إحصائية أو قسمة عقلية لجأ إليها أصحاب هذه المعاجم بغية حصر كل المستعمل من كلمات اللغة ، وخشية أن ينــدّ بعضها عن أذهــانهم ، فلما جاء أصحاب الاشتقاق من أمثال ابن جنّي **وابن فارس** ربطوا بين دلالات تلك الصور ، واستنبطوا معاني عامة مشتركة بينها ، وسمي هذا بالاشتقاق الكبير »[٣] .

يقول **السيوطي** عن الاشتقاق الكبير : « إنه ليس معتمداً في اللغة ، ولا يصلح أن يستنبط به اشتقاق في لغة العرب » .

إلا أنه مع هذا التحفظ ، ومع هذا الحذر من الوقوع في التكلف ، يظل بحث الاشتقاق الكبير يؤتي ثماره إلى اليوم ، حتى ليمكن القول : « إن لغويي العرب لم يعرفوا إنتاجاً أعظم منه »[٤] .

(٢) باب القول على أصل اللغة ، إلهام هي أم اصطلاح ؟ : وهذا الموضوع هو مشكلة اللغة الأساسية ، لتعلقه ببداية اللغة المستعصي حلها حتى الآن ، وأن أمر نشوء اللغة ونظامها معضلة تطرح على النحو التالي : أهي موضوعة من قبل العقل وفق عرف متفق عليه ، أم هي موحاة وحياً من السماء ؟ ولنر كيف يعالج ابن جنّي هذا الموضوع ، فهو يقول :

هذا موضع محوج إلى فضل تأمل .

١ ــ غير أن أكثر أهل النظر على أن أصل اللغة إنما هو تواضع واصطلاحه ، لا وحي وتوقيف ، ويؤكدون أن أصل اللغة لا بد فيه من المواضعة .

٢ ــ إلا أن أبا علي ــ رحمه الله ــ قال لي يوماً : هي من عند الله ، واحتج بقوله سبحانه ﴿ وعلّم آدم الأسماء كلها ﴾[٥] .

وهذا لا يتناول موضع الخلاف ، وذلك أنه قد يجوز أن يكون تأويله : « أقدر آدم أن واضع عليها » .

٣ ــ وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات كدوي الريح ، وحنين الرعد ، وخرير الماء ، وصهيل الفرس ونحو ذلك . ثم وُلدت اللغات عن ذلك فيما بعد ، وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبّل .

ثم يذكر تردده بين الفكرتين الأساسيتين في الموضوع : « أهي إلهام أم اصطلاح » ؟ ، ويقول في نص رائع يتضمن وصف خوالج النفس والفكر :

« واعلم فيما بعد ، أنني على تقادم الوقت ، دائم التنقير والبحث عن هذا الموضع . فأجد الدواعي والخوالج قوية التجاذب لي ، مختلفة جهات التغوّل على فكري .

وذلك أنني إذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة ، الكريمة اللطيفة ، وجدت فيها من الحكمة والدقة ، والإرهاف والرقة ، ما يملك عليّ جانب الفكر ، حتى يكاد يطمح به أمام غَلْوَة السحر ، وانضاف إلى ذلك وارد الأخبار المأثورة فإنها من عند الله ــ جلّ وعز ــ فقوي في نفسي اعتقاد كونها توفيقاً من الله سبحانه وإنها وحي .

ثم أقول في ضد هذا ، كما وقع لأصحابنا ولنا ، وتنبهوا وتنبهنا على تأمل هذه الحكمة الرائعة الباهرة .

فأقف بين تَيْن الخلّتين حسيراً ، وأكاثرهما فأنكفئ مكثوراً ، وإن خطر خاطر فيما بعد يعلق الكف بإحدى الجهتين ويكفّها عن صاحبتها ، قلنا به . وبالله التوفيق » .

وهكذا يصل ابن جنّي إلى الحيرة ، وينتهي إلى التوقف ، فلا يجزم بأحد الرأيين . ويبدو أن الحل الصحيح للمعضلة هو في الربط بين الآراء الثلاثة التي عرضها للمشكلة ، ومحاولة التوصل بهذا الربط إلى الحل المنشود .

وهكذا نقع في ابن جنّي على عالم منقطع النظير في اللغة العربية وفقهها ، وأصول اللغات وعقد الصلات فيما بينها ، فهو يتابع في كتابه « الخصائص » تأصيل أصول اللغة العربية ، ووضع فقهها وعللها ، ولا يترك باباً في اللغة إلا وينشط لبحثه وتنقيبه ، وإيجاد علته وقاعدته ، بحيث يستنبط علماً قائماً بنفسه ، ويصف عمله هذا بقوله :

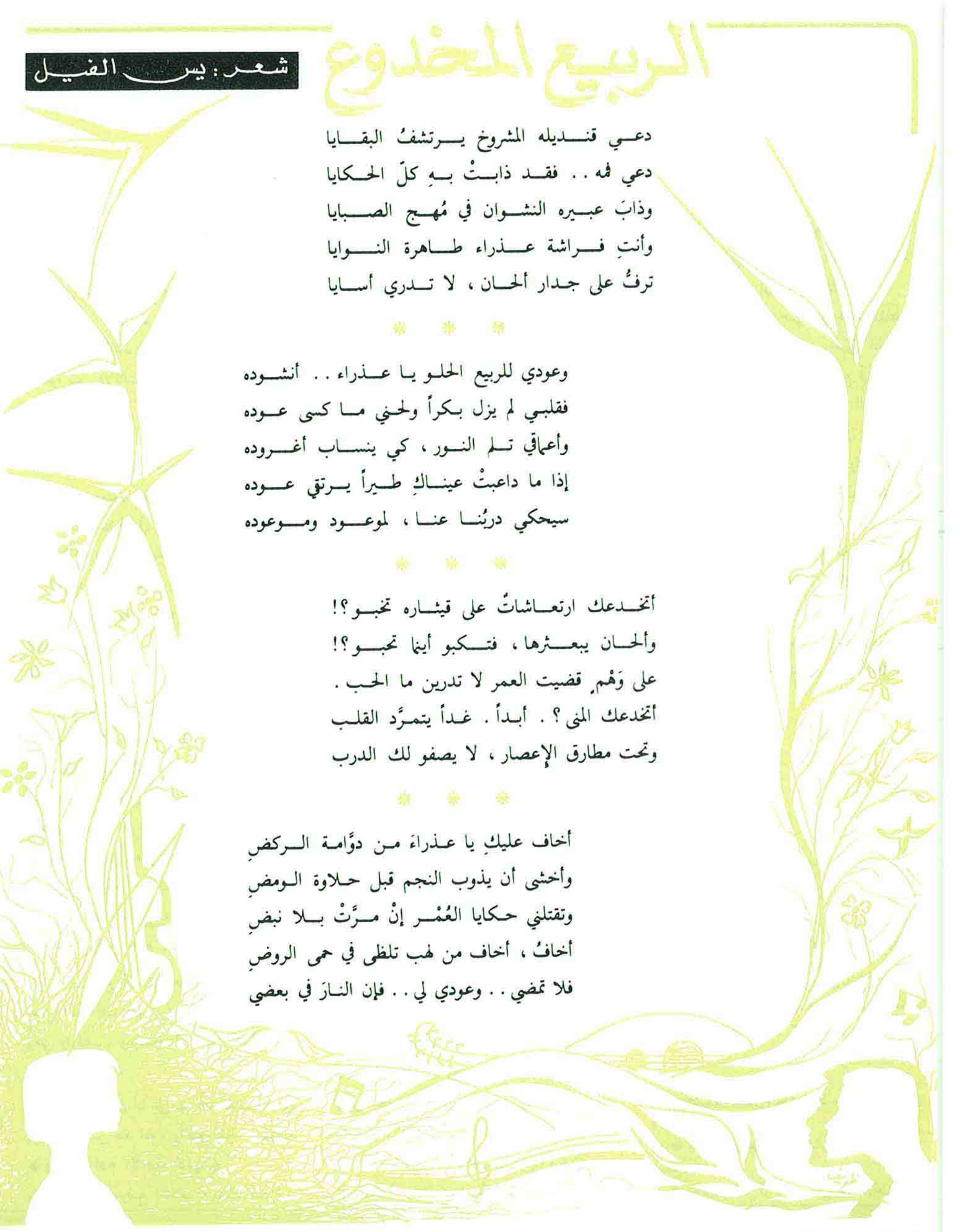
« فهذا الذي يرجعون إليه متفرقاً (أي النحويون) ، قدّمناه نحن مجتمعاً ، وكذلك كتب محمد بن الحسن ــ رحمه الله ــ إنما ينتزع أصحابنا منها العلل ، لأنهم يجدونها منثورة في أثناء كلامه ، فيجمع بعضها إلى بعض بالملاطفة والرفق » .

الهوامش

(١) من كتاب اليتيمة للثعالبي .
(٢) سورة النور ، الآية ١٥ ، وهي قراءة عائشة ، وابن عباس ، وعيسى بن عمر ، وزيد بن علي .
(٣) من أسرار اللغة ، للدكتور إبراهيم أنيس .
(٤) من الحضارة الإسلامية في القرن الرابع ، لآدم متز .
(٥) سورة البقرة ، الآية ٣١ .

المراجع

● كتاب « الخصائص » تحقيق محمد علي النجار ، طبع ١٩٥٢ م .
● « دراسات في فقه اللغة » ، تأليف الدكتور صبحي الصالح ١٩٦٨ م .
● العبقرية العربية في لسانها ، بقلم زكي الأرسوزي .



الربيع المخدوع

شعر : يس الفيل

دعـي قنـديله المشروخ يـرتشفُ البقـايا
دعي فمه . . فقـد ذابـتْ بـهِ كلّ الحـكايا
وذابَ عبيره النشـوان في مُهج الصـبايا
وأنتِ فـراشة عـذراء طـاهرة النـوايا
ترفُ على جدار ألحـان ، لا تـدري أسـايا

* * *

وعودي للربيع الحلـو يـا عـذراء . . أنشـوده
فقلبي لم يزل بكراً ولحني مـا كسى عـوده
وأعماقي تـلم النـور ، كي ينسـاب أغـروده
إذا ما داعبتْ عينـاكِ طـيراً يـرتقي عـوده
سيحكي دربُنـا عنـا ، لموعـود ومـوعوده

* * *

أتخـدعك ارتعـاشاتٌ على قيثـاره تخبـو ؟!
وألحـان يبعـثرها ، فتـكبو أينما تحبـو ؟!
على وَهْمٍ قضيت العمر لا تدرين ما الحب .
أتخدعك المنى ؟ . أبـداً . غـداً يتمرَّد القلـب
وتحت مطارق الإعصار ، لا يصفو لك الدرب

* * *

أخاف عليكِ يا عـذراءَ مـن دوَّامـة الـركضِ
وأخشى أن يذوب النجم قبل حـلاوة الـومضِ
وتقتلني حـكايا العُمْـر إنْ مـرَّتْ بـلا نبضِ
أخافُ ، أخاف من لهب تلظى في حمى الروضِ
فلا تمضي . . وعودي لي . . فإن النـارَ في بعضي

نحاة العرب

أ

الأخفش :

هو سعيد بن مسعدة ، **الملقب بالأخفش** ، أصله من **منبج** ثم سكن **البصرة** ، وأخذ عن **سيبويه** ، وكانت له مكانة عالية في النحو بين البصريين والكوفيين ، توفي سنة ٢١٥ هـ ، تقريباً ، ومن مؤلفاته النحوية ، كتاب **المقاييس** ، وكتاب **الاشتقاق** .

ب

بابشاذ ، ابن :

هو أبو الحسن طاهر بن أحمد ، **أصله من العراق ، ونشأ بمصر** ، وتصدر للإقراء في **جامع عمرو بن العاص** ، ثم انقطع للعبادة ، وتوفي عام ٤٩٦ هـ ، ومن مؤلفاته في النحو **« شرح جمل الزجاجي »** ، و **« المحتسب في النحو »** ، ومن آرائه أن إذن تنصب الفعل مع الفصل بينها وبينه بالنداء ، والدعاء .

ت

التنوخي ، داود بن الهيثم :

أديب لغوي ومن كبار النحاة ، **ولد ومات بالأنبار** ، وأقام **ببغداد** فترة من الزمن ، كان مولده في عام ٨٤٣ م ، وكانت وفاته في عام ٩٢٨ للميلاد ، ذاع صيته لحسن معرفته بالعروض ، واستخراج المُعمّى ، وكان قد أخذ عن **ابن السكيت وثعلب** ، وألّف كتاباً كبيراً في النحو على المذهب الكوفي .

ث

ثعلب :

هو أحمد بن يحيى **المعروف بثعلب** ، ولد عام ٢٠٠ هـ ، وأخذ عن **محمد بن سلام الجمحي ، ومحمد بن زياد الأعرابي** ، ودرس كتب **الكسائي والفراء** ، وقرأ كتاب **سيبويه** ، وهو من **أئمة الكوفيين في النحو** ، مات سنة ٢٩١ هـ ، ومن أهم كتبه : **« اختلاف النحويين »** ، و **« معاني القرآن »** ، و **« ما ينصرف وما لا ينصرف »** .



جني ، ابن :

هو أبو الفتح عثمان بن جني ، المتوفي سنة ٣٩٢هـ ، اتصل **بأبي علي الفارسي** ، فأخذ عنه وتتلمذ عليه ، له مؤلفات عديدة في النحو ، من أهمها كتاب **« الخصائص »** ، و **« المحتسب »** ، و **« شرح تصريف المازني »** ، و **« سر صناعة الإعراب »** ، ومن آرائه النحوية أن إذا الفجائية ظرف مكان .



الحاجب ، ابن :

هو عثمان بن عمر ، **المعروف بابن الحاجب** ، ولد بإسنا حوالي عام ٥٧٠ هـ ، **ونشأ بالقاهرة** ، إلى أن **توفي بالإسكندرية** عام ٦٤٦ هـ ، اشتهر بالذكاء ، وسعة الاطلاع ، والنبوغ في علوم شتى من أهمها النحو ، له عدة مصنفات منها : **« الكافية وشرحها في النحو »** ، و **« الشافية وشرحها في الصرف »** ، و **« الأمالي »** ، وغيرها من المصنفات .



الخليل :

هو الخليل بن أحمد الفراهيدي المولود عام ١٠٠ هـ ، والمتوفي عام ١٧٥ هـ ، ويعد من أفذاذ اللغة ، وأصحاب الأوليات في النحو ، أخذ عن **أبي عمر بن العلاء ، وعيسى بن عمر** ، وخرج إلى البادية يشافه أهلها ويأخذ عنهم اللغة ، بلغ الغاية في النحو ، **واخترع العروض** ، وخرج به على الناس علماً كاملاً ، كما **اخترع طريقة تدوين المعاجم** ، واستنبط من النحو في أصوله وفروعه وعلله وأقيسته ما لم يسبقه إليه أحد من العلماء .



الدؤلي ، أبو الأسود :

عالم باللغة والنحو ، ولد عام ٦٠٥ م ، وتوفي عام ٦٨٨ م ، عاش مع قبيلته ثم مع **هذيل** ، ثم **قشير** ، قبيلة زوجته ، **ومات بالبصرة** بعد أن اجتاحها الطاعون ، عرف بمعرفة الحديث والفقه واللغة ، وقيل إنه **أول من كتب في النحو** ، والمؤكد أنه **ابتكر الضبط بالنقط** ، محافظة على القرآن الكريم . فوضع على الحرف المفتوح نقطة فوقه ، والمكسور نقطة تحته ، والمضموم نقطة بين يديه ، والمنون نقطتين .



ذؤيب الهذلي :

هو خويلد بن خالد ، المتوفي حوالي عام ٦٤٨ م ، وكان شاعراً متميزاً وضالعاً في النحو ، كان في الجاهلية صاحب لهو وغزل ، ثم أسلم عند وفاة الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، وصف حياته في شعره ، وأجاد في أغراض **الرثاء** وفي تصوير **حياة الحيوان** ، أكثر من اللفظ الغريب في شعره ، وكان على دراية تامة بعلوم العروض والنحو .



الراغب الأصفهاني :

هو الحسين بن محمد ، الأديب اللغوي والفقيه النحوي ، **أصله من أصفهان** ، وعاش ومات ببغداد سنة ١١٠٨ م ، **ألف** عدة كتب في التفسير والنحو والأدب والبلاغة ، من **أهمها** : **« هل متشابهات القرآن »** ، و **« أفانين البلاغة »** ، و **« محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء البلغاء »** ، و **« المفردات في غريب القرآن »** الذي تتبع فيه دوران كل لفظ في الآيات القرآنية ، وأتى بالشواهد عليه من الحديث والشعر .



الزمخشري :

هو أبو القاسم محمود بن عمر ، **المولود بزمخشر** عام ٤٦٧ هـ ، **والمتوفي بخوارزم** عام ٥٣٨ هـ ، رحل إلى **خراسان والعراق** ، وجاور **بمكة المكرمة** ، وكان عالماً فذاً بالنحو واللغة والتفسير ، وغريب الحديث ، له مصنفات كثيرة ، من **أهمها** : **« المفصل والنموذج في النحو »** ، و **« أساس البلاغة في اللغة »** ، و **« الفائق في غريب الحديث »** .



سيبويه :

هو عمرو بن عثمان بن قنبر ، **الملقب بسيبويه ، ولد بالبيضاء** إحدى مدن فارس ، ونشأ وأقام **بالبصرة** ، وتوفي عام ١٨٠ هـ ، أخذ عن **الخليل** وأطال ملازمته ، وأخذ كذلك عن **عيسى بن عمر ويونس بن حبيب** ، وهو **صاحب أهم كتاب في النحو** ، وأبقاه على الأيام ، حتى لقد ألف فيه علماء اللغة والنحو كتباً ، وأداروا حوله دراسات لا تحصى ، ووصفوا صاحبه بأنه واضع البلاغة والتجويد .



الشلوبين :

هو عمر بن محمد ، **المعروف بالشلوبين ، ولد بإشبيلية** عام ٥٦٢ هـ ، وتوفي عام ٦٤٥ هـ ، وكان إمام عصره في العربية ، فأخذ عنه الكثيرون ، له مصنفات كثيرة من **أهمها** : **« التوطئة في النحو »** ،

و «تعليق على كتاب سيبويه» .



الصبان :

هو محمد بن علي ، المولود بالقاهرة ، والمتوفي في عام ١٢٠٦ هـ ، أخذ مختلف العلوم عن شيوخ عصره ، ونبغ في علوم النحو ، حتى صار من عداد النحاة في العربية ، له مصنفات على درجة كبيرة من الجودة والإتقان ، أهمها **حاشيته على شرح الأشموني للألفية** ، وهي أشهر حواشي النحو ، حافلة بالنقول والتعقيبات والآراء المختلفة .



الضبي ، المفضل :

هو المفضل بن محمد الضبي ، المتوفي حوالي عام ٧٨٠ م ، زار خراسان ، وأقام بالكوفة ، ودرس اللغة والقراءة والحديث على **عاصم ، والأعمش** ، وأخذ عنه **أبو زيد الأنصاري ، وخلف الأحمر ، وابن الأعرابي ، والكسائي ، والفراء** ، كان عالماً بالنحو وله فيه مؤلفات كثيرة ، ومن أهم مؤلفاته **«الأمثال»** ، و **«العروض»** ، و **«الألفاظ»** ، تعتمد شهرته على مختاراته المسماة باسمه **«المفضليات»** .



الطباطبائي ، علي بن رضا :

عرف بلقب **بحر العلوم** ، وغلب عليه التبحر في النحو ، **ولد بالنجف بالعراق** ، عام ١٨٠٩ م ، وتوفي بها بالطاعون عام ١٨٨١ م ، له عدة مصنفات هامة ، من أهمها **«شرح على الكتاب النافع ومختصر الشرائع»** ، و **«الشرح الكبير»** .



ظالم بن عمر :

هو **أبو الأسود الدؤلي** ، يرتفع نسبه إلى **الدئل بن بكر** وإليه ينسب (راجع حرف الدال) .



عقيل ، ابن :

هو عبد الله بن محمد ، **أصله من همذان** ، ولد سنة ٦٩٨ هـ ، وكان إماماً في العربية ، وحجة في النحو ، توفي سنة ٧٦٩ هـ ، وله عدة كتب ، من أهمها : **«شرح التسهيل»** ، و **«شرح ألفية ابن مالك»** ، وهو من أسهل كتب النحو وأكثرها شهرة .



الغرناطي ، أبو حيان :

هو محمد بن يوسف ، الأديب والنحوي الذي **ولد بغرناطة** عام ١٢٥٦ م ، **وتوفي بالقاهرة** عام ١٣٤٤ م ، ودرس القرآن والحديث والنحو واللغة **ببلسن والمرية ومالقة بالأندلس** ، وتنقل بالمغرب ومصر والشام والحجاز ، جمع في كتبه أكثر القواعد النحوية وأقوال النحاة ، فعد من أعظم نحاة عصره ، ألف عدة كتب من أهمها : **«ارتشاف الضرب من لسان العرب»** ، و **«شرح تسهيل الفوائد»** ، لابن مالك في النحو ، و **«طبقات نحاة الأندلس»** .



الفراء :

هو أبو زكريا يحيى بن زياد الديلمي **ولد بالكوفة** ، وتوفي في عام ٢٠٧ هـ ، أخذ عن **الكسائي ويونس بن حبيب** ، وكان أبرع الكوفيين في النحو ، من أهم كتبه **«معاني القرآن»** ، و **«المذكر والمؤنث»** ، و **«المقصور والممدود»** .



القرطبي ، ابن مضاء :

هو أحمد بن عبد الرحمن ، العالم بالنحو ، **ولد بقرطبة** سنة ٥١٣ هـ ، **ومات بإشبيلية** سنة ٥٩٢ هـ ، له مصنفات عديدة ، من أهمها كتاب **«المشرق في النحو»** ، وكتاب **«الرد على النحاة»** ، وكان لهذا الكتاب الأخير صدى قوياً بين المشتغلين بالنحو وفقه اللغة العربية .



الكسائي :

هو أبو الحسن علي بن حمزة ، إمام نحاة الكوفة ، **وأحد القراء السبعة** ، **نشأ بالكوفة** وأخذ عن **الهراء والخليل** ، وأقرأه **الأخفش** كتاب **سيبويه** ، ووصل إلى البادية فحفظ كثيراً من اللغة ، وعهد إليه **الرشيد** في تأديب **الأمين والمأمون** ، من أهم كتبه : **« معاني القرآن »** ، و **« مختصر النحو »** ، توفي حوالي عام ١٨٩ هـ .



الليث بن المظفر :

من أئمة اللغة والنحو ، عاش في القرن السابع ، **أقام بخراسان** وقضى أكثر من عشر سنين بالبادية ، فبرع في الأدب ، وعرف الشعر والغريب والنحو ، وكتب للبرامكة ، اتصل به **الخليل بن أحمد** ، والّف له كتاب **« العين »** ، وكثرت القصص حول الخليل والليث والعين .



مالك ، ابن :

هو محمد جمال الدين بن عبد الله ، **ولد بجبان** سنة ٦٠٠ هـ ، وأخذ العربية عن كثيرين من أئمتها ، واعتمد على ذكائه في تحصيل الكثير من علمه ، رحل إلى **الشام** وتنقل بين مدنه ، ثم استقر في **دمشق** حتى توفي عام ٦٧٢ هـ ، له مصنفات كثيرة في النحو ، منها : **« تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد »** ، و **« الكافية الشافية ، وخلاصتها المعروفة بالألفية »** ، وقد نالت شهرة واسعة بين كتب النحو عامة ، وظفرت بعناية كثير من العلماء ، فشرحوها شروحاً مختلفة ، حتى صارت لها المقدمة على دراسة النحو .



نعمان خير الدين :

هو أبو البركات الآلوسي ، فقيه ونحوي عراقي ، **ولد ببغداد** عام ١٨٣٦ م ، وتوفي بها عام ١٨٩٩ م ، زار **استانبول ومكة المكرمة** ، وانصرف إلى التدريس والتدوين ، له مصنفات عديدة في الفقه واللغة والنحو ، من أشهرها **« جلاء العينين في محاكمة الأحمدين »** ، و **« الجواب الفصيح »** ، و **« شقائق النعمان »** .



الهراء ، معاذ :

هو أبو مسلم معاذ الهراء ، المتوفي سنة ١٨٧ هـ ، وأحد الأئمة في النحو ، والفقهاء في اللغة ، **كان يبيع الثياب الهروية فعرف بها** ، أخذ عنه **الكسائي والفراء** ، ويقال إنه **أول من وضع التصريف** .



الوردي ، ابن :

هو عمر بن المظفر ، الأديب والفقيه والنحوي ، **ولد بمعرة النعمان** عام ١٢٩١ م ، **ومات بحلب** عام ١٣٤٩ م ، درس ببلدته **وحماة وحلب ودمشق** ، شرح ألفية ابن مالك في كتابه **« تحرير الخصاصة في تيسير الخلاصة »** ، كما شرح ابن معط في كتابه **« ضوء الدرة »** ، نظم كتاب **« الحاوي الصغير في الفقه الشافعي »** في **« البهجة الوردية »** كما نظم **« ملحمة الإعراب »** ، و **« اللباب في علم الإعراب »** ، و **« الألفية الوردية »** .



يعيش ، ابن :

هو ابن يعيش الأسدي ، **ولد عام ١١٥٨ م ، بحلب** ، وتوفي بها في عام ١٢٤٥ م ، من أئمة النحو ، درس النحو والحديث بحلب ثم **الموصل** ثم **دمشق** ، تصدر للإقراء بجامع حلب وشرح **« مفصل » الزمخشري** و **« التصريف الملوكي » لابن جني** ، وله **« تفسير المنتهى من بيان إعراب القرآن »** .



مناقشات

وتعليقات

مؤلف الجذور .. ظالم أم مظلوم؟

هذا المقال تعقيب على المقال المنشور «بالفيصل» العدد (٦٩) ربيع الأول ١٤٠٣هـ.

أليكس هيلي : ابن لأبوين متعلمين فأمه مدرسة بمدرسة ابتدائية، وأبوه أستاذ بكلية الزنوج في الجنوب، ورغم عشقه للقراءة فإنه لم يكمل دراسته الثانوية. وتطوع في عام ١٩٣٩م، وهو في السابعة عشرة من عمره في خفر السواحل. والتحق بقسم الطهو، وقد اشتهر بين زملائه بأنه (**الطاهي الذي يكتب**) لأنه كان كاتب رسائلهم الغرامية. ومن هنا أدرك رغبته العارمة في أن يصبح كاتباً. وترك الخدمة في السواحل فتعرض للفقر وذل الاستدانة.

كانت بدايته الحقيقية ككاتب ذائع الصيت عندما وضع كتاباً عن زعيم المسلمين ملكوم اكس وباع منه ستة ملايين نسخة.

وفي حجرة الميكروفيلم **بدار المحفوظات الوطنية في واشنطن** برقت في رأسه فكرة البحث عن أصول العائلات الزنجية ونسبها ومن هنا كانت بداية السنوات الاثنتي عشرة التي قضاها بحثاً عن مادة كتابه «**الجذور**»، هذا الكتاب الجديد الذي هز المجتمع الأمريكي من الأعماق، وشغل الملايين في أنحاء العالم.. وحقق لمؤلفه أليكس هيلي الشهرة والمال والدكتوراه الفخرية من تسع جامعات، هل هو كتاب مسروق؟

إن **محكمة مانهاتن الاتحادية في نيويورك**، تبحث عن إجابة لهذا السؤال، بعد أن تقدمت إليها **الدكتورة مارجريت الكسندر، مديرة قسم الدراسات الزنجية في كلية جاكسون بولاية ميسيسبي**، بعريضة اتهام تقول فيها إن مؤلف «الجذور» قد سطا على قصة لها سبق أن نشرتها عام ١٩٦٦م، بعنوان «**اليوبيل**»، وضمن كتابه فصولا تكاد تكون منقولة بالنص من قصتها.

والمعروف أن مؤلف الجذور «اليكس هيلي» زنجي... والدكتورة مارجريت صاحبة الدعوى زنجية كما أن «الجذور» يروي قصة حياة أسرة زنجية...

وعريضة الاتهام تطلب كشف حساب عن الكتاب الذي بيع منه حتى الآن أكثر من مليوني نسخة، ودفع تعويض لم تقدر قيمته بعد... والمدعى عليه مؤلف «الجذور» يقول إنه يعرف صاحبة الدعوى الدكتورة مارجريت ويحترمها، لكنه لم يقرأ قصتها، ولم يسمع بها من قبل إطلاقاً، وتبقى الكلمة الأخيرة لأعضاء هيئة محكمة مانهاتن.

في شيكاغو كان الناس يتحدثون عن الصاروخ الذي أطلقه هيلي حيث وصف **نيل كوفين المخرج في تليفزيون في ولاية أتلانتا**، الكتاب بأنه وجبة دسمة كل مساء، وفي نيويورك قال عنه **فبرتون جوردان المدير التنفيذي لرابطة المدن القومية** : «إنه أكثر التجارب التربوية إثارة في كشف النقاب عن حقائق العلاقات بين الأجناس في أمريكا».

كان هذا الشيء الذي يتحدثون عنه هو المسلسل التليفزيوني الذي اخرجته محطة تليفزيون (أي، بي، سي) عن كتاب المؤلف الزنجي آليكس هيلي «الجذور» فعلى مدى ثمان ليال متعاقبة يسهر الناس أمام الشاشة الصغيرة لمشاهدة قصة انتقال أسرة هيلي من وطنها السابق في مكان ما بإفريقيا إلى العبودية في أميريكا.. وأخيراً إلى الحرية. وعلى طول الطريق، تبين للأميريكيين من الجنسين مقدار الظلم الذي أنزلوه بإخوانهم السود، وعرفوا أنهم بشر مثلهم.. لهم نفس الحق في الوطن الأميريكي.

وهكذا، ومع الحلقة الأخيرة من المسلسل لم يعد «الجذور» مجرد كتاب ذائع الصيت وإنتاجاً تليفزيونياً ممتعاً، بل غدا ظاهرة اجتماعية، يمكن أن تكون علامة على طريق مميزة لعلاقات الأجناس في الولايات المتحدة.

أياً ما كانت أسباب الشعبية التي حظي بها المسلسل التلفزيوني فإنها لا ترجع بالضرورة إلى العنصر الفني بل لما تتميز به من صدق «أسطوري» لقد كان «الجذور» بالنسبة لملايين الأميريكيين واقعياً.

وأياً كانت العيوب الفنية لمسلسل «الجذور» إلا أنه أثر تأثيراً عميقاً على كثير من المشاهدين، ففي جريفيل بولاية مسوري غيّر عدد من تلاميذ المدارس البيض زملاءهم السود بقولهم «كلكم عبيد» لقد كان جدي يمتلككم في يوم من الأيام، ومن الناحية الأخرى هاجمت جماعة من السود أربعة من طلاب **معهد فورد العالي** من البيض في مدينة ديترويت وهم يغنون «الجذور».

لقد أثار «الجذور» بين كثير من الزنوج رغبة عارمة في البحث عن أنفسهم. والواقع أن اهتمام الزنوج الأميريكيين بتراثهم الإفريقي قد بدأ منذ سنوات، وكان من أبرز مظاهر ذلك الأسماء الإفريقية التي أصبحت شائعة خلال الستينات وهكذا يبدو «الجذور» وما ترتب عليه من ردود أفعال بمثابة سبب ونتيجة في وقت واحد.

وانعكاساً لهذا الاهتمام الجديد بعلم الأنساب تضاعفت ثلاث مرات الخطابات التي تصل إلى **دار الوثائق في واشنطن** تطلب معلومات، كما زادت الطلبات المقدمة للحصول على تصريحات باستعمال تسهيلات البحث بنسبة ٤٠٪.

غير أن معظم السود قد لا يستطيعون من تتبع شجرة الأسرة قبل

الحرب الأهلية لسبب بسيط هو أنه حتى عام ١٨٧٠ م ، كان التعداد الاتحادي يسجل معظم السود بأعمارهم وجنسهم لا بأسمائهم وكان عدد السود الأحرار في ذلك الوقت قليلاً جداً ، فقد نال بعضهم حريتهم عن طريق الخدمة في الحرب الثورية .

يقول **اليكس هيلي** : نحن في هذا البلد شبان مندفعون ، كل وجهتنا إلى التكنولوجيا ، ونحن جميعاً نحاول أن نصنع آلات حتى يمكننا أن نضغط على زر فنحصل على الشيء جاهزاً . . ولكننا نتيجة لذلك نبتعد عن شيء ثمين نمتلكه . . من أين جئنا ، كيف وصلنا إلى ما نحن فيه ؟ إن الشباب يبتعدون عمن هم أكبر منهم سناً .

ويعترف هيلي بأن التليفزيون يمكن أن يكون له تأثير اجتماعي إيجابي ، لكنه يمضي في التنديد به لأنه وسع الهوة بين الأجيال . لقد أسهم التليفزيون في قتل وسيلة تسلية قديمة عندما كان أفراد الأسرة يجتمعون حول الكبار يستمعون إلى حكاياتهم . لقد أبعد التليفزيون الشبان عن كبار السن ، وكلفنا هذا ثمناً باهظاً ثقافياً واجتماعياً .

ويقدم هيلي وصية من ثلاث نقاط إلى الشباب فيقول : « إني أقول للشباب أن يذهبوا إلى الناس الكبار في أسرتهم ، ويحصلوا منهم على أكبر قدر ممكن من التاريخ الشفهي ، وكثير من الأجداد يحملون في رؤوسهم ثلاثة أو أربعة أجيال من التاريخ لكنهم لايتكلمون عنها لأن الناس يتجاهلونهم ، وعندما يبدأ الشبان في الاستماع إليهم فإنهم يتحمسون ويرددون للحفيد كل ما تعيه ذاكرتهم » .

ثم يقول هيلي إن تاريخ الأسرة ينبغي أن يكتب وترسل منه نسخة لكل عضو .

وأخيراً يحدث هيلي الشباب قائلاً اعقدوا اجتماعات للأسرة لأن الإحساس المشترك برابطة الدم يولد تأثيراً سحرياً وهذا السحر عام سواء بين البيض أو الملونين ، كما أن الاجتماع يعطي إحساساً بأن الأسرة تهم وتفخر بنفسها ، وأن هناك افتراضاً بأنك أنت عضو الأسرة ملتزم بأن تعكس هذا الاعتزاز ، وأن تضيف إليه إذا استطعت .

ويرد هيلي على التكهنات التي تقول إن كتابه سيطلق موجة من الغضب الأسود ويقول : إني لم أسمع مجرد همسة تطرف من السود ، لقد سمعت حماساً وسعادة إلا أنهم عرفوا قصة حياة أسرهم واستراحوا . إن السود الذين يشترون الكتب لا يشترونها لكي يحاربوا أحداً ، وإنما لأنهم يريدون أن يعرفوا أنفسهم . . الجذور هي قضيتنا جميعاً .

أما استجابة البيض فهي أكثر تعقيداً ، لكنك عندما تتحدث عن الأسرة وعن الروابط والأسلاف فإنك تتحدث عن أي إنسان كل إنسان على وجه الأرض لأن الولع بأخبار الأجداد موجود فينا جميعاً . . وكثير من البيض يأتون إلي ويقولون إن الجذور جعلهم يفكرون في أسرهم ومن أين جاءت .

د . سليم الأسيوطي
الجيزة ـ مصر

ملاحظات حول الجزر

بعد قراءتي للموضوع الخاص عن **الجزر** الذي ظهر بالعددين رقم ٧٠ و ٧١ من **مجلة « الفيصل »** العزيزة ، سجلت مجموعة من الملاحظات محاولا التنبيه إليها في رسالتي هذه راجياً أن تجد مكانها في باب **« مناقشات وتعليقات »** .

(١) العدد رقم (٧٠) الموضوع « الجزر من عجائب الطبيعة » للدكتور مظفر صلاح الدين شعبان والمهندس سمير صلاح الدين شعبان ، (ص ٩٢ ـ ٩٣) .

تعليق الصورة كتب : **« جبل ديل فوغو »** في جزر كناري . يعني أن « ديل فوغو » اسم لجبل واحد والصحيح أن « ديل فوغو » اسم يطلق على سلسلة جبلية تولدت بفعل هزة بركانية عنيفة بجزيرة « ليـنزروت » Lanzarote بأرخبيل الكناري سنة ١٧٣٠ م ، وظلت النار تخرج منها باستمرار لمدة ست سنوات ، سقت ثلث الجزيرة بالافا . ومن ثم سميت « بجبال النار » بالإسبانية « Montanas d'el Fuego » . فالملاحظ أن التسمية باللغة الأصلية تقرأ وتذكر بصيغة الجمع .

على صفحة (٩٤) في الجدول رقم ٤ وردت ثلاثة أخطاء مساحية سأعمل على تصويبها بالكيلومتر مربع تلافياً لأي خطأ :

(١) **سنغافورة** المساحة ٢٢٤ ألف ميل الصواب : ٥٨١ كلم٢
(٢) **مالطة** المساحة ١٢٢ ألف ميل الصواب : ٣١٦ كلم٢
(٣) **جزر مالديف** المساحة ١١٥ ألف ميل الصواب : ٢٩٨ كلم٢

وعلى نفس الصفحة ، لا يطلق اسم « كاب فيرد » على جزيرة **« سانت هيلانة »** ، وعلى الجزر البريطانية التابعة لها ، علماً بأن جزر « كاب فيرد » أو الرأس الأخضر ، كانت مستعمرة برتغالية ، والآن أصبحت دولة لها سيادتها ومستقلة منذ سبتمبر (أيلول) ١٩٧٥ م ، مساحتها ٤٠٣٣ كلم٢ ، وتبعد ٥٠٠ كلم عن **الساحل السينغالي** سكانها حوالي ٣٠٠ ألف نسمة **عاصمتها « برايا »** Praia .

والكاب فيرد توجد في النصف الشمالي الغربي من القارة

مناقشات وتعليقات

الإفريقية بخلاف جزيرة سانت هيلانة توجد في النصف الجنوبي الغربي من إفريقيا عدد سكانها حوالي ستة آلاف (٦٠٠٠) نسمة مساحتها ١٢٢ كلم٢ تتبعها إدارياً **جزيرة اسنسيون** «Ascension» ٨٨ كلم٢ توجد على بعد حوالي ١٠٠٠ كلم شمال سانت هيلانة، وفي جنوب هذه الأخيرة توجد **جزيرة تريستان داكنحا** Tristan Da Cunha **وجزيرة «كوغ»** «Gough» التي توجد بها محطة مهمة للأرصاد الجوية. وهذه الجزر الأربع لا زالت تابعة لإنجلترا.

وعلى الصفحة (٩٨): العمود الأيسر رقم (١٧)، «بريطانيا» التسمية قد تحملنا إلى إقليم في غرب فرنسا، أما المملكة المتحدة فتسمى بريطانيا العظمى.

وعلى الصفحة (٩٩): العمود الأيمن رقم (١٨)، ورد أن تاريخ استقلال جزيرة مالطة ١٩٤٦م، والصواب ٢١ سبتمبر (أيلول) ١٩٦٤م.

وعلى الصفحة (٩٩): العمود الأيسر رقم (٢٢)، ورد أن مساحة جزر هاواي ٦٤٥ ميلاً مربعاً، والصواب ١٦٧٠٥ كلم٢.

وعلى صفحة (١٠٠): ورد أن سلسلة جزر هاواي تقع في المنطقة الاستوائية والصواب أن موقعها الجغرافي في المنطقة المدارية بين خطي عرض ١٨° و ٣٠° شمال خط الاستواء، ويخترقها خط مدار السرطان (٣٠°، ٢٣°).

(٢) العدد رقم (٧١)، الموضوع: الجزر بين النار والجليد.. لنفس الكاتبين:

على الصفحة (٩١) الصورة ليست لجزيرة بورابورا في بولينزيا الفرنسية. وإنما هي منظر جغرافي من جزيرة «تينيرفي» Ténérife بأرخبيل الكناري.. وكتعليق على الصورة يظهر في مقدمتها جزء من جبال «لاس كناداس»، وفي مؤخرتها قمة «التايدي» pico De Teyde ارتفاعه ٣٧١٨ متراً.

وعلى الصفحة (٩٦) في أعلى العمود الأيمن: كتب بالحرف عن **بركان سترومبولي** «Stromboli» (ينطلق مخروط البركان من شاطئ البحر مباشرة ليصل إلى ارتفاع قدره ٣١٧٠ متراً فيقارب بارتفاعه جبل أتنا في صقلية أعلى البراكين في أوروبا كلها) حقيقة أن مخروط البركان ينطلق مباشرة من شاطئ البحر، لكن الارتفاع الحقيقي لبركان سترومبولي هو ٩٢٦ متراً، وهو أقل من ارتفاع جبل أتنا الذي يبلغ ٣٢٦٢ متراً.

مع تمنياتي لكم بالمزيد من النجاح والتوفيق.

حسين الأبيض
صفرو - المغرب

أخطاء عروضية

قرأت في عدد «**الفيصل**» (٧٤) شعبان ١٤٠٣هـ، في الصفحة ٥٠ قصيدة بعنوان (**وطني**) شعر: **أحمد حسن القضاة**، فاسترعى انتباهي **أخطاء عروضية عديدة في القصيدة**.

من الواضح أن الأبيات الصحيحة في **القصيدة تنتمي لبحر الطويل**، ولكن الشاعر خرج عن هذا الوزن في أحد عشر بيتاً بالزيادة أو النقصان، ويسرني إيضاح ذلك في النقاط التالية:

١ - البيت الثاني:

فلا أنا - في البعد - أحظى براحة
ولا أنا - في القرب - ألق لي السعدا

لا يستقيم وزن الطويل في كل من صدر البيت وعجزه إلا بإضافة كلمة أو مقطع من حرفين متحرك فساكن، وذلك بين كل من الكلمتين (في البعد) و (في القرب) ويمكننا إضافة (ذا) مثلاً، فيستقيم الوزن، من غير أن نجني على المعنى، فيصبح البيت:

فلا أنا في ذا البعد أحظى براحة
ولا أنا في ذا القرب ألق لي السعدا

٢ - البيت الخامس:

عجز البيت: لما لي اصطبار عن ربوعك أبدا

★ **أولاً**: كلمة «أبداً» بفتح الباء لا يجوز أن تكون أخيرة في البيت فهي مكونة من ثلاث حركات متتالية فساكن، وهذا لا يمكن أن يناسب بحر الطويل في التفعيلة الأخيرة. فهذا البحر إما أن ينتهي بـ مفاعيلن أو مفاعلن، فإذا رمزنا إلى الحرف المتحرك بشرطة (-) وإلى الحرف الساكن بدائرة (٥) كان وزن مفاعيلن (--٥-٥-٥-) ووزن مفاعلن (--٥--٥) ووزن (أبدا) (---٥) ومن هذا تتضح استحالة ورود ثلاث حركات متتالية في التفعيلة الأخيرة من بحر الطويل.

★ **ثانياً**: وحتى لو سكنا حرف الباء في (ابدا) كما قصد الشاعر، مع ما في ذلك من افتئات على الكلمة، فإن وزن البيت لا يستقيم، لأنه

يحتاج إلى صياغة جديدة ، ويمكن لعجز البيت أن يستعيد انتماءه إلى بحر الطويل بالصيغة التالية :

لما عدت عن مغناك أحتمل البعدا

٣ ـ البيت السادس :

عجز البيت : بطولة أجداد عاشوا هنا أسدا

هذا العجز يعوزه حرف متحرك بعد كلمة (أجداد) وقبل الفعل (عاشوا) ليصبح من بحر الطويل ، ولحن لو أتينا بفعل يزيد حرفاً متحركاً عن الفعل (عاشوا) ويتضمن معناه لاستقام الوزن . ولعل الفعل (أقاموا) يناسب المقام ، فتصبح الشطرة هكذا :

بطولة أجداد أقاموا هنا أسدا

٤ ـ البيت الثامن :

عجز البيت : نميراً كأبهى ما رأيت وأجدى

هذه الشطرة ينقصها كلمة أو مقطعاً من حرفين متحرك فساكن بعد حرف العطف (الواو) الذي يسبق الكلمة الأخيرة لكي يستقيم وزن بحر الطويل فيها ، ومن الصعوبة بمكان وضع كلمة أو مقطع بحيث لا يفسد المعنى ، ولكننا نستطيع أن نقوم الشطرة بصيغة مشابهة كأن نقول :

فلله ما أبهى النمير وما أجدى

٥ ـ البيت العاشر :

عجز البيت : وأترابي الأطفال نلهو معاً أمدا

لقد أراد الشاعر تسكين الميم في (أمدا) لكي يستقيم له الوزن ، بعد فتح الياء في (أترابيَ) . فإذا كان جاز له فتح الياء في (أترابي) فإنه لا يجوز له تسكين الميم في (أمدا) لما في ذلك من اعتداء صارخ على الكلمة . ولكننا نستطيع إعادة صياغة هذه الشطرة بحيث تحقق لها الوزن والمعنى كأن نقول :

إلى موطن ضم الطفولة والمهدا

٦ ـ البيت الثاني عشر :

عجز البيت : وتجني طعاماً كي تقوى وتعتدا

ينقص هذه الشطرة حرفاً متحركاً قبل الفعل (تقوى) حتى يستقيم وزنها . ويصعب إيجاد هذا الحرف إذا أردنا الاحتفاظ بكلمات الشطرة . ويمكن الإبقاء على نفس المعنى إذا أعدنا صياغة الشطرة ، فنقول :

وتأكل من عشب لتقوى وتعتدا

٧ ـ البيت الخامس عشر :

عجز البيت : ليرموا بها الأكباد ما انصاعت لهم أبدا

الوزن مختل كما هو واضح ، حتى لو أراد الشاعر تسكين الباء في (أبدا) مع ما في ذلك من تجاوز فادح كما حدث في البيتين الخامس والعاشر . وما من سبيل لإقامة وزن الشطرة إلا بإعادة صياغتها بطريقة تحافظ على المعنى ، وحبذا لو قلنا :

ليرموا بها الأكباد ، ما بلغت قصدا

٨ ـ البيت السادس عشر :

عجز البيت : أباهي به العشاق إذ أرضي به هندا

يمكن للوزن أن يستقيم مع المحافظة على المعنى ، إذا حذفنا (إذ) .

٩ ـ البيت الثامن عشر :

عجز البيت : وما قل إخلاصي بل تطاول وامتدا

من الواضح أننا إذا حذفنا (بل) ليستقيم وزن الشطرة ، فإننا نجعل الترابط بين كلمات الشطرة ضعيفاً واهياً . ويمكن الإبقاء على المعنى إذا قلنا :

ولكن إخلاصي تطاول وامتدا

١٠ ـ البيت التاسع عشر :

عجز البيت : رضعنا لبان الأم كي نحيا ونشتدا

من الواضح أن حذف كلمة (كي) من الشطرة يصحح الوزن ، ولكن هذا الحذف يوقعنا في خطأ نحوي ، ويجعل الصلة بين الكلمات واهية ، كما أن الفعل (نشتدا) الذي كان منصوباً بـ (كي) ، ظل منصوباً أيضاً بعد حذفها . ولعلنا نحافظ على المعنى بقولنا :

رضعنا لباناً كي نعيش ونشتدا

١١ ـ البيت العشرون :

عجز البيت : وما خلق الرحمن مثلك ندا

وزن الشطرة يعوزه مقطع أو كلمة من حرفين متحرك فساكن بعد (مثلك) وقبل (ندا) ويصعب إيجاد ذلك إذا أردنا المحافظة على المعنى وعلى حركة الروي . إن إضافة حرف الجر (من) مثلاً ، تعطي المعنى الذي أراده الشاعر ، ولكن هذا يوقعنا في **الإقواء** . ولكننا نستطيع أن نصوغ الشطرة بشكل يجمع لها الوزن والمعنى وحركة القافية كأن نقول :

وما خلق الباري شبيهاً ولا ندا

وختاماً أؤكد لكم أن الغيرة الأدبية هي التي دفعتني إلى كتابة هذا النقد العروضي فأنا أحرص على أن أقرأ في مجلتي المفضلة « **الفيصل** » كل ما هو سليم المبنى قويم المعنى ، وأرجو لـ « **الفيصل** » العزيزة كل نجاح وازدهار في خدمة الدين والوطن والعلم والأدب .

خالد فوزي عبده
الكويت

مع الأصدقاء

عتاب

لي عتاب أوجهه لمجلتي «الفيصل».. فقد لاحظت أن بعض موضوعاتها مختصرة جداً، فمثلاً باب «من عادات الشعوب».. نتمنى التوسع فيه.. خذ مثلاً على ذلك، موضوع «كمبوديا» الذي نشر في هذا الباب حيث تحدثتم فيه عن زراعتها وتاريخها في صفحتين، أما عاداتهم التي هي المقصد، فقد كانت صفحة واحدة فقط.. لم تذكروا عاداتهم في الأكل والشرب والملبس والمنام، ونظام الحكم وكيفية الحياة والديانة، بمزيد من التوضيح.. وماذا يفعلون في مناسبات الموت والولادة؟

يضاف إلى ذلك أن بعض الموضوعات العلمية مثل (الحوت) كان مبسطاً غاية التبسيط، فمثلاً لم يذكر الكاتب تركيبه الداخلي، وكيفية صناعة الأشياء المستخرجة منه، وفيم تستخدم؟ كان في إمكان الكاتب الإشارة إلى بعض الحوادث التي حدثت للغواصين على مدى التاريخ.. وما إلى ذلك وهي حوادث يهم بها القراء كثيراً.

هذا عتاب قارئ يريد أن تصبح «الفيصل» المجلة الأولى في العالم العربي، وثمة عتاب آخر، هو أن غراء المجلة رديء بحيث تتفكك المجلة إلى صفحات منفصلة مما يعرضها للضياع والتلف.. نرجو الاهتمام بالغراء.. وأن يذكر في الهوامش شرح بعض المعاني الصعبة بمزيد من التوضيح والتفسير.

شاكر عبد الفضيل عبد السلام
المنوفية ـ مصر

● **المجلة**: نشكر للأخ شاكر ملاحظاته.. ونحن نسعد بعتاب القراء، ونعير ملاحظاتهم اهتمامنا لأننا نعتبر قراء المجلة عيون المجلة التي تضيء أمامنا الزوايا التي قد لا ندركها مع زحام العمل.

وملاحظات الأخ شاكر جيدة.. ونحن نشاركه الرأي.. إلا أن بعض الأمور تكون بعيدة عن تناولنا.. فمثلاً باب (من عادات الشعوب) قد لا يعكس الأهداف التي أنشئ من أجلها لكننا أمام ضآلة المعلومات لندرة المصادر تجعلنا قاصرين عن تقديم أفضل مما نقدمه.

أما الموضوعات العلمية فقد اعتادت المجلة أن تنشر موضوعات تتناول جوانب محدودة لأن مناقشة كل الجوانب في الموضوع الواحد لا تكفيه صفحات المجلة.. وإن كنا في باب (موضوع خاص) ننشر موضوعات موسعة، لأن طبيعة هذا الباب تدعونا إلى مثل هذا التوسع.

أما موضوع «الغراء» فقد عدلنا عنه إلى «التدبيس» بعد أن باءت محاولاتنا لتحسينه بالفشل.. وربما لاحظ القارئ ذلك في الأعداد الأخيرة.

أما شرح معاني بعض المفردات فإننا نرى أن على القارئ ضرورة العودة إلى أحد المعاجم اللغوية، وهي كثيرة وموجودة في المكتبات لمعرفة معاني المفردات التي تمر به خلال القراءة.. وهذا أمر هام لأي قارئ يتطلع إلى إثراء مفرداته اللغوية.. كما أنها تعوده على استعمال المعاجم.. مع تحياتنا وتقديرنا.

الدكتور العيسوي.. والقراء

قرأت في العدد رقم (٦٩) من مجلتكم الغراء «الفيصل» موضوع الشيخوخة للكاتب الكبير **الدكتور عبد الرحمن العيسوي**، فأرجو في أعدادكم القادمة المزيد من تلك المقالات العلمية التي تزيدنا معرفة بالعلوم الإنسانية، وتجدد نشاطنا الأدبي، خاصة أننا بعيدون كل البعد عن هذا المجال لأن تخصصنا في مجال الهندسة البنيوية، نرجو نشر المزيد حتى تتاح لنا الفرصة في الاطلاع على مثل هذه الموضوعات من خلال مجلتكم الغراء التي يتهافت عليها الشباب المصري لما فيها من إخراج ممتاز ومقالات ممتازة.

مهندس
أحمد مصطفى السيد
القاهرة

أما بعد.. فنهنئكم على اختياركم الموفق لمقالات **الأستاذ الدكتور عبد الرحمن العيسوي** في علم النفس في مجلتكم الغراء «الفيصل»، ومنها مقالة بعنوان «**الشيخوخة وحالاتها النفسية**»، وهي مقالة رائعة نشرت في العدد (٦٩) ربيع الأول ١٤٠٣هـ ـ كانون الأول (ديسمبر)/ كانون الثاني (يناير) ١٩٨٣م، حيث تتميز مقالات الدكتور العيسوي بالأسلوب السلس «السهل الممتنع» الذي يسهل فهم علم النفس حتى لغير المتخصصين.

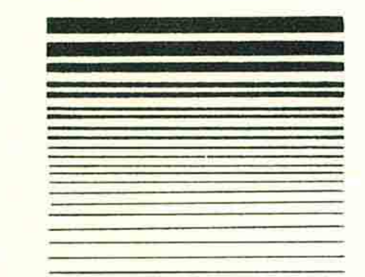
إنني مع عدم تخصصي في علم النفس أتابع بشغف كبير ما يكتبه هذا العالم الكبير وما يمتعنا به من مقالات.

لذا، نرجو المزيد من تلك المقالات الإنسانية لهذا العالم العربي.

مهندس محمود التوني
القاهرة ـ مصر







شروط المسابقة وإيضاحات أخرى

١ ـ قيمة المسابقة عشرة آلاف ريال سعودي .. موزعة على عشر جوائز على النحو التالي :

أ ـ الجائزة الأولى ٢٠٠٠ ريال

ب ـ الجائزة الثانية ١٥٠٠ ريال

جـ ـ الجائزة الثالثة ١٠٠٠ ريال

إلى جانب سبع جوائز مالية قيمة كل جائزة (٥٠٠ ريال سعودي) ، وعشر جوائز أخرى قيمة كل جائزة (٢٠٠ ريال سعودي) .

٢ ـ المطلوب الإجابة على جميع الأسئلة .. وارفاقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحاً عليها الاسم ثلاثياً أو رباعياً ـ إن أمكن ـ مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز .

٣ ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي :
(الرياض ـ المملكة العربية السعودية ـ مجلة الفيصل ـ ص . ب (٣) المسابقة) .
مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج .

٤ ـ أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوماً من صدور العدد لا يلتفت إليها .

٥ ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط ارفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة .

٦ ـ ننصح بمتابعة أعداد المجلة لأن جميع الأسئلة مأخوذة من الموضوعات المنشورة بالمجلة .

السؤال الأول :

ماذا تعني المصطلحات الجغرافية التالية :

الدلتا ـ الغرين ـ المحاق ـ الاعتدالان .

السؤال الثاني :

اذكر أسماء ثلاث مدن في المملكة العربية السعودية أنشئت فيها مشروعات لتحلية المياه ؟ .

السؤال الثالث :

اذكر أسماء مؤلفي الكتب التالية :

كناسة الدكان بعد انتقال السكان ـ ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب ـ معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار ـ رقم الحلل في نظم الدول .

السؤال الرابع :

اذكر ثلاثة أسماء من أسماء الذهب في اللغة العربية .

السؤال الخامس :

في أي تاريخ ألقيت القنبلة الذرية على مدينة هيروشيما اليابانية .. وما اسم الطيار والطائرة التي ألقيت منها القنبلة التي أودت بملايين الضحايا من الرجال والنساء والأطفال موتاً وحرقاً وتشويهاً ؟

قسيمة مسابقة مجلة الفيصل
العدد (٨٣)

الاسم : --

المهنة : --

العنوان : --

أجوبة مسابقة العدد (٧٦)

ج ١ أحماض: الخليك ـ الأكساليك ـ السيتريك ـ البروسيك، تنتمي جميعاً إلى الأحماض العضوية.

فالخليك: حامض عضوي ضعيف، وهو سائل لا لون له، ذو رائحة نفاذة، تركيبه الكيميائي (ك يد ٣ك ١١ يد)، وهو واسع الانتشار في الطبيعة، كالنباتات، وإفراز جسم الإنسان، مثل البول والعرق.

والأكساليك: حامض عضوي جامد بلوري، لا لون له. ويعتبر أبسط الأحماض الثنائية الكربوكسيل، وهو أيضاً واسع الانتشار في الطبيعة، كما أنه حمض سام، إذا تم تناوله بالفم.

السيتريك: حامض عضوي، تركيبه الكيميائي (ك ٦ يد ٧٨)، يوجد في النباتات، كالليمون، وعنب الثعلب، يذوب في الماء بسهولة.

البروسيك: يستخدم كمادة أولية في إنتاج الزجاج العضوي، وهو سائل عديم اللون، له رائحة اللوز المر، ويعتبر سماً قوياً للغاية، ويوجد غالباً في النباتات، كورق اللوز المر، وأوراق الغار، ونوى الخوخ، والبرقوق، والمشمش، والكرز.

ج ٢ أول ناد أنشئ لرياضة التجديف هو نادي «كانو» بإنجلترا، في ٢٦ يوليو (تموز) عام ١٨٦٦ م.

ج ٣ اسم قائد الفرنجة في معركة باب الشزري «رونسفال»، إحدى معارك العرب في الأندلس، في عام ٧٧٨م، الموافق ١٦١ هـ، هو: الملك «كارل الأكبر» المعروف بـ «شارلمان» الذي أصبح إمبراطوراً للدولة الرومانية المقدسة.

ج ٤ «حي بن يقظان» عنوان لثلاث قصص، لثلاثة من كتّاب العرب والمسلمين، في التاريخ القديم، هم:
ابن سينا ـ ابن طفيل ـ السهروردي.

ج ٥ هذه أسماء خمسة كتب من تأليف الأديب عبد القدوس الأنصاري رحمه الله:
آثار المدينة المنورة ـ رحلة في كتاب التراث ـ تاريخ مدينة جدة ـ التوأمان (رواية) ـ الأنصاريات.
وهناك نحواً من ١٣ كتاباً للمؤلف، عدا ما ذكر.

نتائج مسابقة العدد (٧٦)

● فازت **بالجائزة الأولى**، وقيمتها (٢٠٠٠) ألفا ريال سعودي، الأخت **عايدة عوني عادل يوسف**، صفوى، المملكة العربية السعودية.

● وفاز **بالجائزة الثانية**، وقيمتها (١٥٠٠) ألف وخمسمائة ريال سعودي، الأخ **أحمد سيد عبد اللطيف الليثي**، ببا، بني سويف، شارع التحرير، مقلة الليثي، مصر.

● وفاز **بالجائزة الثالثة**، وقيمتها (١٠٠٠) ألف ريال سعودي، الأخ **غرّاز الشريف**، متوسطة بلال، الطاهير، ولاية جيجل، الجزائر.

وهناك **سبع جوائز** قيمة كل جائزة (٥٠٠) خمسمائة ريال سعودي، فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم:

● من الإمارات العربية ـ الشارقة، الأخت مروة حسن عباس المهدي.

● من المملكة العربية السعودية ـ القصيم، البدائع الوسطى ص. ب (٧٩)، الأخ سلطان إبراهيم محمد السحيباني.

● من الأردن ـ عمّان، الشركة الأردنية السعودية للسياحة والسفر، جبل اللويبدة، ص. ب (٩٨٠٥)، الأخ أمين محمود الدلو.

● من السودان ـ كسلا، ص. ب (١)، الأخ جسوانتراي نار سيداس كيولشند.

● من الكويت، ثانوية أنس بن مالك، خيطان، الأخ عدنان حسن صالح.

● من العراق ـ البصرة، معقل، حي الشهداء، شارع (١٥) دار (٣٩)، الأخ عامر جاسم العيداني.

● من المملكة العربية السعودية ـ مكة المكرمة، الأخت ميرفت عبد الحي السمرقندي.

بالإضافة إلى **عشر جوائز** قيمة كل جائزة (٢٠٠) مائتا ريال سعودي، فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم:

● من سلطنة عُمان ـ مطرح، ص. ب (٧١٤٦)، الأخ سعيد سلطان سالم الفلاحي.

● من لبنان ـ بعلبك، بواسطة السيد أمين مرتضى، الأخ حسن محمد أبو نعسة (شاعر الجليل).

● من سورية ـ دمشق، الأخت نجية سليمان أبو عقل.

● من تونس ـ صفاقس، الأخت زكية بنت علي فرحات.

● من المغرب ـ مكناس، الأخت نعيمة فضول السقاط.

● من مصر ـ أسوان، مجلس مدينة أدفو، الأخ محيي الدين عبد الفتاح حماد جامع.

● من اليمن ـ صنعاء، ص. ب (١١٢٨)، الأخ عبد الله عبد الواحد الشرفي.

● من المغرب ـ مكناس، الزيتون، درب الزاوية، رقم (و)، الجبابرة، الأخ اليوسفي أحمد بن القريبي.

● من البحرين ـ المنامة، ص. ب (٥٣٨٠)، الأخ عبد القادر جهاد عبد القادر.

● من سورية ـ دمشق، الأخت صباح صبحي الناطور.



كتب وردت الى المجلة



«وردت للمجلة هذه الطائفة من الكتب في مختلف مجالات المعرفة الانسانية والمجلة ترحب بكل عطاء ثقافي جديد من شانه أن يفتح امام القارىء آفاقا أوسع وارحب وابعد مدى».

جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن التاسع الهجري

دراسة من إعداد الأستاذ **محمود بوعياد**، تعكس بعض جوانب الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية في **المغرب الأوسط** إبان دولة **بني زيان** في القرن التاسع الهجري. وقد أشار المؤلف إلى ظهور بعض العلماء في ذلك العصر رغم الأزمات المصاحبة لتلك الفترة، وكذلك أثر الحياة الثقافية في زيادة انتماء الشعب للإسلام، وجعل اللغة العربية لغة الأكثرية. يقع الكتاب في (١٢٨) صفحة من القطع الصغير. أصدرته **الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر**.

محاضرات في التقويم التربوي

يشتمل الكتاب على المحاضرات التي ألقيت في **دورة التقويم التربوي** التي عقدها **المركز العربي للبحوث التربوية لدول الخليج**، في الفترة من ٢٩ جمادى الأولى إلى ١٨ جمادى الآخرة ١٤٠١هـ. يقع الكتاب في (١٩٦) صفحة من القطع المتوسط، وصدر عن **مكتب التربية العربي لدول الخليج**.

معجم قبائل الحجاز

هذه الطبعة الثانية من (معجم قبائل الحجاز) للمقدم **عاتق بن غيث البلادي**، ويضم كل القبائل التي سكنت **الحجاز** منذ فجر التاريخ إلى اليوم. تأتي هذه الطبعة مصححة ومنقحة ومزيدة. يقع المعجم في (٦١٢) صفحة من القطع المتوسط، وقد صدر عن **دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع**.

المختصر في تاريخ البلاغة

من تأليف **الدكتور عبد القادر حسين**، تتبع فيه تاريخ علم البلاغة منذ **العصر الجاهلي** مستعرضاً التطورات المختلفة التي طرأت على هذا العلم والتأثير الواضح **للقرآن الكريم** وكذلك إسهامات علماء اللغة والأدباء في ازدهار علم البلاغة ورسم أسسه الواضحة. يقع الكتاب في (٢٥٢) صفحة من الحجم الكبير، صدر عن **دار الشروق ببيروت**.

ذكريات لا تنسى

من تأليف الأستاذ **محمد المجذوب** ويمثل مشاهداته خلال رحلاته إلى **الفلبين، تركيا، قبرص وأندونيسيا** ومعايشته للناس والأحداث وما عكسته تلك المشاهد من انطباعات ذاتية منطلقة من الرؤية الإسلامية. الكتاب من **مطبوعات تهامة**، ويقع في (٢٠٨) صفحات من القطع المتوسط.

دراسات مختارة في المكتبات والتوثيق والإعلام

مجموعة دراسات حول علم المكتبات والتوثيق والأرشيف والإعلام أعدها الأستاذ **عبد الله عمر البارودي**، تناول فيها دور هذه العلوم ووسائل استخدامها وكذلك وسائل النهوض بها لتقديم خدمات أفضل. يتكوّن الكتاب من جزءين حيث يقع الجزء الأول في (٥٠٦) صفحات، والثاني في (٤٩٢) صفحة. صدر عن **عالم الكتب ببيروت**.

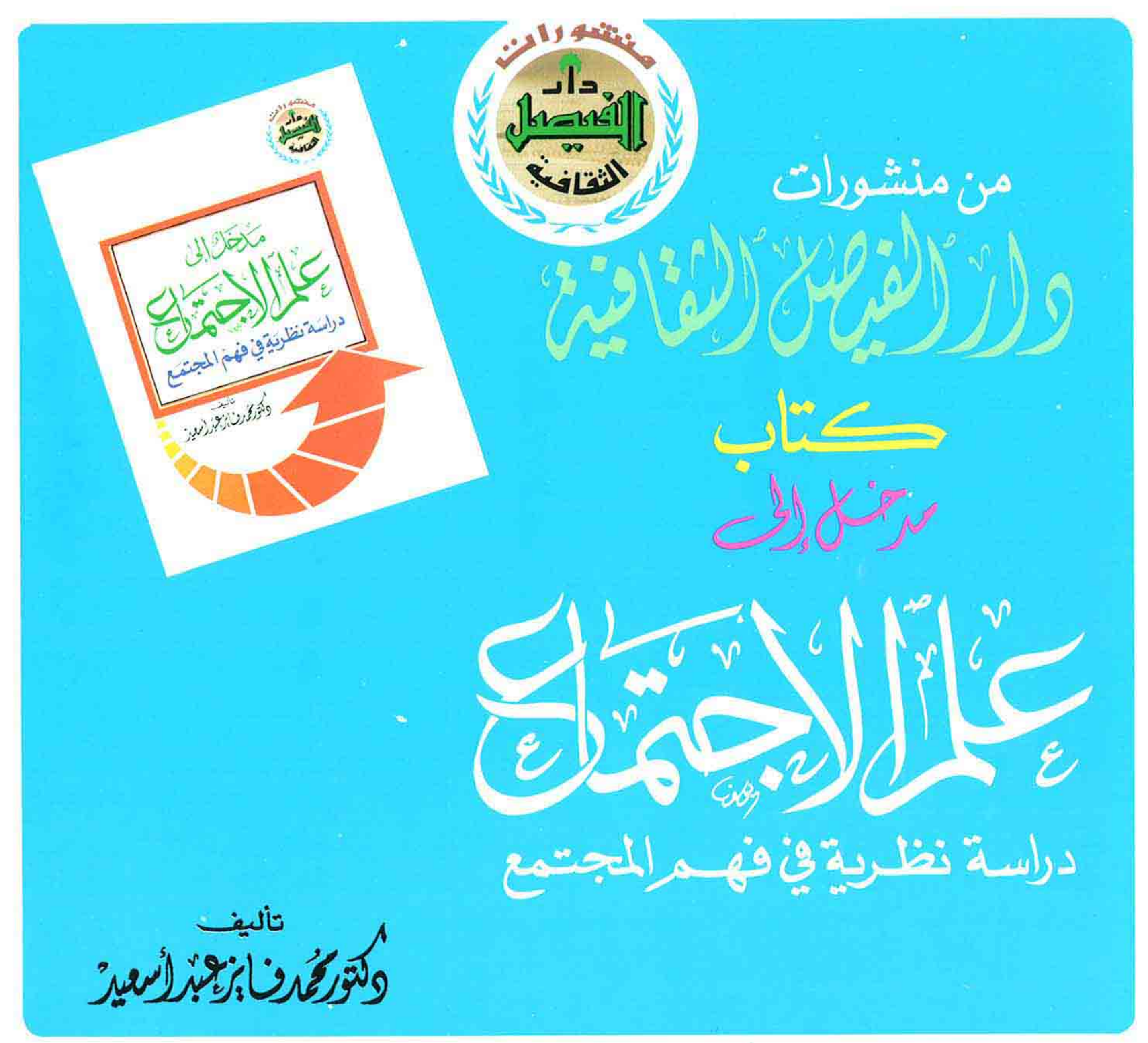
بحوث في الإعلام الإسلامي

دراسة من إعداد **الدكتور محمد فريد محمود عزت**، اشتملت على ثلاثة أبحاث إعلامية حول الجانب الإسلامي في مجال الإعلام. تناولت الأبحاث الثلاثة التوجيهات الإسلامية في سبيل مقاومة الشائعات، وما تضمنه الإسلام من توجيهات مرشدة في مجال نشر أخبار الجريمة والجنس. يقع الكتاب في (١٧٦) صفحة من الحجم المتوسط، وقد أصدرته **دار الشروق بجدة**.

الوحدات النقدية المملوكية

دراسة تاريخية قيِّمة من إعداد **الدكتور سامح عبد الرحمن فهمي**، تناولت الأنماط المختلفة للمسكوكات النقدية في **فترة حكم المماليك**. وقد شملت الدراسة مراحل الوحدات النقدية منذ الفترة السابقة لحكم السلطان **الظاهر بيبرس البندقداري** إلى عهد أبناء **الناصر محمد بن قلاوون**. وقد زودت الدراسة بإيضاحات ومجموعة كبيرة من اللوحات لمختلف المسكوكات خلال تلك الفترات. يحتل الكتاب الرقم (١٨) ضمن سلسلة **«الكتاب الجامعي»** التي تصدرها **تهامة**، ويقع في (٣٢٨) صفحة عدا صفحات اللوحات.




منشورات دار الفيصل الثقافية
من منشورات
دار الفيصل الثقافية
كتاب
مدخل إلى
علم الاجتماع
دراسة نظرية في فهم المجتمع
تأليف
دكتور محمد فايز عبد أسعيد